محمد المختار السوسي

المعسول

٧

طبع بمطبعة النجاح = الدار البيضاء
(المغرب الاقصى)
عام ١٣٨٢ هـ = الموافق ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

من

الفصل الثاني

من

الباب الثالث

المخصوص لأشياخ الالغيين السوسيين في المعارف

المذكورون في هذا الجزء المبارك بهذه الاسرة البكرية المباركـة :

هـذان الامامان :

* الاستاذ سيدي محمد بن ابرهيم التامانارتي شيخ الالغيين في عصره على الاطلاق واستاذ افران ومدرس مدرستها .
* ولـده العلامة سيدي الطاهر بن محمد الافراني التانكرتي شيخ عصرنا هـذا الذي يتباهى به كل من عرفه وشيخ آخر كبير من اشياخ الالغيين الاعلين .

الاستاذ

سيدي محمد بن ابرهيم التامانارتي

ثـم الافراني

قبـــل : ١٢٤٠ هـ = ١٢٩٦ هـ

نسبــــه :

محمد بن ابرهيم بن أحمد بن يحيا بن ابرهيم بن أحمد بن يحيا بن محمد ـ فتحا ـ بن الحسن بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم بن عمرو بن طلحة ابن محمد بن سليمان بن عبد الجبار بن محمد بن عبد المومن بن تامورت ، ابن عيسى ، بن محمد بن محمد ـ مكررا ـ بن يحيا بن ابرهيم بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد بن عمر بن سيد الناس ابن القاسم بن محمد بن عبد الواحد بن العربي بن يوسف بن الحسن بن أبي الغياث بن الحسن بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن محراز بن مبارك بن عبد الهادي بن العربي ابن مبارك بن عبد الواحد بن يزر ، بن الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق .

هكذا وجدت هذا النسب منساقا بخط الاستاذ محمـد ابـن القاضي الايديكلي التملي ، من الشيخ محمد بن ابرهيم الجد التامانارتي الشهير رضي الله عنه .

بيت التامانارتيين هؤلاء من البيوتات المشهورة الافراد فـي اعصـار مختلفة اما بالدين المتين واما بالعلم ، واما باحدهما . ولنذكر من تيسر من رجالات اجداد الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم ومن أولاده واحفاده ، وقد نجـد مما بين أيدينا رجالا تامانارتيين ، فاتنكب ذكرهم حتى أعرف انهم من آل محمد بن ابرهيم الشيخ الذين نحن في صدد ترجمة حفيده الاستاذ سيدي محمد بن ابرهيم التامانارتي الافراني .

ثم اعلم ان أهل (ايمي أوكادير) من أمانوز ، ذكر لي أنهم من بني عمومة هؤلاء وأنهم أولاد احمد بن سليمان بن عبد الجبار . ويسمي المعاصرون الآن منهم ايت الحاج سليمان . انقرض فيهم العلم . ولذلك سنذكر من تيسر

لنا منهم قبل ان نذكر آل الشيخ : كما قيل لي ان (ادعزى) التانكرتيين جاءوا من (امانوز) • وانهم بكريون • ومنهم مؤلف الصفوة الافراني المؤرخ

الاول : الحسن بن أبي القاسم اللكوسي

الفقيه العالم الاديب ، دان رضي الله عنه من أئمة الدين والعباد المتقين توفي بجمادى الثانية عام خمسة والف ١٠٠٥ هـ « كذا قال فيه مؤرخ »

الثاني : محمد بن الحسن اللكوسي ولده

قال فيه صاحب الوفيات :

(الفقيه الاديب العالم الاريب ، سيدي محمد بن الحسن بن بلقاسم اللكوسى له قصائد حسان متخيرات فى أساليب متنوعة ، وله نظم النقاية للسيوطى ، توفى رحمه الله بايليغ قائلة الاربعاء الثانى من ذى الحجة عام ١٠٤٨ هـ ودفن بالزاوية)

وقال فيه الحضيكي : الفقيه الاديب ، كان رضي الله عنه رجلا صالحا عالما عاملا ، نظم النقاية للسيوطى نظما عجيبا ؛ وله قصائد فى أساليب حسان توفى رحمه الله بايليغ قائلة يوم الاربعاء الثاني من ذى الحجة سنة ثمان واربعين وألف ، ودفن بالزاوية) •

اقول : كان من بيت علم كما ترى• فنشأ فريدا ، وكان من المنقطعين اولا الى يحيا بن عبد الله بن سعيد ، وهو الذى حرر له تلك الرسالة الفائقة الموجهة الى الامير زيدان • وفي آخرها اسمه • وهى فى (الاستقصا) ١١٣ ج ٣ وهي دالة على مكانته • ونتنكب ايرادها لشهرتها • ولان غالبها ليس دالا على ما نريده من آدابه • كما تدل على تضلعه فى المعارف • والرجل متواضع صالح موصوف بذلك فى التاريخ كما رأيته •

ومن آثاره هذه الرسالة التى كتبها الى شيخ ذلك العصر عبد الله بن يعقوب السملالي :

(دوحة الشرف المثمرة ، والروضة الاريضة المزهرة • سلالة خير الانبياء • وصفوة من بعصرنا من العلماء الاتقياء • من خبره أعظم من خبره• وذوقه احلى من لون ثمره • أبو محمد سيدنا ومولانا وموئلنا : عبد الله بن يعقوب السملالي الذى حلاه الله من فواضله وفضائله بالعقد المتلالئ ، وبعد السلام على تلك الشيم ، وعلى من بالحضرة الميمونة من الطلبة والاهل والخدم• انهى الى سيدى انني فى سلامة وعافية • وان نعم الله على العبد كما تودون صافية • ونحمد الله اليكم على مايزال يوليه ويسلسله من صحة بدن • وهى نعمة عظيمة ما لها ثمن• ومن شغلنا بما نرجو من الله أن يتقبله • وان يكون

لرضوان الله الاكبر متوسله •

ثم انني ارجو من سيدنا ان يدعو الله لنا اولا بصلاح الحال والمآل • فان الضعف قد استولى علينا وعلى جميع العيال • ولكن من تكونون اليه شفعاء يغتفر • ومن تكونوا أنتم وامثالكم ناصريه ينتصر • وان ينظر سيدى فى هذه المسائل الفقهية التى حررتها • فان كتبي عني الآن بعيدة• وصاحب القضية التى تدور حولها تلك المسائل مستعجل • لايريد نظرة الى الرجوع الى الدار التى فيها ما يراجع • ولذلك قررتها كما يرى سيدنا ومكره أخاك لا بطل • ولكون سيدنا علمه فى صدره • لا فى قمطره • اردت أن أتشبث بتسليمه اياها قبل أن أخرجها من يدى • لتكون انت فيها مستندى • والحامل اوصيه بالرجوع بها غدا • هيأ الله لي ولسيدنا عيشا رغـــدا)

ومن آثاره أيضا هذه القصيدة يخاطب بها الامير عليا بودميعة • ولعل ذلك أول ما قدم عليه بعد انقطاعه الى يحيا :

أرخ الزمام لها تغذّ وتسرع ... ان تجدها فى سيرها تتدفـع
يا طالما أرعيتها القيصوم فى ... نعمان والطرفا بذات الاجرع (١)
وسقيتها المـاء النمير كأنـه ... دمع اليتيم بكى متى مـا يدفع
فلمثل هذا اليوم كنت أعدها ... وأسيمها فى خير مرج ممرع
حتى غدت كالطود يرسخ اسه ... سمنا وان هبت تهب كزوبع
من لم يكن من فوقها متمكنا ... ألقته هبات الرياح الاربـع
هوجاء فى ارقالها فكأنهـا ... خطف البروق من السما ان تصدع
فلك الفيافى الفيح تمخر وسطها ... وسواءها فى قطعها كالضفدع
فلها عليّ اليوم أعظم منـة ... أن قربتني نحو تلك الاربـع
فعليّ ان نلت المرام بخطوها ... ان لاتراع بفدفد متـوسـع
ولذاك أدنـى ما أجازيها بـه ... ان أوصلتني للمقام الارفـع
ان مكنتنى من مشاهد كلما ... أملتها جاء الزمان بمـدفـع
كل الامانى من فؤادى ان تشا ... هد أعيني وجه الامام الاروع
فالحمد لله الذى قد منّ فى ... هذا النهار بمأمـلى المتمنـع
هذا امام المسلمين وخير من ... زان الامارة بالجبين الاسطـع
هـذا أبو الحسن الـذى من خوفه ... وجلاله أسد الشرى فى مفزع
هذا الامام ابن النبى وخيـر من ... ورث التقى عن خـير جد أورع
أحيا بهمته الديانـة والهدى ... من فاز فوق سريره بتسرع (٢)

---

١) نعمان وذات الاجرع : محلان فى الحجاز ، والقيصوم نبت بالبادية •

٢) كـذا

رد المساجد والمدارس كالريـا   ض وقد غدت من قبله كالبلقع
لاجور تسمع طيفه لا مغرم   لا نائبات المخزن المتصدع (١)
من رام ان يلج القلوب فلا يلج   جيبا والا فهو رتق المنبـع (٢)
مثل الامام الشهم خير مبوء   بصنيعـه فينا لقدر أرفـع
كسب القلوب جميعها بتباعـد   عن موقف يزرى به والمرتع
لمى الحلال وفى الحلال كفاية   فأتـى بوفر باهظ متجمـع
هذى شريعة جده لم يعدهـا   شبرا ، ويكفى الشرع ماء المشرع

* * *

طوها ابا الحسن المعلى اننا   نوليك شكرا وسط هذا المجمع (٣)
امليت هـذا الصقع بالعدل الذى   تولى وبالجيش العتيد الطيـع
رضمت جميع جنوده رسل البسا   لة لاترى فى جمعهم من رضع (٤)
فهم كرام ما رأوا اعداءهم   الا قروهم فى الوغى بتصدع
وثب الفهود على الثعالب ثم لا   تلقى مفاصلهـا بغيـر تمزع
لكأننى بالحوز قد طلعت عـلى   ارجائـه الفيحاء شر المطلـع
ليشتتون جنود من قـد ضيعوا   ملك الجدود برقدة المتضعضع
شغلوا بلهوهم فضاع الدين بيـ   ـن الكـأس والذلفاء ذات تمنـع
[illegible] أرى ملكهم اللذيـ   ـذ بعلقم من ذلهم والخروع (٥)
[illegible] الوالى [illegible]   فى الملك ان لم يغد قطب المعمع
[illegible]   الا براقمة القنـا فى الادرع (٦)
[illegible]   يبقى بناء الملك وسط الزعزع
[illegible]   ويقاوم الطامات ان لم تجدع
[illegible]   من لم يطب نفسا متى ما يصرع
[illegible]   يستل منـه القمل بين الاضلـع

١) [illegible] التى كانت رتبت على الناس مالا سنويا [illegible] فيها اجحاف عظيم بالناس .
٢) [illegible] : الكدر .
٣) كانه انشدها للامير فى مجمع عام . وكأنى به وسط ايليغ العامرة ينشدها بلهجته السوسية ، فيحكى بذلك قصر البديع ينشد فيه الفشتالى أمام الذهبى وما بالعهد اذ ذاك من قدم .
٤) الرضع الجبناء ، ومنـه الحديث : اليوم يـوم الرضع . وقد جملـه الجناس حتى كان فى البيت بعض قلق . والرضع جمع راضع .
٥) الارى كفلس : العسل . كما أن الشرى أيضا مثل الحنظل .
٦) جمع درع كما يظهر ، لا ذراع بالـذال المعجمة

بسياسة ليست بارى ، لا ! ولا   شرى ولكن بين ذاك لمن يعى
من اخطائه سياسة فى أمره   لاسيما ملك الورى يتضعضع (١)
والطب ليس بباتر عضـوا سوى   ان كان فيه دواؤه لم ينجع
قم يـا امير الدين وانهض نهضة   جبارة تذر العدا فى مفزع
وقد الجيوش وقدمن مـا بينهم   من كان حلف جراءة وتدرع
وجس البلاد بفتحها جمعاء وانـ   ـظم فى يديك الامر وحدك واجمع
ان الهوينى غيـر نافعة اذا   لين المقالة فى الورى لم ينفع
ما دام هذا الامر أمرك فاصرخـ   ـن به على رأس المخالف واصدع
فالله والمـلأ الكرام معاونـو   ن ببث روع فى العدا وتزعزع
فكأننى بالامر تم كما تشا   ويشاءه من كان فى ذا المجمع

* * *

الثالث : محمد بن أحمد بن عمر من (امى أوكادير)

الرابع : الحسن بن عبد الله بن محمد ، من هنا أيضا

هذان رأيناهما فى الوثيقة الخامسة بين الفقهاء الذين وقعوها ، وهما من (امى أوكادير) بأمانوز ومن هذه الاسرة يعيشان الى ما بعد : ١٠٩١ ﻫ وقد ذكرالاديب المانوزى أن أهل هؤلاء عمروا مدرسة (تاهالا)القديمة بالعلم من قديم قبل القرن العاشر .

الخامس : عبد الجبار بن محمد بن عبد المومن

قال عنه الحضكى فى الطبقات :

(عبد الجبار جد محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم التامانارتى اللكـوسى دفين أمانوز ، رجل صالح ظاهر الكرامات والبركات من أهل القرن التاسع والله اعلم)

هذا ما قاله عنه ، فيظهر أنه لم يلم بالعلم حين لم يصفه به . وقبره الى الآن لايزال معلوما فى قرية : (تجكالت) بأمانوز ، عليه بيت . أخبرنى بذلك من وقف عليه ، واما قوله انه من أهل القرن التاسع فيمكن ان تكون

١) جزم المضارع فى الجواب مع أن الشرط ماض، وتلك هى اللغة الفصحى

رد المساجد والمدارس كالربـا … ض وقد غدت من قبله كالبلقع
لاجود تسمع طيفه لا مغرم … لا نائبات المخزن المتصدع (١)
من رام ان يلج القلوب فلا يلج … جيبا والا فهو رنق المنبـع (٢)
مثل الامام الشهم خير مبوء … بصنيعـه فينا لقدر أرفـع
كسب القلوب جميعها بتباعـد … عن موقف يزرى به والمرتع
امى الحلال وفى الحلال كفاية … فاتـى بوفر باهظ متجمـع
هذى شريعة جده لم يعدهـا … شبرا ، ويكفى الشرع ماء المشرع

* * *

طوعا ابا الحسن المعلى اننا … نوليك شكرا وسط هذا المجمع(٣)
اعليت هـذا الصقع بالعدل الذى … تولى وبالجيش العتيد الطيـع
رفعت جميع جنوده رسل البسا … لة لاترى فى جمعهم من رضع (٤)
فهم كرام ما رأوا اعداءهم … الا قروهم فى الوغى بتصدع
وثب الفهود على الثعالب ثم لا … تلقى مفاصلهـا بغيـر تمزع
لكاننى بالجوز قد طلعت عـلى … ارجائـه الفيحاء شر المطلع
ليشتتون جنود من قـد ضيعوا … ملك الجدود برقدة المتضعضـع
شغلوا بلهوهم فضاع الدين بيـ … ـن الكـأس والذلفاء ذات تمنـع
حتى تبدل ارى ملكهم اللذيـ … ـذ بعلقم من ذلهم والخروع (٥)
هيهات أن يبقى الوليد كجده … فى الملك ان لم يغد قطب المعمع
ان الممالـك لا يقـام عمادها … الا برافعة القنـا فى الادرع (٦)
بالفتك والقتل الذريع يشيد من … يبغى بناء الملك وسط الزعزع
كم من أنوف لا تقاد براتها … بمقاود الطاعات ان لم تجدع
لايجتنى ثمر السيادة فى الوغى … من لم يطب نفسا متى ما يصرع
حتى اذا غلب العدو أتى بما … يستل منـه الضغن بين الاضلـع

١) لعله قصد الدولة السعدية التى كانت رتبت على الناس مالا سنويا سمته النائبة فيها اجحاف عظيم بالناس .
٢) المرنق : الكدر .
٣) كأنه أنشدها للامير فى مجمع عام . وكأنى به وسط ايليغ العامرة ينشدها بلهجته السوسيـة ، فيحكى بـذلك قصر البديع ينشد فيه الفشتالى أمام الذهبى وما بالعهد اذ ذاك من قدم .
٤) الرضع الجبناء ، ومنـه الحديث : اليوم يـوم الرضع . وقد جملـه الجناس حتى كان فى البيت بعض قلق . والرضع جمع راضع .
٥) الارى كفلس : العسل . كما أن الشرى أيضا مثل الحنظل .
٦) جمع درع كما يظهر ، لا ذراع بالـذال المعجمة

بسياسة ليست بارى ، لا ؛ ولا … شرى ولكن بين ذاك لمن يعى
من اخطائه سياسة فى امره … لاسيما ملك الورى يتضعضع (١)
والطب ليس بباتر عضـوا سوى … ان كان فيه دواؤه لم ينجع
قم يـا أمير الدين وانهض نهضة … جمازة تذر العدا فى مفزع
وقد الجيوش وقدمن مـا بينهم … من كان خلف جراءة وتدرع
وجس البلاد بفتحها جمعاء وانـ … ـظم فى يديك الامر وحدك واجمع
ان الهوينى غيـر نافعة اذا … لين المقالة فى الورى لم ينفع
ما دام هذا الامر أمرك فاصرخـ … ـن به على رأس المخالف واصدع
فالله والملأ الكرام معاونـو … ن ببث روع فى العدا وتزعزع
فكأننى بالامر تم كما تشا … ويشاءه من كان فى ذا المجمع

* * *

الثالث : محمد بن أحمد بن عمر من (امى أوكادير)

الرابع : الحسن بن عبد الله بن محمد ، من هنا أيضا

هذان رأيناهما فى الوثيقة الخامسة بين الفقهاء الذين وقعوها ، وهما من (امى أوكادير) بأمانوز ومن هذه الاسرة يعيشان الى ما بعد : ١٠٩١ هـ وقد ذكر الاديب المانوزى أن أهل هؤلاء عمروا مدرسة (ناهالا)القديمة بالعلم من قديم قبل القرن العاشر .

الخامس : عبد الجبار بن محمد بن عبد المومن

قال عنه الحضيكي فى الطبقات :

(عبد الجبار جد محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم التامانارتى اللكوسى دفين أمانوز ، رجل صالح ظاهر الكرامات والبركات من أهل القرن التاسع والله أعلم)

هذا ما قاله عنه ، فيظهر أنه لم يلم بالعلم حين لم يصفه به . وقبره الى الآن لايزال معلوما فى قرية : (تجكالت) بأمانوز ، عليه بيت . أخبرنى بذلك من وقف عليه ، واما قوله انه من أهل القرن التاسع فيمكن أن تكون

١) جزم المضارع فى الجواب مع أن الشرط ماض، وتلك هى اللغة الفصحى

وفاته في أوله مع تعميره • لانه كما ترى بعيد من الشيخ "محمد بن ابرهيم المولود نحو ٨٧٠ هـ فليتأمل •

السادس : سليمان بن عبد الجبار ولده : صالح مذكور أيضا ، دفن في مسجد (ايمي أوكادير) بتارسواط بأمانوز •

السابع : عمرو بن طلحة ، لم أر له ذكرا في كتب التاريخ • وقبره مشهور الى اليوم في قرية (تاجكالت) ، وعليه مشهد • ولعلهما معا هو وأبوه هنالك في مشهدين أو في مشهد واحد ، ولا نعلم من أحواله شيئا •

الثامن : ابرهيم بن عمرو بن طلحة :

رجل يذكر بصلاح كثير • وكان من رجال عصره في تحمل الاذى في تأييد الدين ونشر الفضيلة • بهذا يوصف • ولم أقف له أيضا على ذكر في الكتب التي بين يدي ، الا ماسيراه القارىء امام في (روضة التحقيق) وقبره عليه مشهد كبير في قرية من قرى (اداوزدوت) يقصده الناس الى الآن ويقام عليه موسم كبير تجاري • وتوثر عنه كرامات وخوارق رحمه الله وستري في الذي نختصره عن (روضة التحقيق) ما يصفه به ولده • (ثم اخبرني بعض أهله انه كان مدرسا عالما انقطع في مدرسة (ايداوزدوت) يقصده الناس الى الآن ويقام عليه موسم كبير تجاري • وتوثر عنه كرامات وخوارق رحمه الله • وستري في الذي نختصره عن (روضة التحقيق) مايصفه به ولده • (ثم اخبرني بعض أهله أنه كان مدرسا عالما انقطع في مدرسة (ايداوزادوت) الى أن شاخ فأراد أهله أن يرجعوا به فاعتذر بأنه لا يقدر على الركوب • فطلب الزدوتيون من أهله تبركتهم من امتناعهم من رجوعه • قال ان ذلك مكتوب عند بعض أهاليه) •

أقول ان كونه عالما مدرسا سيذكر في (روضة التحقيق) مع أوصاف عالية ذكره بها ولده •

التاسع : الشيخ الكبير • العظيم المقام • عالم المصلحاء • المقيم على السنة أحسن قيام • العاض عليها بالنواجذ : سيدي محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم الشيخ • طارت شهرته في عصره وبعد عصره طيرانا خارقا للعادة • مع جولان يده في أشياء مختلفة • شارط سنوات • وتولى القضاء أعواما • وامضى عمرا غير قليل في التدريس • مع شغله بين ذلك كله بتربية المريدين • وارشاد المسترشدين • وصقل النفوس • وتهذيب الاخلاق • حتى انتشر له من الاصحاب كثيرون جدا • وهو مع قيامه بهذه الوظائف

الخاصة يقوم أيضا بمصالح عامة • فيسوى الطرق الصعبة • ويبنى الجسور على الانهار التي لا تعبر في بعض الفصول • ويحفر نطفيات في معاطش بين القفار • قام بذلك كله في عمره المديد • وقد أثنى عليه المؤرخون ثناء عطرا • وأجمع ترجمة رأيناها له ما ساقه الحضيكي في (الطبقات) فلننقلها فانها تتضمن الجميع •

قـــال :

(محمد بن ابرهيم بن عمرو بن طلحة بن محمد بن سليمان بن عبد الجبار اللكوسي الجزولي • قال بعض أولاده فيه :

ولي الله الشيخ العارف بالله الامام العالم المتحقق المتفنن الرباني الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة • المشفع لعلم الظاهر بعلم الباطن • التقي الصالح الزاهد الورع • وحيد دهره • وفريد أهل عصره • وشيخ وقته وأوانه • الذي اليه المفزع في النوازل المشكلات المهمات العلميات والدينيات رضي الله عنه • ونفعنا ببركاته • وجازاه عنا وعن المسلمين خيرا • ما رأت عيناي قط • ولا سمعت أذناي في الناس مثله نجدة وتصلبا في الحق • وانصافا وحرصا على الدين • واجتهادا فيه • واستغراقا لاوقاته في العبادة والمواظبة عليها • مع قيام الليل وكثرة الاوراد • وخشية الله وخوفه ومراقبته • يجمع الى ذلك صبرا واحتمالا • وحياء وصدق لهجة • وتواضعا وسخاء • وايثارا وقناعة وغنى نفس • وشدة في اتباع السنة المحمدية • والتخلق بخلقها في حركاته وسكناته • وأخذه وعطائه • وغيظه وعدم تملك النفس عند رؤية مخالفة السنة • واذا سمع عن أحد الاتباع بشيء ما في الدين أيا كان • نهاه ولا يبالي به • ولا يخاف في الله لومة لائم • تبحر في العلوم المعقولة والمنقولة • وبلغ فيها مبلغا لم يصل اليه أحد في بلاد جزولة • ونصح الخاصة والعامة • مع حب الخير لجميع المسلمين • ولد رحمه الله ببلده : (فم الحصن) من بلاد تاهلة • ونشأ فيها بين أبويه واخوته • ثم جال في بلاد جزولة للتعلم • ودار على من بها من الطلبة • للاستفادة والقراءة عليهم • فكان مدار قراءته واخذه للعلوم الشرعية على شيخه الفقيه المتفنن الحافظ الفهامة الحجة أبي على الحسن بن عثمان التملي الجزولي رضي الله • لازمه زمنا طويلا حتى تفقه به وفتح الله عليه • وقد كانت له رحلة في طلب العلم الى بلاد (درعة) في رفقة • وأدركهم العطش في مفازة • واشتد عليهم • فعدل بقليل عن الطريق • فوجد ماء قليلا عذبا بارد اعلى صفاة • وشرب وصاح بالناس • فشربوا منه كلهم حتى رووا • وبقي كما كان • فعدوا ذلك كرامة له رضي الله عنه وعظموه • فلما رجع تصدر للتدريس والاقراء ببلدته زمانا • ثم بقرية

(عنق الرمـال) بلـدة من قرى وادى (ايسى) سنين (١) • ثـم انتقـل بأولاده لوادى تامانارت وتولى الامامة فى مسجد من مساجدهـا • واجتهد فى الاقراء ونشر العلم سنين عديدة • فانتفع به خلق كثير من طلبة العلـم وغيرهم • حتى استنارت بهم بلاد جزولة • ثم بلى بالقضاء • وتولاها جبرا سنة ثمان وعشرين وتسعمائـة فى ابتداء دولـة الشرفـاء • ومكث قاضيا زمانا • ثم اقيل من ولاية القضاء • ثم رفض الخلق • وترك الاقراء • لمـا رأى من فساد نية الطلبـة • وأن قصدهم الحظوظ العاجلـة • والرياسة الدنيويـة • وتولى القضاء جماعـة من طلبته • وتجرد للعبـادة • واجتهد فيها الى ان توفى على تلك الحـال • وشهر بسيدى محمد الشيـخ السنى الصوفى • فصار يسوس الفقراء • ويربيهـم ويؤدبهم بالادلـة الشرعيـة المحضة • انتهى (يعنى ما قاله عنه بعض أولاده) •

وقال الشيخ البعقيلى فيه :

الامام العالم شيخ الحقيقة وامام الطريقة • المتبرك بـه حيا وميتا • له قدم(٢)راسخ فى العلموالعمل • وقد رأينا له أنوار الكرامات• والمكاشفات نفعنا الله به آمين • وقد حضرنا له لما قدم بأصحابه لاصلاح طريـق المنجع النازل من ركبـة (توسـﭬا) ببلـد بعقيلـة • ونحن صبيان • فسأل رب الملك • أن يحول اليـه الطريـق الصعبة عـلى الناس والـدواب • فـأذن له فحوله وسهله • وترك الاول لوعره • وهمته رضي اللـه عنـه ايصال الخير • وتعميم النفع للمسلمين • ومصالحهم العامة • من حفر المياه واظهارها وعمل الصفائر ـ النطفيات ـ وبنـاء القناطر • وكفى بـه فضلا وشرفـا بناؤه قنطرة بوادى الغاس • نفعنا الله به •

وحضرت له أيضا لما قدم مع بعض أولاده وأصحابـه وفقرائه لحركـة البريجة (الجديدة) بأمر السلطان مولانا عبد اللـه • ركب على رمكته • وقد انحنى عليها من الكبر والناس يزدحمون عليـه • ويصافحونـه • ولا يترك يده لاحد يقبلها • فلما دنا من موضع (أيتفروين) ببعقيلة • ونحن به اذ ذاك نقرأ مختصر خليـل • عـلى شيخنا سيدى محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم البعقيلى • لما سمع به طار عقله شوقا للقائه • وخرج مسرعا حافيا يطأ الشوك ولا يشعر • فناوله بعضنا نعله فردها • فسار على حاله • حتى لقى حبيبه الشيخ التامانارتى واصحابه • فبادر كل واحـد منهما صاحبه بالسلام : سلام الشوق والمحبة والسنة • ولم ينزل الشيخ عـن رمكته • ثم اراد شيخنا البعقيلى أن يقبل يـده • فجبذها الشيخ الى فـوق قربوس سرجه • فقال ما هذا بسنة • وأنت ما زلت هنا • انكر عليه تقبيل اليد •

١) ذكر أهله أنها سبع

٢) كذا مع أن القدم مؤنثـة •

فقام اليه ابنه سيدى ابرهيم بن محمد يلاطفه بكلام لين • ويذكر أن العلماء جوزوا تقبيل يد الرجل الصالح والعالم للبركة • فقال لهم الشيخ اسكتوا عني • رايتم شيئا ولم تعرفوا المراد منه • ثم قال لشيخنا : هنا مسألتان ، ان لم تقطعهما فلست اعرفك ولا تعرفني • تقبيل اليد • ولفظة سيدى • فانهما محدثتان فى بلادنا والذى أحدثهما في بلادنا الفقيـه سيدى الحسن ابن عثمان التملى جاء بهما من بلاد الغرب • وأما الاشياخ الذين عرفناهم فى بلادنا من الكراميين وأبناء عبـد العزيز فى حجر بنى عيسي ـ يعنى في أيت حامد ـ والفقهاء برسموكـة وسملالة وغيرهم • فلا يذكرون الا بلفظة عمى الطالب فلان • ان كان اكبر من المتكلم وان كـان قرينه أو دونـه يذكره بالطالب فلان •

توفى رحمه الله فى صفر سنة احدى وسبعين وتسعمائـة (وقيـل توفى ليلة الثلاثاء ، التاسعة من ذى الحجة • سنة احدى وسبعين وتسعمائة بعد وفاة الشيخ سيدى أحمد بن موسى بشهرين)

ـ أحسب أن كلام لابعقيلى قد انتهى عند قوله يذكر بالطالب فلان ، وان هذا التاريخ للوفاة من كلام مؤلف الطبقات • وليس عندى الآن كتاب البعقيلى لأتحقق ذلك • ايا كان فسنرى المحقق فى وفاته فيما سياتى •

ثم توصلت والحمد لله بكراسة البعقيلى • فوجدت كلامه انقطع حقيقة عند تلك الجملة • ثم قال : والحديث شجون يجرى بعضا بعضا • وذكرنا هذه الحكاية تبركا بذكر الشيخين • ولله در القائل : من أحب شيئا اكثر من ذكره • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم • المرء مع من أحب • ومع ماأحب • ومن أحب قوما حشر معهم • ومن احب عمل قوم ، كانكمن عمله • ثم ذكر وفاته • فعلمنا ان البعقيلى هو الذى ذكر اولا أنه توفى فى صفر ، ثم اتبعه الحضيكى بما قاله الرسوكـي فى وفياتـه بصيغـة التمريض • وأمامك أيها القارىء ما عندنا فى الموضوع •

ثم قال فى الطبقات بعد ذلك : وقال صاحب الفوائد فيه :

الفقيه العالم العامل الشهير فقيه جزولة ، عرض عليه قضاء الجماعة بسوس فلم يقبله • وكان اماما مقدما فى الفقه والعربية وغيرهما • وشدت اليه الرواحل لطلب العلم من جميع الآفاق السوسية • وبه انتشر جل علوم بلاد جزولة • وجمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة • وابتنى ببلده لطلبة العلم مساكن ياوون اليها • وأوصى بنيه لايؤوون ثلاثـة : قاتـل النفس ، والعبد الابق والهارب من السلطان • قائل : (ان ايوائهم من الفساد فى الارض) •

الخبرنى تلميذه الرجل الصالح المسن أبو العباس أحمد بن أبى بكر قال : دخلت عليه يوما فى منزله • ولقيت رجلا فى درج غرفته تدلى من عنده • فقال لى أتعرف من لقيت • قلت لا • قال : هو أبو العباس الخضرى، وكان الشيخ الولى الصالح الربانى سيدى أحمد بن موسى يسمى داره دار الرسول • لما كان تعليمه العلم • والامر بالمعروف والنهى عن المنكر • وقد أكد الناس فى تعليم العلم والادب • وخصوصا علم العربية • وكان رضى الله عنه يقرىء الناس مقامات الحريرى • وقد ناف على الثمانين سنة • لما رأى من استيلاء العجمة على أهل هذه البلاد • لانها أصل لا يتوصل بشىء من العلوم الا بها • ولما رجع رضى الله عنه مع الفقهاء وجيوش المسلمين من حصار قلعة البريجة ـ مدينة الجديدة الشهيرة اليوم ـ ولم يفتتحوها • ودخلوا على الملك العادل أبى محمد عبد الله تمثل الشيخ ببيت امرىء القيس :

وما جبنت خيلى ولكن تذكرت ... مرابطها لمرتعس فمسيرا

فاستحسن ذلك الملك وسر به وكان مغتما •

وله رضى الله عنه مصنفات • منها نظمه البديع الحسن الترتيب فى علوم الآخرة • ومنها وسيلته بأسماء الله الحسنى فى الاستسقاء • وكلاهما رجز • ومنها وسيلة أخرى دالية فى المتقارب • توفى فى سنة احدى وسبعين وتسعمائة ـ كما مر ـ وفى حفظه رحمه الله قدر ثلاثمائة حزب • ومناقبه رضى الله عنه كثيرة • وكان حفيده محمد بن ابرهيم بن محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم يثنى كثيرا على شيخه أبى زيد عبد الرحمن الحامدى ويروى عنه حديث السبحة وغيره • فيقول حدثنى شيخى الامام الفقيه الراوية البحر الفهامة • ولى الله تعالى أبو زيد عبد الرحمان بن على بن محمد بن عبد العزيز الجزولى الحامدى وأسنده • ويروى عنه أيضا حديث المصافحة • وصافحه محمد بن ابرهيم •

انتهى ما ساقه فى (الطبقات) عن هؤلاء المؤرخين •

أقول : هناك رجز آخر مشهور للشيخ لم يلم به فيما تقدم • ومطلعه :

الحمد لله الغنى المنعم ... ذى الفضل والجود الكريم الاكرم

وقال فيه الرسموكى فى (الوفيات) :

(الفقيه الاجل العالم سيدى محمد بن ابرهيم التامانارتى اللكوسى المعروف بالشيخ • وبعد وفاة الشيخ سيدى احمد بن موسى بشهرين توفى هذا • وكانت وفاته ليلة الاثنين الثامن أو التاسع من ذى الحجة سنة احدى وسبعين وتسعمائة •

ثم افادنى بعض اهله فيما كتبه لى بخطه بعد التماسه : انه رحمه الله توفى ليلة الثلاثاء التاسعة من ذى الحجة : ٩٧١ هـ ثم دفن عند زوال يومه بتامانارت• وهذا هو المعتمد عليه • لانه منقول من خط ولده المفتى سيدى محمد •

هذا اعل ما وصفه به المؤرخون السوسيون• ثم نقل ذلك عنهم مؤرخون آخرون • وقد رايت فيما ترجمه به احد اولاده • ثم فيما ترجمه به معاصره : البعقيلى • ثم فيما ترجمه به بلديه عبد الرحمن التامانارتى فى (الفوائد الجمة) وفى كلام كل واحد من هؤلاء الثلاثة نواح مبينة • لم تكن فى كلام الآخرين • فحصلت لنا بذلك عنه معرفة نستكنه بها مقامه العظيم • فلنقف هنا وقفة نتعرف بها نواحى من حياته •

أولا

ان مولده من (ايمي اوكادير) ـ فم الحصن ـ أى اكادير تيرسواط • ازاء وادى لكوسة من قبيلة أمانوز • حيث مستقر اهله • وكون والده توفى بايداوزداوت • لا يدل على أنه انقطع عن موطنه الاصلى • لانه انما ساقته الاقدار الى ذلك المكان آخر حياته فيتوفى هناك • وقد رايت ان ولده هذا تربى تحت نظر والده وبين اخوته • كما قاله أحد أولاده فى الترجمة المتقدمة • وهذا ظاهر لا خفاء فيه •

ثانيا

ان تعلمه كان على يد علامة العصر : الحسن التملى • وسترى عنه كلمة فى محل آخر • كما أخذ اذذاك عن آخرين فى جزولة • والغالب ان يكونوا من بنى عبد العزيز • المشهورين اذذاك فى أيت حامد • ومن الكراميين الجهابذة الذين قاموا بادارة المعارف فى جزولة آخر القرن التاسع مع معاصريهم • (وسترى حول أبناء عبد العزيز والكراميين نبذة فانتظر) (١)

ثم انه اعمل الرحلة الى وادى (درعة) فاستتم هنالك دراسته • ولكن لم يبين من هم اساتذته هناك •

ثالثا

انه بعدما تضلع من المعارف• تصدى للتدريس فى قرية بـ (لكوسة)• ثم شارط فى مسجد قرية (اكرض ايملالن) ـ عنق الرمال ـ وهى قرية

١) أبناء عبد العزيز هم «آل تيلكات • المذكورون فى (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة) • والكراميون مذكورون فى (المعسول) فى محل آخر•

بايسى معروفة بالعلماء من ذلك العصر الى الآن • وربما استوفى عددهم عشرات • فهنا لك بقى سبع سنوات فى التدريس فيما يقوله أهله • واهل هذه القرية يقولون ان عددها ست • والله أعلم •

وسمعت من بعض احفاد الشيخ انه كان فى حين مشارطا فى (أيت منصور) ايضا • وهى قرية أخرى بايسى • ولم أسمع ذلك من غيره • بل ذكر ان للشيخ أملاكا له معلومة فى (السغ) • وان له دارا فى قرية (ايكلى) وهما لا يزالان الى الآن فى ملك أولاده •

رابعا

انه بعد ما فارق هذا المسجد • انتقل الى مسجد (تامانارت) مشارطا فيه • وقد انقطع هناك انقطاعا كليا عن قريته الاصلية منذ أوى بأولاده لمستقره الجديد • فيكون هذا الانتقال كما ترى أمرا طبيعيا : أستاذ ضاقت به الارزاق فى قريته • ثم شارط فى (تامانارت) فوجد هنا لك سعة رزق • وبهجة خاطر • وتيسر ما كان متعسرا فى قريته بامانوز • فانتقل انتقالا كليا بأولاده • ثم ما زال شأنه يعلوا شيئا فشيئا • بسبب حسبه ونسبه وعلمه وعمله • وصلاحه وارشاده وتدريسه • وجهره بالحق • حتى كان علما فى الارشاد مشهورا • ثم قاضيا مذكورا • هذا كله طبيعى مقبول • وأما ما يلهج به العامة • وبعض أغبياء الخاصة • من أنه كان ساكنا فى قبيلة (أملن) ثم اقترح عليه أهل تلك القبيلة أن يريهم عينا ينتفعون بها • وله شرطه فى سقيها • ثم لما ثر الماء • وتدفقت الجداول • خاسوا فى العهود • فغضب فوقف على العين • فقال لها : اننى منتقل الى (تامانار) فانتقلى معى • فكان ذلك سبب أن تبجست عين تيملت هنا لك • وسميت تيملت — أى التملية — نسبة لمكانها الاصلى • فكل ذلك معا ليس عليه اثارة من علم • ولا سند يعتمد عليه • ولا عرج عليه مؤرخ كما ترى • بل ثبت خلافه من الاسباب الطبيعية • فظهر أن ذلك من بنات الالسنة • وان كنا لا ننكر مثل ذلك لو ثبت ككرامة للشيخ •

والاكثر استبعادا : ما يلهج به أيضا من أن الشيخ جاء الى (تامانارت) يوم قدمته الاولى • فتوسط مجمع أهلها • وكانوا اذ ذاك الجماء الغفير • فتطلب منهم أن يقبلوه ساكنا بين أظهرهم • وأن يروه محلا ينزل فيه بأهله • فاروه استهزاء : مرجة فيها قصب أشب ملتف • ليقطعه ويبنى فيه • وكان ذلك المحل عندهم معلوما بسكنى الجن • وأنه لا يقربه انسان ولا بهيمة الا هلك فى الحين • فجاء أسود من سكان (تامانارت) فنصح الشيخ ولم يغشه كما غشه البيض الذين دلوه على ذلك المكان المنحوس •

فكان ذلك سبب أن اختص السود بمحبة الشيخ • وباشياء معلومة من الذبائح على ضريحه الى الآن • وذلك ايضا سبب فرح سود (تامانارت) الى اليوم فى يوم موسمه ذلك الفرح المفرط •

هكذا تحكى هذه الحكاية مع تفاصيل أخرى طويناها • وذلك كله حديث خرافة يا أم عمرو • ونحن لا ننكر الكرامات • ولكن نتثبت فيها حتى تثبت • فالشيخ ابن ابرهيم له كرامات مشهورة • وخوارق مأثورة • وهل نترك الموجود للمفقود • ونغادر المنقول المعقول • الى ما لم نكن لنقبله حتى يثبت بما تثبت به الاخبار • لاننا ممن يقولون بالكرامات الثابتة • لا بالخرافات المكذوبة • فنقبل مثلا ما وقع له فى تلك المعطشة • وهو فى رفقته الى وادى درعة • فنقول : ان الله الذى أكرم العلاء الحضرمى • وعبد الله بن ياسين التامانارتى مؤسس الدولة المرابطية فى الاولين • بمثل هذا كما هو مشهور عنهما فى حكايتهما • اكرم أيضا فى الآخرين هذا الشيخ السنى • الذى لاتأخذه فى اشادة السنة ، وقمع البدعة • لومة لائم • وهذه الامة كالمطر • لا يدرى أولها خير أم اخرها (ان ثبت ذلك الحديث المذكور بهذا اللفظ • كما قاله بعض المحدثين) وما دامت أمثال هذه الكرامات الثابتة مضافة الى الشيخ ، فانها كافية عن هذه الاحاديث الملفقة التى ليست بنبع اذا عدت ولا غرب •

خامسا

تولى القضاء جبرا بعدما امتنع سنة ٩٢٨ هـ فنعلم من ذلك انه كان يسكن (تامانارت) قبل تلك السنة • وربما كانت سكناه هناك • والله اعلم فى نحو العقد الثانى من ذلك القرن • ثم لم يلبث ان استعفى من وظيفة القضاء • فاشتغل بخويصة نفسه • وقد رأيت فى كلام صاحب (الفوائد) ان قضاء الجماعة عرض عليه فأبى • فيحمل قضاء الجماعة هذا على أن يكون قاضيا عاما على سوس • ثم يتفرع قضاة نواحيه تحته • وأما القضاء الذى كان شغله فانما هو قضاء (تامانارت) وناحيتها خاصة • وبذلك يجمع بين كلام من اثبت أنه كان تولى القضاء • وبين كلام من قال انه عرض عليه فأبى •

سادسا

انه افنى فى التدريس عمرا طويلا • حتى انه ليدرس بعد أن عمر ثمانين — وبلغها كل قارىء أديب يحفظ البيت الشهير —وقد رأيت فى كلام

صاحب الفوائد انه فى تلك السن يدرس المقامات الحريرية • وبذلك نعلم ان انقطاعه عن التدريس كما فى كلام بعض اولاده • لم يكن الا بعدما اسن وطعن فى السن • على اننا لانكاد نتصور ان مثل الشيخ فى حصافة رايه • وامعانه فى ايصال الخير لكافة الناس على اى وصف كانوا عليه • كما تدل عليه معاناته للمصالح العامة • ممن تغلب عليـه فكرة ترك تدريس العلوم لفساد نية الطلبة • وقد راينا فى ترجمة الحاج أحمد الجشتيمي استيلاء هذه الفكرة عليه • فان كنا ربما نقبل ذلك عن الشيخ الجشتيمي • فاننا لانكاد نقبلها عن الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم • ولكن بعد أن وجدنا أحد أولاده يذكر عنه ذلك • فلا سبيل الى رده • غير اننا نرى بعد طعنه فى السن • ومجاوزته الثمانين • حالة أخرى تكون عذرا جديدا بينا • أكثر من فساد نيـة الطلبة •

سـابعا

انه متبحر فى العلوم معقولها ومنقولها • والمفزع فى المشكلات المهمات فى العمليات والدينيات • كما رأيت ذلك فى كلام احد اولاده • وانه امام فى الفقه والعربية • كما قرأته فى كلام صاحب الفوائد • هذا كله حق لانرتاب فيه • لاننا رأيناه في شيخه التملى فهامة علامة • ومن لازم الفهامـة العلامـة زمنا طويلا • وكـان فى مثل حـذق التامانارتيـين • وامعانهم فى التفهم لابد ان يكون أيضا فهامة علامة • ثم انه جال بعد ذلك • وارتضع افاويق أخرى • وثافن ودرس • ولاقى الجهابذة فى حضرات السعديين • ومارس الفتوى • وزاول مختلف العلوم • ومن اتصف بهذه الصفات • فلا غرو ان يكون متبحرا فى المعقول والمنقول • فيفزع اليه فى المشكلات المهمات • فى العمليات والدينيات • بله الفقه والعربية والادب • وقد رايت أنه آوى اليه غرباء الطلبة وبنى لهم هناك مدرسة • واحسب أن ما أعتاد الحربيليون أن يدفعوه كل سنة الى الازمنة الاخيرة فى هرى مشهده • كـان أصله اعانـة مدرسته هذه • وآثار مسجد الشيخ ومدرسته الصغيرة • ومحل سكناه وقمطر كتبه وبقايا أوراق فيه لا تزال كلها الى الآن •

ثـامنـا

انه ممن يلاحظه السعديون فى ذلك العصر الذى هو مفتتح دولتهم ، فان شيخه التملى ، من عمد توطيدها ، ويكون هو وآخرون ممن يساندون •

وقد قرأت فى كتاب جمع فيه الديمانى الصحراوى أخبار هذا الشيخ

ان السلطان احمد الاعرج • كان نزل فى زمن وباء طرق الجنوب حوالى سنة ٩٣٠ هـ فى نواحى (اقـا) • وان الصحراويين ناوءوه • فقام الشيخ ابن ابرهيم بنصرتـه • فلم يزل باولئك الصحراويين حتى اذعنوا وبايعـوا • واذ ذاك وهب له السلطان قسطا من معدن معلوم هنالـك الى الآن • وقـد رايت رسم الاقطاع بخط احمد الاعرج نفسه عند سيدى الهاشم بن الطاهر القصبى (الذى لا يزال حيا الى الآن ١٣٨٠ هـ) •

وقد اخبرت عنه ببعض خوارق توثر عن جدهم فى مكـان ازاء ذلك المعدن • ولكن ذلك مما نمر به مر الكرام • وقد حافظ الشيخ على موالاة اهل الدولة • ولا يتداخل فى الشؤون الخاصة بهم • وقد ألم بذلك الامير زيدان فى رسالته المشهورة الى سيدى يحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبـد المنعم • ويشهد لذلك تلك الوصية المارة فى كلام صاحب الفوائد • حيث أوصى اولاده أن لا يوءوا الهارب من السلطـان • وان ذلك مـن الفساد فى الارض • وقد أقر له ملوك ذلك العصر بذلك • فقال أحدهم فى صدد عرض رجال من سوس : وسيدى محمد بن ابرهيم يخاف الله ويخافنا • وقد رأيت أيضا كيف قدم البعثة السوسية للانضمام الى الجيوش التى تحاصر(الجديدة) وذلك بعد أن أسن كثيرا • وانحنى على رمكته • ثم انه ينشد ذلك البيت ليدخل به السرور على الامير • وهل خلقت الاديبات الا لكشف الكروب • هذا ان كان عبد الله الامير اذذاك محزونا حقا من عدم افتتاح الجديدة ـ وذلك هو الغالب ـ ولم يصدق ما قيل من أنه كانت له يد خفية فى عدم افتتاحها بعدما انكشف سكانها • كما يوجد فى الكتاب المطبوع فى مثالب السعديين

تاسعـا

انه كان شيخا مربيا من أشياخ التربيـة الكثيرين فى ذلـك القرن العاشر الذى يتموج بالمشايخ • حتى فى سوس الضيق الرقعة • فهناك هذا الشيخ والشيخ ابن موسى • وسيدى أحمد التيزركيني • وسيدى محمد ابن يعقوب • وسيدى عياد التامازتى • وسيدى محمد بن يساعدن السكتانى فكان له تلاميذ فى التعلم • وفقراء فى التصوف • فقد كان مع كليهما فى انبعاثه الى (الجديدة) كما يظهر من كلام البعقيلى • وقد مر أيضا ان انتشار طلبة العلم ببلاد جزولة كان ابن مجهوداته فتيسر له بضربه لكلا السهمين ان كان متوجا منهما بتاجين فاخرين وحاظيا بأجرين وافرين • هـذا مع تعمير الحق به الاحفاد بالاجداد • والصغار بالكبار • ولا ريب أن من كانت له تلك المنزلة فانه يدرك من الشهرة ما تطن به الاجواء •

عاشرا

انه مولع بالمصالح العامة ، ولوعا لم نر له نظيرا فى ذلك بين اهل عصره ، الا ما كان من جدنا عبد الله بن سعيد رحمه الله ، فانه مال أيضا الى هذه الناحية غير اننا رجعنا فى ترجمته انه انما اقتفى فى ذلك آثار هذا الشيخ الجليل ، لتقدم عصر هذا على عصره ، والولوع بالمصالح العامة أمثال هذه ، مما يدل على نفسية عظيمة حريصة جدا على ايصال الخير الى خلق الله الذين هم عيال الله واحب الخلق الى الله أنفعهم لعيالـه .

ثم هو مع هذا ، له أملاك لاتزال باقية الى الآن ، كما رأيت منها فى نواحينا هذه حقولا متسعة للحرث فى الغ بقرية (ايكلى) وفى قرية أخرى بأيت وافقا وفى (ايكلى) دار تنسب للشيخ ، أمامها نخلتان ، قيل انه كان فى حين ساكنا فى تلك الدار ، يدرس تحت النخلتين ، ولكن الذى يظهر أن الدار انما هيأها عزبة لبهائمه التى يشتغل بها فى هذه الحقول حرثا وحصادا وأما كونه يسكنها فالله أعلم بصحة ذلك ، وقد اعتـاد المرضى أن يزوروها فيزورهم الشفاء ، كما يوجد ايضا ملك له كبير فى (أفاتيقى) هو هذا الذى يحرث فيه حفيده شيخنا سيدى الطاهر الى اليوم ، كما كان الرئيس أحمد ابن الحاج ابرهيم الايفشانى يحرث له فى هذا الملك الموجود فى قرية (ايكلى) كما ذكر لى أيضا ملك له آخر فى قبيلة الاخصاص لايزال معروفا هناك الى اليوم ، وهذه الاملاك هى التى نعرفها فى هذه الناحية ، واما فى وادى (تامازارت) فله فيه بساتين لايزال أولاده يستغلونها الى الآن ، وان كانت رسوم الجميع قد جرفتها الفتن كلها ، ولم يبق فى رسومه الخاصة الا رسم واحد ، فيما ذكره لى احد أحفاده .

وعمدا ذكرت هذه الناحية ، لان اشتغاله بالمصالح العامة ، مع قيامه بمصالحه الخاصة ، اظهر دليل على عفته وزهده ، وعلو همتـه ، وان من تمام مروءة الانسان استصلاحه لماله ، ويا لله ، لقد دفعنا الى زمن ساد فيه الجهل بمدلولات الالفاظ ، حتى ليحسب الجهال أن الزهد يخلو منـه من استصلح ماله ، ليستعف به عما فى ايدى الناس ، مع أن الزهد الحقيقى قلما يتم الا بذلك لغالب الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون .

حادي عشر

انه رضى الله عنه عاض بالنواجذ على السنة ، قامع للبـدع وأهلهـا ، لاتأخذه فى ردها لومة لائم ، فيرد على صاحب بدعة ايا كان ، فلا تلين لـه قناة فى ذلك وان عمت البلوى ، ووجد له بين كلام الفقهاء دليل ما ، ويدل

على هذه الجبلة منه ما جرى بينه وبين الاستاذ سيدى محمد بن ابرهيم المعقيل فى تقبيل اليد ، ولفرطه من التنازل لذلك تنازلا ما ، حتى ان صاحبه المعقيل اذا لم ينكف عن تقبيل اليد واللفظة (سيدى) فانه سينقطع التعارف بينهما ، وقد اصم اذنيه عما يقوله ولده ابرهيم ، والعجيب منه انه ليس بامعة ، فقد رد ما اتى بـه شيخه التملى ، ولم يبال بكونه شيخـه ، لان لسان حاله يقول ما قاله سقراط :

(احب الحق وافلاطون ما اجتمعا ، وان افترقا كان الحق احب الى منه)

وهذا لعمرى خلق الكمال الذين يعرفون الرجال بالحق ، ولايعرفون الحق بالرجال ، فواحر قلباه من قوم اذا اتيتهم بالف دليل ودليل، ينطحون كل ذلك بـ : قال شيخنا ، او عمل شيخنا ، وقدس الله عظـام ابن دقيـق العيد الذى يقول فى هذا المعنى :

من عذيرى من معشر جهلوا الحـ ـــق وحادوا عن طرقه المستقيمة
لايرون الانسان قد نال حقـا وصلاحا حتى يكون بهيمـة

ومقصودنا أن هذا المبدأ الشريف الذى عليه سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ رضى الله عنـه ، هو مبادىء رجال افذاذ ، قلمـا تجـود بهم أجيال متواليـة .

هذا المقصود ان ننبه عليه ، ثم لاعلينـا ان ثبت ان تقبيل اليـد من السنة وان السيادة ليست من البدعة ، أو لم يثبت ، فان ذلك كله انما يدور مع الدليل ونحن ممن يرى بدليل : ان ذلك لاباس به ان كان لكبير ترجى بركته ، أو جرت به العادة التى يكون الحكم بها مسمطا لايتعقب ، مادام لم يدفع فى صدر سنة ثابتة ، أو يجر مضرة مخوفة ، ولبعض الكبار مؤلف فى الموضوع فشرع تقبيل ايدى الوالدين والاشياخ .

ثـاني عشـر

ان وفاته بلاشك فى سنة ٩٧١ هـ ولكن أفى صفر ام فى ذى الحجة ، قد رأيت التردد بينهما فى الكلام المتقدم ، فيما سقناه عن (الطبقات) ، ثم رأيت فيما ذكرناه عن الرسموكى انه جزم بانها فى ذى الحجة ، وانما تردد ان تكون فى الليلة الثامنة او التاسعة ، ثم اتصل بما يزيل عنده كل ريب ، ويجلو كل شك ، حين كتب اليه احد احفاد الشيخ بان ولده الاستاذ محمدا ذكر انـه توفى الليلة التاسعة من ذى الحجـة ، ودفن عند زوال اليوم ، فبذلك حينئذ ان صح كل هذا ، قطعت جهيزة قول كل خطيب ، فعرفنا ان

الشيخ تأخر عن صاحبه سيدى احمد بن موسى • وان تلك الحكاية التى تحكى ان الشيخ ابن موسى قال لما رجع من تعزية سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ : وداعا يا تامانارت ، فان مكانا خلا من حبيبك ينبغى ان يخلو ايضا منك فى كلام يحكونه • فتلك الحكاية اذن يجب أن يضرب بها عرض الحائط •

غير أن الحق الذى يجب أن يعتمد عليه ان ابن ابرهيم توفى ليلة الثلاثاء تاسع صفر بلا ريب فى سنة ٩٧١ هـ وفى اخر السنة توفى سيدى أحمد بن موسى فى ثامن ذى الحجة • وقد ذكر ذلك كله اليعقيلى المعاصر للرجلين • وتأيد بما عند الديمانى المؤرخ للشيخ كما سيأتى • وانما الغلط حصل للرسموكى من جهة • وللحضيكى فى فهم كلام غيره من جهة أخرى • فعلى هذا يعتمد القارىء •

واكبر دليل على ذلك تلك الحكاية المتقدمة من تأسف الشيخ سيدى أحمد بن موسى على وفاة صاحبه • وان ابرهيم ابن الشيخ المتوفى فى أثناء حياة والده من السنة نفسها • لايرث اولاده مع اعمامهم • لانه توفى قبل ابيه وهذا هو المعروف عند رجالات الاسرة •

ثالث عشر

ان اشياخه الذين أخذ عنهم • نعرف منهم بالتعيين شيخ ذلك العصر الحسن ابن عثمان التملى الاسكورى ثم التيبيوتى من أكابر مشايخ ذلك العصر وهو الذى أدخل تقبيل اليد ولفظة السيادة من فاس الى سوس • فكان تلميذه المترجم ينكر ذلك أتم انكار • وقد جاذبه فى ذلك ولده ابرهيم فى حضرة الفقيه محمد بن ابرهيم اليعقيلى جد آل سيدى عمر البونعمانيين ولكنه لم يرجع • مع أنه ثبت تقبيل يد المحترم فى السنة • ويظهر أن المترجم لم يرد أن يفتح باب التملق • ثم العجيب كون هذين غير معروفين فى سوس الا فى هذا الوقت • ثم كان الاعجب تشبث الطلبة والفقراء بالسيادة • وقد يقولون سيدى فلان • وسى فلان • الاول للتعظيم والاخير لغيره •

ثم ان ما يتعلق بسيدى الحسن بن عثمان قد ذكرناه فى ترجمة تلميذه التيزركينى فى الجزء الثالث عشر عند ذكرنا للاسرة الايكرارية •

واما الكراميون الذين نقل اليه الاخذ عن بعضهم • فهم اسرة علمية فى القرن التاسع • ويرفع نسبها الى ابن العربى المعافرى • هذا هو المشهور • ورايت بعضهم ينميهم الى الشرف • وذلك من المختلقات • وهذا سعيد الكرامى قال : ان ابن العربى جدنا فذكر قدر ما بينهما من الاباء • كما ذكر فى (بشارة الزائرين) فى ترجمة ابن العربى • وذلك قاطع لكل ريب فى ان الكراميين من احفاده ومساكنهم فى (تازموت) بسملالة • ولاتزال هنالك قبور الاولين ظاهرة الى الآن • كما يوجد احفادهم فى رسموكة •

ثم ان أول عظيم من هذه الاسرة نعلمه • هو : العلامة سيدى سعيد الكرامى • الذى قال عنه فى (وفيات) الرسموكى :

(الفقيه العالم المتفنن المتبرك به سيدى سعيد بن سليمان السملالى الكرامى صاحب التآليف العديدة • والتصانيف الشهيرة الشائعة • توفى عن سن عالية وحسن حال • فى الليلة السادس عشرة من شعبان عام ٨٨٢ هـ وهو مدفون بمسجد (تازموت) بسملالة • مع أولاده الثلاثة المشهورين • وامرأته فى عرصة واحدة •

وقد اقتبس الحضيكى من هذه الترجمة ولم ينقلها كلها • وقال فيه صاحب (البشارة) : (الشيخ الولى الكبير • صاحب الكرامات العجيبة - ثم سماه - صاحب التآليف العديدة • والتصانيف الشهيرة الشائعة • منها : شرحه على الرسالة ، وشرح الالفية والجرومية والخراز ، وابن الحاجب وغير ذلك • وهو المشهور بالبركة والدين المتين قيل هو آخر من قرا بالاندلس • وبعد ذلك غلب عليها العدو دمره الله الخ ما قال •

واعرف انا من تآليفه شرحه للالفية • وشرحه على البردة • وشرحه الحسن على الرسالة • ويظهر من عباراته انه محدث مستحضر • وعبارته بينة • واشتهر ان مشارطته جل حياته فى قرية (الاحد وينى) ازاء سوق الثلاثاء الاكمارية المشهورة اليوم بيعقيلة • وانه الف تآليفه فى مسجدها •

ثم ان صاحب (بشارة الزائرين) حكى له كرامة غريبة • مضمنها : ان سلطان ذلك العصر ابتلى بيهودى ساحر عجيب الاطوار • حتى انه تمكن من أن يستوى فى الجو • فصار يندد بالعلماء المسلمين حين لم يتوصلوا ان يفسدوا عليه سحره • فالتجىء الى هذا السيد • فوجد الرسول يقود بقرة على فيها كمامة لئلا تتناول من زرع الناس اذا مرت به • من ورع صاحبها • فاستمهله بعد ما اراه كرامة • والرسول يستحشه لقرب اجل مضروب

لمشوره ، ففي يوم احد بيده فوصل به حضرة السلطان في لحظة ، ثم كتب ورقتين طارت احداهما الى ما فوق الساحر ، والاخرى تحته ، فطحنتاه حتى صار هباء منثورا في الهواء ، والناس كلهم ينظرون. ثم لما اقترح عليه السلطان جائزة ، قدم مخلاة تملأ له بالقمح فخلت اهراء واهراء قبل أن تمتلئ ، فتشكى الامناء الخازنون من فراغ مخازن القمح ، ثم توارد الناس يخبرون أنهم يلقون قوافل تحمل القمح لسيدى سعيد اكرامو ، فاستشاط السلطان غضبا ، فأمر بالقاء القبض عليه ، فاستمهل الاعوان حتى يتوضأ فاذا به بعد الوضوء انغمس في اناء الوضوء ففقدوه ، قال صاحب (بشارة الزائرين) وهو من أسرة الكراميين : تواترت هذه الكرامة وتناقلها الناس في كل مكان ، وذلك يدل على صحتها ، الى ءاخر ما قال ،

هذا ، ولا يتوقف عاقل في أن هذه خرافة ، وان تواترها في جبال سوس وفي سهوله لايقضي بصحتها لانها لو صحت لتواترت أيضا في المدن حيث السلاطين يسكنون ، وحيث المؤرخون ، فان في أهل القرن التاسع بفاس مؤرخين ينقلون التافة فلو كانت هذه الحكاية صحيحة ، لاستفاضت في نواح شتى لا في ناحية سوس فقط ولا يعزبن عن العاقل ما يقوله الاصوليون في أمثال هذه الاخبار ، من أن الذى روى آحدا وهو لو وقع لايروى الا متواترا كسقوط الخطيب من المنبر أثناء الخطبة يوم الجمعة ، مدفوع لايقبل ، وذلك امر ظاهر غير خفي ، فسامح الله مؤلف (بشارة الزائرين) ، على اننا ان قبلناها ، ستوقع صاحبها في ورطات لايريد من لفق الحكاية أن ينزهه عن أدنى منها ، فمن أين يحل لسيدي سعيد أن يستولى على اهراء الحكومة ثم يتملص هكذا من المحاسبة ، ان هو اذن الا ساحر ءاخر ولص ثان ، ونحن نبرئه لهذه الخرافة تقضي بأن سيدى سعيدا من أفاضل أهل عصره من غير أن نزكيه مع احسان ظننا به رحمه الله ،

ويحكي أيضا أنه لما كان يأخذ في احدى مدارس فاس ، ثار ما بين السوسيين وغيرهم شنآن في سكنى البيوت العليا ، فكل فريق يريدها ، فاتفقوا على أن يتباروا بقصائد ، فمن اعجز الفريق الآخر استولى على البيوت العليا ، فقال سيدى سعيد القصيدة المشهورة التي أولها :

بسم الاله في الكلام ازوتر وهو على عون العبيد ازضر

فعجز الاعراب عن تفهمها ، لمزجها بكلمات الشلحة ، فاستولى فريقه على البيوت العليا ،

هكذا تحكى هذه الحكاية ، وهي أيضا أكذوبة ظاهرة ، فان المباراة لو كانت لاتكون الا فيما يعرفه كلا الفريقين من اللغات ، واما ما يجهله أحدهما فلا تمكن فيه المباراة التى هي من هذا النوع ، على ان القصيدة انما هي

للشاعر احمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميع التاغاتينى الرسموكى الذى توفي سنة ١٠٨٠ هـ ووفاته بعد سيدى سعيد بنحو قرنين ، على أن المعروف عن سعيد ايضا انه أخذ بغرناطة لا بفاس ، أو أخذ منهما معا ، وهكذا الاحاديث الملفقة تفتضح بادنى بحث ، على أن هذه المحاولات التي يريدها من يجعلون سيدى سعيدا بطلا لامثال هذه الروايات تدلنا من ناحية اخرى على انه في نفسه وفي عصره وفي نفوس عارفيه عظيم ،

ب ـ ومن الكراميين الاستاذ عبد الرحمن بن سليمان أخو المتقدم ، قال عنه في البشارة :

(الفقيه الصالح ـ وسماه ـ ولي كبير ، له شرح (برهانية) السلالكي، مات قبل أخيه (سعيد) بساقية الحمراء في جبل درن في أعلى وادي سوس، وترك ذريته هناك ، انتهى)

ج ـ ومنهم الفقيه العالم الدراكة ، سيدى يحيا بن سعيد بن سليمان ابن سعيد المتقدم ، قال عنه صاحب البشارة :

(قام مقام والده في العلم والدين ، وله تصانيف عديدة ، منها : (تحصيل المنافع في شرح الدرر اللوامع ، على أصل قراءة الامام نافع) و (منظومة الاخبار) و (أخبار الزمان) و (شرح الثقلين) و « سلوة الواعظ » وغير ذلك ، وكل كتاب من تآليفه يستحق أن يكتب بماء الذهب ، لماتحتوى عليه من العجائب والغرائب ، لاسيما أخبار الزمان ، ومنظوم الاخبار ، نفعنا الله بعلومه وولايته آمين ،

وبمثل هذا ذكره صاحب (الوفيات) وقال : لاخفاء في ركاكة نظمه ، وشهد له بالاجادة في (تحصيل المنافع) أرباب الفن ، وكان تكميله في صفر ٩٩٣ هـ ولم ار تاريخ وفاته ، هذا ما زاده في (الوفيات) عن كلام (بشارة الزائرين) وفي طرة النسخة القديمة التي نسخت منها نسختي من (الوفيات) ما نصه : قوله ٩٩٣ هـ لعله : (٨٩٣ هـ لانه مات العام المتم ٩٠٠ هـ كان بين موته وموت أبيه : ١٨ سنة قيده مجلد الكتاب ، انتهى ،) ولم يزد في (الطبقات) فائدة أخرى على ذلك ، وكذلك البعقيلي في كراسته ، الا أنه وصفه بأنه ممن تضرب اليهم أكباد الابل ، في حل المسائل المعضلة ،

د ـ ومنهم ابرهيم بن سعيد بن سليمان ، قال عنه في البشارة :

(الشيخ الفقيه العالم العلامة الولي الكبير ، كان رحمه الله عالما مستعملا لعلمه ، متورعا عن الشبهات، أخذ سيرة والده في العلم والتقوى، الى أن جاءه الامن من الله بالبشرى ، توفي رحمه الله في الطاعون ببلادنا ،

الطاعون الكبير سنة : (٩٢٧ هـ) ودفن في (تازموت) حذاء ابيه رحمه الله، انتهى)، ولم يزد مؤلفوا (الكراسة) و (الوفيات) و «الطبقات» على ذلك شيئا

هـ ـ ومنهم أخوهما محمد بن سعيد، قال عنه في (البشارة) كان رحمه الله عالما فقيها طيبا • سمعنا ان والده سيدى سعيدا قال فيه : هو الطيب واولاده واولاد اولاده ما تناسلوا : هكذا قال لنا كبراء قبيلتنا • أخذوه خلفا عن سلف الى الآن • انتهى ولم ار له ذكرا في غير (البشارة)

و ـ ومنهم عبد الرحمن بن ابرهيم بن سعيد بن سليمان • حفيد الشيخ سعيد قال عنه في (البشارة) : الشيخ الفقيه العالم العلامة • ملازم مسجد المؤرخ بايلماتن في (ريبيت) بلدة برسموكة الى أن توفي رحمه الله ورضي عنه • وله نسخ كثيرة من شرح جده على الرسالة ـ يعني انتسخها ـ وفيها ما قد ضبطها من أوله الى ءاخره رأيناها ولا تزال • وتاريخ كتابته جاز عليه الى الآن نحو ٢٠٠ سنة نفعنا الله بعلومه وولايته ءامين • وهو مدفون بهوتة الكراميين مشهور فيه • انتهى •

وقال في (الكراسة) : انه ءاخر ءاله في العلم والعمل ـ يعني اليعقيلي ـ فيمن أدركهم • والا فهناك من البيت الكرامي ءاخرون تراهم أمامك •

ز ـ ومنهم محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمان بن ابرهيم بن سعيد بن سليمان • قال عنه في (البشارة) الشيخ الفقيه الولى الصالح • كان مقيما في المسجد المذكور كوالده سنين • انتهى • هذا كل ما ذكره عنه • ولم يزد عليه • ثم لم أجد له ذكرا ـ وقد راجعت ما أمكن لي ـ في غير (البشارة)

ح ـ ومنهم أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن ابرهيم بن سعيد بن سليمان • قال عنه في (البشارة) : الشيخ الصالح • كان رحمه الله مسكينا ورعا لا تاخذه لومة من احد • وظهرت منه الخوارق العظام • مدفون رحمه الله ببلدة رسموكة • في (تادّارت) بجوار ديارهم عند الطريق هنالك • وبنوا عليه روضة • وله بركة ودعاء عند ضريحه مستجاب مجرب ومن بركاته أن من أصابته الحمى فليمسك في خرقة نقية ترابا فوق قبره • ويعلقه فوقه • ويبرأ منها • نفعنا الله به آمين) انتهى ما قال • ولم أر له ذكرا في مكان آخر • وكون الناس يتداوون بمثل ما تقدم عادة وان خالفت الشرع •

ط ـ ومنهم ابن أخيه سليمان بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمان بن ابرهيم بن سعيد بن سليمان • قال في (البشارة) :

(كان رحمه الله وليا كبيرا • وله بركات ونور • ملازم مسجد (تادارت) بالشرط الى أن توفي رحمه الله • وكان لا يأكل طعام نوبة

الجماعة • بل يدفعون له الدقيق والادام • فياكله في داره • فذلك عادته الى أن توفي رحمه الله عام : ١١٠٥ هـ ودفن بازاء مسجد (تادارت) في جوفها • ورجلاه في مقابلة الكوة الخارجة من المتوضأ رحمه الله ورضي عنه، وهو جدى للام) • انتهى • ولم أر عند غيره ذكره •

ى ـ ومنهم فاطمة بنت سليمان بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمان ابن ابرهيم الى آخر ما ذكر ـ قال في (البشارة) :

ومنهم ابنة خالتي فاطمة بنت سيدى سليمان • كانت من الصالحات العابدات الناسكات • ولها بركة عظيمة، ونور يتلألأ عليها • ومن بركاتها : أن كل مريض أتى اليها ووصفت له دواء فاستعمله • فانه يبرأ عاجلا من الخنزير وبياض العين والقروح والدمامل • وجرح وحزازة (١) ـ كذا ـ اذا بصقت عليها برئت في الحين • وكل امرأة عسر عليها النفاس مسحت بيدها على بطنها فوضعت في الحين • مطلقة اليد لا تمسك شيئا • فما كان عندها أخرجته للزائرات والزائرين من عسل أو سمن • أو قمح أو شعير • فلا يبيت أحد في فم دارها الا آكل حتى شبع وبهيمته • ولو كانوا مائة ولو كان الغلاء والجوع • وكان المرحوم بالله سيدى محمد بن موسى من ذرية سيدى أحمد بن موسى من أهل (ايليغ) يبعث اليها البغال • فعمرت لهم بالشعير في سنة الغلاء • حين يشأمل الامارة في عام ١١٥٢ هـ وكذا أولاده بعده • قال لي الفقير الى الله محمد من (ايرناض) الحامدى : من أراد تلعة (اغسل تاكل) فليمش الى فم دار خالتك •

ومن عجائبها أنها تسبح في الليل • وتزور الصالحين • ولا يراها أحد • وترجع وتصلي الصبح في دارها • لقي بعضهم بعض الصالحات فقال لها : لا أرى معك وليا • فقالت : (ان ولي الله الذى نزل الكتاب • وهو يتولى الصالحين) ماتت رحمة الله عليها عند صلاة الصبح • من يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان عام : ١١٥٣ هـ وصلى عليها المرابط سيدى عبد الله بن ابرهيم بن محمد المزوارى الرسموكي الساكن بأنزاض • وبشر كثير • ودفنت عند سيدى أحمد بن محمد عم والدها المتقدم الذكر • في مطر غزيز • وبقيت هنا لك الى ليلة الاربعاء السابع عشر من شعبان عام : ١١٥٥ هـ وذلك عامان غير عشرة أيام • فنقلها ولدها سيدى عبد الرحمان بن الحسن مع عبيده الى قبر آخر تحت ديارهم في (تادارت) أيضا • وبني عليها قبة هنا لك • وسبب نقله لها أنه لم يحضر لوفاتها وحضر لها ولدها سيدى محمد ـ فتحا ـ فوكدته أن يدفنها عند الشيخ

١) من أدواء الجلد الظاهرة كالقوباء يسرى بسرعة •

المذكور • ففعل ما أمرت به • فلما رجع سيدى عبد الرحمان من سفره تنازع مع سيدى محمد على ذلك نزاعا كثيرا • فتأمل ذلك حتى فعل ما ظهر له) • اهـ ولم استحضر لها ذكرا فى محل آخر فى التاريخ •

ك ـ ومنهم محمد بن محمد الكرامى • قال فى (البشارة) : الفقيه الاستاذ ابو عبد الله : محمد بن محمد أكرامو السوسى • كان منقطعا بفاس للقراءة على أبى محمد عبد القادر الفاسى • ملازما لدرسه الى أن توفى بفاس عام : ١٠٤٥ هـ ودفن بضريح أبى المحاسن • ذكره فى (الصفوة) انتهى وألم بذكره فى (الطبقات) فوصفه بانه استاذ • ولعل تواريخ فاس كالسلوة تذكره أيضا •

ل ـ ومنهم تعزى بنت سليمان • أخت فاطمة المتقدمة • قال صاحب (البشارة) وهو داود بن على بن محمد الكرامى : (هى والدتى • كانت من الصالحات مسكينة • ليس فيها مثقال حبة من خردل من كبر • وكان الناس يذكرون عنها الخير الكثير • حتى قلت فى نفسى : هل صح هذا كله فيها • حتى قالت لى أتانى رسول صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاث مرات فى كل سنة • وقال لى : أبشرى فانت من أهل الجنة • وجميع من احببت ومن احبك • وأعطانى شربة من عسل فكلما صمت وجدتها فى فمى • ولا تطرح ريقها فى حال صيامها • وكانت صائمة فى جل الشهور • الا بعض أيام الجمعة • وكانت ذات بكاء وخشوع • ومتى حدثتنى بذلك بكت بكاء شديدا • حتى خفت أن تموت بالبكاء فبكيت عندها • وربما استيقظت من منامها فى بعض الليالى وقالت لى : برح للقوم أن يتوبوا • فقد أتانى آت فى المنام ووكدنى على ذلك • وقالت لى قل لهم أن يتوبوا ويسألوا ربهم أن يجعل لهم السلامة فيما جاء اليهم • فاذا قالت ذلك • قالت : يا الله يا الله • وكررته حتى لا تقدر أن تقوله • ووكدنى الفقير الولى الصالح سيدى أحمد بن داود بن عبد الرحمان الحامدى على طاعتها جدا • وقال : درجتها أعلى من درجات أختها المتقدمة الذكر • لكنها سترها الله عن الناس • وأما خالتك فعرفها الناس فيزدحمون عليها كما تزدحم الذباب على الشكوة فيهولونها عن أورادها فى أوقاتها • وأما هى فسترها الله والحمد لله الذى جعل البركة فيها حتى أدركت الربح بطاعتك لها •

ومن عجائب ما رأيت من كراماتها : أنها أرادت الزيارة عند صاحبتها ولية الله تعالى سيدتى حواء بنت سيدى يحيا بن سيدى محمد بن على بن احمد بن محمد بن يوسف الرسموكى • زوجة سيدى ابرهيم بن محمد ابن عبد الله بن يعقوب فى حياتها وحياة زوجها • وذلك قبل تزويجى • وتتركنى فى الدار وحدى فتامرنى أن أسقى البقرة • فتزور لى هى عند

تلك السيدة • فتطلب لك خير الدنيا والآخرة حتى ترى بعينك امارته هذا اليوم • فذهبت بالبقرة من قريتنا (تادارت) فلما وصلت ما تحت المسجد اذا بمثقال ذهب مطبوع يستنير كالشمس • فلقطته • فسألت عن صاحبه فلم الق احدا • فعلمت أنه رزق سيق الى ببركة دعائها • فحين دخلت الدار قالت بعد ما سلمت • ما ذا سرك • فانت منشرح • أوجدت شيئا • فاخبرتها فقالت : كم يساوى من الفضة • فقلت مثقال ونصف • فقالت : فتح الله عليك فيما تشترى به صوف ردائك وقميصك ببركة طاعتك لى • فحمدت الله فبعد ذلك لم أتجاوز قط اشارتها • وقد فوضت لها كل الامر بعد زواجى • فتوفيت راضية عنى •

ومن عجائب كراماتها : أنها مريضة فى الزمن الذى نقلت فيه أختها من مدفنها الاول • فصلت الصبح يوما فقالت لنا : ان أختى أتتنى الآن فى المنام فقالت : لم يتركنى ولدى عبد الرحمن فى حياتى ولا بعد مماتى • فقد حفر على الآن قبرى • ثم امرتنى أن أعول على ملاقاتها عند والدنا فى مسجد (تادارت) ليلة الاثنين القابل • فاعلمتنا بموتها • فقلنا لها : لا باس عندك • فلما خرجنا من عندها وجدنا القبر منبوشا • ثم توفيت فى اليوم بعينه الذى ذكرته يوم الاحد ٢١ ـ ٨ ـ ١١٥٥ هـ فدفنت عند والدها فى جوف مسجد (تادارت) ازاء ولى الله الذى يصوم دائما منذ عقلناه أكثر من عشرين سنة : سيدى عبد الله بن على بن سيدى محمد بن يعقوب السملالى اخى عبد الله بن يعقوب المشهور • وكانت بينهما صحبة ومحبة فى الله فجمع الله لهما فى مكان واحد • مات قبلهما بنحو ستة اشهر فى(توسلان) واوصى أن يدفن فى (تادارت) رزق الله لهما السعة فى ذلك المكان تعجبنا من ذلك • لان من الناس من ينظر لموضع قبر لوالده أو أخيه فى ذلك المكان ولم يجد حتى شبرا الا وفيه قبر • فلما مات هذان المباركان وجدنا فيه موضع قبريهما ليس فيه شئ ببركة رجائهما وصلاحهما • نفعنا الله بالصالحين أجمعين •) انتهى ما ذكر عن والدته • وقد اختصرت فى بعض الجمل • وتركنا كل ما ذكره كما ذكره • ولا يخلو من فوائد •

م ـ ومنهم فاطمة بنت صالح بن على • قال عنها فى (البشارة) : انها زوجتى من نسبنا • كانت من الصالحات العابدات • وكانت ان جاءنى الاضياف فرحت بهم فرحا عظيما • لما سمعت عنهم من الاجر • لاسيما المرابطين والفقهاء • وقامت لى حين نجدد مسجدنا • فخدمت الطعام للشاغلين بالفرح العظيم • لما علمت أيضا فيه من الاجر الجسيم • وماتت بالنفاس فى حال بنائنا الجامع برمضان عام : ١١٦١ هـ ودفنت عند والدتى رحمها الله) انتهى •

ولا غرابة ان يفي الرجل لاهله فيذكرهم • وانما الغرابة فيمن كان له اهل وفي مقدرته احياؤهم بقلمه فعفى عليهم وزادهم باهماله عماية •

ن ـ ومنهم ابو بكر بن محمد بن سعيد بن سليمان المتقـــدم الذكر قال عنه في(البشارة): انه شيخ ذكروه بالصلاح والولاية • والفلاح والدين والعلم الى أن توفي • انتقل من سملالة الى الويدان (ايسافـن) في قبيلـة (تازالاغت) الى أن توفي فيه نحو ٩١٠ هـ أو بعد ذلك بقليل • وترك أولاده الثلاثة : محمدا وعبد الرحمن واحمد • فاحمد لاتزال ذريته في الويدان • ومحمد ذريته في جبل درن • وعبد الرحمن لم يترك ولدا • واولاد أحمد مشهورون اليوم بالكراميين في اهل (تانست) واخوانهم انتقلوا الى جبل درن في فم وادى منتاكة • ويعرف بالمحل بفم أورغششت • بقى فيهم الآن محمد بن سعيد واخوه الفقير عبد الله • وأولادهم • وبقى احمد بن مبارك في الويدان • وكان رضى الله عنه وجعل البركة في عمره : فقيهـا قارئـا يصوم جل الايام • ويتلو كتاب الله في الاسحار • واطراف الليل والنهار وكان من الذين ذكرهم الله في كتابه حيث قال : (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) ومحبته راسخة في قلب من رآه • كما قال تعلى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) وكان مربى بدرعة عند فقهاء زاوية ولى الله سيدى محمد بن ناصر في (تامكروت) وبقى عزبا دون زوجة • ويشارط أحيانا في(زنيقة) في أحواز مسكن سيدى حسين الشرحبيل • خليفة سيدى احمـد بن ناصر • وكـذا عمه الفقير الطالب أبو بكر بن مبارك ما زال حيا في الويدان • وهو مسكين لايخـاف في الله لومـة لائم •

ص ـ ومنهم عيسى بن الحسن بن عيسى بن أبي بكر • قال عنه انه من ذرية سيدى سعيد بن سليمان الكرامي • كان فقيها وليا عالما • سمعنا عن الاكابر أن الانوار تسطع عند قبره عند مسجد (ايرازان) في (تازموت) بسملالة • وقالوا : قال سيدى عبد الله بن يعقوب : الانوار ساطعة عـلى قبره • ثم خفى قبره لاهل زماننا • وليس فينا من يعرفه • انتهى •

ع ـ ومنهم عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى • قال فيه : الفقيـه النبيه جد جدى • كان رحمه الله عالما فقيها سافر لقراءة الفقه • صالحا • اخذ عن شيوخه بفاس ومراكش• وحرفته تسفير الكتب• توفي نحو١١٣٠هـ

ف ـ ومنهم محمد بن محمد • قال عنه : انه يعرف باكلف • عنـد بعضهم • كان رحمه الله عالما فقيها مسكينا • سافر لقراءة الفقه والقرآن بفاس ومراكش ودرعة • فاخذ عن سيدى احمد بن ناصر الدرعي • وعن

سيدى حسين الشرحبيل وغيرهما • ثم رجع لبلده • فتوفي بوباء ١١٦٤ هـ فدفن في بير الطرفة • انتهى •

هؤلاء من ذكرهم العلامة داود من اهله الكراميين • في كتابه (بشارة الزائرين) ولم يبق ممن لم نعرفـه من بينهم الآن الا داود نفسه • وقـد اخرناه عمدا • لانه هو الذى يمد لنا هذه الكاس • وساقى القوم آخرهم شربـــا •

ض ـ داود بن علي بن محمد : حفيد عبد الله بن عبـد الرحمن بن عيسى • وقد رايت انه جعله جد جده • وجده كما ترى محمد • فسقط من هذا النسب واحد بين محمد وبين عبد الله بن عبد الرحمن • لم نعرفه الآن ومسكن اله في قرية (تادارت) برسموكة • وولادته قد تكون قبل ١١٢٠ هـ لانه قال : لازمت ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب اكثر من عشرين سنة • ان جعلنا الملازمة كلها في زمان الاخذ • وقد تزوج قبل منتصف العقد السادس من ذلك القرن • فيسقط عشرون سنة على الاقل من ٥٤ من ذلك القرن فيبقى نحو ١٥ سنة • وذلك ما يمكن أن ينشأ فيـه ويحفظ القرءان • واشياخه نعلم منهم ابرهيم المذكور • واحمد العباسى • فهو اذن يشارك الحضيكي في الاخذ عنهما • وربما شاركه في غيرهما وقد اتفق لهما ان يتعاصرا • وان يغادر كل واحد منهما مؤلفا في التاريخ• وان يكون مستمد كل واحد منهما هو (الوفيات) للرسموكي • غير أن الحضيكي زاد عليه كثيرا جدا • ويأخذ عنه من العبارات ما يحوره في بعض التراجم • الى أن تصح النسبة له • بخلاف صاحبنا داود فانه ما عدا أن بوب (الوفيات) على القبائل فيجمع الجد والاب والحفيد والقريب في صعيد واحد • وقلما يحور العبارة او يزيد عليها • وذلك الجمع صنع حسن • اظهر به مزيـة الاسر العالمـة بجزولة • ثم زاد على ذلك رجالا قليلين • ولم يخدش في مؤلفـه الا انـه يأخذ عبارة الرسموكي بنفسها احيانا بضمير متكلمها فيتركها كما هـي حتى ليحسب القارىء لها أن ضمير المتكلم يرجع الى داود نفسه • مـع أنـه يرجع الى الرسموكي • ولا نطيل بذكر شواهد من ذلك • على أن تلك شامة في وجنة ذلك المؤلف • لاتاتي على محاسنه ولم أظفر الى الآن بآثار أخرى للعلامة داود • سوى هذا المؤلف • ولا بالوقت الذى توفي فيه • ومجمـل القول اننا لانعرف عنه الا ما استقيناه من أثناء كلامه في مؤلفه هذا •

ق ـ ثم وجدنا عالما آخر من اهل القرن الثاني عشر• يسمى يحيا الكرامي ممن يجول في مجالات العلماء بالافتاء • وهو مذكـور عرضـا في الفتاوى البرجية • ولا نعرف عنه شيئا •

د ـ كما وقفت أيضا على اثر يسمى ابرهيم بن عبد الله بن احمد الكرامي توفى بين الظهرين يوم الجمعة الاخير من ربيع النبوى عام ١١٥٨ هـ ودفن عند روضة الشيخ من (تاكاديرت) الكائنة على وادى (تازاروالت) هـذا مـا وجد • ولم نعرف المقصود بالشيخ المذكور • كما وجدت اثره أيضا : توفى محمد بن داود الكرامي التكفراتني الفقير محبنا وعمنا فى الاثنين أول ربيع الاول سنة ١١٦١ هـ ودفن بقبة مسجد المروج من رسموكة • قيده محمد ابن عبد الله • انتهى •

ثم ان غالب هؤلاء الذين استفدناهم من مؤلف داود من السادة الكراميين ممن انفرد بالتعريف بهم • فهم جميعا مع من ذكروا أيضا : ٢٠ بين عالم أو صالح ذكر وانثى • وقد اقتصرنا فى التعبير عنهم على عباراته • الا أننا قد نختصر منها • فله الفضل فى ذكرهم واحيائهم أولا واخرا • وفى اثناء تلك العبارات • واعتنائه بتلك الكرامات يعرف القارىء الى أية جهة يتجه فكره • وما هو فى ذلك الا مرآة عصره •

أولئك عشرون ـ بالمؤلف ـ مـن الكراميين الـذين نحسب أن مـن بين أوائلهم من كـانوا مشيخـة ابن ابرهيم الشيخ • وأخالهم من أولاد سعيد الثلاثة : يحيا ومحمد وابرهيم • وهم أسرة علمية • ويكفيك دليلا على ذلك ان من بين اسباطهم من نزعتـه الخؤولة فكان عالمـا • كمحمد بن مسعـود المنارى البعقيلي الفقيه المتوفى بعد ٩٣٠ هـ وولده سليمان بـن محمد بـن مسعود من أهل أواسط القرن العاشر • ولم نقف له على وفاة • فتلك هى الأسرة الكرامية المجيدة التى انقطعت عنا أخبارها منذ المؤلف داود • فـلا ندرى ألها خلف فى العلم أم لا • وأما أبناء عبد العزيز فقد ذكرناهم فى (الرحلة الثانية) من خلال جزولة كما ذكرنا أدبياتهم فى (مترعات الكؤوس)

هـذا مـا يتعلق بمشيخة الشيـخ محمد بـن ابرهيم التامانارتى • اما تحقيقا واما ظنا •

رابـع عشـر

ان للشيخ مؤلفات أعرف منها منظومته الرجزية فى العقائد • أولها :

الحمـد لله الـذى خلقنـا فلم يلد ولم يولـد الهنا (١)
ليس لـه سبحانه بداية ولا لـه حـد ولا نهايـة
الملـك المصـور القهـــار الـواحد المهيمن الغفـــار

الى اخرها •

١) كـــذا •

وجدت أن له شرحا على تائية ابن الفارض ولم اره • وكان له ايضا دعاء مشهور • وهو الذى تقدم فى ترجمة الشيخ عبد الله بن يعقوب انـه شرحه • وفى دار الشيخ التى لاتزال قائمة الى اليوم فى (تامانارت) قمطر فيه من شتيت الاوراق ما فيه وهى مبعثرة فيه • وليت شعرى ماذا يكون فى تلك الاوراق • الا يمكن أن يكون من بينها بعض ما تفتش عنـه الآن من آثار قلمه ـ وقد وجدت منها بعض أوراق مفيـدة لما زرتها ـ وتلك الـدار اليوم ينتابها المرضى ينزلون فيها يستشفون ببركة مجاورة الشيخ •

خامس عشـر

ظفرت ببعض آثار من قلم الشيخ • فهاك رسالة منه الى شيخه الحسن ابن عثمان واخرى الى الامير • يستعطف أن يعفى من القضاء :

الرسالة الاولى الى شيخـه

شيخنا الهمام • الذى به تستنير البصائر • واليه يستند ان دارت من الزمان دوائر • من خاض لجج العلوم معقولها ومنقولها • وادى لها كل الحق • فروعها وأصولها • الكارع وغيره يترشف • والمقدم وسواه يتسوف: سيدى الحسن بن عثمان التملى الجزولى منار السلام • وهادى الانـام • الى دار السلام • حفظك الله يا عين الدين • وامام المسلمين • وزادك مقاما على مقام • وجعلك تترقى فى درج رضوان الله الاكبر على تطاول الايام •

اما بعد ، فيا سيدى : اليك من نفس لجوج ، ديدنها أن تطاول الى رود كل المروج • فلا تقوى تعقلها • ولا حياء يشكلها • وقد سرحت كما تشاء فى امانيها • تتوقل فى حزنها وتترنح فى سويها • تمر بالعظة • فلا تسمع من اقوالها لفظة • وتعترض النذر والمثلات(١) فتصم وتعمى عن المزدجرات • حتى قسا القلب • واندق الصلب • وانقطع النخاع • وتوالى الانصداع • وخيف من خسارة الصفقة وان يفضل المصدق بالدين صدقه • هذا والجنائز فى كل يوم تتوالى • من المجدين والكسالى • والقبور فى اعتمار • والقلوب فى كل يوم تتوالى • من المجدين والكسالى • والقبور فى اعتمار • والقلوب هادم اللذات • ومفرق الجماعات •

وقـد كنت كتبت اليك يا شيخنا حين الزمنى الامام خطة القضاء • استعين بك فى الخروج من ذلك المضيق الى الفضـاء • وبينت أننى لست

١) المثلات بفتح فضم : العبر يعتبر بها ويتعظ •

لذلك باهل • وان الجلوس بين الخصوم ما هو لدى بسهل • وقد عرفت من نفسى ضعفا كبيرا • وكنت بنفسى بلا ريب خبيرا • فاجبت قران انزل على رضا الامام • وانه افضل ما يقدمه العابد امام • فقبلت على مضض • وانـا موقن أن سهمي سيخطىء الغرض • وان العشاء سقط منى على سرحان (١) وانا اعزل لست بنبال ولا بذى مران (٢) ثم تحاملت عـلى نفسى متبعـا • بعدما الح على اميرى وشيخى معا • وفى اليوم بلغ الامر منتهاه • وتقطع من الدلو عروتاه • فبلغ السيل الزبى • وغرقت رؤوس الربا • فايقنت ان لامناص من ان امد يدى اليك ياشيخنا ثانيا • آملا أن لاتزوى عني اليوم ما كنت امس عنى زاويا • فان بيت شيخنا عندى هو بيت عاتكـة الـذى قيـل فيــه :

يا بيت عاتكـة الـذى اتعزل — حذر العدا وبك الفوائد موكل

فبحقك يا سيدى على • الا ما كتبت الى الامام مع رسالتي التى مع الحامل • ليسعفني بالنزول عن هذا المنصب • الشاغل عمـا نحن بصدده من تعليم الطلبة • الذى كان شيخنا وأميرنا أكدنا عليه وأوجبه • فما وجدت من نفسى قوة تجمع التعليم وهذه الخطة • التى ما أزددت بها الا بعدا من الخشوع والعبودية وحطة • فجرح القضاء فى دين متوليه ليس بجبـار • غدا امام العزيز الجبار •

اللهم يا رب • يا ذا الجلال والاكرام • حل بيننا وبين القواطع دونك • ومن علينا بسلامة المحيا والممات • حتى نلقاك بلا حوب ولا تبعات • انـك سميع مجيب •

رسالته الى الامـير

من العبد الضعيف محمد بن ابرهيم اللكوسى التامانارتى • الى امام المسلمين وسلالة أفضل المرسلين • المجاهد المرابط فى سبيل الله • أبو العباس مولانا أحمد بن مولانا محمد • السلام والرحمة والبركة واليمن والسعد والتحية على مقامكم العظيم المنيف •

اما بعد ، فهذا مقام العائذ بظلكـم الوريف • ايها الامير الشريف • أن تقيلني من خطة القضاء • أقال الله عثرتك • وسدد رميتك • وجعـل

١) السرحان بالكسر : الذئب • وذلك مثل

٢) المران : بضم الميم والراء المشددة : الرمـاح ، واصل ذلـك للشجر الباسق والنبال صاحب النبل •

جهادك كله لوجهه الكريم • تتبوء به الفردوس ظل النعيم • فلا يعزب عن الامام ما انا به مطوق من التعليم والقيام بالاهل • وانني والله يعلم لم اكن لهذا المنصب من أول يوم باهل • ولكن رأى امامي لايتجاوز حده • لاسيما ان جد جده • وعندنا هنا والحمد لله من الفقهـاء المبرزين من يسيرون فى الطريقة المثلى • فكانوا احق بالقضاء وأولى • وانا منتظر للجواب مع الحامل • ليستريح من هذا العبء العظيم الكاهل • واسلم على كل من شملته حضرة الامام الشريف من الابناء والاخوة والوزراء والكتاب والاجناد • والسلام على سيدى اولا وآخرا (١)

سادس عشـر

ان للشيخ لتلاميذ منتشرين كثيرين • ولكن لم أعرف عنهم فى الذى تقدم لنا وفى الذى طالعناه الا القليلين جدا بحسب مركزه العلمي واجتهاده فى سنين كثيرة فى التعليم • وسنرى بعض ذلك فيما ياتى •

ست عشرة نظرة • لاشك أنها أفادتنا كثيرا عن ترجمة الشيخ الحقيقية ما افادتنا ولكن اذا أردنا التوسع فى معرفته فلا باس أن نصيخ لما يقوله تلميذ تلاميذه الشيخ على بن الحسين بن محمد بن موهوب الديمانى • فـى كتابه حول الشيخ الذى ستراه أمامك •

ملخص كتاب (روضة التحقيق)

لعـلى بن الحسين المذكور كتاب سماه (روضة التحقيق • فى ذكـر

١) ذلك ما نقل لنا من خط الاستاذ عبد الرحمن الجشتيمى • وقال انه نقله من خط ابن ابرهيم نفسه • وقد ظفر به فى سفر له الى درعة عند رجل ضافه فى الطريق وقد تعجب من ذلك • وياليته حيي اليوم ليرى أن ما نقله باعتناء صار الى كتب عند زوجة فقيه توفى أخيرا من أهله • وقـد نقله من نقله لنا على انه دعاء به سيكون لها حظ من أجره • وهكذا آثار علماء المغرب ، والى الله المشتكى •

ثم انني مع هذا كله لاأزال أتعجب من هذا السجع الذى تكلفه الشيخ مع أن المعهود من امثاله عدم التكلف • وربما كان شيخه التملي ذا براعة فى الادب • كما كان ذا براعة فى كل العلوم • فتكلف تلميذه الشيخ ماتكلف مع أن حاله فى نفسه كما يشهد به التاريخ بعيد من ذلك • ولكن الرسالة كما ترى موجودة دالة على أدب الشيخ • فتقطعت جهيزة قول كل خطيب •

مناقب ابي بكر الصديق) ومحوره يدور حول الشيخ ابن ابرهيم المترجم • وعهدى بصاحبنا مؤرخ : (اسفى وما اليه) سيدى محمد العبدى الكانوني قد اختصره فالتقط منه الفوائد التاريخية • ولا استحضر الآن كيف كان تلخيصه اياه • لطول العهد • فلذلك رايت ان اجيل حول قلمي لالتقط منه ما يتعلق بالشيخ وما الى ذلك بعبارات موجزة •

خطبة الكتاب

الحمد لله الذى أحاط بكل شيء علما • واحصى كل شيء عددا • واختار لخدمته فى خلقه من اصطفاه • وجذب الى جنبه من أحب فاسرع فى انجذابه وانقياده وقربه اليه بعد ابعاده • قائد بقدرته واحكامه من يشاء من عباده وملأ قلب من يشاء بحبه ووداده • وتجلى له بافضاله وانعامه • ونطقت بحكمته الكائنات لذوى الابصار والعقول • نحمده ونشكره على سوابغ النعم التى أنعم الله الملك الجليل بها علينا • وهو نعم المولى ونعم النصير• الخ

ثم بين مقصوده بالكتاب • وربما كان الوعد أكثر من الانجاز •

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

هذه كلها فيما يتعلق بأبى بكر أحاديث وحكايات ، وفيها ما يتوقف الراء القارىء متعجبا كيف يرسمه قلم • ولكن ذلك بمجموعه حسن •

الفصل الرابع

فى نسب الشيخ ، فذكره كما تقدم فى طالعة ترجمته مما مر لنا • وقال : انه نسب محقق • أخذ عن علماء محققين تسلسل فيه الصالحون الى هذا الشيخ الملازم للتدريس حتى تخرج به فحول • قال يحيا بن موسى الديماني الصحراوى : أخذ عنه من التلاميذ وأنا منهم : ٦٣٢ كلهم أدركوا منه العلوم والصلاح • ثم عد منهم أناسا ـ وسنجمعهم آخرا ـ وقال ان سعيد بن عبد المنعم لازمه عشر سنين وكان الشيخ سنيا زاهدا فى زخرف الدنيا • قوى الهمة فى الله • واقف عند الاوامر وعند النواهي • مجتهدا

فى مصالح الدين وتجديدها • يعلم التوحيد وفرائض الدين ويحض على التقوى • مع الحياء • واطعام الطعام • فهو امام العارفين ودليل السالكين وصاحب الاحوال الفاخرة • والكرامات الباهرة • والمقامات العلية • والكشف الجلى والمشرب السنى• والمحاضرات القدسية• والمسامرات الانسية• والحقائق الربانية • والاسرار الالهية • ومعدن الاسرار • وبحر العلوم الجمة• وجواهر الحكمة • ومن عادته الاطراق فى المشى • لايرفع طرفه الى السماء حياء من الله • ولا يخلو من التفكير • ثم ذكر أنه يعلم كل يوم فى بلده وفى القرويين وفى قرطبة وفى مصر • يقسم نهاره على ذلك • وكل يظن انه من اهل ذلك البلد •

(هذا ما قاله المؤلف • فنحن ـ او سلمنا كل ذلك ـ نتساءل : من يدرس لهم الشيخ فى قرطبة فى القرن العاشر • بعد أن صارت دار كفر لامسلم فيها • وقد دخلت فى يد الاسبان من أوائل القرن السابع• والشيخ يحيا فى أول القرن العاشر • هكذا يذهب ذلك كله فى مدارج الرياح)

ثم ذكر المؤلف عن شيخه وهو من تلاميذ الشيخ : انه صاحبه الى ماسة • فولج البحر مع صالحين أمثاله • فوقع خارق للعادة اجتمع فيه كثيرون • الى آخر ما قاله من حكايات أمثالها ممكنة كرامة • ان الله على كل شيء قدير • والشيخ أهل لكل كرامة • ثم ذكر كرامة أخرى فى اسير أتى به من دار الكفر على يد كلب • والاسير طنجي جاءت أمه الى الشيخ • فرجعت بقرة عينها • وقد كتب لها رسالة الى من اسمه عبد الباقي التادلى • وهو امام مسجد بطنجة • ثم حكى كرامة أخرى عن بغدادي حلف بالحرام على امرأته وهى على شجرة بلا لباس : أن لاتنزل الا لابسة • ثم لايناولها أحد اللباس • فبقيت الى الليل • فنزلت • فاختلف العلماء البغداديون فى حنثه • فالتجأ الرجل الى الشيخ فوقع على القصة قوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) ثم مشى من عنده • فراح يومه الى بغداد ومعه قنو تمر من نوع (بوسكرى) فتعجب البغداديون من الفتوى أولا • ومن الكرامة فى طى المسافة ثانيا • (هذا ما قال) ولا أدرى ما سيقوله المفتون اليوم فى مثل ذلك ولا أحسبهم الا مخالفين للفتوى لان البساط يقتضى اللباس المعهود من الثياب •

ثم ذكر أنه لما وقف على بناء قنطرة وادى الغاس • كان معه سيدى محمد بن يعقوب • وسيدى سعيد بن عبد المنعم •وسيدى عبد الله بن مبارك الاقاوى • وذلك فى (٢٩) ربيع الثانى : ٩٣٠ هـ فوقعت هناك كرامات فى جمع الجن للاحجار ليلا • مع اعانة القبائل بالجير والحديد والمؤونة (اقول ان زمن سيدى عبد الله بن مبارك متاخر عن زمن الشيخ ، وربما

يكون من تلامذته . وقد توفي ١٠١٥ هـ) ثم ذكر انه اغاث بعض تلاميذه
في معطشة . رآه بعينيه . وذكر أيضا مثلها عن طرابلسي كان عند الشيخ
فاشتاق الى أهله . فخطا به الشيخ الى بلده في ساعة . ثم تركه هناك .
وقد أراه من سيرجع به كذلك متى اراد الرجوع . ثم ذكر أنه يعلم الجن
والانس . ويجود للصبيان . مع أن ورده سبعون ألف لا اله الا الله .
وتلاوة ما في (الحصن الحصين) ومائة ألف من (بسم الله الرحمن الرحيم)
وغير ذلك .

(اقول : ان الشيخ رضي الله عنه أهل لكل كرامة . فكل ما صح عنه
فانا نقول به . ولكن امثال هذا الشيخ لايحاول تعريف مقامهم الا بأحوالهم
العادية الثابتة . لا بالخوارق وحدها الا عند العوام) .

الفصل الخامس في زهده

دفع اليه يوما انسان خمسة مثاقيل ذهبا فاعرض عنها . ثم أمر
بتفرقتها في الضعفاء من الطلبة . وأتى أيضا بحملين دقيقا واداما ولحما .
فامر ايضا بتفرقتها مع أن الشيخ وأهله يبيتون طاوين . يؤثرون على
انفسهم ولو كانت بهم خصاصة . وفي الصباح أتى ببلح من ملكه فسد به
الجوعة . ثم قال الحمد لله الذي أطعمنا من فضله بفضله . فقام وشد وسطه
بمنطقة الصوف . فاجتهد في العلم وتدريسه . ثم أتى من عند بعض من
يعرفه بلحم وخبز وادام . فأكل منه . فقيل له : لماذا رددت ذاك وقبلت
هذا . فبين العلة . ومدارها على الورع . ثم حكى أن صاحبا له وقف معه
فوق جبل فقال له : ان هذا الجبل كله فضة . ولكن ما ذلك كله الا غرور .
فتناول منه صاحبه حجرا . فحين ذاب ظهر أنه فضة خالصة . وحكى
خادمه انه في رمضان لا يعدو لحسة ملح يفطر بها الى يوم العيد . ودخل
عليه رجل بصاعين من الذهب الابريز . فقال له : هذا من الملك عبد الرحمان
العثماني . أهداه اليك . ففرقه على الفقراء جميعا . وفي ذلك اليوم وصل
بسببه من حكى الحكاية الى الحجاز فحج مع الناس ثم رجع به جني من
المؤمنين . ثم ذكر أن الجن من خدمة الشيخ . فكان يربيهم وربما ضربهم .

(اقول : انظر من اسمه عبد الرحمان من الملوك العثمانيين . فان
الشيخ معاصر لسليم ولسليمان القانوني المشهورين من ملوك بني عثمان
من اوائل القرن العاشر . وأما اتصال الجن بصلحاء الانس فله في ذلك أمثال)

الفصل السادس في حسن خلقه

لا يرضى أن يقبل احد يده . ولا ان يناديه بالسيد . ولا يرفع صوته

الا بقدر ما يسمع . ولكنه يبين الحروف . ويلاقي الناس بالبشاشة .
وكلامه قليل . ولا يغضب لفساد الدنيا . ويفرح لذكر الآخرة . يدل
الورى على الله . ويعظ العاصين . فكم عصاة رجعوا على يده . فكانوا من
أهل الطاعة . يكثر زيارة الصالحين . ويؤكد اولاده على ذلك . وعلى الدعاء
والصدقة عليهم . يمشي مشية المسكين هونا . لا يتعالى على أحد كبيرا او
صغيرا . ومن عادته أن يلقن الصبيان الشهادة والفاتحة اذا لقيهم . ويجمعهم
احيانا في داره . فيعلمهم ويطعمهم ويوضئهم ويصلي بهم تعليما .

ثم ذكر ان أصحابه ربما يجلسون عنده فيسمعون أصواتا . ولا
يرون أشخاصا . فيقول انهم صبيان الجن . وقد تونس خيالات صبية
الجن . اذا كان الشيخ يؤنسهم فيسمع ضحكهم . (اقول ان هناك ازاء
تامانارت مقبرة لصبية من تلاميذه يقال انهم ماتوا كلهم عطشا في حكاية
يحكونها تسمى مقبرة التلاميذ)

الفصل السابع في وصيته بأبيه ابرهيم وبطاعة الامراء

يوصي أولاده كثيرا على زيارة والده المدفون في (اداوزدوت) فيوكدهم
ان يزوروه مرة او مرتين على الاقل في كل سنة . ويقول ان زيارته تنود
للزائر على الصراط . فضريحه يسمى عند الصالحين : ضريح السلامة والنجاة
ويقول عنه أنه من فحول العلماء المتمسكين بالسنة . وان له مناقب لاتحصى.
وانه يعلم العلم ويدل الورى على الرشاد ولا يفتر عن التعليم . وانه زاهد
ورع . بلغ في ذلك الغاية . وله كشف بالغ . مطلع على دقائق النفوس .
يقوم بالليل . قلما ينام الا قليلا . ويصوم النهار . ولا يفطر الا في الجمع
والاعياد . مداح للنبي صلى الله عليه وسلم . يؤلف منظومات في ذلك .
يحيي ليالي المولد فيطعم الناس الذين يجمعهم لذلك . ويقول انني اضمن
أرضا فيها قبري. ورفيقي هو الذي قدر الله عليه قتل في المسجد. وستقبض
روحي في سجدة النافلة بعد العشاء . وقد شفعت في أهل تلك الارض .
بمثل ذلك يوصي أهله على قبر والده ابرهيم . ويقول : ان لي عليكم الحق.
وحقي عليكم زيارة قبر والدي . فمن غفل عنها فقد غفل عن حقي . فاذا
وقفتم عليه فقولوا : السلام عليك يا زين الصالحين . السلام عليك يا تاج
الاولياء . السلام عليك يا جنة الزائرين . فادخلوا عليه بالهيبة والوقار.
فضريحه مستجاب للدعاء . ولا يقف على قبره الا سعيد . فمن اخطأ منكم
زيارته فقد اخطأ طريق الفضل والعناية .

ويوصي ايضا بالطاعة لاولياء الامر . ويكثر تلاوة قوله تعلى : (يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ويقول : ان

للامراء على المومنين حقا وطاعة • عدلوا أو جاروا • ومن جار فعليه جوره • فهم خلفاء الله في أرضه • (وما آتاكم الرسول فخذوه • وما نهاكم عنه فانتهوا) واتقوا الله واسعوا في مرضاته • وايقنوا من الفناء • واعملوا أنكم راحلون من الدنيا •

الفصل الثامن في بعض ما جرى بينه وبين الملوك السعديين

قضى الله بالوباء الشديد في مراكش • وفيها اذ ذاك السلطان أحمد الأعرج ـ وسماه في الارض أحمد الذهبي ، وهو غلط واضح ـ وقد كان اماما عادلا قائما بالقسط • واقفا على حدود الله • وافيا بالعهود • لايميل الى الباطل طرفة عين • يرفع الحق • ويمحق الباطل • ولا تستمليه الشهوات كغيره من الملوك • وكان عالما يشاور العلماء في كل امر • خوف أن يزيغ • ويزن دائما بالقسطاس • فحين نزل الوباء هناك • وكثر الموت • وكان الامر عظيما الى الغاية • يفر المرء من أقاربه • خرج من مراكش ، وذلك عام ٩٣٢ هـ فنزل في (تامدولت) باقا ستة أشهر • فاشتغل هنالك باستخراج المعادن فيها ، وهي معادن النحاس في جبال على وادي (تامزرارت) وقد كان الشيخ ابرهيم بن عبد الوافي بن علي المرقوشي • يسيح في ذلك الجبل • وقد اطلعه الله على تلك المعادن • فهو الذي أرى السلطان المعدن • فخدم فيه بستمائة من الخدمة اياما • فاذا بالقبائل العربية والشلحية تتقاطر بجموع كثيرة • فخالفوا السلطان • فخرج اليهم جريدة بستة آلاف فارس وراجل، ثم ظهر أنه لايقاومهم • لان القبائل كثيرة • وهم ازاءها شرذمة قليلة • وهي في تزايد كل يوم • فتحير السلطان فلم يدر ماذا يصنع • فقال له الشيخ علي بن شاكر البربوشي ـ وهو من أصحاب الشيخ محمد بن ابرهيم التامانارتي ـ : أرسل الى الشيخ التامانارتي • فهو الذي سيريحك من هذه القبائل • فقد شاهدت من بركاته غرائب وعجائب • ففي الحين حرر اليه كتابا ملأه بالتشكي من القبائل • وان المدد قليل • فارسله على يد أعرابي• فأصبح به على الشيخ قبل طلوع الشمس ـ وأقا قريبة بيوم من(تامانارت)ـ فخرج الشيخ مسرعا وهو يقول : سبحان من لاشريك له في ملكه ، سبحان من لاينازعه أحد في ملكه • سبحان من ينصر من يشاء بفضله من عباده ، سبحان من يعز من يشاء • ويذل من يشاء ، وهو الفعال المختار • يخلق ما يشاء ويختار • ما كان لهم الخيرة •

خرج الشيخ الى الرسول ، وفي يديه طبق من تمر • فتناول منه • فقرأ الشيخ الرسالة • فكتب الجواب بعد البسملة :

من العبد الضعيف محمد بن ابرهيم بن عمرو الكوس التامانارتي الى أمير المومنين مولاي أحمد ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته •

وبعد : فاصبر فان لكل ملك مطيعا وعاصيا • وسنأتيك ان شاء الله بما يرضيك ويسرك بحول الله وقوته • فلاتجزع ولاتخف من غير الله سبحانه والسلام •

فرجع الاعرابي الى الملك ، فلما صلى الشيخ العصر جلس الى التدريس الى أن قربت المغرب • فخرج من المسجد • فظن أصحابه أنه دخل الى الدار • ولكن حين وصل الاعرابي الى السلطان • قبل غروب الشمس ، وهو في (تامزرارت) والناس حوله • ومعه العلماء والصالحون • وجد هنالك الشيخ بين الجالسين قد سبق جواب الرسالة • فتعجب الاعرابي • والناس كلهم ساكتون • لايتكلم أحد هيبة للشيخ • والملك ناكس الراس أيضا • لايدري ما يقول ولا ما يفعل • ثم صلى الشيخ اماما بالناس باذن السلطان • فدخل خلوة الشيخ ابرهيم المرقوشي يتهجد بالقرءان الى مطلع الفجر • فصلى بالناس الصبح • ثم طلع السلطان الى سطح المسجد • وكل من معه : سيدي محمد بن يعقوب الرندي ـ كذا ـ وسعيد بن عبد المنعم ، ومحمد بن مبارك ابن عبد الرحمن التادلي والشيخ وافي بن صندل القشاني • وغيرهم من الفحول الحاضرين • ثم قام من بينهم الشيخ التامانارتي مستقبلا • فنادى بأعلى صوته : أيها المومنون من العرب والعجم ان الله أمركم بطاعة أمرائكم فانهم خلفاء الله في أرضه • فمن عصى مولاي أحمد منكم ، فالله حسيبه ومنتقم منه • ألا فاسمعوا وأطيعوا خليفة الله أمير المومنين • وعليكم بامتثال أوامره • يقول الشيخ ذلك • فيسمع الناس جلبة في الجو تردد ما يقول ، فاسمعت كل من هنالك من أصحاب السلطان • ومن القبائل بالطاعة وبالهدايا • فدخل الجميع تحت طاعته • ففرح الشيخ أيضا بتمام الامر • فأقام السلطان حفلة عظيمة في سرادقه سبعة أيام مع العلماء والصلحاء والرؤساء لا يراه أحد • ثم خرج • فقدمت اليه الهدايا • فدفع منها الى الشيخ صندوقا مصنوعا من (جلول) ـ اسمه بالشلحة ـ (١) مملوءا بالذهب لايعلم قدر ما فيه الا الله • فقال له الشيخ يا أمير المومنين : مالي الى هذا المال سبيل • ولا لي به حاجة • فانما هو لاهل العلم والمساكين • فاغتاظ الامير لرد هديته • فارسل الى الشيخ المرقوشي • فقص عليه القصة • فقال للامير انما ذلك زهد من الشيخ في حطام الدنيا • ولكن سأريك ما

١) يقصد أنه مصنوع من الزنك •

لعطيه فيقبله ثم ينفعه وينفع اولاده من بعده • ففرح الامير لانـه حريص
على مرضاة الشيخ لما شاهده من كراماته الباهرة •

ثم استفسر المرقوشى عما يستحق أن يكون هدية للشيخ • فأشار الى
معدن النحاس• فقال الملك انه هدية منى اليه ان رضى به • ثم قدم السلطان
العلماء مستشفعا بهم الى الشيخ ليقبل منه المعدن • فقاموا بهذه المهمة
فولجوا الخلوة على الشيخ التامانارتى • فوجدوا عنده الشيخ أحمد بن
موسى• وسعيد بن عبد المنعم • ومحمد بن يعقوب الرندى ـ كذا ـ والشيخ
عبد الهادى بن محمد الافريقى • فقاموا جميعا تعظيما للملك ومن معه •
فاعلن السلطان هبته للشيخ متوسلا بأوجه العلماء فى قبول ذلك منه •
وهو معدن النحاس الموجود على وادى (تامزرارت) فسكت الشيخ وسكت
كل العلماء اجلالا له • لان له عليهم جميعا حق التعليم والتربية • فدهش
السلطان لسكوتهم فبكى • فقال له الشيخ لا تبك فان ذلك مقبول منك •
فانى ولو لم تأخذ لى به حاجة • فاننى منفذ لارادتك • ثم كتب الامير رسم
الاقطاع بيده فى الحين وعطف عليه سعيد بن عبد المنعم وعبد بن المبارك
الشبلى ـ كذا ـ ومحمد بن يعقوب الرندى ـ كذا ـ وتاريخ كتبه يوم الجمعة
الثانى عشر من ربيع النبوى عام : ٩٣٣ هـ ثم أمر السلطان الشيخ أن
يتوصل بما استخرج من المنجم فكدس • فباعه بقنطارين فرقهما على الضعفاء
والمرملين • ثم قسم الشيخ ما يستخرج من المنجم خمسة أقسام • واحد
منهما لسكان (تامزرارت) ينتفعون بـه ما دام عندهم الشيخ المرقوشى •
وبعد دفنه عندهم يصنع به طعام على ضريحه • وأربعة أخماس تركها الشيخ
لنفسه • ثم انصرف السلطان وفى يمينه الشيخ • وعن يساره الشيخ أحمد
ابن موسى • فسارا معه ساعة • فقالا له : نحن معك • فلا تخف عربا ولا
عجما بعد اليوم ما دمت •

ثم بعد سنتين أقام فيها الامير فى (تامدولت) رجع الى (الحمراء)
ومعه قبائل تكنة • وحربيل • وأمريبض • وسلام • والادارسة • والعرب
الكثيرون من المعافرة والسباعيين• وغيرهم• وعمر الغرب بالقبائل السوسية•

(تلك القصة مستوفاة • أما هـذا المعدن • فقد أخبرنى بعض حفدة
الشيخ أن رسم الاقطاع لم يزل عندهم محفوظا (وقد رأيته كما تقدم عند ما
زرت (تامانارت) ولا يزال ذكر هـذا المعدن فى أحاديثهم وينسبونـه لهم
كاقطاع حازوه • ولكنهم لا يستغلونه أخيرا • وأما تلك الكرامات الماضية
كلها بين الشيخ والامير • فهـا هى ذى بين يـدى القارىء • الا ما كان من

الوعد بحفظ احمد الاعرج الى أن يموت • فان الواقع انه مقهور بشيعة اخيه
محمد الشيخ الذى ثار عليه نحو ٩٤٦ هـ فاعتقلـه سنين كثـيرة • الى أن
ذبحه وأولاده الزبكى : باشا مراكش عندما وصل الخبر بقتل محمد الشيخ•
فوقف الشيخ أبـو عمرو المراكشى حتى دفن • فأين اذن ذلـك الوعـد من
الشيخين • وأمثال هذه الوقائع هى التى ربما يتوهم بها متوهم من القراء
ان جل ما فى الكتاب من نحو هذه الوقائع واهية السند الى الشيخ والله
أعلم • والكتاب على الحقيقة أمشاج غيره أو كله)

الفصل الثامن في واقعة اخرى من الشيخ لهذا الامير

ذكر فيه أن السلطان أرسل اليه (والشيخ فى وادى النفيس) رسلا
يعلمه بقلة المال عنده • فقام الى شجرة• فهزها فتناثر منها الذهب الابريز•
ثم جلس وجعل يقول : أعوذ بالله من الفضول • فان الامر كله لله سبحانه
ليس لنا تأثير فى شىء من الاشياء لا فى الحركات • ولا فى السكنات • والامر
كله لله • فاستعان الملك بذلك • وهكذا الكرامة المقبولة التى تكون عن غلبة

ذلك ملخص ما ذكره • وهـذا الكلام عليه نفحة نعرفهـا من الشيخ
السنى رضى الله عنه •

الفصل التاسع في وصاة السلطان عبد الله الغالب بالله بالشيخ

أوصى عبد اللـه السعدى أولاده على احترام الشيخ وتوقـيره • حكى
حاك أنـه صلى مع هـذا السلطان يومـا فخطب واطال • ثـم وصى أولاده
والشرفاء بتعظيم أولاد الشيخ محمد بن ابرهيم • فمن عظمهم عصمه الله •
ومن خذلهم انتقم منه لانهم من ذرية أبى بكر • وذكـر جمل فى مثل ذلـك
(والسلطان الغالب بالله هو الذى توفى الشيخ فى عصره سنة ٩٧١ هـ)

الفصل العاشر في وفاة الشيخ

قال المـؤلف : حدثنا الشيخ محمد بن عبد الهادى العثمانى الشامى
قال : كنا جلوسا يوما معه • فانبسط انبساطا لم نر منه قط مثلـه • ثم
قال : نبئونى أى شىء يستحق أن يتأسف عليه الانسان اذا فاتـه • فقلنا
الله أعلم • فقال : شيخه الذى علمه الدين والعلم • فعرفنا قرب أجلـه •
ثم قـال : ان أفضل من يتولى دفن الانسان هم أقاربـه لاسيما ان كانـوا
أصحاب العلم • ثم أطرق فأمر ولده محمد أن يأتى بتمر • وولده ابرهيم
ان يأتى بخبز وسمن • ثم قال : اذا أكلتم فادعـو اللـه لنا بالختم بالايمان

والاسلام والمام النور ، ثم قال : من علامة نور المؤمن اذا اتصل نور ايمانه بنور الجنة ، ثم قال السلام عليكم ، فذهب وهو يقول : (فاذا جاء أجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون) سبحان الله الذى لا يموت ، (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فدخل داره ، وذلك يوم الثلاثاء ثانى صفر عام : ٩٧١ هـ (١) ففى يوم الاربعاء جاء سيدى أحمد ابن موسى وفى يوم الخميس جاء سيدى محمد بن يعقوب ، وعبد الله بن المبارك الشبل ، وفى يوم الجمعة جاء سيدى محمد بن عثمان وسيدى محمد ابن بدير ، لانهما فى سفر بعيد ، وفى يوم السبت جاء سيدى ابرهيم ابن عبد الله البوكرفاوى ، وسيدى يحيا بن سعيد بن عبد المنعم ، فما زال الصالحون ياتونه ، فمنهم من عرفناه ومنهم من لم نعرفه ، واجتمع الناس جنودا مجندة ، لايعلم عددهم الا الله ، فلما قضيت صلاة العشاء ليلة الثلاثاء التاسع من صفر ، أرسل الى الصالحين والعلماء فدخلوا عليه ، فوجدوه يتنفل ، فلما سلم من صلاته ، أخذ سيدى أحمد بن موسى بيمينه يبكيان ساعة ، فقال له الشيخ : اصبر ، فان الرجال يتلاقوها بعد الموت كما يتلاقون قبله ، فقال سيدى احمد بن موسى : صدقت ، ثم اضطجع الشيخ فى مضجعه على الجانب الايمن مستقبلا ، ثم اوصى أولاده بما أوصاهم ، فكرر عليهم التأكيد بتعهد قبر أبيه ، ثم قال : (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) لا اله الا الله الحى القيوم الباقى الذى يفنى ولا يموت ، ثم قال اشهدوا بأنى أقول : أشهد أن لا اله الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله ، ثم خرجت روحه فى الحين ، فبات الى الصبح ، وقد جلس اليهم سيدى أحمد بن موسى وسيدى محمد بن يعقوب الى مطلع الفجر، قال الحاكى : وفى أثناء الليل رأيناه، يعنى بعد موته ـ استوى قاعدا يتحدث مع سيدى أحمد بن موسى ، وسيدى محمد بن يعقوب ، ثم امتد ثانيا ، فغسله سيدى محمد بن يعقوب ، فصلى عليه الانس والجن ، ودفن عند الزوال ، فاقام سيدى أحمد بن موسى على قبره مع الصالحين الى العشى ، قال محمد بن الحبيب بن صندل التونسى ، وهو اذ ذاك يتكلم مع الشيخ فى قبره ، سأله هل أتاك رسل ربى ، فقال له نعم ، ولكن (لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) ان ربى لغفور رحيم ، وقد قلت لهما ماذا تريدان ، قالا أنا رسل ربك ، ثم أجبتهما بالتوحيد الخالص ، فالحمد لله الذى من على بالجواب ، ثم قال سيدى أحمد بن موسى : هذه الارض روضة منرياض الجنة ، فطوبى لمن دفن مع الصالحين، ثم أمر بزيارته يوم الثلاثاء

١) لاتنس أن ابرهيم ولد الشيخ توفى قبل أبيه ، فلا عبرة بذكره هنا ،

ويوم الجمعة، وقال سيدى محمد بن يعقوب ، بل زيارته لاتفتقر الى يوم معين ، لان فضله عظيم ، ثم قام سيدى أحمد بن موسى باكيا ، فودع (تامانارت) يقول : من ذهب خليله من ارض فحق عليه أن لاياتيها أبدا ، الا تطا رجلى (تامانارت) بعد اليوم ، وبكى سيدى محمد ابن يعقوب حتى عمى ، وغشى على سيدى محمد بن عثمان أيام ، لم يفق فحين افاق ، خرج سائحا أربعة أشهر ، ثم رجع الى أولاد الشيخ بعدما أرسلوا اليه ، يخدمهم بقية عمره ،

ذلك ما احتوى عليه هذا الفصل ، وغالبه ملفق بعبارتنا من الاصل، كما أن ما فيه ملفق أيضا ، فان الشيخ محمد بن يعقوب قد توفى قبل وفاة الشيخ ابن ابرهيم فى سنة ٩٦٢ هـ كما اتفق عليه المؤرخون ، وكذلك ذكره ليحيا بن سعيد سنة ٩٧١ هـ فان المذكور اذ ذاك هو والده عبد الله ابن سعيد بن عبد المنعم المتوفى فى نحو العشرة الثامنة بعد الالف ، ثم لاذكر ليحيا الا بعد أبيه ، ولاأحسبه الا صغيرا جدا أوغير مولود سنة ٩٧١، على أن هذه الرواية التى لفقها مؤلف الكتاب تصلح فى باب الروايات الموضوعة ، واما فى باب المنقول الصحيح فانها كالعربى من قوارير :

ارفق بذكرك عمرا عند نسبته ... فانه عربى من قوارير

ومقام الشيخ وما صح عنه يكفى عن أمثال هذه الملفقات ،

ذلك ما اشتمل عليه كتاب (روضة التحقيق) فقد تضمن من الفوائد ما لايستهان به ، ومن عرف كيف يستنتج فانه رغم ما فيه من الملفقات يستنتج منه الخبر الكثير ، ويظهر أن الكتاب لم يؤلف الا فى أواخر الثانى عشر بعد مامضى من اخبار الشيخ الصحيحة ماذهب وبقى مايبقى فى الاسمار عند العوام والعجائز ،

تلاميذ الشيخ :

١ ـ أحمد بن عبد الرحمن التيزركينى
٢ ـ ولده عبد الله
٣ ـ محمد بن عثمان التامانارتى
٤ ـ أحمد بن أبى بكر خادمه
٥ ـ سعيد بن عبد المنعم ـ على ما هنا ـ
٦ ـ محمد بن يعقوب ـ على ما هنا ـ
٧ ـ عبد الله بن مبارك الاقاوى ـ على ما هنا ـ
٨ ـ يحيا بن موسى الديانى
٩ ـ على بن حسن الديانى الصحراوى
١٠ ـ ابو الحسن الطرابلسى

١١ ـ سعيد بن يحيـا
١٢ ـ عبد الباقي التادلي الطنجي
١٣ ـ عبد الواحد بن عبد الوهاب البغدادى
١٤ ـ عبد الواحد بن احمد الصنهاجي
١٥ ـ احمد بن مقدار الطرابلسي
١٦ ـ ابو عامر بن فهيرة الطرابلسي
١٧ ـ محمد بن أحمد الاسحاقي
١٨ ـ علي بن شاكر البربوشي
١٩ ـ سعيد بن أحمد الهلالي

اولئك التلاميذ الذين وقفنا عليهم في اثناء التراجم مع اناس ذكرهم صاحب (روضة التحقيق) لم نعرفهم •

هذه نهاية ماتيسركتبه عن سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ التامانارتي الشهير ، وقد حاولنا أن لايخرج القـارئ حتى يتصوره كمـا هو بحسب طاقتنا ، لانه من أعاظم العلماء السنيين الذين نسج النسيان على حياتهم فذهب رواؤها • وكتاب (الروضة) المذكور • لم يدخل في يدى الا بعد ان حررت كل تلك الترجمة المتقدمة • ثم ظهر أن الحق الملخص من الكتاب بها لانه لايخلو من فوائد •

(اقول : انني زرت قبر هذا الشيخ فرايته بين المقبرة عليه دربوز • ولاقبة عليه ولا أى بناء • وقد ألقى الله محبته في قلبي • حتى انني رأيته مرارا في المنام • واستحضر انني رأيته مرة مـع الشيخ سيدى أحمد بن موسى ، فصار يتكلم معي بالعربية الفصحى حول الشفاعة يوم القيامة • وطالت المحادثة • والشيخ احمد ابن موسى ساكت • رضى الله عنهما • وهو مقصود دائما بالزوار خصوصا المرضى بالمس بالجنة فيبرأون •

العاشر ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشيخ

فقيه كبير المقام ، قال عنه في الطبقات : (الفقيه المتكلم المتفنن العالم الرباني • الولي الصالح • ذو كرامات وبركات • وفضائـل وجهادات • ناصح الامة ومرشدها • وله رضى الله عنه شرح بديع حافل لم يسبق لمثله على منظومة ابن زكرى لو كمل لاغنى عن غيره • دل على ادراكه وقوة فهمه، وطول باعه واتساعه في ذلك الفن وغيره • توفي رحمه الله يـوم الخميس الثاني عشر من شهر رجب الفرد • سنة احدى وسبعين وتسعمائة • فموته وموت والده في عام واحد • بينهما خمسة أشهر رحمهما الله • انتهى)

ثم قرات فيترجمة سيدى أبيالعباس الصوابي شيخ الخضيكي أنه يثني كثيرا أيضا على هذا الشرح • وابرهيم هذا هو الذى كان مع والده حينخرج

الاستاذ محمد بن ابرهيم البعقيل مسرعا عـلى الشوك للاقاتـه • وجرت المداولة حول تقبيل اليد • ويقول بعض أهل الشيخ لايوم : ان ابرهيم قد توفي في حياة والده عن ثلاثة اولاد : الحسن ومحمد وأحمد • فنزلهم جدهم منزلة اولاده • فعـل هؤلاء الثلاثة مـع ولديه الآخرين عبد العزيز ومحمد يقسم كل ما يقسم بعد الشيخ • فكانت دائما سهام أولاد الشيخ الاصلية خمسة • وما ذكره المؤرخون ينافي ذلك • اللهم الا اذا أدركنا أن غلطهم وقع في جعلهم وفاة ابرهيم في سنة ٩٧١ هـ وان الواقع أنه توفي قبل أبيه سنة ٩٧٠ هـ والله أعلم • وايا كان فهذا الذى عند أهله من أنه توفي قبل والده هو الصحيح •

الحادي عشر ـ محمد بن محمد بن ابرهيم الشيخ اخو ابرهيم المتقدم

قال عنه في (الطبقات) : (محمد بن محمد بن ابرهيم بن عمرو بن طلحة ابن محمد بن سليمان بن عبد الجبار التامانارتي هو العالم الجليل • تفقـه بوالـده المذكور • وجمع عليه أشتات العلوم • وقام بوظيفة التعليم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أبيه أحسن قيام في أحسن سيرة ، وتمام مروءة • ولم تزل بركة علمه بعد ابيه وأخيه أبي اسحاق • وآثـار آدابهم باقية ببلدهم زمانا • وقال في (الفوائد) يشهد لعلو مقامه ما أخبرني به الرجل الصالح احد تلامذة والده أحمد بن أبي بكر أن رجـلا راى في منامه أن جداول الدنيا كلها مالت الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم تنصب فيه • فهاله ذلك • فجاءه وقصها عليه • فقال له على البديهة : ويحك تلك العلوم رجعت الى امها حيث لم يعمل بهـا • ومثل هذا لايهتدى اليـه الا المرتاض الممارس للعلوم الشرعية والعربية والحقيقة •

واخبرني أبو زيد عبد الرحمن بن لوقاض عن الفقيه أبي زيد عبـد الرحمن ابن عمرو البعقيلي عن رجل سأل قطب زمانه ابا العباس سيـدى احمد بنموسى عنالقطب فقال له أحمد ، فقال له ثم من • قال سيدىمحمد ابن محمد بن ابرهيم • فقال له ثم من ، قال : الملك عبد الله • ثم لاتسألني بعد•وقد رأيت منبعض أجوبته مايدل على أنه بلغ رتبة الاجتهاد • وهو ممن استشاره قاضي الجماعة بسوس ابو عثمان سعيد بن علي بن مسعود الهوزالي في قطع التعامل ببيع الثنيا الفاسد • والزام الغلة فيه بعد التبريح بقطع التعامل به سنة سبعين وتسعمائة اخذ بقول سحنون وابن الماجشون قبله ؛ وان لم يكن مشهورا في المذهب • لمكان سد الذريعة فوافقه • وراى مثله ما رآه من علة السلف بالزيادة • وتقديم المقاصد على الالفاظ كما هـو ظاهر المدونة فيأماكن • ومضى العمل بذلك فيجميع البلاد السوسية • واخبرني الوالد ـ هذا الكلام لصاحب الفوائد ـ رحمه الله أنه كان لايلتفت الىالخصوم

ولا الى يمينه أو يساره في الطريق • بل يخفض بصره الى الارض في ذلك، وانه جاءنا يوما لقريتنا – يعني ايمي اوكادير – فرأى فيها طلحة ، فقال : ببلدكم طلح • فقلت له عن يمين الطريق ويساره كثير ، فقال لم أر منه الا هذه • توفي رحمه الله يوم الخميس الوافي عشرين يوما من شوال سنة ست وسبعين وتسعمائة • قدس الله روحه •)

بذلك ترجمه في (الطبقات) مستعينا بكلام الفوائد • فيكون من أعاظم رجالات عصره •

ثم ان له فتاوى رأيتها بين فتاوى في مجموعة • وأخوه عبد العزيز الولد الثالث للشيخ سيدى محمد بن ابرهيم ، لاذكر له بين علماء أهله • أشياخ العلامة عبد الله بن يعقوب• وقد كنا وعدنا أن نترجمه هنا بمناسبة أما الهوزالي المذكور فهو امام عظيم جدا في عصره • وقد تقدم لنا أنه من هذا الاستاذ الذي علا ذكره • وتعطر جانبه بهذه الاستشارة التي شاد له بها مقاما ساميا •

قال فيه تلميذه عبد الرحمن التامانارتي في (الفوائد) : (شيخنا الفقيه العالم العلامة الصدر قاضي القضاة سيدى سعيد بن علي بن مسعود ابن علي اسوسي اهوزالي • طود من أطواد الاناة والسكينة • وركن من أركان المهابة والعزة المكينة • ولي قضاة الجماعة بسوس الاقصى نيفا وثلاثين سنة فاحسن السيرة وجمع كلمة الهدى • واغلظ على أهل الجرأة والعدا • واجرى الحكومة على السنن القويم في القضاء • وأوضح بفطره طريقته على نهج من مضى • احب المروءة فاقام شرائطها • ونثر الحكمة فاغبط لاقطها • وسدد العدل ورمم دارسه • وسد فم الهوى ورد ضارسه • ولما عزم عليه سلطان وقته بولاية القضاء استشار في ذلك شيخه الامام العالم الصدر الكبير محمد بن مهدي نزيل درعة • فكتب اليه لاحيلة يشير بها عليك أخوك الا الاعتماد على الله والتوكل عليه • واتخاذ الشهود الصالحين • واتباع طريقة السلف الصالح • والاستعداد للموت • انتهى •

حضرت دروسه فانتفعت به فيمختصر الفروع لابن الحاجب ، والشيخ خليل والتفسير والعربية • وتنقيح القرافي وكتاب التذكير • وتجرى في مجلسه نكت غزيرة • وملح مفيدة • وحكايات ونوادر • قل أن توجد مع غيره • وقيدت عنه في الفتاوى تقاييد • وجمع من أجوبته كراريس حسنة وله عطف زائد على طلبة العلم بتوسعة العطاء من الاحباس وغيرهم من الناس وكان رضي الله عنه من الزهد والورع بمكان • حتى انه لايجرى على يده شيء من الدنيا واسبابها • ثم مع ذلك ندم في مرض وفاته اشد الندم على ولاية القضاء ، ويقول : أكل الشيخ أولى منها • وله رضي الله عنه مكاشفات

وفراسات صادقة • كاشف نائبه الفقيه احمد بن مسعود يوما في نازلة عزم النائب على تنفيذ الحكم فيها • فبعث اليه في الحين فجاءه وفتح الشيخ كتابا بين يديه • وقرأ عليه منه عين الحكم في النازلة • ولم يقرأ ما قبله ولا ما بعده . وما قال له شيئا الا ما سرد له . ولا قال له انفذ الحكم بما املى عليك وكان النائب عزم على خلاف ذلك • ولد سنة : ٩١٣ هـ وتوفي رحمه الله ليلة الاثنين لثمان عشرة خلت من صفر سنة ١٠٠١ هـ ودفن بباب الخميس • ورىء بعد موته فقيل له ما فعل الله بك • فقال غفر لي بحب أهل البيت • وكان يعظمهم •

ووجد في تركته كتاب بخط مشرقي لم يعلم به أحد الا بعد وفاته ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم   الحمد لله وحده واليه يرجع الامر كله • وصلى الله على من لانبي بعده • سيدنا ونبينا ومولانا محمد سيد ولد آدم من حين خلق الله الخلق وعلى آله وصحبه أجمعين •

هذه بشرى بالله تمت • ومن عند الله هبت • يا من يكرمه الكريم ولا يفارقه النعيم • وأيده الله وأمده بالتبجيل والتعظيم • وجعله في كنف سيد المرسلين • عليه أفضل الصلاة والتسليم •

سيدى الفقيه العارف الأفضل : سيدى سعيد بن علي جزاك الله خيرا حيث اتبعت سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعملت بها وحكمت بشريعته الظاهرة • وطريقته الزاهرة • وابشر بخير • ان النبي صلى الله عليه وسلم راضعنك بامارة ما رأيته يشير • وغيره وراءه يدير • وبامارة ما رأيت الشمس في النوم طلعت من المغرب • وبامارة ما رأيت الشمس كسفت في الليل • وبامارة ما رأيتها اجتمعت مع القمر • وبامارة ما رأيت الفجر طلع في النوم واستيقظت فرأيته موجودا • وبامارة ما جاءك الغوث وقال لك : لأي شيء لاتقوم الليل فاستيقظت وسميت وتوضأت وصليت . وبامارة ما سمعت المؤذن في النوم وتحسبه في الارض • والحال انه في السماء • أذان سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام للملائكة • والبراءة من الفقير الى الله تعلى الشريف محمد القرشي الهاشمي . كتب لكم من طيبة المشرفة • في ثاني عشر شوال سنة : ٩٧٧ هـ أحسن الله عاقبتنا الى خير وسلامة • وتستوصي بالفقراء والمساكين خيرا • وخذ بايديهم ياخذ الله بيدك واياك والدنيا فان حلالها حساب • وحرامها عقاب • والله تعلى ينجيك منها• ويسخرك في طاعته • ويسهل عليك طريق طاعته ومحبته • انتهى •

اخذ رضي الله عنه عن جلة المشايخ الصالح الفقيه المحقق أبي عبد الله

محمد بن مهدي الجرادي الجزولي • ومن الامام شيخ الجماعة المحصل الزاهد ابي القاسم التيفنوتي المعروف بالشيخ • وغيرهما رضي الله عنهم • ونفعنا بهم • وجرت بينه وبين الشيخ احمد بابا السوداني مراجعات في مسائل•

ذلك ما في (الطبقات) ناقلا عن (الفوائد) وفي (الوفيات) عنه •

(الفقيه العدل الضابط الصالح المجمع على فضله وورعه قاضي الجماعة (ثم سماه) ثم ذكر انه رأى مخطوط ولادته بخط سعيد بن شعيب الاويسي) انتهى •

ومن آثاره أجوبة فقهية ذكر لي أنها في مجموعة ولم ارها وهي التي ذكرت في ترجمته المارة •

ومن ءاثاره أيضا المنشور الذي نشره في نواحي (سوس) بعد عزمه على قطع المعاملة ببيع الثنيا ظفرنا به في بعض المجامع • فاخترنا تخليده ونصه :

(الى كافة قبائلنا عامتهم وخاصتهم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . من أخيكم في الله تعلى سعيد بن علي • أسعد الله تعلى الجميع بالنعيم بالنبي وآله •

وبعد ، فموجبه اليكم : أوجب الله تعلى لنا ولكم كل خير • وصرف عنا وعنكم كل شر • بالنبي وآله • تجديد السلام • وما ارتكبه أهل البلدة الشاغرة عن العلم وأهله من اباحتهم للبيوعات الفاسدة • كبيع الثنيا والرهن . حسبما سولت لهم أنفسهم . واتخذوه عادة سلفا وخلفا . فانا لله وانا اليه راجعون (فتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ولا غلة للمشتري فيما سلف • اذ الغلة بالغلة على قول سحنون • معاملة لكم بنقيض مقاصدكم • ولما في ذلك من المصلحة العظيمة • وهي الانتهاء عن الفساد . ومن عمر شيئا من ذلك يخرجه ويأخذ دراهمه . وشهادة كاتب الثنيا • وشهادة شاهده • وامامته ساقطة • ما لم يتب الى الله عز وجل • ودافع الثمن فاسدا من عنده يرد عليه بمثل المثلي وقيمة المقوم يوم القبض • ووصوا أصحابكم بهذا لئلا يبيعوا أصولهم بالنجس ، بل يبيعون البيع الصحيح • وانهوا عن الأضرار • ويكفيكم رحمكم الله ما ورد من الوعيد العظيم في كتاب الله تعلى من مفهوم الشرطين في الآية الكريمة • وهي قوله تعلى : (يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) وهذا ما يجب علينا اعلامكم به ، فاقبلوا منا النصيحة • فالدين النصيحة لله ولكتاب الله عز وجل • ولنبيه صلى الله عليه وسلم • ولائمة المسلمين وعامتهم ، الحديث ••

ولقد تقرر من كلام صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه الذي لاينطق عن الهوى : ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات • فمن تركها فقد استبرا لدينه وعرضه • ومن اخذها كان كالراتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه • الا وان لكل ملك حمى • وحمى الله محارمه • الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في الباب مما لسنا أهلا لاستقصائه ولو بلغنا الغاية القصوى • واستغنوا رحمكم الله بما أحل الله تعلى لكم عما حرم عليكم وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان • وانصروا دين الله تعلى ينصركم الله • وقولوا سمعنا واطعنا ، ولا تقولوا سمعنا وعصينا • والسلام معاد عليكم . كتب في اواخر المحرم ٩٧١ هـ) انتهى .

بهذا المنشور حاول هذا القاضي الجليل ان يقول الناس في ذلك البيع الفاسد سمعنا واطعنا • ولكننا نرى ان السوسيين اذا كانوا اذ ذاك اجابوه بذلك فسرعان ما انقلبوا الى ديدنهم • فقالوا سمعنا وعصينا • وقد ادركنا هذا الزمن الذي ليس فيه الا هذا البيع • وبه يبتاع كل الناس • حتى لاتكاد ترى في (جزولة) بيعا قاطعا . ولا تزال المحاولة لاسقاطه بالبيع الصحيح .

وله حفيد يسمى منصور بن أحمد بن سعيد بن علي • تولى القضاء أيضا في (تارودانت) وتوفي وهو قاض اوائل المحرم سنة ١٠٧٤ هـ •

وله عم أصغر منه • فكان من الذين اخذوا عنه يسمى احمد بن مسعود الهوزالي تولى ايضا القضاء بـ(تارودانت) قال عنه في (الطبقات) : (كان رضي الله عنه فقيها نوازليا . اشتهر بـ (سوس) واخذ ما جرت به عادة القضاة منه ومن الاحباس ثم تورع وتنصل من ذلك كله • فرد للقبيلة ما أخذ منهم) قال صاحب الفوائد كتب الى لما ابتليت بقضاء (تارودانت) ما نصه : (بلغني أنهم ابتلوك بالقضاء ، فسرني ذلك مرة • وساءني مرارا فعليك بتقوى الله واتباع العلماء والتأني في الامور والله يعينك • والسلام)

اخذ عن ابن أخيه سعيد وعن ابي مهدي الجرادي • وعن علي بن أحمد الحياني التامانارتي • مرتب نوازل ابن هلال • توفي في رمضان ١٠٣٠ هـ وقد أناف على التسعين • انتهى ببعض اختصار •

وهناك هوزالي آخر تولى أيضا قضاء (تارودانت) يسمى بلقاسم بن احمد بن مسعود • ولا ادري أهو ولد أحمد بن مسعود القاضي المتقدم ام لا• والغالب أنه اجنبي عن هذه الاسرة • قال عنه في (الطبقات) :

(كان رضي الله عنه فقيها جليلا عالما عاملا . تولى القضاء بـ(تارودانت) ومات بها اواخر ذي القعدة سنة ١٠٤٨ هـ) . وقد رايت له في الفتاوى البرجية • فتاوى تدل على سمو ادراك •

هؤلاء من وقفنا عليهم من هذه الاسرة الهوزالية العلمية • ذكرناها استطرادا •

الثاني عشر – احمد بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم الشيخ

علامة مدرس للغة وللاصول وللعربية • أخذ عن والده وعن عمه محمد ابن ابرهيم • وعن أخيه محمد بن ابرهيم الحفيد • وقد اتصف بالفضل والورع • قال في (الوفيات) : عاصرناه ورأيناه • توفي في اوائل جمادى الثانية سنة (١٠٤٨ هـ) •

أقول : انني وقفت له على فتاو تدل على امعان وسمو نظر بين فتاوى معاصريه • وقد كان يدرس فكان من بين الآخذين عنه الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي •

الثالث عشر – محمد بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم الشيخ ، عرف بالحفيد

فقيه جزولة في عصره • علامة فاضل • ورع هين لين سالم الطوية • قام بالاعمال التي يقوم بها جده في وظائف الدين • وحب المساكين والنصح للعباد . واصلاح الجسر الذى بناه جده على (وادى الغاس) . توفي ليلة : ٨ – ١١ – ١٠٠٤ هـ أو : ١٠٠٢ هـ • هذا ملخص ما قاله عنه في (الطبقات) واحسب أنني رأيت لـه آثارا فقهية في بعض المجامـع • قـام بالتدريس وبالارشاد وبكل ما ورثه عن أهله• فهو الذى افتتح عنده وعند أخيه الشيخ عبد الله بن يعقوب • وقد كان عندهما سنوات ٩٩٨ هـ

الرابع عشر – محمد بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم

أخذ عن أبيه وجده وعمه محمد بن محمد • وعن الامام عبد الرحمان ابن علي التلكاتي من أبناء عبد العزيز • وعن ابن مهدى الجرارى ثم الدرعي• وقد أجازه • وتقدم أن أخاه أحمد بن ابرهيم أخذ عنه • كما أخذ عنه من بلده ومن غيره فقهاء • كعبد الله بن يعقوب الآخذ عن كل اخوتـه • توفي ليلة الجمعة الثامنة من ذى القعدة سنة : ١٠٠٤ هـ وهـذا ملخص ما ذكره عنه في (الطبقات) ثم انـه ذكر محمدا ومحمدا كما ترى متشابهين لا في الاسم ولا في الوفاة • فهل أحدهما يسمى محمدا • والآخر يسمى محمدا – بالفتح – ثم اتفق أن يتوفيا في وقت واحد • على انه تردد في وقت وفاة المترجم الاول• أم انه ليس هناك الا واحد فغلط الخضيكي فترجم ترجمتين• ذكر في احداهما أوصافه • وفي الاخرى اشياخه • وقد وقع له أن ترجم

واحدا في طبقاته اكثر من مرة • وأنا اميل اليهما واحد •

وقد أخبرني احد افـراد الاسرة أن الثالث من اولاد سيدى ابرهيم يسمى الحسن وربما كان هو هذا الثالث الموصوف بهذه الاوصاف • وان صعب أن تكون كل هذه المصادفات •

ثم هاك رسالة من المنصور الذهبي الى اخيه احمد تعزية فيه :

(من عبد الله تعالى • المجاهد في سبيله • الامام المنصور بالله امير المومنين أحمد بن امير المومنين بن أمير المومنين الشريف الحسني • ايد الله بعزيز نصره أوامرهم • وظفر عساكرهم •

الى المرابط الخير الاثير • الارضى الاحب الازكى الفقيه سيدى احمد بن ابرهيم التامانارتي . وصـل الله رعايتكم . ووالـى بمنـه حمايتكـم سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته •

أما بعد : فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله • ولا جديد بحمد الله الا الخير والعافية • ونعم الله المتوافية • لله المنة والحمد •

هذا وانه اتصل بعلى مقامنا كتابكم معرفا بما نزل بـه القدر المحتوم من وفاة أخيكم المقدس الفقيه العابد الناسك الزاهد الخير سيدى محمد بن ابرهيم • قدس الله تربته • وأنس غربته • فتأسفنا لذلك – علم الله – تأسفا موجعا للحشا . وتألمنا لفقده تألما ذاع منا وفشا . اذ كان رحمه الله من أهل الخير الذين يعز علينا فقدهم • ومن اهل الدين الذين يرضى اللـه ويرضينا في كل حال صدورهم وورودهم • الى مـا يمت بـه ايضا بينكم لعلى هذا المقام من المحبة وقديم السبقية التي لموارثها الاخلاف من الاسلاف• وارتفع في عقائدها الصحيحة الخلاف . ولقد شاركناكم لأجل هذه الخصال• والمودات التي لا تزال لكم لدينا مرعية في كل حال • فيما الم بكم من رزء مصابه • وتجرعنا ما تجرعتم من مضضه وأوصابـه • والله تعالى يمنحكم الصبر على فقده ويواليكم على ذلك بجزيل الاجر والثواب • ويفضى به من غرف الجنان الى حسن المآب • ونحن نوصيكم ببذل الجهد ان شاء الله في اقتفاء آثاره والاقتداء في طاعة الله بجميل سيره • ويصلكم ظهيرنا الكريم بالاذن لكم فيما كان لنظره فصل نوازل تلك القبائل المنوطة بكم • المنسوبة اليكم • والله تعالى يصل توفيقكم ويسدد طريقكم • وفي صدر صفر الخير من عام : خمسة وألف •

الخامس عشر : أحمد بن محمد بن عبد الله بن على القتيل

وجدت في مقيد (اقسا) ما يلي : بعد صلاة الصبح من الثلاثاء ١٨ رمضان ١١٢٧ هـ قتل الظالم ابرهيم بن محمد بن عبـد الله بن منصـور

التامانارتي مرابطي (تامانارت) قبلة . والمتولون احمد بن محمد بن عبد الله بن علي . وابنه عبد الله . وسيدى محمد بن ابرهيم بن محمد . وسيدى ابرهيم بن عبد الواحد . وسيدى محمد بن ابرهيم . وأمام المسجد سيدى مسعود الشباني . ولهذه الفئة دوى الى الآن . وقد ذكرنا ما يقول عنها ءال القائل في تراجمهم في (الجزء العشرين) . وربما نلم بما يقوله ءال القتيل . فيما ياتي ان شاء الله .

السادس عشر : ابرهيم بن أحمد بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم الشيخ

فقيه متواضع صالح ناسك من العلماء العاملين . فقد كريمتيه في ءاخره . توفي بـ (تاجاجت) بعد ما أسن . فنقل الى تربة ءابائه في (تامانارت) اليوم الخامس عشر من جمادى الاولى سنة ١٠٦٧ هـ . هذا ما ذكر به في (الطبقات) و (الوفيات) ولم نر عن أحواله ولا عن أشياخه ولا عن ءاثاره شيئا .

(اقول) : أسجل هنا بهذه المناسبة أن (أيت بنوودي) بكريون نسبا . حدثني بذلك الشيخ سيدى ابرهيم بن صالح التازاروالتي فربما يكون هذا النسب البكرى هو السبب حتى يقع الاتصال بين الفريقين . قال الشيخ : انني نقلت لهم مشجر نسبهم البكرى .

السابع عشر : عبد الله بن ابرهيم التامانارتي

وقفت على وصفه بالفقيه التامانارتي وانه توفي يوم الجمعة ١٥ ـ ٦ ـ ١١٤٧ هـ . والغالب أنه من هذه الاسرة .

الثامن عشر : ابو بكر بن عبد الله التامانارتي

علامة كبير القدر . يفتي ويقضي من أواسط القرن الحادى عشر . وقد وجدت له توقيعا اخيرا سنة ١٠٩١ هـ . والغالب أنه من هذه الاسرة .

التاسع عشر : عبد الله بن على بن محمد ابن الشيخ محمد بن ابرهيم

هو حفيد محمد بن محمد العلامة المتقدم . فقيه صالح ناصح . تولى القضاء . توفي في أوائل المحرم سنة ١٠٧٤ هـ ذلك كل ما قاله في (الوفيات) فلم يزد عليه في (الطبقات) بل نقص الوصف بالقضاء . وأما احواله واشياخه فلم تذكر .

العشرون : محمد بن عبد الرحمان بن يحيا بن محمد بن يحيا ابن على بن محمد بن محمد بن ابرهيم الشيخ . جد بعض سكان (القصبة)

اليوم ءال عبد السلام . ذكر لى بعض احفاده انه عالم جيد . ولكنه لم يعرف له استاذا . كما لم اقف له انا ايضا على احوال ولا على ءاثار . ويتوفى بعد مضى النصف الاول من القرن الماضي وربما يكون ذلك بعد ١٢٦٠ هـ

الحادى والعشرون : محمد بن عبد الرحمن . أخوه

عالم حسن مذكور . الا انا لانعرف عنه شيئا الآن . وهو معاصر لأخيه .

الثاني والعشرون : المدنى بن عبد الله بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابن يحيا بن على بن محمد بن يحيا بن محمد ابن الشيخ محمد بن ابرهيم

أخذ القرءان في مسجد ءاله في (القصبة) عن سيدى محمد بن مبارك الطراهي . وعليه جود . ثم التحق بالمدرسة (الادوزية) عند الاستاذ سيدى محمد بن العربي الادوزى . فلما أخذ في سنوات ١٣٠٦ هـ رجع وقد توسع في معلوماته . وخطه يميل الى الجودة . رأيته على نسخة من مقدمة ابن خلدون . ثم أقبل على الخوض مع أهله في مجاذباتهم مع رؤساء (تامانارت) فكانت البندقية لاتفارق كفه مع فروسية يذكر بها وكرم ومروءة وشهامة وكأن ربما قرض شعرا . وقد وقفت على جواب لأبيات له لم أقف عليها . خاطب بها شيخنا الاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافراني . فاجابه بقوله . وكأنها من أولياته :

أهب وهنا نسيم بالربا عطر ... أم ذات خدر تراءت زانها الخور
أم روضة سجعت ورق الحمام على ... أغصانها اذ غدا يهمى بها المطر
أم فكر شهم أتى بما تغار على ... لألا ألفاظه الياقوت والدرر
لله كم من معان قد ظفرت بها ... في طيه اذ غدا بنشره النظر

وكان سيدى المدنى يتردد الى (الغ) مع ءاله . فقيل في وفد لهم مرة :

أهلا بأبناء شيخ السنة العلم ... بحور جود لذيذات لكل ظمى
أهلا بأنجم (تامانارت) من بهم ... يطيب تكرار مدحي فيهم بفمي
أتيتم فأتانا السعد نرمقه ... كالنار موقدة في قنة العلم
يهتز (الغ) بكم أنسا ومثلكم ... تهتز حتى جمادات بوصلهم
عليكم من سلامى كل ءاونة ... نفحة ود كزهر فاح مبتسم

في أبيات اخترت منها هذه . وقد توفي نحو ١٣٣٦ هـ وانتظر رسالة طريفة في (الجزء التاسع) ان شاء الله اجاب بها شيخنا أبو محمد هذا السيد عن منظوم له . وذلك نادرة من نوادر أستاذنا في الادب . كتبها اليه والى سيدى عبد الله بن الحسين التاينزرتي . وللمترجم في التهنئة بأحمد ابن البشير الناصرى قطعة ذكرت في (الجزء العاشر)

نشا معه نشاة واحدة . فكان ماخذهما فى كتاب الله الكريم وفى العلوم متحدا . وذكر لى انه دون اخيه فى المعلومات . خاض ايضا فى السياسة والرياسة . خصوصا فى السنوات الاخيرة قبل الاحتلال . وقد قرن نفسه مع قبائل الجنوب . حين كانت تجاذب القبائل التى انضوت الى ما تحت جناح الحكومة الحبال . فقد وقع نحو ١٣٥٠ ه أن قبائل الجنوب ضيقوا الخناق على قائد (أقا) الحسن بن ابرهيم بن بلعيد . فغرموه ءالافا من الريالات الحسنية . دخلت اليهم بواسطة سيدى محمد بن عبد الله هذا وأخيه عبد الرحمن . فحين وقع الاحتلال سجنا نحو عام . ثم أدياها من أموالهما فأصابهما ضعف مما لاقياه من تعب السجن . فمات سيدى عبد الرحمن أولا . وبقى سيدى محمد بن عبد الله مريضا حتى التحق بربه : ٢١ شوال ١٣٥٦ ه (وقد بينا هذه القضية بتفاصيلها فيما ياتى) وسيدى عبد الرحمن المتقدم كان رجل القصبيين وأحد وجهائهم . وقد كان تزوج خديجة بنت ابرهيم أخت شيخنا سيدى الطاهر . فحين توفيت . قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر يرثيها ويعزى والده فيها :

وقائع هـذا الدهر دائرة الباس ... عـلى الخلق زعديد وقسورة قـاس
فلا يحتمى ذو الملك فـى حدثانه ... باعـداد اجلاد وايقاظ حراس
فذو الباس والاقدام فى قبضة الردى ... كما ذو النهى والمال أو رب افلاس
قضى الله فى كل النفوس بأنها ... تدار عليها للردى مرة الكـأس
لقد جل هـذا الرزء واشتد وقعه ... ولكـن صبرا أيها الجبل الراسى
فمثلك من يعشى الى ضـوء نـاره ... اذا اسود ليل الحادثات على الناس
ومثلك من يلجـأ الى حصن حلمه ... اذا دهمت سود النوائب بالبـاس
وقد علم الرحمان أن مصابها ... شوى وكـوى منا القلوب بمقباس
ولكن فى التفويض والصبر للقضا ... لذى اللب مايسلى عن الحادث القاسى
فعوضت من فقد الشقيقة خير ما ... ثواب وأجر لا يحـد بمقياس
فدم سيدى واسلم لنا نجتن المنى ... بقربك يا من قربه روض أغراس
ولا زلت فى حفظ المهيمن ءامنـا ... نوائب هذا الدهر يا خير نبراس
ولابرحت سحب الرضا تنهمى على ... ثرى جدث قد ضمها بين أرماس
بجاه رسول الله سيدنا محمـ ... ـد خير هذا الخلق من كل أجناس
عليه صلاة الله يعبق نفحها ... وأصحابه وءاله أسد أخيـاس
عليك سلام الله مولاى ما سرى ... نسيم الصبا فى الروض عن طيب أنفاس

فاجابه الشيخ والده رحمهما الله :

بنىّ أتتنى منك نفحة انفاس ... كما سافحت ريح الصبا روضة الاس
خريدة فكر حسنها يزدهى النهى ... ويفعل بالالباب فعل ابنة الكـاس
مدامية الالفاظ مسكية الشذى ... غزاليـة تختال فى ثوب قرطاس
أتتنى وقد عز العزاء فلاطفت ... الى أن شفت من وقده الحادث القاسى
وجلت عن القلب المرزّىِ ما دهى ... وما خلته يجلى بطب ولا آس
فقد طالما عنى الزمان وما عنى ... وكم مان اذ منى ببارق ايناس
فوالله لولا اللطف والصبر والرضا ... بامر القضا أصبحت ما بين أرماس
ولكننى بالله فى كل حالة ... فان الرجا فى الله مطردة الياس
واشكـر نعمـاه وألطافه فـلا ... تقايس نعمـاه تعـالى بمقياس
واسأله جلت عطايـاه عصمـة ... وعفوا وتاييدا على كل وسواس
وانى استهـدى بنَىّ لك الرضا ... من الله والحفظ المجير من الباس
واشهده أنى رضيت فكن على ... سبيل هدى يهديك فى ظلمة الغاس
وكن واثقا بالله وارض له فـلا ... تكونن للأمر الالهى بالنـاسى
ودن بالتقى واحذر بنى الدهر انهم ... ذئاب بأثواب (فما الناس بالناس)
عليك سلام الله ما حملت صبا ... رسائل أحباب عـلى العين والراس

وسيدى محمد بن عبد الله وشيخنا سيدى الطاهر سبطا الفقيه سيدى محمد ابن عبد الله الاساكى الايفرانى . ولذلك ورثا من العلم ما ورثا عنه .

الرابع والعشرون : الفقيه محمد بن عبد الله

أخو من قبله . أخذ فى ماخذ اخيه . مات قبل ١٣٢٦ ه . ولـه معلومات لا بأس بها . وان كان أدون من علماء اهله .

الخامس والعشرون : ابرهيم بن محمد بن عبد الله ابن المتقدم

ولد سنة ١٣١٨ ه وجود كتاب الله الكريم على سيدى الحسين بن همو التيمولائى من (تيمولاى أوفلا) بـ (ايفران) . وقد ابطا فى مسجد المرابطين بـ (القصبة) نحو ٢٥ سنة . من سنة ١٣٢٩ ه الى ان مات عزيا سنة ١٣٥٥ ه فهو وحده أستاذ سيدى ابرهيم . ثم اتصـل بالمدرسة (التانكرتية) أعوام ١٣٣٤ ه وانـا اذ ذاك هنالك . فتتبـع الدراسة على العادة الى أن استوفى نحو تسع سنوات . فمر على الفنون . وتوسط فى مداركه . كما أخبرت به . لأن عهدى به سنة ١٣٣٦ ه فى مبادئه . وذكر لى ان له جولة فى الادبيات . ينثر ويشعر . ولم يتيسر لى الآن من ءاثاره شيء . ثم انه بعد ان رجع الى اهله صار امره يعلو حتى كان اليوم ١٣٥٨ ه

عالم (القصبة) . وهو بعد الاحتلال من الرسميين هنالك في مركز (ايمي أوكادير) يحرر الرسوم العربية في ناحيته . هذا ما اعرفه عنه الآن . ولا يزال حيا ١٣٨٠ هـ وله بعد الاستقلال شان في الوطنية . يتزعمها في تلك الناحية وأخبرت أنه يحب المطالعة . ويدرك بفطنته الخبايا . وله مشاركة خارج الفقه والعربية . وهو عالي الهمة .

ولهذه الاسرة أعمام فيهم رياستهم منهم السيد عبد السلام بن محمد ابن عبد الرحمن الذى هو سبط ءال محمد بن سعيد من ءالنا . وقد ولدته احدى بنات محمد بن سعيد . وكان رجلا عظيم القدر . مقداما غير هياب ولا وكل . ولد بين القنا والصوارم . فنشأ بطلا مغوارا . ولد نحو ١٢٥٠ هـ فعقل يوم جلا أهله عن (تامانارت) الى (القصبة) في الواقعة المشهورة في العقد السادس من ذلك القرن ثم لما أدرك كان له في مناواة الرؤساء التامانارتيين مواقف . الى أن شاخ فخلفه ولده الطاهر بن عبد السلام . الذى ولدته عائشة الوكشريرية خالة الشيخ الالغي . ثم اشتغل سيدى عبد السلام بخويصة نفسه . وأذكاره الى أن توفي نحو ١٣٢٣ هـ فاستقبل ولده الطاهر برياسة أهله مصاعب وحروبا الى أن توفي نحو ١٣٣٤ هـ .

وقد ترك أولادا منهم سيدى الهاشم الذى سترى ترجمته قريبا بعد أن نذكر العلماء من أسرته لأنه أمي لاعلم معه ولا قرءان .

الخامس والعشرون : سيدى الهاشم بن محمد التيسلاني

من أسرة من هؤلاء التامانارتيين . يقطنون في قرية (تيسلان) ازاء (تاغجيجت) لزم المدرسة (التانكرتية) ما شاء الله . وقد التحق بها نحو ١٣٣٣ هـ فغادرته هناك سنة ١٣٣٦ هـ . وقد شدا مع فتور فيه . ثم أخبرت ان ءاثارا حسنة ظهرت منه في الادبيات . مع أنه جامد القريحة . لايعد في الرعيل الاول . وقد كنت خاطبته اذ ذاك بقولي في قطعة — وهي من أولياتي — :

اذا شئت أن تحظى بغر المكارم ... وان تبصر المحظوظ بين الاكارم
فزم الرحال واحدونها لحضرة ... ترى أفقها الوضاء طلعة هاشم

وعهدى بالاديب الكبير مولاى عبد الرحمن الاحبالي يخاطبه بقوله :

سلام كما فاحت زهور الكمائم ... على حبنا الصافي المودة هاشم
وبعد فقصد العبد من محض جودكم ... دعاء به يحظى بشوس المكارم

ذيلهما بعض طلبة المدرسة بقوله مداعبا :

دعاء بهذا العبد اي دعوة الى ... مشاهدة المالوف عند الاكارم
فابصر جودا حاتميا بميدة ... تميس بالوان كزهر الكمائم (١)
فاصدر والامعاء تشكر واللهى ... تئث مديحا كان ضربة لازم

والمقصود تسجيل ما يتخاطب به الطلبة اذ ذاك بينهم للتاريخ لا للأدب .

ولم يكن المترجم يجتهد . فقال له سيدى الطاهر يوما : اننا لمحتاجون الى علماء لا الى المرابطين .

ثم انه بعد أن غادر المدرسة أقبل على الرياسة . والقى اليراعة والمحبرة وحالف مناغاة البندقية . حتى سقط قتيلا بيد أحد الفتاك . اغتاله في طريق نحو ١٣٤٠ هـ أو بعد ذلك بقليل . ثم قيض الله من أخذ بثاره من ذلك الفاتك فدانه بما دان به . فسقط أيضا غيلة في بعض المفاوز . فانال القائد المدني ءاخذ الثار جائزة كبرى .

السادس والعشرون : الحسن بن ابرهيم ابن الشيخ مَحمد بن ابرهيم

يذكر كاهله بالعلم . وان كان دون اخويه أحمد ومحمد المتقدمين . توفي أوائل القرن الحادى عشر .

السابع والعشرون : مَحمد بن الحسن . ابنه

يذكر أيضا بالعلم . لا نعلم عنه غير ذلك .

الثامن والعشرون : يحيا بن مَحمد بن الحسن ابن من قبله

يذكر أيضا بالعلم . ويقال انه يصاحب الصحراويين بخيمته . فرارا بدينه من الفتن . وسمعت أنه أخذ من الحواضر . توفي ١١٨٩ هـ .

التاسع والعشرون : أحمد بن يحيا . ابنه

علامة تخرج من (فاس) وتزوج من هناك . فيذهب بزوجته كل سنة الى أهلها . توفي نحو ١٢٠٠ هـ . وله صحبة بالحضيكي .

الثلاثون : ابرهيم بن أحمد . ابنه

فقيه صالح مرجو الدعوات يتبرك به الناس وتحسن فيه القبائل

١) الميدة لغة في المائدة .

لقولها . فتهب له من املاكها . ولا تزال لاولاده هبات من اجله يعطيها لهم الناس . توفى نحو ١٢٥٠ هـ .

الواحد والثلاثون : ابرهيم بن محمد بن ابرهيم الشاب المغتبط

هو ابن اخي العلامة سيدى محمد بن ابرهيم والد سيدى الطاهر . كان لدة شيخنا سيدى الطاهر . وقرينه فى الدراسة فى (الغ) وبعد ما حصل توفى وشيكا نحو ١٣٠٦ هـ رحمه الله .

الثاني والثلاثون : سيدى محمد بن ابرهيم الاستاذ

من مشاهير العلماء المدرسين فى القرن الماضي . ومن المفتين الكبار . لاحظته السعادة . فتفوق بين أقرانه . وواتاه البخت . فجمع الى العلم العمل فبعد أن حصل ما حصل من أساتذة عظام وفق اليهم . وبعدما تهيأ له أن جرى فى التدريس أطلاقا . ونال بواسطته من الشهرة الطائرة ما لايزال طنينه الى الآن . رأى أن يتوج معارفه بالاخلاص . فاعتنق التصوف فكان فى ميدانه من المجلين .

اشياخه

كنت أعرف أنه اخذ كثيرا من معلوماته عن الاساتذة : سيدى الحاج عبد الله والحاج أحمد الجيشتيمى . وعن الحسن بن الطيفور . وانه لازم مدرسة الجيشتيميين حتى تفوق . وقد رأيت عند أهله اجازة ابن الطيفور وكان يعتمد عليه كثيرا . ثم استتم بعد ذلك معلوماته بـ (فاس) مع سيدى عبد الرحمن السالمي . ومع سيدى الحاج الحسين الايفراني . وكانوا فى معاشرة تامة هناك . فهذه هي الامكنة التى طرقها ايام التعلم . وهؤلاء هم الذين ثافنهم حتى نال ما نال.

مشارطاته

لاادرى هل كان شارط فى محل اخر قبل أن يلتحق بمدرسة (تانكرت) بـ (ايفران) أو لم يشارط فى غير هذه المدرسة . وقد التحق بهذه نحو ١٢٨٠ هـ او قبل ذلك . وقد ألقى مراسيه هنالك وسكن . واقترن بكريمة الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الاساكى . فكان له هذا الفقيه والشيخ سيدى المدنى الناصرى معينين له . فيما هو بصدده . فاقبل بالجد والاجتهاد

على التدريس حتى زاحمت مدرسة (تانكرت) بسببه المدارس العامرة اذ ذاك . وهو مع ذلك يواخذ الطلبة بعزم وحزم . تسبب عنهما أن انفتل من بين يديه طلبة كثيرون تلقوا رايات المعارف بالايمان فنبغوا . وكان يكب على التدريس فى أيام الدراسة . ولا يتفرغ للمستفتين الا فى أيام العطل او فى الطريق من داره الى المدرسة . وقد بنت قبيلة (تانكرت) له الدار سنة ١٢٨٨ هـ. ومن كبار الآخذين عنه ثلاثة من الالفيين. كان أعلاهم سيدى محمد بن عبد الله الذى لم يعده الى غيره . وقد نوى حينا أن يذهب من عنده الى الجيشتيميين . فمنعه أستاذه . ثم رأى سيدى محمد أنه جر ساقية من (ايفران) الى (الغ) فلما أصبح قال له أستاذه أرأيت بركة الاتباع .

حجته

كان له اتصال بأهل (الغ) بسبب أن التحق بمدرسته منهم الافراد المذكورون . فبذلك ائتمر مع الرجل الصالح الحاج عبد الله بن صالح أن يحجا معا . فسافرا سنة ١٢٩٢ هـ فحين أديا الفريضة مرا فى رجوعهما بـ (مصر) . فكان للاستاذ هناك وصايات من علماء وقفنا مصادفة على اثنتين منهما فى طريقة الدرقاوية . تحضان عليها وتذكران ما لها .

أولاهما : من الشيخ عبد الرحمن عليش . مفتتحها :

(الحمد لله الذى وفق من أسعده باقامة الاوراد . وغمر قلبه بالانوار والمشرب المعتاد . وجعله من الاتقياء الزهاد . ومن عليه بكثرة التلقى مع السادة الاجواد . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي الى الله بالهدى والسداد . حتى تورمت قدماه من شدة الاستعداد . وصام فى الحر الهجير حتى طوى الاحشاء والاكباد . ولم يلتفت الى الدنيا طرفة عين منذ خلق . لانها سجن ذوى الرشاد . صلى الله عليه وعلى ءاله وأصحابه السادة الامجاد. صلاة وسلاما مؤبدين عدد ما فى علم الله على الاباد . وعلى كل من جذبهم الله لمشربهم ووفى العهود المشترطة فى الجهاد . الى يوم شهودهم حبهم فى دار الكرامة والاسعاد . اللهم اجعلنا ممن انتمى اليهم والشوق متصل فى الافراد . بحق هؤلاء الذين سقيتهم من خمرة الشهود بتلطف وفضل مزداد

(أما بعد) : فيقول المستشفع بجده اكرم الشفعاء . سيد قريش عبد الرحمن بن محمد بن أحمد عليش : اعلموا أيها الاخوان السادة أهل الدرقاوية الشاذلية . وفقنا الله جميعا لما فيه رضاه . ومنحنا النعم السامية الوفية الجليلة ان الله سبحانه وتعلى . قد من وتفضل علينا بالاجتماع بحضرة الفاضل الكامل المرشد الابر العالم الفقيه . سيدى الحاج محمد بن ابرهيم

التاماناوتي السوسي مقدم السادة الدرقاوية . بالاقطار السوسية . فيا له من مرشد مـا اكمله . ومن محب مـا اجمله . والامل في مكارمكم العليـة وشيمكم : ان تدوموا عـلى الجد والاجتهاد . كما شاع ذلك عنكم في سائر البلاد . واعلموا أن مـولانا الملك المنعم المنـان . أمرنا بالتعـاون على البر والتقوى . ونهانا عن التعاون عن الاثم والعدوان . وأمرنا أيضـا بالوفـاء بالعهود . ووعدنـا بالجزاء الوافر يـوم الشهود . وأخبرنا بـأن الناكث لاينكث الا على نفسه . وأنه لابد وان يكون هو الواسطة في طرده وعكسه . واعلموا أن الصلاة علىالنبى الاكرم . والرسول المعظم . من أشرف القربات وافضل الاعمال الصالحات . وارجى في قبول الحسنات . من مولانا رفيـع الدرجات . فلذا امرنا بها .

الى ءاخرها . وفيها بعض طول . ثم أرخت بيوم السبت الثاني عشر من المحرم سنة ١٢٩٣ هـ .

وثانيهما أيضا في هذا النفس . وفيها أيضا طول . ثم أرخت بـ ٢١ المحرم في السنة المقدمة . وهي من محمد بن يوسف المرزوقي الحسني . ويجد القارىء ذلك موفى في كتاب (جوف الفرا) وقـد وقفنا عليهمـا بين كتب سيدي الحسن التياسينتي الالغي .

شيخه في التصوف

كان الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري الامي قد أشرقت طريقته الدرقاوية في الربع الاخير من القرن الماضي . فأوى الى نورها علماء كبار في ذلك العصر من بينهم صاحب الترجمة . فانه تلمذ له فصار من اتباعه . وكان ذلك الشيخ ينتاب (تاتكرت) بسياحاته . ثم بتلميذه هذا انضوى اليه علماء كسيدي الطيب الاعضياوي . والشيخ الالغي . وسيدي الحاج صالح الاكماري وءاخرين . والناس في كل عصر اتباع العلماء . فمن آواهم اليه من الصوفية . فقد آوى الى طريقته ما يرفعها في أعـين النـاس الى عنان السماء .

وقد كان المترجم من مقدمي هذه الطريقة . ومن الذين يدعون اليها وكانت اذ ذاك الطريقة الدرقاوية كما حدثت في (سوس) . فكانت بأحوالها المعلومة غريبة في الانظار . بعدما ألف الناس من الطريقـة الناصريـة . مظاهر أخرى ربما تخالف هذه الطريقة الجديدة . ولذلك أحتاج سيـدي محمد بن ابرهيم أن يستصدر من علماء الشرق تأييـدا لهـذه الطريقة . اشادة بذكرها . وحثا لمن تلقنها على أن يلازمها . وذلك هو مضمن ما كتبه

عبد الرحمن ابن الشيخ عليش الشهير برياسة المالكية في (مصر) وما كتبه محمد بن يوسف المرزوقي .

فباعتناق سيدي محمد بن ابرهيم للطريقة الدرقاوية . وبتلمذتـه لشيخها الامي وهو ذلك العالم الكبير . ندرك ما له من التواضع والمسكنة والرغبة في الاخلاص وتهذيب النفس . وانتصار لطريقة التصوف عـلى طريقة الفقهاء . فعهدنا بمن يحج من فقهائنا أن يعتني بالاجازات فيالعلوم اذا به يعتني بما رأيت . على أنه ربما استجاز أيضا كما يستجيز العلماء من يلقونه من أكابر العلماء . ولكن لم يتصل بنا ذلك . وقد كان شيخنا سيدي الطاهر ذكر لي أن تحت يده اجازات لأسلافه . وربما كان من بينها اجازات علماء ذلك الحين لوالده هذا الذي نحن في خبره .

ومما حدثني به سيدي الطاهر أنه كان يوما راكبا وراء أبيه على بغلته فأضر به العطش . فقال لرفيق له : اذهب بالولد ليشرب من عـين هناك . قال : فشربت منها . ثم لم نقع على العين بعد ذلك . فكان يراها كرامة له .

تـلاميـذه

أكب الاستاذ على التدريس في المدرسة (التانكرتية) أزيـد من ١٥ سنة أو أكثر فتخرج به أناس مذكورون في العلوم . وعلى راس قائمتهم استاذ (الغ) ومؤسس مجده العلمي سيدي محمد بن عبد الله . وهـاك أسماء من نمى الى أنهم مروا بين يديه :

١ ـ سيدي محمد بن عبد الله الالغي
٢ ـ الشيخ الالغي
٣ ـ سيدي الحسن التياسينتي الالغي
٤ ـ سيدي الطيب الاعضياوي السملالي
٥ ـ سيدي سعيد بن علي الاعضياوي السملالي
٦ ـ سيدي محمود التيزنيتي
٧ ـ سيدي الحاج محمد البوزاكارني
٨ ـ سيدي الحاج صالح الاكماري
٩ ـ سيدي محمد بن علي الكوسالي السملالي
١٠ ـ سيدي محمد بن عبد المافاماني السملالي

١١ ـ سيدى محمد بن أحمد التيمولاى
١٢ ـ سيدى عمر بن الشريف التازاروالتى واخوته
١٣ ـ سيدى بلخير بن ابرهيم بن الحسين التانكرتى
١٤ ـ سيدى على بيجكلين الكرسيفى الامسراوى
١٥ ـ سيدى محمد أوالطاراهى الادايبى النساخ

هؤلاء من تيسرت معرفتهم ممن أخذوا عنه وغالبهم مشهورون .

ثم ان الاستاذ لم يعقب من الذكور الا شيخنا سيدى الطاهر وحده فصدق فيه ما قال القائل :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

الثالث والثلاثون : سيدى الهاشم بن الطاهر القصبى

هو الهاشم بن الطاهر بن عبد السلام بن مَحمد بن عبد الرحمن بن يحيا بن مَحمد بن يحيا بن على بن مَحمد ابن الشيخ . هذا اليوم من الرجال البارزين من بين أهله. فى الرياسة ارثا عن والده وعن جده ـ كما تقدم ـ وقد كان رئيسا على قرى فى عداد التامانارتيين فى عهد الاحتلال . كما كان من رجال النقض والابرام قبل ذلك . ثم لما جاء الاستقلال وقد أزيل من الرياسة كأمثاله . بقى فى يده المجد الحقيقى الذى اكتسبه من الكرم ومما ورثه عن آبائه الاماجد . وقد كانت داره مثوى الواردين والصادرين . عشرات فعشرات ثم لما زال عنه الفىء صار يتململ . فيميل الى أملاكه . فمنها وحدها يستمد ولو بالتفويت لها . على قلة ذلك . وقد كان على أمينه فهما لقنا . جالسته فى هذه الايام بعد أن كتبت ما تقدم فأملى علىّ سلسلة نسبهم الى أبى بكر . ثم صار يفرع لى فروع الاسرة من الاعلى . قال : ان عبد الجبار الجد الاعلى دفن فى (تاجكالت) بـ (أمانوز) لا التى فى (تاهالا) وعليه بيت يزار . وولده محمد دفن امام هذا البيت . ويقال انه قتل يوم جلا الناس عن (تامدولت) فدهموا (أمانوز) فعارضهم الاهالى دفاعا . فكان محمد ممن قتلوا . وسليمان ابن محمد بن عبد الجبار مدفون فى داخل مسجد (ايمى أوكادير) بـ (أمانوز) عن يسار الداخل الى المسجد . وعليه بيت . وله ولدان : أحمد جد آل الحاج سليمان سكان (ايمى أوكادير) ومحمد جد الآخرين . وطلحة بن محمد بن سليمان ؛ يقول الوخشاشيون الاقاويون انه جدهم . وهم أبناء عمومة آل عمرو . وابرهيم بن عمرو بن طلحة عليه قبة فى قنة (النحيت) وتسمى (أفا) وزوجته التى هى أم الشيخ مدفونة فى (ايمى أوكادير) وقبرها معروف . ولابرهيم بن عمرو ولدان عبد الرحمن جد آل عبد الرحمن فى

(ايمى أوكادير) وهم اليوم عدة ديار ـ ومَحمد الشيخ الجليل . الذى له ثلاثة أولاد ؛ مَحمد وهو الكبير وعبد العزيز وابرهيم . فأما عبد العزيز فلا يذكر بعلم . وعقبه لايكون فيه الى الآن الا واحد بعد واحد . ويعيش الآن ١٣٨١ هـ محمد بن أحمد بن على بن أحمد من المتأخرين . وله الآن ثلاثة أولاد . ولم يمر فى عقبه علم . وأما ابرهيم ابن الشيخ فانه توفى قبل والده ؛ وله ثلاثة أولاد : الفقيه مَحمد . والفقيه أحمد . والحسن . ويقال انه فقيه أيضا الا أنه أقل من أخويه . والفقيه الذى فتك به القواد التامانارتيون ظلما فكان مبدأ الخلاف بين الاسرتين هو من أعقاب مَحمد ابن ابرهيم ابن الشيخ . ومن عقبه سكان قصبة (ايغالن) من (تانكرت) وبعض سكان (القصبة) من (تامانارت) ومن أعقاب أحمد بن ابرهيم ابن الشيخ بعض الساكنين فى (أداى) وبعض الساكنين فى (القصبة) ومن أعقاب الحسن بن ابرهيم ابن الشيخ آل سيدى الطاهر فى (تانكرت) وسكان (ايكيواز) وبعض سكان (القصبة) وبعض آل (أداى) ومن عقب مَحمد ابن الشيخ ولده على وحده . وله هو ولدان : يحيا وعبد الله . وليحيا مَحمد . ثم يحيا بن مَحمد . ثم عبد الرحمن بن يحيا . ثم مَحمد ومحمد ابنا عبد الرحمن . فولد مَحمد من فاطمة بنت الفقيه ابرهيم بن سليمان الالغى عبد السلام. ثم لعبد السلام مع عائشة بنت عدى الوكشريرية الطاهر والد الحاكى وأخيه محمد . وقد تزوجا معا أيضا بالغيتين . الحاكى بنت الاستاذ عبد الله بن محمد بن عبد الله الصالحى . ومحمد بنت الاديب محمد بن على بن عبد الله الصالحى . وأما محمد بن عبد الرحمن فله ابرهيم ثم عبد الله بن ابرهيم . ثم عبد الرحمن بن عبد الله وأخاه المدنى ومحمد الفقيهان ـ وقد تقدما ـ ثم الفقيه الحى ابرهيم بن محمد . ولعبد الرحمن ابن عبد الله على الفقيه . وهو أيضا حى . وله باع لا بأس به فى المعلومات وأما عبد الله بن على بن مَحمد ابن الشيخ فهو جد آل (تيسلان) ومنهم مَحمد بن ابرهيم بن محمد بن يحيا بن ابرهيم التيسلانى . وهو والد الهاشم المترجم آنفا . وله يد فى المعلومات يذكر بها .

هذا ما قاله لنا سيدى الهاشم عن فروع أهله . ولعله استوفاهم اجمالا فى البعض وتفصيلا فى البعض .

ثم سألته عن قضية الفقيه المقتول أولا بيد قواد (تامانارت) فقال : انه كان قاضيا رسميا فاحتالوا عليه حتى قتلوه . ومن هناك نشأ الخلاف

والحروب بين الفريقين . فهم الذين ابتدأوا بالعدوان . ثم ضاق الوقت عن
كتب تفاصيل حكاها هذا لبها . وقد ذكر في (الجزء العشرين) ما يقوله
ءال القائد دفاعا عن انفسهم . فالله يغفر للجميع . ومتى تمكنت من
التفاصيل فسالحقها بمكانها في كتاب (من افواه الرجال) .

ثم سالته عما وقع في قضية الدراهم التي غرموها لأهل (اقا)
فقال :

(كان القائد ابرهيم ابن القائد بلعيد اتصل بالفرنسيين في (أنزال)
فاستسلم لهم . ثم صاروا يتقدمون الى (أقا) خطوة خطوة . بمقدار ما
تهيؤ الطريق بين (أنزال) و (أقا) فكان هذا الاتصال هو سبب الفتك
بالقائد ابرهيم على أيدى البرابر الذين جلوا عن (تافيلالت) مع النكادى
ـ وهم (أيت حمو) ـ نحو خمسمائة خيمة مع أولادهم ونعمهم و(أيت خباش)
نحو مائتي خيمة . وأما النكادى فليس معه الا نيف وثلاثون نفسا . وقد
نزل النكادى أولا في (المعدر) ازاء (تامانارت) ووجد الناس يحصدون . ثم
الى (وارداست) نحو ثلاث ليال . ثم الى (تاحموت) ثمانية أيام . ثم الى
(معدر اداوسلام) نحو شهرين . ثم الى (تيغزدارين) بين قريتي (القصبة)
و (اكرض) نحو أربعين يوما . ثم الى (أكرض) ازاء مشهد الشيخ سيدى
محمد بن ابرهيم نحو شهر . وقد انقبض عنه القائد البشير بعدما كان
يتصل به قبل . لما يتخوفه منه من الغدر . ثم تتبع القرى الى أن وصل
(وادى نون) ثم رجع الى (أداى) حيث اتخذ دارا عارية ـ هذه تنقلات
النكادى ـ ثم ان الفرنسيين نزلوا في (اقا) بعد موت القائد ابرهيم .
وتولى ولده القائد الحسن . ثم وقع خلاف بينه وبين الرئيس الشيخ محمد
الزنكفي الوابلي بعد ما نزل الفرنسيون هناك . وسبب الخلاف شيء بسيط
وذلك ان القائد الحسن أرسل اليه ليرسل خشبا من جذوع النخل . فاعتذر
له بانه لا بهائم عنده لحمل الخشب . فالزمه القائد بذلك . فثارت ثائرة
الشيخ محمد لذلك . فثارت حرب بينهما . وقد كانت لآل بلعيد دار كبرى
في (أيت وابلي) عامرة فاستولى عليها الثائرون . فاستغاث الشيخ محمد
بالقائد المدني وبالمرابطين في (القصبة) و بـ (أيت مربيض) الساحليين .
فكان ممن اغاثه النكادى و (أيت حمو) و (أيت خباش) على نية الجهاد
فكانت المئونة من تلك الدار طوال عهد الحرب . وكانت الطيارات تضرب
(أيت وابلي) في كل اسبوع . وكان سيدى عبد الرحمن ومن معه من

المرابطين ءال الشيخ هناك . كفرسان من الاخصاصيين . مع مئونة يرسلها
القائد المدني . فكانت (القصبة) مثوى ءال الشيخ ممرا للصادر والوارد .
ثم بعد مناوشات وقعت الهدنة على يد الحنفي خليفة القائد المدني . وعلى
يد الحسين بن بلعيد اخى القائد . ثم غدر القائد الحسن . فبعث من يحتل
(أيت وابلي) فاذا بالشيخ محمد ومن معه دافعوا . فعادت الحرب جذعة
وعادت الطيارات فبقى ذلك نحو شهر . ثم امر الفرنسيون ان تقع الهدنة
فطلب الشيخ محمد ومن معه أن يتوصلوا بالمال الذى يعطيه من غدروا
على العادة . فقال الفرنسيون للقائد : اعطوا ما طلب منكم فان ذلك سيرجع
اليكم عن قريب . فاعطى اربعة ءالاف ريال حسني وخمسمائة . وعند
تقديمها سأل الحاضرون لمن يدفع هذا المال في يده . فقال المرابطون ابناء
الشيخ : اعطوها لنا . فدفعت ليد سيدى محمد بن عبد الله الفقيه . وفي
اثناء هذه الحرب احتل (ايت خباش) (ايشت) وذلك في سنة ١٣٥١ هـ
وقد كانت هذه الهدنة الاخيرة قبل رمضان ١٣٥٢ هـ . في الوقت الذى
تتهيؤ فيه الحكومة لاحتلال تلك الناحية وقد رجع النكادى الى محله بـ (أداى)
منذ الهدنة الاولى . فلم يزل هناك حتى اجفل أمام الجيش الزاحف الى
الاحتلال النهائي . وقد خرج هذا الجيش الاقاوى من (أقا) قاصدا (أيت
وابلي) فارتحل الشيخ محمد ومن معه الى الجبل فمر بـ (الغ) الى (سملالة)
حيث استسلم . فذهب به الى (تيزنيت) ثم الى (تارودانت) نحو عام .
ثم الى (أقا) حيث بقى غير كثير . فسرح الى داره . وأما الجيش الزاحف
فقد نزل في (أيت وابلي) ثم الى (ايشت) ثم الى (تامانارت) في يوم الاحد
١٦ من ذى القعدة ١٣٥٢ هـ وهناك استسلم من هناك . ثم الى (تاغجيجت)
ثم الى (وادى نون) وقد احتل جيش ءاخر جاء من (أزاغار) (بوزاكارن)
ثم استدعى الحاج أحمد أضارضور الفقيه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى
عبد الرحمن بن عبد الله . فلاقاهما بأحد الرؤساء الفرنسيين . ثم نفيا
معا الى (تارودانت) عاما ونصفا . ثم الى (أكلميم) نصف عام . ثم سرحا .
بعدما أديا ذلك المال . وان كان موزعا بين كثيرين فكان للشيخ محمد
الفان . وللمدني الاخصاصي ألف . والباقى بين الحاضرين من (ءال مربيض)
وقد رهنا فيه أملاكهما من البساتين . ثم بقيا حينا ما شاء الله)

الرابع والثلاثون : على بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابرهيم بن محمد

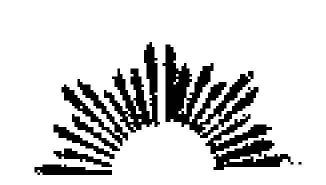
ابن عبد الرحمن بن يحيا بن محمد بن يحيا بن على بن محمد ابن الشيخ

رايت انه موصوف بالمعارف . ولكننا لانعرف اليه مقدار غوره . ولا ترجمتـــه .

الخامس والثلاثون : محمد بن ابرهيم بن محمد بن يحيا بن ابرهيم التيسلاني :

رايت ايضا كيف وصف بالعلم . وقد عاش الى نحو ١٣٢٥ هـ كما يظن . ولا ندرى عمن اخذ .

هؤلاء من مروا فى هذه الاسرة المباركة قبل شيخنا سيـدى الطاهر وأبنائه الآتين فى الترجمة بعد هذه . وسنترقمهم بعد عند ذكرنا لهم .



العلامة الاديب

الطاهر بن محمد الايفرانى

١٥ ـ ٢ ـ ١٢٨٤ هـ = الاحد مختتم رمضان ١٣٧٤ هـ

نسبـــه :

الطاهر بن محمد بن ابرهيم بن أحمد بن يحيا بن محمد بن ابرهيم ابن الحسن بن ابرهيم ابن الشيخ محمد بن ابرهيم التامانارتي الشهير .

كان القارئ يألف من يراعى فى مفتتح بعض تراجم عظماء الاساتذة أن يطير به كل مطار . وان يستن به فى ميدان الخطابـة استنان الجياد . ولكنني ازاء هذا الاستاذ العظيم الذى بلغ اليوم ما بلغ من الرفعة والشفوف على الاقران علما وعملا وأدبا وعظمة فى العيون . لايمكن لى الا ان اكفكف من يراعى . لعلمى بأنه وان كان منى ما كان من الاسهاب لايقع الا دون المدى . ثم هو مع ذلك غنى عن مثل ذلـك غنى الشمس عـن استحسان المستحسنين .

وما الحلى الا زينة لنقيصـة ... يتمم من حسن اذا الحسن قصرا

وأما اذا كان الجمال موفرا ... كحسنك لم يحتج الى ان يزورا

بـدايتـه

تلقى القرءان فى بلدته . وكان غالب تلقينه اياه فى حياة والـده . وقد أخذ عن الشريفين أحمد والحسن ابنى محمد بن ابرهيم التازاروالتي . وقد توفى والده وهو ابن نحو عشر سنين . فغادره يتيما . فقام بالوصاية عليه الحاج الحسن التاباحنيفتي الدرقاوى . وامه بنت العلامة سيدى محمد ابن عبد الله الاساكي . وهو من تلك الاسرة العلميـة الكبرى . فكـان الشاعر مترجمنا معما مخـولا . صادق المقدمتين . فـلا غرو ان كـانت النتيجة كذلك .

ان المقـدمتين مهما كانتـا ... صدقـا فمثلهما النتيجة تخرج

التحاقه بـ (إلغ)

اخبرني العم ابرهيم أن الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالغي كان أسس المدرسة (الالغية) في أواسط ١٢٩٧ هـ وفي أثناء رمضان من السنة وقع الانتقال اليها من المدرسة (البومروانية) التي كان فيها الاستاذ قبل ذلك مشارطا . قال : ثم في شوال من السنة نفسها جاء الفقيه سيدي الحاج صالح الاكماري بسيدي الطاهر وهو تلميذ يناهز الاحتلام . ليفتتح دراسة العلم . وكان سيدي الحاج صالح من تلامذة سيدي محمد بن ابرهيم والد سيدي الطاهر . ولذلك حرص على ابن أستاذه أن لايشغر من المعارف ويخاف أن يبقى مهملا ليتمه . فألحقه بالاستاذ الالغي الذي كان أيضا منه بهذه المنزلة . فهكذا اعتني بالشاعر الايفراني من أول يوم ببركة ما كان والده يبثه في الصدور . ومن زرع الورد لايجنى الا الزهر .

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه ... لايذهب العرف بين الله والناس

وقد حكى المترجم أن الوصي عليه المذكور كان يتفقد الكتب يوما وهو امي فقال له : ان لم تقرأ فان هذه الكتب تضيع ـ في حكاية ـ

نبوغه بسرعة

كان شيخنا المترجم ممن أعطى من صغره حصافة . وسرعة ادراك وسلامة ذوق . والحرص الملح على ادراك العلم . عرفت منه هذه المزايا في فجر نبوغه في المدرسة (الالغية) فقد التحق بها في أواخر ١٢٩٧ هـ ـ كما رأيت ـ ثم لم تطلع سنة ١٣٠٣ هـ حتى كان له تفوق على أقرانه حتى على قدماء المدرسة كسيدي العربي الساموكني . وقد أعانه على سرعة بلوغه هذا المدى البعيد شيئان : أحدهما أنه لم يعهد منه اذ ذاك ما كان يعهد من كثير من أبناء المدارس الجزولية من اسفاف في الاخلاق . وثانيهما اهتمام أستاذه أبي عبد الله به . ولا أدل على ذلك من تلك الرسالة الفذة التي كتبها اليه ـ وقد مرت في ترجمة الاستاذ في (الجزء الاول) ـ ولامرية ان من كان في مثل تلك الحصافة . والعزوف عن الدنايا . والاجتهاد المكب على التحصيل . مع وجود أستاذ له به اهتمام خاص . سرعان ما ينبغ بسرعة فائقة . قد تعد من المعجزات الخارقة للعادة .

حقا اصدرت المدرسة (الالغية) في ذلك الطور نجباء نبهاء لهم بعد ذلك تاثير في العلم العربي في (جزولة) . ولكن يجب أن يعرف التاريخ جد معرفة أنه لم يتخرج من تلك المدرسة في ذلك الطور ما يماثل شيخنا

الافراني . في كل ناحية من نواحي حياته العلمية والادبية وعلو الشان . ثم لا ادري لماذا فرط مني أن قيدت افضليته على أهل ذلك الطور فقط . مع انه لم تر الى الآن المدرسة (الالغية) لهذا الاستاذ نظيرا في كل طور من اطوارها . من بين كل من درجوا منها عن بكرة ابيهم . ولعلها لن تخرج مثله في المستقبل ان قدر لها أن ترجع الى سننها الذي كان معتادا منها في هذه العقود الستة ١٣٩٧ هـ = ١٧٥٧ هـ .

اساتذته في هذا الطور

أخذ عن مؤسس المدرسة أبي عبد الله معظم ما أخذه . ثم عن الشيخ الالغي . وعن سيدي الحاج محمد اليزيدي . وكان هذان ممن درسوا في المدرسة الالغية قليلا . كما ذكرنا ذلك في ترجمة أبي عبد الله الالغي . وفي ترجمتيهما . وكان دائما يحلي هؤلاء الاساتذة بأشياخه . وينتسب لهم . ويعرف لهم المنة التي لهم عليه . ولا يقر بالاحسان الا أكمل انسان

ثم انني أعلم أن الاستاذ سيدي عليا بوضاض الاخصاصي كان الاستاذ أبو الحسن الالغي أتى به في حين من الاحيان في بداية استقلاله بالمدرسة الى (الغ) فدرس فيها زمنا قليلا الفرائض والحساب ولا ادري هل مترجمنا اذ ذاك لايزال في المدرسة فيعد من الآخذين عنه . على أني لا احسبه أخذ فن الحساب الا قليلا لأنه ليس من علومه وكثيرا ما يصرح بانه يكاد يكون منه صفرا . فكان ازاء هذا العلم كالسيوطي ازاءه .

ما يتداول بين اساتذته من الفنون

كانوا يدرسون النحو واللغة والبيان والفقه والفرائض وأطرافا من علوم أخرى تتداول . وأما الادب فانهم مهروا فيه مهارة عجيبة تلفت الانظار . فقد حاولوا التفوق في الشعر والترسل . فظهروا بمظهر عظيم في التضلع في فنون العربية فبلغوا شأوا عظيما في استحضار اللغة وأمثالها . ومفردات أبياتها . والاطلاع على تاريخ المعاني المتداولة بين الشعراء الذين تيسرت لهم قصائدهم . بله التاريخ الاسلامي الذي كان لهم منه باع طويل . لم يكن لهم فيه مشابه اذ ذاك في (جزولة) . وناهيك بقصائدهم ورسائلهم التي كتبوها حول ذلك العهد . فانه لتدل على سعة استحضار لم يكن له اذ ذاك في (جزولة) نظير حتى عند الجيشتيميين الذين كانوا من آباء الادب الجزولي الذي درج من تحت أفيائه أساتذة شيخنا هذا . والادب الالغي مستمد من الادب الجيشتيمي بوساطة

سيدى محمد بن ابرهيم والد مترجمنا الذى تخرج بأبى العباس الجيشتيمي ـ كما تقدم ـ وكما بيناه فى كتاب (سوس العالمة) ـ

ثم ان الالغيين وان كان لهم بالادب العربى العام يد طولى . فقد أولعوا ولوعا خاصا غريبا بالادب الاندلسى. فقد وافق أن ظهر(نفح الطيب) بالمطبعة الاميرية الاولى . فأكبوا عليه حتى امتزج بلحمهم ودمهم أدب ابن الخطيب وابن جزى وابن سهل وابن شهيد وابن زيدون وابن عبد ربه وابن خفاجة وابن عباد وابن عبدون وابن خاقان وابن بسام وابن اللبانة فلا يمكن أن يشذ عن غاليهم شىء فى كل أجزاء (نفح الطيب) الاربعة الضخام . فكأن (النفح) مصحفهم . وكل الابيات اللطيفة ومطالع القصائد البارعة . والقضايا النادرة يستحضرونها كأنها مرسومة تحت بصرهم . أولاتزال صفحاتها مفتوحة بين أيديهم . وهذا الفن الاندلسى هو الذى لقح به الادب الذى كان سائدا على المدرسة (الجيشتيمية) فدخل به من الذوق الجديد على الادب الجزولى ما لم يكن فيه معروفا يوم كان أدب الجيشتيميين وحده . مع استحضار كثير من أقوال الشعراء الجاهليين والمحدثين . فقد درسوا الدواوين وطالعوا من كتب الادب العامة كل ما وجدوه أمامهم .

هذا كله مهر فيه الاساتذة فى المدرسة (الالغية) كما مهروا أيضا فىالسيرة النبوية التى درسوها من(السيرة) لابن هشام و (المواهباللدنية) فلا يكاد يشذ عنهم شىء فيها أيضا . فهذه بيئة منشىء المترجم .

الرحلة إلى تارودانت

فى أواخر ١٣٠٥ هـ حفزت الاستاذ همته الطموح ليزداد أخذا فيضم علوما أخرى الى ما كان استقاه من المدرسة (الالغية) فاستأذن أبا الحسن أستاذه فلحق بالاستاذ أحمد أمزاركو وبأبى العباس الجيشتيمى هو ورفيقه سيدى العربى الساموكنى فجاوروا هنالك نحو سنة فى مدرسة (الغرباء) أخذا فيها الاصول والبيان والتفسير عن الاحمدين المذكورين . فهذان أستاذان اخران للمترجم زيادة على من ذكرناهم من الالغيين ومن اليهم.

والاستاذ أحمد بن محمد أمزاركو من العلماء الكبار الحفاظ من المتخرجين بالجيشتيميين . ثم درس فى (تيبيوت) وفى (ردانة) فأخذ عنه كثيرون وقد كان لأهله قبله ظهور بالعلم . ولكن لم نقف الى الآن على ما يبين لنا تراجمهم مع وعدنا بذكرهم هنا . ولكن (على قدر الرداء مددت رجلى) ومن نوادره ما ذكره المترجم أن رفيقه سيدى العربى ساق يوما فىالدرس كلاما على انه من (المختصر) فالتفت اليه الاستاذ مبتسما فقال له : لعل هذه

الجملة مما حدث اخيرا فى (المختصر) لاننا ما تركناها فيه . وقد كان يستظهر (المختصر) وذكره بانه حمامة المسجد . يظل فيه . ويكتفى بسويق ملتوت عند الزوال . فيظل على الدراسة النهار كله . توفى بعد ١٣٠٦ هـ بقليل فى وقت لا نضبطه .

ثم ان بين أيدينا رسالة حافلة وفى اولها قصيدة بائية كتبها المترجم الى أستاذه الالغى . وكذلك دالية فى تهنئته بولادة الاديب محمد بن على . وأخرى برجوع الشيخ الالغى من الحج . ويوجد البعض فى(الجزء الاول) كما سترى قريبا ان شاء الله بعض ما كتب به الى شيخه أبى الحسن من هنالك

مراجعة (إلغ) وانتهاء دراسته

أخبرنى العم ابرهيم أنه كان يشاهد الاستاذ المترجم ورفيقه فى (الغ) بعد رجوعهما من (تارودانت) وهما فى بزة بيضاء . وهمة شماء . يلفتان الانظار . وتغتبط بمجالسهما الافكار . وهما اذ ذاك شابان تحوم حولهما هالة بدأت تتسع فى الافق العلمى . فكانت الشهرة الطيبة شرعت تنشر عنهما من المحاسن . ودماثة الاخلاق . وحسن السلوك . ووفرة أسباب النجاح فى الميدان العلمى والحيوى . ما كان له بعد ذلك آثار . وقد امتاز مترجمنا منذ ذلك العهد عن صاحبه العربى وان كان أصغر منه بسنوات . بنواح شتى سلم له فيها قرينه . وارتضى أن يكون له فيها تابعا . وذلك لأنهما وان خاضا العلوم سواء . فان لشمائل المترجم . واصالة اسرته ؛ ما لم يكن لصاحبه . وفى هاتين فى أنظار الناس رجحان غير قليل يوم تنصب الموازين .

ثم ان بين أيدينا قصيدة بائية استجاز بها المترجم شيخه الالغى . ونحسب أنها قيلت فى هذا الحين . بعدما أزمع أن يلتحق الى أهله نهائيا :

ذريه فسيف العذل عن قلبه ينبو ... ولا تعذلى من ليس يزجره العتب
فقد هب من مسرى الصبا سحرية ... أجازت له أنفاس من ضمه الشعب
فجدد تذكار الصبابة بعد ما ... تبسم فى سوداء لمته الشيب
وأشعل نارا فتتت فى ضلوعه ... بقية روح ذاب مذ رحل الركب
وعاد رهينا فى يد الوجد كلما ... تفلتت من سرب تناوشه سرب
فاصبح من فرط الضنا ارق من ... شمائل روض زاره الشمال الرطب
وما يرتجى طب لكل متيم ... سوى قرب من يهواه لو يمكن القرب
وما يرتجى من غفلة الجهل يقظة ... اذا لم يقصر عن عمايته القلب
وما يرتجى سمك لبيت سعادتى ... اذا لم تطف فى أرض(الغ) بى النجب

مكان به ترسى الفضائل فلكها   وينسى على أشواقـه أهلـه الصب
به شيخ كل المكرمات كأنه   هلال تبدت حول هالته الشهب
امام العلا والعلم والعز والندى   وشمس الهدى من نوره أشرق الغرب
ونور فؤاد الكون من يجتلى به   اذا أجدبت أرض القلوب لها الخصب
ملاذ رجاء الخائفين وأمن من   أناخ عليه الدهر أو نالـه الرعب
ومن نبتت فرعا لثابت سعده   مخائل سعدى ثم ما برحت تربو
وأحسبني والحمد لله ان ما   ظفرت به فضلا خباه لى الرب

* * *

فيا سيدى جد بالرضا واتم ما   بدأت باذن يطمئن له اللب
وثـن الـذى أوليتـه باجـازة   وان كان مثلى لا يباح له الشيب
وقد علمت نفسى بـأن طلاب ما   عدا قدرها ما كان أعظمه ذنب
وما اجترأت نفسى عليه جهالة   ولكن شأو العفو من سيدى رحب
فدامت يداك البيضوان مفيضتيـ   ـن تخجل من أنواء راحهما السحب(١)
ودارت بعين الفضل منك عناية   كما دار حول المقلة الجفن والهدب
ومنى سلام ثم روح وراحـة   توافيك ما أن فاه عن ساكت كتب

ثم كتب على ظهر القصد هذا البيت المفرد :

ومثل الذى يبغى من الاذن والرضا   ونصح وهدى منـك كاتبهـا يبغى

وهكذا وجدت هذا البيت منسوبا الى القائل للقصيدة . ويظهر ان غيره كتبها . يطلب أيضا من أبى الحسن ما يطلبه صاحب القصيدة . والغالب انه سيدى العربى الساموكنى رفيق المترجم دائما والمتولى لكتب قصائده بخطه الانيق بعد أن يحررها ويخرجها قائلها .

ثم أجابه أبو الحسن بقوله : وقد غير الروى على خلاف العادة :

عليك سلام الله يبقى الى الحشر   ورحمته تلقاك بالبسط والبشر
يؤديهما القلب الرجيل اليكـم   على سرعة تزرى بأجنحة النسر
ولم أرض للارسال نحوكم الصبا   مخافة ما تعتاد للسر من نشر
أيا شافيا قلبا قد أشفى على الردى   ويا نافثا نحوى الحلال من السحر
ويا ساكنـا بيتا من الشرف الذى   بنتـه جدوده المعطرة الـذكر
ويا راكبا سمك السماك بهمـة   سمت نحو كل المكرمات ولا تسرى
ويا جامعا أنواع خير تفرقت   على غيره من غير جحد ولا نكـر
بعثت بلفظ راق اذ رق لفظه   وأزرت قوافيـه العقود على النحر

١) هكـذا الكلمة فى الاصل البيضوان . مع أن الصحيح البيضاوان . بمد الف ولا مسوغ لحذف الالف . هذا ما ظهر لى .

يذكرنا العهد القديم وما انقضت   على صفوه من بين طالعة الدهر
واذكر ذكر المجد منه معاشرا   مناقبهم تتلى على صفحة البدر
وهاج تباريح الصبابة والهوى   واوقد شوقا خامدا قبل فى صدرى
انى طالبا منى اجازتكم وما   اراني لولا الظن اهلا لذا الامر
ومثلى يجاز منكم غـير انـه   على قدر ظن المرء يعطى من الخير
اجزناك يا ابن الشيخ فى كل ماترى   كظل امد البحر بالوشل النزر
لكم مـا لنا من حرمـة وعليك ما   على مثلكم من كل شرط به تدرى
فمن ذاك رعى الحق فى كل مجلس   وكلمة (لاادرى) متى مشكل يجرى
ومنه لزوم الدرس فى العمر كله   ولطف الى الجلاس ما لم يكن يزرى
وتقوى الاله الزم وجانب خلاف ما   عليه انقضت أيام اسلافك الغر
لك الله من بر منحت له الرضا   وأعلمته أن لا اعتصار مدى العمر
لقد فات قدما حصر مدحكم فما   أريد بنظم الشعر او محكم النثر
وسدت فما تعـداد فضلكم سوى   كتعداد رمل كان فى جانب البحر
غرستم بنا محمود علم جنيته   فمنك اليك ما احتذيت من السر
اذا ما افتخار الهدى يوما بصنعه   فانت لنا والله اعظم ما فخر
ومنى عليك ما حييت وبعد ما   دفنت سـلام طيب عطـر النشر

وقد كان المترجم أخذ عن العلامة أبى العباس الجيشتيمى التفسير فى رحلته الردانية . ثم استجازه بقوله :

أضاء دجا الظلماء نور محياها   وأزرى بنشر المسك عاطر رياها
مهـاة فؤاد المستهـام كناسها   وشمس وبرج القلب منى مغناها
دعت عينها قلبى الخلى الى الهوى   وقد شاب فود الراس منى فلباها
فأعلن من فرط الغرام زفيره   وأبطن من نار التشوق أذكـاها
يبيت كما بات السليم مسهدا   يسامر كيوان السما وثرياها
ويهفو الى مر الصبا سحرية   يخفف نار الوجد من برد مسراها
على أن حب العامرية لا تنى   حرارتـه الاّ ببهجـة مرءاها
فيرفع شؤم الهجر سعـد وصالها   ويشفى بترياق اللقا داء مضناها
كما شفيت بالجشتمى زمانة الـ   ـعلوم وحلت من عرا الجهل اسراها
امام به نهج الهدى صار لاحبا   وعالت عفاة المجد قبل فاغناها
به جدد الدين الحنيفى بعد ما   تعمـد «ايـة البـلا» فافنـاهـا
هو الشمس والمجـد المؤثل برجها   وأنواره فى ظلمـة الجهل اضواها
هـو البحر الاّ أن درة علمـه الـ   ـمصون على مكنون جوهره تاها
هو الشيخ لاذت خطة الفضل بعدما   عفت بسجايـاه الحسان فاحيـاهـا
ونادت به عقل المكارم عند مـا   تخلى جميع الناس عنها فحياها

وذلل صعب العلم بالعزم فامتطى ... مطاء بنفس بالفضائــل حلاها
وخاض بفلك العقل امواج بحره ... وبالله مجراها عليه ومرساها
تسامى الى اوج السيادة ساريا ... عــلى همــة لايــدرك النسر مرماها
فنــال من العز المكين مكانــة ... يضيق نطاق القول عن وصف أدناها
ولم لا ولولاه اضمحلت معالم الــ ... شريعة وانسدت منافذ مسراها
ولولاه لم تسلم طريدة سنة ... من البدعة الرقطا وقد فغرت فاها
تبارك من أحيا شريعة أحمد ... بأحمد فأنجابت سحابة غمّاها
وطهر من رجس الضلال أخيرها ... فصار أخير الدين والبدء أشباها
فقل للذى يبغى العلا متوجها ... اليه لقد نلت السيادة والجــاها
وللمجتنى ثمر المعارف يانعــا ... بألفاظــه بشراك بان معماهــا

* * *

فيا سيدى دم مومنا ذعر سنة ... تلاشت وما امتدت لغيرك عيناها
اليك أتى عافى نداك مؤملا ... لتملأ أدل نحو جودك أدلاها
يحثحث نحو المجد منك ركابه ... وقد شفها جهــد المسير وأنضــاها
ومثلك من يرعى وسيلة قاصد ... ويبلغه من بغية السعد أقصاها
يروم وان لم يستحق اجازة ... تغطي غيون الجهل منه بحسناها
فاول له ما رام واغفر جناءه ... وسكن شجاه بالتى قد تمناها
ومن على من لم يجف لسانه ... بشكر أيــاد نحو جودك أولاها
وجد جبر مأمول باشراك صاحب ... له من عرا محمود ودك أقواها
فما خاب سعى كان ءاخر كده ... لقاك ولا نفس لبابك مسعاها
فدونكها تفرى اليك سباسبا ... طوى بعدها شوق لوصلك اداها
يمت لنيل السؤل منك بذمة ... وأنت الذى تحمى العهود وترعاها
ولكنها من خيفة النقد أسبلت ... عليها لباس المدح فيك فغطاها
فاغض وسامح عن بداوة لفظها ... وخسة مبناها وجفــوة معناها
فما هو الآ الفكر جاد بجهده ... ويعذر حقا من بمجهوده فاها
ومنى على علياك أبهى تحية ... (يضيء دجا الظلماء نور محياها)

والصاحب المذكور هو رفيقه سيدى العربى الساموكنى .

وقد أجابه الاستاذ بقصيدة على غير رويها نصها :

سلام كما بشرى من الحب بالوصل ... لصب لظى من فرط هجرانه أصلي
على ما جد بالعلم والفضل معتل ... على حين عزت حلية العلم والفضل
سليل بدور للهدى في كمالة ... بحور الندا للناس فى شدة المحل
خليل الصفا والصدق فى زمن يعــ ... ز فيه الصفا والصدق فى القول والفعل
ربيب المعالى سيدي الطاهر الرضا الــ ... ذى كان فرعا طاب من أطيب الاصل
سليل التمانرتي الرضا سيدى محمــ ... ـد نجل ابرهيم أفضل ما نجل

كذلك الاصول الطيبات فروعها ... تطيب وسر الليث يسرى الى الشبل
له همة فى المجد سامية الى ... صعاب العلا لم تقتنع بعلا السهل
(وبعــد) فقــد أهديت أبكار فكرة ... مهيمــة الالبــاب عادمــة المثل
واوليتها العبد الضعيف ولم يكن ... لما قد حوته من حلى الحسن بالاهل
ولم يك أهلا للذى سالته من ... اجازة مهديها لضعف بـه حلّني
ولكن لحسن الظن منكم أجزتكم ... اجازة اطلاق بما لى من نقل
واشركت معك فى الاجازة حبك الــ ... مشارككم فى حلية العلم والفضل
أخانا الاود سيدى العربى من ... بدا من (سمكن) جاليا ظلمة الجهل
على سنة الاشياخ أهل الهدى لعلــ ... ـنا منهم نحظى بمتصل الحبل
فنحشر معهم فى جوار نبينا ... بفضل من المولى المهيمن ذى الطول
واوصى خليــلىّ الجليلين بالتقى ... التى هى مرقاة الى كل ما سؤل
وأوصيهما ان يجعلا الموت نصب اعـ ... ـين لهما مع ما تلاه من الهول
ويحترسا من ان تغرهما الدنا ... بزينتها فى حال عقد وفى حل
وان يدعوا للعبد باللطف فى القضا ... ء والختم بالايمان فى الفعل والقول
نسأل اله العرش توفيقنا معا ... لما يرتضى والحفظ من كل ما ازل(١)
بجاه أجل الخلق أزكى الصلاة والـ ... ـسلام عليه والصحاب مع الاهل

الاستاذ يستقر في دار والده

استتم شيخنا دراسته . وقــد دخلت عليه سنة ١٣٠٧ هـ فرجع - كما رايت - مجازا من الاستاذ الالغى ومن الاستاذ الجشتيمي . فصدر الى دار والده يؤسس فيها لمستقبله . وقد كان اقترن بكريمــة الشيــخ سيدى المدني الناصرى التانكرتي الايفراني . وقد رأينا ولده سيدى محمد يولد له ١٣٠٦ هـ .

(في فاس)

في سنة ١٣١٤ هـ حفزه الشوق الى (فاس) ليرى مايتمنى له هناك . وليزور ضريح شيخ طريقة الاحمدية التى فاز منها بكاس دهاق . فسافر مع رفيقه سيدى العربى الساموكنى فنزلا اولا بــ (السويرة) ثم ابحرا منها الى (طنجة) فلاقيا شدة من البحر. ولكن الله سلم . ثم اكتريا مركوبا في البر الى (فاس) . وقد ذكر لى المترجم أنهما صادفا اضراب الطلبة عن القراءة في (القرويين) ولم يتفق لهما أن يريا هناك أى درس . الا درسا

١) الأزل : الضيق والشدة .

واحدا من العلامة محمد بن عبد السلام كنون الصغير . مع أنهما مكثا هنالك ثلاثة أشهر . نزلا فيها عند السادات الاحمديين . وقد فاضت سجية المترجم فزخر بقصائد كثيرة هناك في مخاطبة أدباء منهم علال ابن شقرون وغيره . وفي خطاب الشيخ مولاى أحمد التيجاني رضي الله عنه . وبعض احفاده الذين صادفهم هناك . ثم صدرا على طريق البر الى (الربـاط) و (سلا) فنزلا في زاوية الشيخ سيدى العربي بن السائح . فرحب بهما الاحمديون ففاضت أيضا قريحة المترجم نحو أدباء رباطيين وسلويين . ونحو روحانية الشيخ سيدى العربي بن السائح . ثم من هناك الى (السويرة) أيضـا . وقد كان فيها قاضيا الاديب الكبير مولاى أحمد البلغيثي . فتعاطى مـع المترجم قوافي نشرت في ءاخر كتابه (الابتهاج) المطبوع . وكذلك صدرت قافية من المترجم لرجل يسمى أحمد (أقنور) ثم رجعا الى (سوس) وقد حرص سيدى العربي الساموكني على تسجيل جميع ما قيل في هـذه السفرة . وسناتي بكل ذلك ثم بما بعده مما يتجاوب بـه المترجم مع بعض الفاسيين فيما سنذكره من القوافي ان شاء الله .

الاستـاذ في التعليم

أقبل المترجم على التعليم بالجد منذ ١٣٠٧ هـ في مدرسة (تانكرت) التي هي مدرسة والده قبله . وقد لازمها الى سنة ١٣٢٨ هـ فخرج كثيرين ممن ستراهم . ومن بينهم أفذاذ لايسابقون في المعارف . ثـم انتقـل الى مدرسة (بومروان) حيث ربض الى سنة ١٣٣١ هـ وقد دهم الاحتلال نواحي من (المغرب) فكان الاستاذ أحد المكافحين الكبار . مع اشتغاله قليلا بالتعليم وقد راجع مدرسة (تانكرت) التي لازمها هو ثم ولده محمد كنائب عنه الى أن توفي . وفي هذا الطور تولى ولده كبير التدريس . فلم يكن الاستاذ يلم بالمدرسة الا فينة بعد فينة . وذلك لما نيط به من ملازمـة المؤتمرات بين المكافحين من ١٣٣٠ هـ الى ١٣٥٢ هـ ثم ملأ ما بين هذه السنة الى أن توفي بالتردد بين أملاكه في (أفانتيقي) و (أداى) و (القصبة) حيث يزاول شئون أسرته الخاصة . من حرث وحصاد وجني الثمار . يمكث في كل محل شهرا الى شهرين . ويتخلل ذلك المامه بداره في (تانكرت) في مثل ذلك . وقد يلقي اذ ذاك بعض دروس قليلة في المدرسة كلما حضر في داره كما كان مثل ذلك منه أو أكثر بقليل في سنوات الكفاح كلما زار بلده . وقد كان شيخنا سيدى سعيد التناني يتأسف دائمـا على ترك المترجم للتدريس . ويقول انه قدوة لكثيرين أمثاله من كبار علماء (سوس) وأخاف أن يقتدى به في ذلك فيكون سببا لاضمحلال العلم . فان قيل له : ان ولده محمدا يقوم مقامه يقول : (لكن في الخمر معنى ليس في العنب) ثم يقول

هذا فلان وفلان فلولاهم لاضمحل التدريس اليوم في (جزولة) كابي فارس وابنه ابرهيم والمحفوظ والحاج مسعود والافاريفيين الصوابيين .

ثم ان شغل الاستاذ كان في القيام بشئون اسرته الخاصة ولم يكن ازاءه من يكفيه ذلك حتى انه ليستورد واهله ينفقون . حتى نشا اولاده كلهم علماء لتفرغهم للاخذ . فرحمه الله من رجل اسرة ادى لها كل الحقوق وخيركم خيركم لاهله . وقد كان حريصا على أن يتخرج جميع اولاده علماء .

في ميـدان الكفاح

ابرز ما امتاز به في حياته ما قضاه في سنوات الكفاح من ١٣٣٠ هـ الى ١٣٥٢ هـ فقد كان من الواردين الاولين على الهيبة في (تيزنيت) وقد رفع عقيرته بتلك القصائد الطنانة التي ملأ بها جو (تيزنيت) فـي فجر هـذه الحركة . ثم صاحب تلك الموجة . من هناك . فيسجل بقوافيه كل ما عن له أو ما رءاه واجبا عليـه كشاعر الموقف . المطلـوب منه عادة ان لايزال فاغرا فاه . ورافعا صوته في كل نباة مسموعة . او طرفة نائية موجهة . فهكذا كان من (تيزنيت) الى (الحمراء) ثم الى (تارودانت) وهلم جرا . الى ان دار رئيس الكفاح « الهيبة » من (أسرسيف) و (تيمكي) الى (كردوس) فلم يفل عضبه . ولا كلّ وصفـه . ولا سئم الاستنهاض . ولا اصاخ لاى عاذل . فوفى لقطب الجهاد (الهيبة) الى ان نزل في رمسه وقد بكـاه احر البكاء . بمرثية طويلة . ثم كان كذلك مع خلفه (مربيه ربه) فلم يتخلف قط عن المقدمة . ولا فقد يوما ما في مجمع . ولا ضم شفتيه عن نصيحة . ولا استنام لراحة . فيوما في (بممرانة) يوم قتل حيدة . ويوم مقاومـة جيش الجنرال . ويوما في (أيت وادريم) وفي (أيت عبلا) و (اداوزكري) و (اقـا) وهو يحتسب خطواته في كل ذلك . هو وشيخه ابو الحسن الالغي ثم انفرد بعد وفاته . فكان واحد الموقف . فغالب الحوادث . وصادم الاعاصير الى ان دهم تلك الجهة الاحتلال بزحفه الذى هو كالعنقاء التي قال فيها المعري :

أرى العنقـاء تكبر ان تصـادا   فعاند مـن تطيق لـه عنـادا

وجميع قوافيه التي قالها في هذه الفترة في هذه الناحية مسجلة في (الجزء الرابـع) والحمد لله .

بعـد الاحتـلال

ليقل التاريخ ما يريد ان يقول في مساوى الفرنسيين . فاننا لابد ان نسجل لهم ـ لأن الحق يقال ولو في الاعداء ـ انهم اثر ما القوا كلكلهم

على تلك الناحية . عرفوا كيف يسوسون الناس . فواخذوا القليلين جدا
ممن أبوا ان يستسلموا أو كان هناك سبب خاص . كالشيخ محمد ازنكض
الوابل . والشيخ أحمد التغلعزتي . والمرابطين في (القصبة) من(تامانارت)
وأما الكثيرون ممن كانوا يجاهدون ويملاون الميادين في الدفاع برخص
مهجهم . فانهم أعرضوا عنهم . حتى يجدوا لهم جريرة . كما فعلوا بالقائد
مبارك البنيراني وعلى الايشلحيني المجاطي . وأمـا من قبعـوا واستكانوا
وزموا ألسنتهم كالمترجم . فانهم أعرضوا عنهم ما شاء الله . ثم صاروا
يتقربون الى مثله بالتعظيم ليقروا بذلك أعين الدهماء . بل علقوا له ولسيدي
الحسن بن الحسين الازاريفي أوسمة . في مجتمعات الناس . اعلانا بـأن
الحكومة تحترم رؤساء الدين . بل كانوا يحبون أن يجذبوا المترجم الى
جهتهم بتعظيمه وبتوسيمه . ولسان حاله يقول :

اذ قلداني ما تخشى عواقبه   كانني بهما هدى عن النعم

ولكنه يكون في أيديهم كحوتة مطلية بالصابون – كما يقال – فلا يعصي
ولا ينقاد كل الانقياد . فقنعوا بأن يكون ازاءهم ولده سيدي محمد . فتم
لهم ذلك ما شاء الله . وهكذا أمكن للمترجم أن ينجو من حبائل الفرنسيين.
مع أنهم علموا ما فعل أيام الكفاح . فقد اعتاد أن يغترب كثيرا عن داره الى
الاماكن التي فيها أملاكه . فينسونه كثيرا . ومتى لاقاهم يتمسكن ويلين
لهم الجانب . ثم لايكثر الاتصال بهم لا في حفلاتهم ولا في غيرها الا اذا دعته
ضرورة . أو سدا للذريعة . أو ذرا للرماد في الاعين .

هذا وقد أقبل في هذا الطور على صياغة قصائد في الجناب النبوي.
مع الاحتراس فيها غاية الاحتراس . على عكس قصائد أخرى قالها في عهد
الكفاح . وسترى الكل أمامك ان شاء الله .

اسفاره إلى الحواضر

لم يلم المترجم بـ (مراكش) الا في أيام الهيبـة . ولا بـ (فـاس)
وغيرها من المدن الى (السويرة) الا في السفرة المتقدمة سنـة ١٣١٤ هـ
لكنه بعدما وقع الاحتلال . وعمت أمواجه تلك الناحية . واستوى المـاء
والخشبة . أمكن له أن يغادر كنّه . وأن يأخذ حظه من الجولان . ليعرف
ويتعرف . ففي سنة ١٣٥٤ هـ ورد على الحواضر . فكان في (فاس) وفـي
(مكناس) وفي (البيضاء) وفي (زطاط) وفي «مراكش» فاتصل في « فاس »
ببعض العلماء الاحمديين . وصاغ حوالي الشيخ مولاي أحمد ما صاغ كما
يصنعه كلما زار فاسا . كما اتصل في (مكنـاس) بالشريف النقيب ابن

زيدان . فوافق شن طبقة . فاعجب كل واحد منهما بصاحبه. فجرى المترجم
في ميدان ربة الشعر اطلاقا. ثم كان له في (البيضاء) مع محمد بن علي التازاروالتي
ما كان من «آثار بيانه . ثم في (زطاط) سبح في كـرم العلامـة الاديب
سكيرج القاضي . فجزاه من أقواله بالسحر الحلال . ثم تلاقينا نحن الشيخ
في (مراكش) بكلتا اليدين وأدباء الشباب متوافرون في (الرميلة) فتدفقت
القوافي والحفلات فـي أسبوع سميناه (أسبـوع الادب) وسنسطر ما
استحضرناه مما قيل اذ ذاك .

هكذا وجد النسر جواء فسيحة استرد فيها شبيبتـه فتبرجت بـه
بنات القوافي فـي ملاءاتها الساحرة . وقد زاره سنـة ١٣٥٥ هـ النقيب
المكناسي في (تانكرت) فنزل في داره . فرجع وكله ثناء ما مثله من ثناء .
ثم تكررت امثال هذه الاسفار من المترجم الى هذه الحواضر كلها مرات
اخرى . وقد مهدت السبل أمامه . ورفرفت أعلام الشهرة فوق راسه .
واخراها سفرة زارنا فيها أيضا في (مراكش) بعد مرجعي من النفي من
(الغ) فلقاه الباشا الاكلاوي سرورا وهدايا . رجع بهما مغمـور القلب
بالانشراح . ومعمور الجيب ببنات الراح . وقـد كان فـي سفرة اخرى
استعان به في قضية أرض ترامى عليه فيها انسان . فاذا بهـذه الهبات
أكثر من ثمن كل تلك الارض بما فيها من النخيل . وقد استدعاه القائـد
عمر الاكلاوي أيضا الى (دمنات) فضيفه وأكرمه . وقد لاقى هناك العلامة
الحجوجي رحمه الله . فالتقى الشمس والقمر . كما استضافه أيضا باشا
(السويرة) ابن المعلم . فأكرمه أيضا غاية الاكرام .

فهكـذا أهاب السعد بكـل الحظوات فتلاقت كلها حوالي شيخنا هذا
الجليل رضي الله عنه ورحمه . فكان أحق بها واهلها . والشيخ عادته هـي
عادته . يصوغ القوافي أينما حل . ويخاطب كل من أكرمه . وذلك ديدنه
الذي عرف به في (جزولة) وفي تارودانت وفي (تيبيوت) وفي كل الحواضر
ومع الرؤساء والادباء أينما جالسهم . وذلك علامة شكره الفياض . ومن
لايشكر الناس لايشكر الله . وقد كان له مع الحاجبين سواء الكيلوليون
او «آل افلوس ومن اليهما مثل ذلك . وتلك جبلة خلق عليها . كما جبل
الزهر على العطر . والشمس على الاشراق . وللقارئ ان يقرا ما كتبناه
في تراجم أشياخه كسيدي الحـاج الحسين الايفراني . وأبـي العبـاس
الجشتيمي ونظرائهما ليرى مصداق ذلك رأي العين واما مايتعلق بأدباء بلده
(ايفران) ممن جاذبهم فيه القوافي ففي تراجم العربي الساموكني ومحمد بن
الحاج والبشير العزيبي . والبشير الناصري وأحمد بن صالح مـا يفتـح من

ذلك صفحات مذهبة . وما يوم حليمة بسر .

مـع الالغيين

رايت اشتباك ءال المترجم بالالغيين . فوالده العلامة محمد بن ابرهيم شيخهم العظيم . والمترجم تلميذهم البكر العظيم . ثم أخذ أبناء الالغيين عن المترجم نفسه . فتم الامتزاج بهـذه السلسلة . فرسخ فى القلـوب من الجانبين ما رسخ . ولذلك نرى المترجم لم يزل لسانه رطبا بذكر الالغيين طبقا عن طبق . فبعد أن كان يزخر فى أشياخه محمد بن عبد الله وصنوه علي بن عبد الله وعلى بن أحمد حتى تكون له من القوافى حواليهم مايخرج منه ديوان على حدة . امتد المترجم بفضله كما يمتد الفرس طلقا فى ميدانه بقوافيه حول تلاميذه من أولادهم . فكانت له مع الادباء عبد الله بن محمد ومحمد بن علي . والمدني والطاهر والحسن واخواتهم ومحمد بن على بن أحمد والمختار وعبد الله بن مسعود وأحمد بن مسعود وصالـح بن أحمـد سيل جرار من القطع والقصائد فى كل مناسبة امـا تهنئة بولادة . وامـا رثاء لمرموس . واما اجابة عن خطاب . فكان من ذلك كله أيضا مـا تطفح بـه عشرات من الصفحات . وقد ذكر بعض ذلك فى تراجم المذكورين. وسنذكر البعض الآخر . وأما ما يتعلق بجامع هذا الكتاب . فانه فى (الجزء الثالث) من (الالغيات) نثرا ونظما . وقد نذكر أمام القارىء قريبا ان شاء الله ما لم يذكر هنالك . وهكذا وفى الشيخ الامام للالغيين أشياخه منهم وتلاميذه افلا يستحق منهم تخليد الشكر بأقلامهم على صفحات التاريخ ؟ ثـم لـم تقتصر قوافى الاستاذ عـلى ءال شيوخـه . بل تجاوزتهم الى الوفقـاويين والايغشانيين الالغيين الآخرين . فكما أن الجار يوخذ بزلة جاره كما يقولون كذلك يكرم جار لمكان جواره للاكرمين .

مـع تلاميذه الاخصاء

كان المترجم لطفا الى لطف . خلقه الله أديبا . قبل أن يخلقه انسانا . فقد كان مدرسة متنقلة . فيمشي الادب فى ركابه اينما مشي . فقد مـلأ مدرسة (تانكرت) بالادب منذ كان فيها . كما ملأ المدرسة (البومروانيـة) ايضا فترى ابنه محمدا والبوزاكارنى والحامدى واليزيدى ومحمد بن علي وداود الرسموكي افراسا فى حلبته فى كـل مدرسة كانوا معه فيهـا . وهكذا المترجم فى أسفاره . فقد سافر الى (فاس) ١٣١٤ هـ فكأنما قـاد جيشا عرمرما من القوافى . وكذلك كان فى حضرة الهيبة . وكذلك يكون

فى (الـغ) وفى كل مكـان يلم به . حتى اشتهر بالادب . حتى ليزعم من لايعرفونه انه لايعرف الاّ الادب .

مكانته في مختلف العلـوم

ان المشاركة فى مختلف الفنون مع البراعة فى الادب كان من مميزات كثيرين من علماء المسلمين منذ القدم . وقد لمع ذلك غاية فى (الاندلس) التى تجد فيها أمثال ابن حزم وابن عبـد البر وابن العربى المعافرى . وابن عربى الحاتمى وابن عاصم الحفيد . وابن جزى وعشرات فعشرات أمثالهم كانوا فى هذه المكانة المرموقة . بل قل أن ترى هناك لامعا من غير أن يكون اديبا . وعلى هذا الغرار كان المترجم رحمه الله . فانه فقيـه متمكن فـى المذهب المالكى . مستحضر للمختصر لخليل الذى ابتدأ ينظمه برجز فـى كلام سلس عذب . ونحوى لغوى ماهر . يستحضر أقوال النحاة على اختلاف أنواعها استحضارا غريبا . كما هو الشأن فى طبقته . ان لم يتفوق عليها بجميع الشواهد التى تروج بين النحويين فى كتبهم المتداولة فى (سوس) تجدها كلها على طرف لسانه فى المحادثات العلمية . كما تقع عليها أيضا من اسلات يراعه اذا انطلق فى النثر فيرسالة أو فيموضوع منالموضوعات وقد سمعته يثنى على العلامه سيدى الحاج عابد البوشوارى بأنـه لايكـاد يخفى عنه أى شاهد فى (الاشمونى) وما أثنى عليه الاّ بما يعلمه من نفسه ولا يكاد الانسان يجالسه حتى يسمع منه انشاد بيت مـا من الشواهـد النحوية . فضلا عن أبيات الادباء التى يتمثلون بها . وأما اللغة وأمثالها . وكل مايرجع الى ذلك فانه مثل بحر لاساحل له . وكذلك له مشاركة حسنة فى الاصول والبيان . وحين لم يكن هذان العلمان مما يروج فى (الغ) كال من اجلهما تراب الارض بالقدم حتى حصلهما فى (تارودانت) وقـد أقر العلامة سيدى بلقاسم التاجارمونتى لتلميـذه سيدى محمـد بن أحمـد ابن صالح بأن علم البيان لايروج حق الرواج فى (الـغ) وذلك بعـد ما افتتح معه ومع طبقته فى (ايغشان) التلخيص . ثم نصحـه بـان يلتحـق بـ (أدوز) لتحصيل ذلك العلم . فأعانه بزاد من عنده . وهكذا يكون انصاف الرجال . ومثل هذا ما يقوله المترجم فى علم الحساب . فقد سمعته يقول خذوه عن سيدى محمد بن مبارك أولموش فى صغركم قبل أن يقع لكم ما وقع لى . فقدفرطت فى أخذه صغيرا فندمت على ذلك كبيرا . هـذا مع أن الحساب من علوم الالغيين .

اما السيرة النبوية المسطرة فى (المواهب) فتكاد تكون كلها مسطرة

بين عيني المترجم . وقد تعلمها مطالعة . كما وقع له في الادب والتاريخ . كما انه شارك في حديث البخارى . ولا يكاد يتجاوزه الى غيره من الكتب الحديثة الاخرى . هكذا كانت مشاركته مشاركة نسبية . بحسب بيئتـه التى لازمها . ولم يتعد حدودها . فكان ابنها الفذ . ولذلك لمـا دهم عـلى المغرب بعد أن اتصل بالعالم العربى ما دهم من اجواء علمية أخرى أفيح وأوسع . كان رحمه الله ازاءها من المبتعدين . وهو معذور كـل العـذر (لايكلف الله نفسا الا وسعها) وأما فقه النوازل فانه الامام فيه . لكثرة ما يروج بين يديه من النوازل التى كان قبل الاحتلال يحكم فيها . وربما رفعت اليه من مركز (ايفران) بعض نوازل فى عهد الاحتلال . ليقول قوله فيها . على أن الشيخ مطبوع بكونه أديبا . قبل أن يطبع بكونه فقيها . ثم لما أسبل الله عليه من الاخلاق اللطيفة . ومن حسن السمت . ومن ليونة القول ومن سهولة الاكناف . ومن الرجوع الى الله . والدلالة عليه . والتقدم فى الطريقة الاحمدية . تكونت حوله هالة أخرى أوسع من هالة الادب . حتى ان انسانا خاطبه يوما فى قصيدة بالشاعر المجيد . فقال له فقيه من أتباعه: ان الشيخ أجل وأسمى من أن يكون فقيها فضلا من أن يكـون شاعرا . حتى ينعت بالشاعرية فقط . وهذه نظرة أصحابه الاخصاء اليه . لانـه يغمرهم أيضا بالتصوف الذى يستحضر أقوال كباره . وقـد نظم الحكم العطائية نظما عجيبا يفوق منظوماته لمعاصريه كابن العربى الادوزى والفقيه بنيس الفاسى . وهكذا أمكن لنا أن نسجل بلا تحفظ أن الشيخ فقيه نوازلى نحوى لغوى بيانى أديب مؤرخ صوفى . ثم لك بعد ذلك ان توسعت أن تضيف الى ذلك ما شئت من أوصاف بعد . وذلك فضل الله يوتيه من يشاء

كيف يعـاشر الناس

ان صح فى واحد ما يقال من أن لون الماء لون انائه . فقد يصح فـى المترجم . فانه اذا توسط الفقهاء أو الادباء أو الصوفية . يكون فقيها او أديبا أو صوفيا . ثم اذا كان مع العامة السذج الذين يداخلهم . أو مع العامة المشعوذين كعلى الايشلحينى أو مع الرؤساء كالقائد المدنى أو القائد عياد أو القائد محمد بن ابرهيم التيبيوتى او الاكلاوى فانه يعطى لحضراتهم ما يستحقونه من المكانة . فى الوقت الذى يستهويهم بتواضعه لهم مع جهلهم ومع كل ما يعرفهم الناس به . فيكبرون مقامه ولا يرون فوقه عالما . واما اذا كان مع تلاميذه فانه يكون كالدوحة التى تمد ظلها الوريف . وتوتى جناها الطيب . فيتمتعون بأخلاقه وحسن نكاته . وبعلومه وءادابه وارشاداته

فكل تلاميذ الاستاذ الذين لازموه كثيرا فى مختلف مجالسه . او رافقوه فى أسفاره . يحكى كل واحد منهم عنه من الانشادات والنكت . ومختلف ما يرويه عن أشياخه . او يتحدث به عن مطالعاته فى مختلف الكتب . مـا يستحق ان يكون مؤلفا . وقد حدثنى كثيرون عنه باحاديث شهية . وبنوادر غريبة . وكان يفيض فى مجالسه الخاصة فيضا بها . فهذا خديمه سيدى محمد المستانى التيملي يروى كل ما رءاه منه فى سفرته مع الهيبـة من (تيزنيت) الى (الحمراء) فيذكر كيف كان اختاره بين الطلبة لاكثرين الاذلة فى المدرسة (البومروانية) وكيف أمره هو وثلة منهم أن ياتوا اليه عـلى أكتافهم بمتاع يحتاج اليه فى سفره . ثم بعد أن ءانسهم أمر تلك الثلة بالرجوع . وأبقى الراوى . وقد كان الطلبة يحرص كل واحد أن يرافقه ليستفيد كأحمد اليزيدى ونظرائه . ولكنه لم يختر الا اللائقين منهم للسفر . وهذا سيدى الحسن البونعمانى الذى لم يتصل بالاستاذ الا فى (الحمراء) كان يباسطه ويطاوله الحديث . ويعجب الاستاذ بالبونعمـانى وبفصاحتـه فيسميه أخا الهزار . وما أنس لا أنس أنه ذكر لنا فى احـدى مباسطاته أن سيدى ابرهيم أقراب السملالى ثم الساحلى المتوفى ١٢٤٣ هـ قال لابنه أحمد : متى رايت الناس يتثالون الى الزيارات . وقصـد الرجال للتبرك بهم . فعليك أنت بسيدى الطيب الواغزنى ــ وقد توفى هذا ١٢٥٤ هـ ــ ثم حين راى سيدى أحمد بن ابرهيم انثيـال القبائـل الى (تيمگيدشت) لزيارة الشيخ سيدى أحمد بن محمد . عمد هو الى زيارة المذكور . فوصل امام داره أصيل يوم . فوجده جالسا على حجر . وسلم عليه ــ وهو أعمى اذ ذاك ــ وأعلمه من هو . ثم صار الطيب يحدثه . فاحس أثناء الحديث أن سيدى أحمد يشتغل بذكر . وقد كان يستتم المسبعات العشر التى ابتداها قبل أن يجلس الى السيـد . فقال لـه : يـا هذا متى سنحت لك فرصـة فجلست الى أحد أحبائك فلتتفرغ له كل التفرغ ولتدع أذكارك الى وقت ءاخر . أو لتدعها بالكلية لا أم لك . فان ملاقاة الاحباب هى التى تفوت . واما الاذكار فانها توجد فى كل وقت . صاغ الاستاذ بالشلحـة الحكايـة صوغا حلوا . كما يصوغها الشاب المرح الفكه . فاكتست بوقار الشيـخ طلاوة ما فوقها طلاوة . واذكر أننى زرته فى (أفانتيقى) مـع الاديب البوزاكارنى فصار يلقى على الاديب أسئلة فى احاج وألغاز بصفة تندر . فصرت الحظه بطرف عينى . وأقول : أين أنتم أيها المتزمتون ؟ تعالوا تعالوا لتروا كيف يذوب الوقار فى المجالس الخاصة . وأمثال هذه النوادر يمكن أن يحكيها لك كل من يلاقى الاستاذ ملاقاة خاصة . ان كان ممن يمكن أن يرتفع بينه وبينه سجف الحشمة .

ما رأيته أنا منه

يجب عليّ أن أسجل ما رأيته منه بنفسي منذ اتصلت به أواخر سنة ١٣٣٢ هـ فقد كان له في صدورنا ونحن صغار . اجلال واكبار . واستحضر من مبدا تمييزي كلما ورد على دارنا أن عيدا من الاعياد هو الوارد عليها . وقد كان الشيخ الوالد يكبره ويضفي عليه محبة زائدة على رفقائه الذين ياتون معه كوفد من علماء (ايفران) ولذلك لما أهاب بي السعد فالتحقت به في (تانكرت) وصلنا على بغلة عند المغرب . فلاقانا فاذا به يعرفني من بين اخوتي من صغري . فرحب بي وقال : ان والدك كثيرا ما ياتي بك الى مجلسنا ونحن في داركم فيشير الى أنك ستكون عالما كبيرا . فاجتهد ان تصدق اشارته فيك . بين اخوتك . ثم أنشد ـ وهو أول بيت سمعته منه ـ :

ان ابن بونا لـه مجـد وأسرار   لكـن سيدنـا المختار مختار

وقد قال ان القصيدة لبعض الصحراويين في العالمين المتعاصرين : ابن بونا، والمختار الكنتي . وقد كرر لي يوما اخر مثل هذا . ونحن نتداول مسالة علمية ١٣٦١ هـ فصادف أن ما قلته فيها هـو الصواب . فتبسم وقال : ها نحن اولاء نشهد مصداق ما قاله والدك فيك . من أنك ستكون وتكون . ثم ان الاستاذ صار يتعهدني فـي المدرسة فـي بعض المرات . ويجاذبني اطراف الحديث حول الاجتهاد أحيانا . فكنت أحفظ عنه مما أسمعه منه . فقد كنت معه مرة في سطح مسخن الوضوء في المدرسة . وقد صلى بنـا المغرب . فصار يوصينا نحن الطلبة بالاجتهاد . وان اللوم العظيم يتوجه الينا ان كنا مقصرين . وهو ينشد أبياتا أدبية أثناء الوصاية او ياتي بثناية أو بحديث . فمما حفظته منه اذ ذاك قول المتنبي من قصيدته المشهورة :

ولم أر من عيوب الناس عيبـا   كنقص القادرين عـلى التمام

وقد قال لنا اذ ذاك . اننا وان كنا نغيب عنكم كثيرا . فان البركة معكم في دروس ولدي محمد . ما اتقيتم الله . وقد كان يعلق دائما التحصيل النافع بتقوى الله . وحضرت له مرة أخرى يذكر بعض الخلافات التي تحصل بين قبائل تلك الجهة التي كانت تناضل اذ ذاك ضد الاحتلال . فأنشد :

أمـور تضحك السفهاء منهـا   ويبكي من عواقبهـا الحليم

وقد صاحبته في احدى سفراته الى بلدنا (الغ) في صبيحة يوم من احدى الرمضانات . فأركبني وراء فرسه ـ ولا أحب اليه من ركوب الفرس

طوال عمره ـ فملا الطريق بالمحادثة معي . فيمل اثناء المحادثة من أبيات . فكان مما حفظته منه :

دببت للمجد والساعون قـد بلغوا   جهد النفوس والقـوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم   وعانق المجد من وافى ومن صبرا
لاتحسب المجـد تمرا أنت ءاكلـه   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ثم قال : كان أستاذنا سيدي محمد بن عبد الله الالغي اذا أنشدنا البيت الاخير . يقول (لايدرك بدون الشوك ثمر النخيل . فكيف بالعلم . والعلمُ كما علمتَ بخيل) يشير الى قول المتقدمين :

(العلم ان أعطيته كله أعطاك بعضه . وان أعطيته بعضك حرمك)

ومما أنشدني اذ ذاك أن المجد لابد في ادراكه من الاسفار ـ وهي قطعة من رجز قديم ـ :

من لم تقطع رجله النعـالا   ولم يغب عن اهله احوالا
هيهـات ان يطـاول الرجالا

واستدعاني مرة في المدرسة . وقد قال قصيدته النبوية الدالية :

يا وادي الجزع نعم الجزع والوادي   ظباك هـل لقتيلهن من واد

فتلوتها عليه . فيفسر لي ما استغلق عليّ . أو ما أسأله عنه مما أجهلـه . ويرني الى الصواب فيما الحن فيه . واستدعاني مرة أخرى . فتلوت عليه القصيدة الرائية لابن عبدون :

الدهر يفجع بعـد العين بالاثر   فما البكاء على الاشباح والصور

ففسر لي جميع القصيدة من عنده . ولم يعرف اذ ذاك هناك شرح ابن بدرون عليها . وهي في (قلائد العقيان) وهذا أعظم مثال في تضلـع الشيخ فـي التاريخ وفي الادب . وأتحدى جميع من يدعي الادب من طبقة المترجم أن يتصدى لها هكذا عفوا . ثم يستحضر كل ما فيها . وقد وقعنا على القصيدة في كتاب (القلائد) الذي كان في يدي اذ ذاك عرضا . ولم يستدعني لاجلها ولم يتوقف في كل ما فيها الا في ثلاثة أبيات . الاول :

والحقت بعـدي بالعراق عـلى   يد ابنه احمد الميمين والشعر

والثاني :

حبابة حب رمان الم بها   واحمر قطرته نفحة القطر

والثالث :

ولم تدع لابي الزبان قاضبـة   ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر

ثم استدعاني في اليوم الثاني . فتناول مني القصيدة فتأمل هذه الابيات مليا . فقال : ان في كل واحد من الابيات التي أشكلت علينا أمس لتصحيفا فالبيت الاول تصحف فيه (أحمر العينين) بـ (أحمد العينين) والمقصود بـ (أحمر العينين والشعر) النعمان بن المنذر . وقد كان أشقر . وهو قاتل عدى بن زيد فوشى به ابن عدى عند كسرى . فكان ذلك هو السبب حتى فتك كسرى بالنعمان . وكذلك في البيت الثالث تصحف (أبو الذبان) بـ (أبي الزبان) و (قاضبة) بـ (قاضيه) والمقصود بأبي الذبان عبد الملك ابن مروان الذي تدمى دائما شفته فيقع عليها الذباب فيلقبه أعداؤه بـ (أبي الذبان) وهو الذي فتك بعمرو الاشدق التي ثار عليه في (دمشق) ثم توقف الاستاذ في البيت الثاني ـ الى أن وقفت أنا بعد ذلك بكثير الى أن التصحيف وقع في (أحمر) فقد كان المامون حمل كاتبه أحمد على أن يتبخر بالعود ـ وهو القطر ـ وقد غطه بالثياب . فكان ذلك سبب موته . فهو المقصود بقوله (وأحمد قطرته نفحة القطر) والقصيدة في طبعة (التقدم) ١٣٢٠ هـ للقائد فيها تصحيف كثير .

وفي يوم ءاخر استدعاني فأتيته أيضا بـ (القلائد) كأنني أتنفج بأنني أتعالى الى الادب العالي . وما الادب العالي الاّ أدب الاندلسيين اذ ذاك . فحين جلست . تناول الكتاب ففتحه على ترجمة (الوزير الكاتب أبي عامر ابن الارقم) في وسط الكتاب . فعل ذلك لئلا أختار أنا ترجمة كنت مررت عليها قبل . ومقصوده أن أتلو ما ربما لم أره بعد . ليرى مقدار تقدمي . فابتدأت الترجمة . فصرت أتلو . وهو يسألني . فاما أن أجيب . واما أن يريني ما أجهله . وقد كان لطيفا في ذلك فلما وصلت وصف المترجم (فنبت أبو عامر في تربة العلم ونشأ في حجره . وشدا بين سحر البيان ونحره) سألني عن المقصود بالسحر فقلت (الرئة) وان الكلام مأخوذ من قول عائشة (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحري ونَحري) قال لي لله درك يا ولدي . ثم قال : روى كلام عائشة أيضا (بين شجري ونجري) بالشين والجيم . والمقصود فوق ذقني . ثم قال الاستاذ : السحر بفتح فسكون أو محركا . أو بالضم كقفل . ثم لما وصلت في الترجمة (حتى ارتوى من صافي الادب ونميره . واحتجن من مصوحه ونضيره) فسر لي معنى تصويح النبات . أي ذبوله . وأنشد :

لعمر أبيك ما نسب المعلى   الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت   وصوح نبتها رُعي الهشيم

ثم وصلت هذه القصيدة لصاحب الترجمة :

سريت والليل من مسراك في وهل   مبرا العزم من اين ومن كسل
وسرت في جحفل يهدى فوارسه   سناك تحت الدجا والعارض الهطل
والبدر محتجب لم تدر انجمه   أغاب عن سرر أم غاب عن خجل
هوت أعاديك من سار يؤرقه   ركض الجواد وحمل اللاءمة الفضل
اذ الملوك نيام في مضاجعهم   مستحسنون بهاء الحلي والحلل
لله صومك برا يوم فطرهم   وما توخيت من وجه ومن عمل
نحرت فيه الكماة الصيد محتسبا   وحسب غيرك نحر الشاء والابل
اذا صرير المدارى هزهم طربا   الهاك عنه صرير البيض والاسل
وان تنتهم عن الاقدام عاذلة   مضيت قدما ولم تأذن الى العذل
كم ضم ذا العيد من لاه به غزل   وأنت تنشد أهل اللهو والغزل
(في الخيل والخافقات البيض لى شغل   ليس الصبابة والصهباء من شغلي)
ظللت يومك لم تنقع به ظمأ   وظل رمحك في عل وفي نهل

الى ءاخر القصيدة . فكنت أتلو ويستعيد مني كل بيت مرتين او ثلاثة او أربعا . وهو يتهلل أريحية . ويتمايل طربا . ويقول يا سيدي المختار هكذا يكون الشعر . ومثل هذا المديح هو الذي ينبغي أن ينسجه المادحون . ثم جعل يتتبع معي بعد اعادة القصيدة الفاظها ومعانيها . ويكثر أسئلته لي عن المعاني . وقد سألني عن هذه الالفاظ (جحفل) (العارض الهطل) (سرر) (اللامة الفضل) (الكماة الصيد) «صرير» «المدارى» «البيض والاسل (الصهباء) (عل ونهل) وعن أمثالها في جميع القصيدة . وعن كل ما في بقية الترجمة من (الرسائل) التي يكتبها المترجم الى أودائه . وكذلك سألني عن المعنى العام لهذا البيت :

اذا صرير المدارى هزهم طربا   الهاك عنه صرير البيض والأسل

هكذا قضيت أمامه ما قضيت . وما أكثر أمثال هذه المجالس الخاصة مع كل واحد من تلاميذه على حدة . وفي أثنائها ينفخ في التلميذ روحا جديدة . من الاشادة به . وتشجيعه الى الامام . وهكذا يقع لي معه كلما استدعاني . وكأنه لاحظ مني أنني أميل الى الادب . فلم استحضر قط انه سألني وحدي عن فقهية اذ ذاك . فرحمه الله من طبيب نطاسي . فان هناك ءاخرين لايسألهم عن الادبيات . بل يسألهم في علوم أخرى . والفضل في هذه البذرة الادبية يرجع للبوزاكارني الذي غرسها في . فلن أنساها له .

هكذا أمضيت هناك نحو أربع سنين . ونحن شببة متقاربون . وقد كدنا نقطع كل الحبائل . فنمرح ونقفز ولا مجتهد منا حقيقة الا الحسن

الكوسالي . وأحمد بن عبد الله الاساكي . ولولا البوزوكارني لما اشتغلت حتي بالادب . ولكنه كثيرا ما يعاتبه الاستاذ ان اشتكي عليه واحد منا بهذا الاديب . فقد قال له الاستاذ يوما وهو يعاتبه وأنا استرق السمع : (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض . وما تريد أن تكون من المصلحين) اما أن تقلع واما أن تقلع. بهذه الجملة العربية. يعني اما أن تقلع عما يشتكى بك منه . واما أن تقلع بسفينتك فترتحل. وهي من جوامع كلم الاستاذ . ثم لما أكثرالطلبة علىالاستاذ أمر البوزاكارني أنيزور أهله أياما ثم يرجعان شاء

دار الزمان دورته . ففارقت (سوس) ثم كنت في (فاس) ثم (الرباط) ثم (مراكش) حيث استقررت منتصبا للافادة والمذاكرة مع الطلبة . فزارنا المترجم ١٣٥٤ هـ فقامت به (مراكش) وقعدت . فقيل من القصائد ما سنورد ما عندنا منها . ترحيبا . وقلت أنا من بين القائلين . قصيدتين الاولى للترحيب به . والثانية يوم الوداع . ومطلع هذه :

كل شيء يطاق الا الوداع   صدمة في القلوب لاتستطاع

فقال الاستاذ : الاولى للمستثنى بعد التمام النصب ـ يعني الا الوداع ـ ولكن لابأس بغير النصب . ثم تلا قوله تعلى (لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا) وأنشد :

وكل أخ مفارقه أخوه   لعمر أبيك الا الفرقدان

وهكذا كان علمه معه . ومن نوادره اذ ذاك . انه كان يسبح في أنواع من الاطعمة الحضرية المتنوعة أسبوعا كاملا . فقلت له يوما : ان أجمت (١) من هذه الاطعمة نوصي من يصنع لك عصيدة . فقال مبتسما بسرعة : وهل سفرنا من بلدنا الا هروب من العصيدة التي هي طعام بلدنا الوحيد . وكنا ايضا اذ ذاك في نزهة أقامها طلبة (الرميلة) له في (عرصة البياز) التي كانت حينئذ محلا للتنزه . فكان واحد من الطلبة يتلو من (نفح الطيب) فوصلنا عبارة جالت الافكار في تفهمها . فقال كل واحد من التلاميذ ما سنح له . فاذا بأحدهم صادف الصواب . فالتفت الى الاستاذ فقلت له : لله در هؤلاء الشباب الفهمين اللقنين . فقد أدركوا المعنى المقصود . فقال : وكذلك أنا أيضا لله دري فقد القيت بدلوي بين دلائهم . يقول ذلك مداعبة وما ألطف أمثالها من أهل الوقار .

ثم لما نفيت الى (الغ) تلقيت منه قطعة شعرية . ثم لما انحلت العقدة ورد الى (الغ) لتهنئني بسراحي . فجالت القرائح الالغية جولاتها المعتادة . فمر لنا اسبوع لانظير له وقد ضمنت عيون ما وقع لنا من المذاكرات في

١) أجم من طعام : اذا مل من كثرة أكله كل وقت .

رسالة (نحوى الصديقين) وهي مطبوعة في ذيل (الرحلة الاولى من (خلال جزولة) ولم يبق الا القوافي التي قيلت . وسنتعرض لها فيما يأتي ان شاء الله . ثم وقعت مكاتبات بيني وبينه عديدة توجد كلها في (الجزء الثالث) من (الالغيات) .

وهكذا كان الاستاذ رحمه الله . ثم لما دهمت الحوادث ١٣٧٠ هـ وانتقلت الى (البيضاء) من (الحمراء) بعدما استقررت فيها سنوات اثر الرجوع من المنفى . بلغني أنه يدعو الله دائما أن يحفظني من أيدى الاستعمار . ثم لما اعتقلت الى الصحراء بـ (تافيلالت) كان من جملة تضرعاتي الى الله أن لايحضر هو وأخي سيدى محمد في قضية ابن عرفة . فاستجاب الله الدعاء . فنسي الاكلاوى المترجم اذ ذاك . مع أنه يعرف مكانته . ولو استدعاه لما كان له أن يتأخر عنه . والاستاذ بعيد عن جو هذه الحوادث . لايدرك من الوطنية الا ما يدركه أصحاب الغيرة الدينية . ولم يكن يظن أن مساعي الوطنية تجدى بلا جيوش . ثم وقع ما وقع من اعتقالات الوطنيين في كل مكان . فانكمش في بيته زاما لسانه مشتغلا بخويصة نفسه . الى أن استأثر الله به قبل أن تنحل الازمة . مصونا محفوظا . وأنا أعدها من عناية الله به . لأن الذين لايحترمون أمثاله جالوا بعد ذلك جولات .

وقد رأيته رحمه الله مناما قبل أن يتوفى بقليل يحفن لي ثلاث حفنات . ثم رأيته أيضا بعد وفاته بسنين . كأنني ضيف عنده في دار بنوية جديدة خرج الينا فيها من باب . وعلى عاتقيه أثواب بيض . فكساني وأعطاني ما أكسو به أهلي . ثم فضلت عن ذلك ثياب . فأهوى انسان ليحملها عنه تخفيفا عن عاتقه . فقال له بل فلان هو الذى يحملها عني . وقد علمت اذ ذاك أنه آثرني بحملها تشريفا وحنوا . ثم دخلت معه الى بستان متسع جدا . وفيه مياه جارية . مع صهريج ماء آخر . ثم أراني من ناحية أشجارا وقال : ان بني فلان تراموا عليها ولكننا دافعناهم عنها . ثم استيقظت جذلان فرحا . وكلتا الرؤيتين تسران ولاتغران . فرحمه الله ورضي عنه . فاللهم أضف علينا رضا الاشياخ والوالدين .

هذا ما يقوله تلميذ صغير من تلاميذ الاستاذ . لم يصاحبه كثيرا . ولم يكن الا من عرض تلاميذه . وليت شعرى ما سيقوله من لازموه كثيرا وشربوا من منهله الشرب الخاص . فلا ريب أن ذلك أفسح مقالا . وأفسح مجالا ومن أخلاق الاستاذ انه يخفض جناحه لتلاميذه . فيقبل انتقاداتهم. ويعترف لهم بالخطا . وقد قلت له مرة ان في بعض القصائد التي قالها شيئا في بحر البسيط . فربما يقع منها في العروض زيادة ساكن . فرمثل :

(مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)

مع أن الواجب فى (فاعلن) الاخير فى الشطر الاول من البيت الغير المصرع أن يحذف سكونه . فيقال (فَعِلُن) فأريته أمثلة من ذلك . فقال لى : قد يقع لنا أزيد من هذا . وقد أذنت لك أن تصلح دائمـا مثـل ذلـك . لان السهو والغلط مما يجب التنبيه عليهما .

كيف يتلقى الزائرين في داره

كان رحمه الله كعبة الزوار من جميع الطبقات . فيزوره مطلق الطلبة زيادة على تلاميذه . وجميع العلماء . ومختلف الرؤساء . ودهما العامة . وخصوصا أصحاب الدعاوى المستفتين أو الذين يحكمونه فـى نوازلهم . وذلك قبل ١٣٥٢ هـ قبل أن يدهم الاحتلال الذى قضى عـلى كـل أمثاله بالانزواء . كما يقصده الذين تلقنوا منه الاحمدية . فكذلك ترى حضرته دائما كأنها مجمع الرفاق . ومن عادته أن يبسط مائدته لكل زائر . وان ينزل الناس على منازلهم . فيعد لكل جماعـة ما يوافقها . وما يكفيها من المئونة . وقد يكون الاضياف عشرات فيصدرون كلهم شبعا وريا . وبيت أهله بيت كرم وضيافة من قديم . فأينما حل أحد أبنـاء الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم يحل فيه الكرم وحسن الضيافة . وقد كان ولده سيدى محمد هو الذى يتلقى الاضياف . ويقابلهم ويمـد لهم السماط ويحسب الاستاذ ان يجالسهم وان يكون بدر هالتهم . فيذاكر الطلبة . ويوجه العامة توجيه خير . ويعظ الفقراء . ويجاذب العلماء والطلبة البحوث العلميـة . وهذه البحوث لاتهدأ دائما فى مجلسه . وان لم يكن فيه الا أهله وأولاده وأحفاده . فان من عادته الدائمة أن يطعم فى داره أربع وجبات : الفطور المبكر بالحريرة والشعيريـة . ثم الغداء بالكسكس واللحم والخضر . ثم الهجورى بعد العصر بالطاجن . ثم العشاء بالعصيـدة المسمنـة الملبنة أو الكسكس كذلك . أربـع وجبات يجتمع عليهـا مع أهله فى ثوى الدار . فيواكله الكبار من الاولاد . فتـدور البحوث أثنـاء الطعـام وشراب الاتاى حول ما يدرسون . وبعدما يأكل هو وهؤلاء يأكل ولده سيدى محمد مع الصغار . هذه هى العادة فى دار الاستاذ ومتى كان الاضياف ـ وقلمـا يغبون ـ فهم دائما المقدمون . وكانت نفقاته ونفقات الناصريين جيرانه مما يتحدث بها أهل تلك الجهة الذين يعيشون فى تقتير عن رضا أو عن رغم . فان كان غيره يستكثر أن يذبح للأضياف دائما . فانه هو يتخذ ذلك عادة دائمة . ومن ذلك الباب تذهب كل الهدايا التى ترد عليه . وتباع المحصولات

التى تدرها املاكه . وقد اتخذ ذلك عادة . فعوده الله بفضله ان يفيض عليه من خزائن رزقه الواسعة . فكما هو محظوظ فى علمـه كذلك هـو محظوظ فى رزقـه (ومن يتق الله يجعل لـه مخرجا ويرزقـه من حيث لايحتسب) ومن كان لله كان الله له . وفي وقت شرب الاتاى دائما يتقدم أحد اهله للتلاوة فـى كتاب ما . ومن هـذه التلاوة تخرج كـل اولاده . فاستقامت السنتهم . وعرفوا اللغة .

اقوال المؤرخين فيه

قال فيه ولده سيدي محمد اثر وفاته :

(الحمد لله . هذه ترجمة الامام العلامة . الدراكة الفهامة . العالم الصالح . الولى الناصح . أمير العلماء . وسلطان الادباء . خاتمة المحققين ! وسراج المتقين أبى محمد شيخنا وأستاذنا وعمدتنا سيـدى الطـاهر بن محمد بن ابرهيم التامانارتى التانكرتى الايفرانى رحمه الله ورضى عنـه امـين .

ولد رحمه الله تعلى ورضى عنه فـى منتصف صفر عـام ١٢٨٤ هـ ثم توفى فى يوم الاحد التاسع والعشرين من رمضان وقت الضحى عـام ١٣٧٤ هـ وتربى فى حجر والده الفقيه العلامة سيدى محمد بن ابرهيم ابن أحمد بن يحيا بن محمد بن الحسن بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم بن عمرو اللكوسى الصديقي . التيمى . الى أن بلغ مـن العمر ١٢ سنة . (الى أن قـال) : وقرأ القرءان عـلى الشريفـين : سيـدى احمـد . وسيدى الحسن . ابنـى الشريف البركـة الصالـح الـورع . سيـدى محمـد بن ابرهيـم . من ذريـة الولى الكـامل سيـدى أحمد بن موسى التازاروالتى رحمه الله . ثم انتقل على يـد تلميذ والـده الفقيه سيدى الحاج صالح بن عبد الله الاكمارى من ذرية سيدى عبد الوالى الى مدرسة تلميذ والده أيضا . الفقيه سيدى محمد بن عبد الله بن صالح الالغى قرأ على والده الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم خاصة . لم يأخذ عن غيره شيئا من العلوم الظاهرة . فقرأ عليه وعلى أخيه الفقيه سيدى على ابن عبد الله الالغى جميع الفنون من العربية والفقه والحديث . وقرأ أيضا على الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى الالغى بعض الامهات . وعلى الفقيه سيدى الحاج محمد اليزيدى . ثم انتقل الى (تارودانت) فقرأ شيئا من التفسير على الشيخ الربانى سيدى الحاج أحمد بن عبد الرحمن التيمل الجيشتيمى . وأجازه من جميع الفنون اجازة مطلقة . وقرأ أيضا هناك على

الفقيه العلامة سيدى احمد السندالى المعروف بـ (امزاركو) التلخيص وجمع الجوامع . وأجازه ايضا . ثم رجع الى بلده عام ١٣٠٦ هـ فشارط فى مدرسة والده بـ (تانكرت) فشرع فى تعليم العلم الى سنة ١٣١٤ هـ . فسافر لزيارة الشيخ التجانى رضى الله عنه بـ (فاس) والتبرك بمآثر الخير هناك . فلقى العالم الجليل سيدى الحاج محمد كنون . وهو رئيس العلماء اذ ذاك (١) بـ (فاس) ولقى ءاخرين كسيدى أحمد بن المامون البلغيثى وأضرابه . ثم رجع الى محله . فشرع فى تعليم العلم الى سنة ١٣٢٨ هـ ففارق ذلك المحل لأمر . ثم فى سنة ١٣٢٩ هـ انتقل الى مدرسة الولى سيدى (أبى مروان) بـ (سملالة) فلازمها للتدريس عامين . وبعد تمامهما رجع الى محله بـ (تانكرت) فلازمه الى أن توفى رحمه الله ورضى عنه فى التاريخ المتقدم . قاله ابنه محمد بن الطاهر)

(أقول) ان اجازة أحمد امزاركو لم تكن بين أيدينا اليوم لنخلدها .

وقال فيه علي بن الحبيب

(ومنهم شيخ التربية والتعليم . امام التقرير والتفهيم . الفقيه الاديب المحقق . الشاعر الملفق . أبو الحسن والمحاسن . سيدى الطاهر ابن محمد التانكرتى الايفرانى البكرى . هذا السيد قد استحق والله أن يفرد له فى مناقبه بتاليف وحده . ولكن اتينا هنا تبركا بما عنده . فهو من أكابر العلماء والادباء بتاليفه ومحرراته . وقصائده الشعرية مـلأت الآفاق . وجاوزت الطباق . فسل (فاسا) و (الشام) و (المدينة) ومن جاور (البيت الحرام) و (تونس) و (شنكيط) ورجال « الوسيط » تخبرك عن مجلها المحكك وجذيلها المرجب (٢) وناهيك بتنوير كلامه . ولا يمكن لمتعسف مدخل . ولا مجال لتعقبه . مع سلاسته وتحيته . قرأ على الشيخ الامام سيدى على بن عبد الله الالغى السملالى . ثم ورد على (فاس) بعد تضلعه وأخذ عن أكابرها (٣) وأتفق له بها من منافسة نظرائه فى العلوم

١) الذى كان رئيس العلماء هو محمد بن المدنى كنون المتوفى ١٣٠٢ هـ وأما محمد بن عبد السلام كنون الصغير هذا الذى لقيه المترجم . فانه علامة كبير جلى فى الحفظ والفصاحة . ولكنه ليس برئيس العلماء وقد التبس الاسمان على كاتب الترجمة .

٢) هكذا بخط المؤلف والمعروف فى المثل . جذيلها المحكك . وعذيقها المرجب .

٣) لم يأخذ من (فاس) شيئا . ووصف الالغى بالسملالى سبق قلم .

والوقائع امور يطول بنا شرحها . والغرض فى الكتاب الايماء بالتعريف . ولا باس بذكر المحاسن . لقيته مرة بـ (مجاطة) فراقنى ما شهدت من لذيذ طبعه . منبئا عن طيب أصله وفرعه . وله من العلم والعمل مكان . وانه من القادة الاخيار . والصلحاء الابرار . كراماته شاهدة له بالاستقامة وكفى بها حجة . وقد اطلعنى بعض الاحبة على ديوانه الشعرى سنة اربعين وثلاثمائة والف . فوجدته قد نيف على عشرة ءالاف بيت . مما وصله منه . وهو فى قيد الحياة أطال الله بقاءه فى الصالحات . وكان كريم المـائدة . يفرغ على الصادرين لديه من أنواع الاطعمة . واصناف الاشربـة . شىء كثير . فى بابه كبير . امتع الله به الانام . ونفع به من قعد وقام . وقد ادب فى الاكرام . وتعجب الناس من تلك النفقة الملوكية الوافرة المتنوعة . ولاشك انه مرزوق بالعلم والعمل . ومن شعره فى أحمد الهيبة قوله :

يا خير من مدت له الاعلام   وتعطرت بثنائه الاقـلام

(الى ءاخرها)

ولما ازمعوا على الرحيل خاطبه العلامة المذكور بما هو نصه :

اقسمت بالمجد والعلياء والهمم   ان الخلافة قد اوت الى حرم

(الى ءاخرها)

وله ايضا مخاطبا به قاضى حضرته الفقيه السيد محمد بن عبد العزيز الصحراوى قولـه :

فعلى السيد ابن عبد العزيز   ذى البلاغة والكلام الوجيز
من جرى فى مدى الفضائل فاختـ   ـص بخصل السباق والتبريز
خير تسليم صادق حل من ركـ   ـن المؤاخاة فى محل حريز
امك اليـوم يخطب الود لا غـ   ـير لأنك من ذوى التمييز
فوجدناك قد توجهت للسلـ   ـطان لا زال دائم التعزيز
فكتبناه ترجمانا عن الشو   ق الكمـين المخبىء المكنـوز

وقال فى الهيبة ايضا لما وصلته بيعة (مراكش) فى حضرة السلطان المذكور ارتجالا :

الحمد لله جاء الفتح والفرج   وزال عنا بهذى البيعة الحرج
فهـذه بيعـة عمت مسرتها   وتم فى افق العليا بها الارج
فانك الرحمة المهداة لنت على الا   مة لين أصولك الاولى درجوا
فالله ينصرك النصر العزيز ويكـ   بت الاعادى الاولى فى خوضهم درجوا

هذا ما حضرنى من المخاطبات السلطانية . وفى علم الله ما لانعلم . والتسليم للاقدار اسلم .

وله أيضا فى مدح الشيخ ماء العينين وتخلص فيه الى مدح السلطان المذكور قوله :

هذى مرابع ليلى فاقض ما وجبا　　　ونث من سر ماء العينين ما احتجبا

(الى اخرهـــا)

وكان لهذا السيد القدم الراسخ فى قرض الشعر ونسجه . طاب له الغدو والرواح ببرجه . وهو فى قيد الحياة . فان رؤيته لتسر القلوب . وتزيل الكروب . ذكر اسمه اللطيف أشهى شيء لدى فى الدنيا ؛ وكيف لا وانى لو أردت أن أشرح عظيم افضاله لضاق بى المقام . وشوقى اليه كشوق الظمئان الى الماء العذب . والمسجون الى المكان الرحب . ولايخفى على سيدى ما أنا عليه من قلة البضاعة . وجهلى بأحوال الصناعة . فقد عزمت علـى ارسال هذا التأليف الى حضرته ان شاء الله . ليحكه على محك فكره الثاقب ولبه الزكى . حتى اذا رأى فيه مبتذلا أبدله بما ينسج من بنات أفكـاره ووضعه فى قالب يحسن عند أنظاره . فهو عندنا رأس العرب . وربيعها الذى به تخصب . وملكها الذى اليه تنقاد . وعمودها الذى عليه العماد . سلفه خير سلف . وهو لنا بعدهم خير خلف (وقد توفى رحمه الله فى اخر رمضان عام أربع وسبعين وثلاثمائة وألف) .

(أقول) : ان القصائد التى ذكرت مطالعها . توجد كلها فى (الجزء الرابع) .

قولة بعضهم فيه اثناء كتاب

(لو كنا أطلعنا على حياة أمثال سعيد بن على الحامدى . ومحمد بن على الهوزالى النابغة . وأحمد بن محمد الرسموكى . ومحمـد امحـّاولو الايسى . وابرهيم السكتانى . ومحمد بن أحمد الرسموكى . ومحمد بن عبد الله الزدوتى . ومحمد بن الحسن الايلالنى . ومحمد بن صالح الردانى ممن رأينا لهم اجادة وثقوب ذهن. ووقفنا على غالب ما قالوه . ثم عرفنا حق المعرفة مداركهم العامة ودرسناهم حتى ندرك توسعهم فى المعارف . والاطلاع التام على كل ما أمكن اطلاعهم عليه فى عصورهم . لربما استثنيناهم كلهم أو بعضهم حين نحكم الآن بأن (سوس) لم تلد مثل النابغة الطاهر الايفرانى فى اتساع أدبه . وبراعة منطقه . واطلاعه الواسع فـى نواحى الآداب . واستحضاره للنوادر والنتف المختارة والامثال الشعرية والنثرية . وحياة الادباء والشعراء والملوك الاسلاميين . وفى تضلعه ورا' ذلك من النحـو واللغة والفقه . والمامه الماما حسنا غير ضيق بالبيان والاصول والحـديث

والتفسير . والقائه للسيرة النبوية القاءا تاما . وهى مفتاح الحديث والتفسير مع كونه وراء ذلك صوفيا غير متغال فى اعتقاده . سليم الطوية . لطيف المجالسة . حلو المؤانسة . ذا اريحية أدبية عالية . واخلاق دمثة . كأنها نسمات الاسحار . صافحت الازهار فى زمن طلق لا قار ولا حـار . فان عاشر غير الادباء فجبل راسخ وقارا . ولولا الانشراح الذى لايفارق طلعته . والتبسم الذى يحالف ثغره . لما عد الا" (ابسانـا) فى افانين ودقه (١) . تستحلى الأبصار رونقه . وأكبر مـا يزيد ذلـك الرونق نصوعا سكوليـه وثباته ولكنه متى جالس الادباء . ودارت كؤوس الادبيات . رأيته مع ثائره ببقايا ذلك الوقار . كأملود ثقيل بالاثمار يتمايل تمايلا وئيدا وبوده لـو تنسخ نفسه من جثمانه لتطير فوق أولئك الادباء بأجنحة المرح . وهو يرسل النكت اللطيفة كلما أبدى من الفهامه المستطرفة . وكل لفظة ينطق بهـا الوقور فى مثل تلك الحالة تعود نكتة مستملحة . على حين ان غيره لو نطق بها لما تقمصت تلك الروح التى لاتعرفها الا" أرواح الادباء . فى مجالس الادباء .

اما شعره . فيوجد فيه شعر أندلسى الحلة . كأن ابن زيدون يطارح نداماه على ضفاف وادى (اشبيلية) يوم طردته (قرطبة) الجمهوريـة الى (اشبيلية) العبادية . أو كأن لسان الدين يخطر فى حدائـق (جنـة ابن العريف) فى (غرناطة) فيترنم بما توحى بـه قريحتـه من اخوانياته او مديحياته أو نبوياته وهذا النوع من شعر النابغة الايفرانى يكثر فيمـا قاله اولا . والشباب غض . والاجادة لاتزال مخطوبته . فيسرب اليها لعلها تخطبه كل ما فى فكره من شعور وطموح . وبراعة فائقة . وصناعة رائقة كما يوجد أيضا فى الذى صدر عنه على الباج بحور العروض . ما بينه وبين ذاك ما كان بين قولى بشار حين يخاطب صبية فى داره . يذكر لها دجاجتها وخلها وزيتها(٢) وحين يقول اذ يجد جده . فيتطاول الى هتك حجاب الشمس او تقطر دما (٣) . وما الشاعر الا" ابن البواعث دائما .

ذلك هو شاعر (سوس) اليوم الذى كان من مفاخر المدرسة (الالغية) وممن تفيؤوا افياء (تارودانت) نحو سنة . كما تمتع بنسيم (وادى الجواهر)

---

١) قال الشاعر القديم :

كأن أبانا فى أفانين ودقه　　　كبير أناس فى بجاد مزمل

٢) قال :

ربـــابــة ربـة البيت　　　تصب الخل فى الزيت
لهـــا عشر دجاجـات　　　وديـــك حسن الصوت

٣) قال :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية　　　هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

بعد ذلك في شهور . ولا نحسب الا" اننا صادفنا في حكمنا انه في مجموع ما اتصف به كبيضة الديك في (سوس) منذ اعتنقت (سوس) العربية وعلومها وءادابها . فقد أخرجت حقيقة من هم أمثاله في الاصطلاح لغة أو فقها أو نحوا أو سيرا أو شعرا أو كتابة وربما كان منهم ما كان اخصائيا في فن من تلك الفنون . وأما من جمع كل ذلك بمشاركة فائقة ثم برّز في الأدب . وأفلق في القوافي . ثم حفظت ءاثاره من الشتات حتى ملكنا درسها درسا تاما . ثم ضم الى كل ذلك جاها طويلا عريضا . ودينا وخلقا . وحسن معاشرة . فاننا لانحسب اننا وقفنا فيما وقفنا عليه على من يكون ثانيا له . وما راء كمن سمع . والعرب بالباب . وزو (ايفران) تر بالعيان.

أما مكانته اليوم في جيله الذي صار ينقرض في كل المغرب . فنحن نبتعد عن موازنته مع أترابه أبناء السبعين ونترك ذلك لصاحبه النقيب مفخرة المؤرخين المكناسي الذي حكم بأنه أبرع أهل جيله المغربي فيما حصله تحصيلا تاما. حتى ليعليه فيما حكى لي حالك على كثيرين . وسمّى أناسا . لأنهم وان اتحدوا في المشاركة في العلوم فان الايفراني قد يبرع في الذي يرسله من الشعر الذي ان توفر عليه لايشق له فيه غبار . هذا ما يقوله النقيب . وهو أعرف بأهل ذلك الجيل منا . وان كنا نحن يتراءى لنا أنه والبلغيثي فرسا رهان . أو بينهما عموم وخصوص كما يقول المناطقة . فقد جمعتهما المشاركة والتفوق في الادب . وعلا كعب البلغيثي في استظهار المذاهب المختلفة مع الحذق الحضري في كل علم (١)

درس النابغة الايفراني نحو ٢٤ سنة فتخرج به أفذاذ في الادب وفي العلوم . كما ألف تئاليف هي دون قدره . في بثه منزعا وتطلعا . وقد دقت بشائر الادب بولادته سنة ١٢٨٤ هـ . أطال الله عمره للادب وبارك فيه . وفيما ينتجه لو كان لايزال يهتم بالانتاج . ولكن جفت منه الاقلام . وطويت الصحف .

(ثم ساق صاحب الكتاب كثيرا من أشعار المترجم ورسائله مما سنسوقه نحن قريبا . أو سقناه في تراجم أخرى .) ثم قال :

(وبعد) فما رأى القارىء في هذا الشيخ الذي يتلاعب باطراف الكلام . على أسلات الاقلام ؟ فهل يصح فيه من هذه الناحية على الأقل ذلك الحكم المسمط الذي أصدره أديب مكناسة الزيتون . الذي لاتمنعه المعاصرة ولا تربية الحاضرة . من أن لا تكون منه اغماضات عن الاعتراف بهذا الاديب الذي تزدهي به اليوم البادية . وبودى لو أجد أن أعرض على القارىء من النواحي الاخرى من الفنون التي بذ فيها هذا العلامة الكبير . لعل ذلك

١) وفي كتاب (مشيخة الالغيين من الحضريين) ترجمة للبلغيثي واسعة . والكتاب لايزال مخطوطا .

يظهر براعته فيها أيضا . كما ربما ظهرت براعته التامة بهذه النماذج التي سنقتطف طاقات أزهارها من مئات من القصائد . في الوجهات التي يقول فيها . وبودى لو أجد ذلك فيمثل العلامة الظاهر الايفراني بين يدي القارىء كما هو في تلك العلوم كما يمثل امامه الآن الاديب الظاهر في أدبه الرائع . ولا ريب أن في مقابلة الشيء بنده أو ضده . صحة الموازنة . فليجل القارىء المغربي الآن عينيه في الحواضر والبوادي من أبناء السبعين ثم ليوازن بينهم وبين صاحبنا . مع عدم نسيانه من درجوا عن قريب فانهم داخلون مندرجون تحت الموازنة فلعله لايضع ازاءه الا البلغيثي وحده

ثم ان هناك نظرة أديب سوسي حول شعر هذا الاديب الكبير وبين أبي العباس الجشتيمي . وربما كان من المستطرف عرضها على الانظار . فلا أطرف من أن يوازن أديب سوسي بميزان سوسي ءاخر . ليعلم أن (سوس) كما سمحت مناجمها بالنظار . سمحت أيضا بنقاد ذوي انظار . ولكن تنكبنا عن ايراد ذلك هنا لأننا في هذه الترجمة بصدد العرض للقصائد والاشادة بالاعمال . لا بصدد نظرات الناظرين . وان كان لها ما لها من القيمة وجودة النظر) (١)

ءاثاره

أمثال المترجم العلامة الكبير المدرس المكافح القاضي المفتي ممن تكون لهم ءاثار أعمالهم الحافلة في كل ميدان من الميادين الذين يعملون فيها . فيكون تلاميذهم ومواقفهم في المعارك . وأثمار أقلامهم في القضاء والافتاء ونفثات قرائحهم الفياضة في النثر والشعر . هي ءاثارهم الذين تكون منارا لذكرياتهم في الاجيال بعدهم . وقد رأينا ما قام به الاستاذ في ميادين الكفاح كما سترى تلاميذه فيما يأتي . ولم يبق الا" ما تجيش به قريحته في ميدان الادب . أو فهمه في ميدان القضاء والافتاء . وحين كنا لانتعرض للفقهيات في هذا الكتاب . لم يبق لنا الا" ءاثاره من النثر والقوافي .

ان ءاثار الاستاذ في ميدان الادب هي ءاثاره اللامعة . فهو من المكثرين الذين حبب اليهم أن لاتزال المحالفة بين أقلامهم وأصابعهم في استدرار قرائحهم كلما دعا داع . أو نادى قيام بالواجب . وقد حرصنا في جميع أجزاء هذا الكتاب أن نسوق بادنى سبب من ءاثاره هذه . فتفرقت في أجزائه رسائله وقوافيه . وها نحن الآن نتعرض لبعض ما لم يجر ذكره في التراجم الأخرى . ثم لانزعم أننا استوفينا كل ما قال . لأنه

١) توجد هذه الموازنة في (الجزء السادس)

لم يزل منذ سنة ١٣٠٣ هـ الى ١٣٧٣ هـ يقول بكل مناسبة . ويترسل في كل موقف . وذلك سبعون سنة متواصلة . وأتأسف كثيرا حين كان ولده سيدى محمد لايستقصي رسائله التي لاتكاد تنزل عن الترسل الممتاز مع أنه يحرص على استقصاء كل قوافيه وان لم تكن أحيانا الاّ منظومات ساذجة . كما أنني أتأسف أيضا حين كان المذكور لايحرص على تسجيل القصائد التي يخاطب بها الاستاذ من تلاميذه وأصحابه . كما يحرص على ما يجيبهم به الاستاذ . وقد فاتنا بذلك ءاثار كثيرة من كثيرين من هؤلاء . ولله در الاديب سيدى محمد بن علي الالغي الذى يحرص على تسجيل كل شيء كيفما كان . فقد نفعني الآن . وأنا أتوقف على الذّرة . كما أتوقف على الدرّة .

تقريظ الاستاذ لـ (روح البيان)

ان للأستاذ تقاريظ متعددة لكتب حديثة . فقد قرأناها في مؤلف لابن زيدان وفي ءاخر لسكيرج ؛ وفي ءاصر للحجوجي . وأما تقريظه للديباج مؤلف العلامة البلغيثي فانه مطبوع معه . ونحن اليوم نريد ان نفتتح ءاثار الاستاذ بما كتبه على تفسير (روح المعاني) الذى تسابق الى تقريظه علماء سوسيون كالعلامة محمد بن العربي الادوزي . ونص تقريظ الأستاذ :

(الحمد لله الذى أبان بدلالة العلماء معالم كتابه . واستخرج بأنظارهم الصائبة . وأفهامهم الثاقبة . روح معانيه وخلاصة لبابه . وفتح لهم خزائن معارفه . وأفاض عليهم سوابغ عوارفه . فأتوا بيت التفسير من بابه . واستبقوا اليه فمنهم سابق (محمود) ومقتصد معذور ببذل الجهود . والكل مستوجب لمزيد ثوابه . والصلاة والسلام على السر الأكمل . والنور الأول الذى زالت به عن الوجود ظلمة حجابه . سيدنا محمد الذى أنزل عليه الكتاب . وخص في مقام المشاهدة بلذيذ الخطاب . فبلغ عن الله تعلى ما أتى به . وعلى جميع من اهتدى به فهدى . وشام برق السعادة لما بدا . وءاله الغر وجميع أصحابه .

(أما بعد) فيقول الفقير ؛ المرتجي عفو الله تعلى عن كل قطمير ونقير؛ الطاهر بن محمد التامانارتي سدد الله نبله . وأصلح قوله وفعله . وأسبغ عليه فضله . أنه لما سار رائد الطرف في روضة هذا الكتاب . وورد سرح العين مورده المستطاب . وتشنفت الاذان بلآلىء بحره . ونفثت في عقد القلب نفاثات سحره . ودارت على الخاطر حميا مدامته . وهبت

على الفكر ريّا صبا رامته . اذا هو بحر لاتكدره الدلاء . ولا تستقصي جواهره كثرة الاملاء . وروض لاتذوى ازاهره . وفلك لا تافل زواهره .

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسنا ويعشقه من ليس ذا بصر

فيا له من كتاب ما أغزر وبله . واوضح سبله . واقوم قوله . وابين فضله . قرر فحرر ؛ وحاك فحبر ؛ واورد فاصدر ؛ وبين فحقق . وجمع مالفرق . واحصى فأحاط . وازال الشبه وماط . ونقح المناط . وقطع مع الجاحد كل نياط . وكيف لا وهو الروح . لجسد سائر الشروح . وهل يسوى الروح بالجسد . الاّ من ران على قلبه رين الحسد .

ومن يقل للمسك أين الشذا كذبه في الحال من شما

فحمد الله سعي مؤلفه المحمود . وأورده من الرضوان اعذب مورد . وبلغه به من الجنة غاية المقصود . فما أحق فضله الغير المجحود . ان يتمثل له بما قيل في بعض من اسمه كاسمه (محمود) :

ومن قال ان الناس ذموك كاذب وهل عيب بين الناس اوذم (محمود)
فما أحد الاّ بفضلك ناطق وما فيك الا الفضل يعرف والجود

وماذا يقال في وصفه وكل قول دونه . والواصفون له وان اطنبوا مقتصرون على التقصير فما يعدونه . فليعتذر المقصرون عن وصف ما له من الشرف والفخر . بقول الخنساء في صخر :

فما بلغت كف امرىء متطاول من المجد الاّ والذى نلت اطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة وان أطنبوا الا الذى فيك افضل

والانصاف أن ما قيل فيه دون قدره . وان أكثر الصدور من شكره . فما هو الاّ الغاية المتناهية . والموهبة السنية من المواهب الالهية .

ثم انه قد تحامل الخاطر المخاطر . وعصر غمام فكره الغير الماطر . وحمله فرط الاعجاب ببراعة هذا الكتاب . على التطفل على من قرظه من السادات . بانشاء ثلاثة ابيات . مع جمود ماء الفكر وغيضه . وتصويح روضه . لكنه لما نفخ فيه الروح تحرك . وسارع لخدمة الجناب وتبرك . فقال ؛ سامحه الله تعلى في عثرته واقال :

تالله ما (روح المعاني) وهو من وضع الشهاب ابي الثنا (محمود)
الا يحق لذى العناية كتبه بمذاب تبر في خدود الخود
والله يعلى قدره وينيله في الخلد ما يبقى بمحض الجود

كتبه على قدر بضاعته المزجاة . راجيا من سعة رحمة الله المرتجاة . اصلاح الباطن والظاهر . الفقير الضعيف الطاهر . حامدا لله . ومصليا على نبيه

الأواه . بآخر ذى قعدة ١٣٢٠ من هجرة خير الأنام . عليه أزكى صلاة وأطيب سلام . وعلى آله وصحبه)

بينه وبين معاصريه

جاذب المترجم القوافي كثيرا مع الادباء السوسيين الذين عاصروه . ويجد القارئ في تراجم الاديب محمد بن الحاج والاديب العربي الساموكني والاديب البشير الناصري . والاديب القاضي محمد بن علي أوبو . والاديب البشير العزيبي . والاديب داود . والاديب أحمد اليزيدي . ما بينه وبينهم ثم يبقى كثير وثير مما بينه وبين ءاخرين كاستاذه أبي الحسن الالغي وأبنائه محمد والمدني . والعلامة عبد الله بن محمد الالغي . وغيرهم من الفاسيين والحضريين قاطبة . وها نحن اولاء سنجتهد أن نسوق ما لم يسبق لنا أن ذكرناه في أية ترجمة ممن ترجمناهم . ليمكن لنا أن نؤدي للأدب العربي الالغي مايستحقه من التسجيل. فلنبتدئ بشيخ (الغ) أولا. حيث نبت ريش الاستاذ . واستنبطت بلاغته في فجر حياته :

بينه وبين ابي الحسن الالغي

قال أبو الحسن يعزى المترجم في زوج له توفيت ــ وهي أم أولاده الكبرى فاطمة بنت سيدى الحاج المدني الناصري ــ ليلة الثلاثاء خامس ربيع الاول ١٣٣٩ هـ :

قضاء جل والأجر المؤدي   لمحتسب العزاء أجل منه
ولولا الصبر يحمد في الرزايا   لقلت يجل هذا الرزء عنه
يقل لوقعه غيض الرعايا   وفيض الشان دمعا لم يسنه (١)
ومن أمن الزمان فعن قريب   يراع به ويرزأ من لدنه
يقصر كل نظم في قصي   تبين فضله لو لم تبنه (١)
ومن ترك البنين بناة مجد   يخلد فالمنية لم تصنه
لفقدكم بني الصديق فضل   يزان به الرثاء ولم يزنه
ويعلم من له علم الخفايا   لدى لكم ولاء لم أضنه

ولم اقف على جوابها . وخاطبه المترجم بقوله صدر رسالة :

سلام كما مس النسيم عن الزهر   بساطا اجادت وشيه راحة النهر
يجاري به ساري الصبا نحو ساحة   بها راحة الحيران مطلع الفجر
مغان بها عز المهين وسلوة الـ   حزين وانصاف الغبين من الدهر

(١) لعله هكذا . فتأمل البيتين .

نعمت بها إلا على حين غرة   من الدهر ثم ثاب للحرب كالصقر
فاخرجني منها بغير جريرة   علمت ولكن لذة الدهر في الجور
وان مجال الطرف في عرصاتها   أحب الى المشتاق من ظبية القصر
فلازال ضافي المجد والفضل والندى   محيطا بها مثل القلادة في النحر
ولا برحت تلك المغاني مطالعا   لكل كريم طيب فاضل صدر
يسير بغاة المكرمات بنوره   كما سار ساري الد لهمة بالبدر
ومني على تلك المغاني وأهلها   سلام زكي طيب عاطر النشر

وخاطبه أيضا بقوله أثناء رسالة :

نفسى الفداء لسيدى من كل ما   ضر ألم به ومن كل الالم
فالله يبقى مجده ويديمه   للمكرمات فانه الفرد العلم

وخاطبه أيضا بقوله أثناء رسالة أخرى :

على مثابة محض العز والكرم   ومنزل حل من يغشاه في حرم
ربع أدل على رسم السيادة من   نجم الهداية او نار على علم
أزكى سلام كما فاحت معطرة   من نشر ذكرك ريح الورد من كلم

وقال يخاطبه أيضا :

أدر من حديث الوجد أعذب ماكأس   وروّ فؤاد غير سال ولا ناس
وامل على نشوان قلبي مد رسا   مسلسل ما ترويه عن خير ما ناس
أناس بهم أحمى حماى واجتني   ثمار المنى منهم واطرد الافلاس
فحسي متى تجتز ــ سلمت ــ بأرضهم   صبا الوهن مني ذلك الجبل الراسي(١)
امام به نالوا العلا وتمسكوا   من الدين والدنيا باقوم قسطاس
وشيخ اذا ما القلب يضنى فانه   خبير بأنواع الدواء له آس
هو الملجأ الأحمى وعروتي التي   عقدت بها من خيفة الدهر امراسي

***

أيا فخر هذا الغرب يا بدر أفقه   ومن سوسنا ثوب الجمال به كاس
ومن كلما جاريت في شأو حبه   بني الدهر حازت خصلة السبق افراسي
تدارك ذماء قد رمته يد الهوى   وشيطان نفس لا تنيب بابلاس
وداو بامداد وتوجيه همة   بحقكم نحوى يلن قلبي القاسي
ومني على متن الرياح اليكم   سلام يغير المسك من طيب انفاس
يراوحكم ما باح بالحب عاشق   تضمن شكوى وجده قلب قرطاس

(١) الوهن كفلس : طائفة من الليل .

وقال يهنيه ببنت :

يا سيدا نعمته الثرة   قد استرقت نفسي الحرة
قد سرنا ما زاد عندكم   فلتهنك البنية البرة
فانها والسعد مطلعها   شمس لها شمس الضحى ضرة
يكفلها الصون ويخدمها   حتى ترى لعينكم قرة
لا زال عقد الفضل منتظما   وأنت في وسطه الدرة
ولا يزل يقضي بما تشتهي   من كل خير حاكم القدرة
ثم سلام من اخي شغف   حنّ الى هاتيكم الحضرة
أحرقه الشوق لرؤيتها   ولم يزل تخنقه العبرة
يود لو أسعفه دهره   بزورة فيها ولو مرة

وقال يهنيه بمثلها :

لم لا يسر المجد والسؤدد البحت   وقد نجمت زهرا بسرحتكم بنت
واني وحق المجد ممن يعيذها   واخوتها بالواقيات وان بنت

وقل أن يولد لأبي الحسن ثم لايقول فيه المترجم . ذكرا أو أنثى . بل حتى لكل الالغيين .

وخاطبه بعدما سمع منه نصحا :

بدا لي من مولاي نجم من النصح   فأوضح لي نهج السعادة والنجح
فزحزح مذ بانت أشعة نوره   لثام دياجي الجهل عن جبهة الصبح
واحرق شيطان الهوى بشهابه   وأصلى محياه المقبح باللفح
ألا قبح الله الغواية كم أرت   متاجر عين الخسر أفضل ما ربح
فياويح نفس الغافل الغدم كم جنت   عليها أيادي الجهل لويغن(ياويحي) ١
فيا سيدي اني جريح ضلالة   ونصحك شاف فهو لي مرهم الجرح
فزدني يا مولاي فالقلب شيق   اليه ولا شوق الطريد الى الصلح
حرمت الرضا ان لم تقابل مجيئه   مدينة صدري كلما جاء بالفتح
ولا يك ما قد قيل ان صح خادشا   بوجه الرضا عن عبدك النذل بالقدح
فاني أرجو أن أشيد من العلا   بهمتك العلياء أفيح ما صرح (٢)
فاغض وسامح سيدي في جرائم   وقابل ذنوبا توجب الطرد بالصفح
فدمت لنا ترعى هوامل نفسنا   وتضبط منها كل سائمة السرح
ولازلت يسري الشمال الرطب سحرة   بفضلك في الكونين يعبق بالنفح

١) لو يغن ـ هكذا بحذف النون في الاصل .

٢) هذه الميم التي تزيد كثيرا بين المتضائفين عند الالغيين يسميها البوزاكارتي الميم الالغية . كما ينتقد أيضا الصلاة على النبي في أواخر قصائدهم . ويقول : ما ذلك الا من التقليد . والا فلكل مقام مقال .

وكتب اليه أيضا :

على شيخنا قطب الهدى والمفاخر   عباب الندى الطامي على كل زائر
سلام فقير باسط راحة الرجا   لنور الرضا العافي ظلام الجرائر

ووفد المترجم الى (الـغ) في أدباء فرحب بهم أبو الحسن بقوله ـ على عادته في كل وارد وصادر ـ :

تألق هذا القطر مذ طلع البدر   بشرقيه واحتف هالته الزهر
وأصبح منه مرتع الوصل مخصبا   وأصلح ما أثأت يد الغير الدهر(١)
وجاد ـ وقد يسخو البخيل ـ بجلة   تبسم عن عيد السرور بهم فجر
ومنوا وقد شد الوثاق يد الندى   ففك بهم باليسر ذلكم العسر
فأهلا بوفد حبهم وودادهم   أدين به الرحمان ما بقي العمر

ولم أجد ازاءها جواب المترجم . مع أن العادة أن يكون دائما جواب في أمثال هذه المواقف .

وخاطبه أبو الحسن أيضا بقوله يسأله عن مسالة فقهية في الصلاة :

على امام الهدى والدين والرشد   مني سلام بلا حد ولا عدد
هذا سؤال سؤول حل مغلقه   وافتحه لازلت مولى الفتح والمدد
تحير العقل في تصوير قبلي من   سها عن الجلسة الاخرى وعن سجد
فان أجبت بما يشفي الغليل فقد   قلدتني منه ما يبقى مع الابد

الجواب :

يا مولى الفضل والافضال والمدد   وطاهر القلب والاخلاق والبلد
وسيدا خصني فضلا بما عجزت   عنه ثلاثي لساني مضمري ويدي(٢)
جاء سؤالك يستجدي ومن عجب   أن يستمد عباب البحر من ثمد
هذا وعبدك قد كلت قريحته   عن حل هذا السؤال المعضل العقد
وكيف لا وهو من عهد (الامير) غدا   مجال بحث عريض لم لم يجد (٣)
وأين للعبد علم لم تفده وهل   يسري له من سوى علياك من مدد
وأنت أنت هلال ما دجا حلك   للجهل الا ونور منك في رصد
فدم ورايتك العليا وسعدك في   اقباله امنا من عين ذي حسد

١) أثأت : أفسدت

٢) فيه تلميح الى قول القائل :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

٣) الشيخ الامير : الفقيه المالكي المصري . أي لم يجد له جوابا .

كان المترجم أرسل اليه سنة ١٣٠٦ هـ . من (ردانة) هذه القصيدة فهي من أوائله :

لا تعذليه اذا تشوق أو صبا … أو ناح ان هبت شمال أو صبا
فله فؤاد مسا تالق بارق … الا التظى بغرامه وتلهبا
واذا تنسم ريـح نفحات الحمى … سحرا تفرق صبره أيدى سبا
واذا أظل الليل واعتكر الدجا … نام الخلى وبات يرعى الكوكبا
واذا شدا نادى البلابل هزه … فغدا وان لم ينس يذكر زينبا
واذا تذكرت طيب أيـام الحمى … كادت حشاشة نفسه ان تذهبا
ياليت ذا الدهر الخؤون أعاد لى … ذاك النعيم وتاب لـما أذنبا
فأجول فى تلك المسارح مارحا … مرح الفلو النهد صادف ملعبا ١
لكـن يجور الدهر لايحنـو على … صب وليس يرده ان يعتبا
فكأنه لازال يحسد كل ذى … نعمى فليس يسر حتى يتربا ٢
وكأنه واش يغار اذا دنـا … صب فيجهد فى النوى ليعذبا
ولقد رمى قلبى بما لو نال من … رضوى ويذبل أصبحا منه سبا
أغرى بى البين المشت وزادنـى … شوقا يطول وكربة وتغربا
فغدوت لا أشكو بما ألقى الى … غـير الصبا وسالتها كتم النبـا
فلعلها تنمو بما أشكو الى … ءاس يرق لنجله ان يتعبا
من لم أزل متمسكا بوداده … انى ذهبت مشرقا ومغربا
من كاد ينطق شاكرا انعامه … حالى وان أمسكت نطقا معربا
بحر الحقيقة كنز أسرار العلا … شمس الظهيرة من يزيل الغيهبا
تاج المعارف عين انسان الهدى … قطب المكارم خير من بذل الحبا
نعمى الاله على الخليقة من به … ضاء الوجود من الوهاد او الربا
قيد العلوم رئيسها وزعيمها … من فى مجالسها يزين الموكبا
من ملكته فنونهـا اقليدها … فيحل ما عمن عداه قد نبا
من لم تزل تعنو الفحول لفضله … وترى له التقديم حقا موجبا
شيخى ومنقذ مهجتى من جهلها … من قادها حتى أراها المذهبا
ومطوقى عقدا يضيق بشكره … ذرعى وان هو لم يكن متطلبا
فبأى فعل أم بأيـة لفظة … أثنى على من فى الحيـاة تسببا
انى نظرت رأيت من نعمائه … بعد الاله على ذرعا معجبا

---

١) الفلو بفتح فضم ثم مشدد : الجذع من الخيل . والنهد : القوى .
٢) ترب تفرح : افتقر . على عكس اترب بمعنى استغنى .

فاصفح وسامح سيدى فى كل ما … حق وان لم استحق المطلبا
لازلت تدرك كل مجد نازح … وتحوز من كل المعالى المأربا
واعادنى الرحمان عن قرب الى … ذاك الندى برغم دهر قد ابى
فاعل فى تلك المناهل ناشقا … طرف النهار بها هواء طيبا
واروح فى تلك الربـا متنسما … طيب النسيم يسوق طلا اشنبا
فى مجلس تسقى به راح العلو … م بكاس ذهن كان امضى من ظبا
ءاه فلو أنى قدرت لطرت فـى … مر الصبا ووردت ذاك المشربا
لا أسعد الرحمان يوم البين ما … أسباه للصبر الجميل واغلبا
ما دمت لا أنسى مرارة ما جنى … لا مرحبا بشبيهه لا مرحبا
واليكها من فكرة قد أذهبت … أيدى النوائب ماءها المستعذبا
بعثت اليك وهى أنفر بالنوى … من قبر حرب برق لفظ خلبا
فاستر مساوى وجهها وتلافها … بمحاسن الاغضا لئلا تربا
فالله يلحفك الرضا ويديم ما … أولاك من ربع المكارم مخصبا

(اللهم لاتحملنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنـا . واغفر لنـا . وارحمنا) اللهم ءانس بمشاهدك افئدتنا المستوحشة . وأجرها يا مولانا من ضراغم الضياع المتهشة . وأمنها من أهوال لم تزل من الفرق منها مرتعشة . ومن صقور أعاد تصبح لقتالها منتفشة . وافض عليها سجالا من مزنتك تكن بها منتعشة . ولتحل بينها وبين جمرات الوجد التي كـانت لها مفترشـة . واجنبها من نبال البـين التى كانت نحوهـا رائشة . واجعل سهامها اذا سددتها طائشة . وانقلها ربنا لجنة الوصل من هذه الجحيم المتقدة . واكفها شر قتال الشوق وجنوده المجنـدة . وسله من النواظر النجـل السيوف المهندة . التى عادت الجسوم لما سلبت الالباب خشبا مسندة .

ترحل اذ بانت فؤادى باثرها … وغادر جسمى مثل جذع مسند

وألف اللهم بين غريب نزحت بـه الاقدار . وسار به فلك النوائب ودار . وبين احبـة خلفهم بالعقيق وذى قـار . فلم يزل يغدو بالشوق ويروح . ويخفى تارة وأخرى يبوح . ويتجلد حينا وحينا ينوح . يتضاحك فى الملا . ويبكى فى الخلا . فكان كما قال . من وقع فى تلك الحال :

اداري جليسى بالتجلد فى الهوى … ولى حـين الخلـو زفرة ونحيب

يتأسف على الفراق ويجزع من ألم الاحتراق . ويتعلل بالنسيم كلما هب ويرتاح . ويستجلب باستنشاق اخبارهم الافراح . يتمنى أن يدنو الحى ويرجو . ليتخلص من شرك النوى وينجو . كما تمنى سهيل اليمنى الثريا . والفقير الثالا وريا .

لمثيتهم بالرقمتين ودارهــــم   بارض الغضايا بعد مـا اتمناه

واذا تعذر اللقاء فسخر اللهم لى الصبا تحمل سلاما يفوح (كمـا نـم ورد الروض باكره الوسمي) أو (كما افتر زهر موهنا في ربا نجد) أو (كما فاح نشر المسك والعنبر الشحري) ويلوح (كما ساق سوط البرق نحو الحمى المزنا) أو (كما أسفرت حسناء عن مطلع الفجر) أو (كما صبغت ثوب الدجا راحة البدر) الى شيخنا وأبينا . من أوردنا من غزير أنعامه عينا معينا . وقلدنا من لئالى أفضاله عقدا ثمينا . وأكسبنا فضلا مبينا . سيدى وسندى . ونور خلدى . وأجل عددى على النوائب وعـددى . أبى الحسن ابن أبى محمد الحاج عبد الله بن صالح .

(هذا) وقد بلغت الروح التراق . من ألم الفراق . وليس من راق الا التلاق :

ان يوم الفراق عنـدى عصيب   ليتنى مت قبـل يـوم الفراق

وهب سيدى أني تحملت الفراق وتكلفته . وتجاوزت ذكره وخلفته . فمن لى بمرارة الغربة . وثقل ما فيها من الكربة :

وطعم النوى مر مع الوجد وحده   فمن لى اذا ضم الهوى والتغربا

ثم استغفر الله من هذا كله . وأسأله التوفيق لما هو الأصلح بمنه وطوله . والرضا في كل الاحوال بفضله وعدله . واني أشكو في هذا الى الله واليك بثي . وابثك سميني وغثي . وحسنى ورثي .

شكوت ومـا الشكوى لمثلى عادة   ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

ونخبر سيدنا بأننـا سالمان . ولجميـع صروف الدهر غـير الشوق اليكم مسالمان . مازلنا في روح وراحة . وأرحب ساحة . وأمان دهر سعيد وامنه . كل ذلك ببركة سيدنا ويمنه . فانا والحمد لله ألفنا والفنا . وعرفنا وعرفنا ورحب بنا الفقيهان (١) غاية . وبالغا في السرور بنا الى النهاية واعطيـا لنا بيتـا رحبا . وقضيا لنا من ابتداء (جمع الجوامع) و (التلخيص) نحبا . ووعدنا الجيشتيمي بابتداء (التفسير) فسحب علينا بذلك ذيل الاحسان سحبا . وبالجملة يا سيدى فالقوم بنا فرحون . وبقدومنا منشرحون . فما اولانا ان نترنم بقول بعض من تقدم :

نزلنا على ءال المهلب شاتيا   بعيدا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم وافتقادهم   وبرهم حتى حسبتهم اهلى

الا انه ما كل ماء مثل صداء . ولا كل المراعى تشبه السعـدان . وهـل

---

١) يعني أبا العباس الجيشتيمي وأحمد أمزاركو

لتستوى شفقة الوالد . وشفقة غيره وان أنفق الطارف والتالد . ونلتمس من سيدنا ان يوال الدعاء لنا بالتيسير . وموافقة السنة فى كل مقام ومسير وان يسامحنا في جميع الحقوق . التي فرطنا فيها . مع انا ولو بذلنا فوق الطاقة لا نكاد نوفيها . وليقبل منا تلك الأبيات هدية . مثل هدية الهدهد لسليمان عليه وعلى نبيئنا أفضل الصلاة والتحية . فما امتثلنا فيها الا قول المتنبى :

لا خيـل عنك تهديها ولا مـال   فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

فهي عفو القريحة . وشكايتها الصريحة . والا فالسكوت أسلم . والنطق غالبه ندم . وسيدى فى كل الاحوال بوجه العذر أعلم . وما أحقنا بقول القائل :

أبى الشعر الا أن يجيء رديئه   الى ويأبى منه ما كان محكما
فياليتنى اذا لم أجد حوك وشيه   ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وكتب اليه أيضا اذ ذاك من (ردانة) :

نسيم الصبا هبى بنشر ربا (الغ)   ففى طيها للعاشق الصب ما يبغى

(الى ءاخرها وهى فى المقدمة)

جوابها من أبى الحسن :

لك الله من خـدن محاسنه تلغى   محاسن أهل السبق والصدق فى (الغ)
نشرت له صيتا فأنصت مرغما   حسود رماه قبل نشرك بالنتغ(١)
بعثت الى السحر فى طي رقعـة   (ففى نشرها للعاشق الصب مايبغي)
تتيـه بما حوته غرتها على   (فتاة على اعطافها صفرة الردغ)(٢)
ولو ساعدتني (الغين) في مدحكم كما تسـ   ـا عدنى أوصافك الغر فى النبغ
جئت بمـا ينسى القلائـد أو بمـا   تسر به نفس الشجى من المرغ(٤)
عليك من الرحمان أزكى تحية   وأزكى سلام دون حد ولا فرغ (٤)

ووقف يوما امام دار أبى الحسن فكتب اليه ــ وهو اذ ذاك لا يزال فى المدرسة تلميذا ــ :

ألا حى أستاذى وأصـل رشادى   ومن باسمه فى النائبات انادى
وقل (طاهر) بالباب عبدك يبتغى   لقاك لأمر ضاق عنه فؤادى

---

١) نتغ كضرب ونصر انسانا ءاخر : عابه وذكره بما ليس فيه .
٢) راجع فى المقدمة فى (الجزء الأول) ما كتبناه على هذه الكلمة .
٣) المرغ كفلس : المروضة أو الكثيرة النبات .
٤) الفرغ بكسر فسكون : الفراغ

فما لى بعد الله غيرك مرشد وما لى فى ليل الحوادث هاد
وانت الـذى أسرى بأنوار رأيـه وفيك ارتواءى عند ما انا صاد
فان كان شغل سيدى فاشربه لأنظر أو أمضى لحين نفـاد

وكتب اليه أيضا يسأله عن نصر وقع للمؤمنين يتحدث به من جهة ما :

أمولاى يا بـدر الدياجى الدياجر ويا علم الغر الزواهى الزواهر
أحقا توالت صادقات البشائر بنصر به تجلى هموم البصائر
فأنا بشوق لانتشاق روائـح الا حاديث عن تلك الرياض العواطر
عليكم كما هبت صبا زهر الربا أتم سلام من خـديمك (طاهر)
ومن جانب الصهرين بدرى مطالع الـ سيادة درى عقـد ءال ابن ناصر
هما القرشى الندب. والسيد البشيـ ـر من رضعا ثدى العلا والمفاخر

جواب أبى الحسن ـ وقد غاير الروى . على خلاف عادتهم ـ :

أخدن القلـوب فى الرخاء وشدة ومن قد خبرنا فهو لى خير عدة
ومحرز خصل فى خصال حميدة ومن استطلنا طوله طول مدة
لك الله من فذ السيادة أوحد تجمع فيه كل فضل وحدة
ومن بارع يعنو له النظم كلما دعـاه باهطـاع وكـل مـودة
سألت أحقا نصر ملة أحمـد ونصر أمير ذى مزايا عديدة
فلا شك أن الله ناصر دينه على رغم أنف الكافرين المريدة

ثم راجعه المترجم بقوله :

ألا ان نصر الله اوثق عدة وأدنى لمن يرجوه فى كل شدة
ولابد من يوم أغر محجـل يسوم العدا خسفا وان بعد مدة
فيوم ليوم عـادة مستمرة وأهل التقى بالعاقبات استبدت
وماذا عسى الاعداء أن يتحدثوا سوى اننا للدين أهل مودة
نوالى ولى الدين من غير رقبة ونرفض من عنه السعادة سدت
فبشرى لنا انا نحب من اهتدى ونبغض اجلافا عن الحق صدت
عـلى سيدى أزكى سلام معطر وأطيبه من عبد أكرم سدة

وكتب اليه يهنيه بابلال من مرض :

سرى فجلا داء الضنا طارق الطيف وبشر بالاقبـال بورك من ضيف
وهبت فأحيت بالمنى دنف النوى صبا سحر اهدت شذا ساكنى الخيف
وحلت عقال الهم عن نازح قضت عليه عوادى الدهر بالبين والحيف
وعطرت الارجـاء لمـا تحملت بشارة برء الشيخ من ذلك الضعف
فقرت عيـون المومنين وهنئت مـن الله بالروح المعجـل واللطف
ورُدت لجسم المجد روح حياته وصين من الروع المبرح والخوف

فبشراك يا قلبى بابـلال سيـدـ تعودت منه الدهر ماعشت من عطف
وبشرى فؤاد الدين والعلم والهدى بصحة من يبرى من الجهل او يشفى
امام شكى فارتاع كل موفق الى الله يشكو فى الدجا باسط الكف
فقابلهم والحمـد لله لطفـه ومن يكتفى بالله يوما هو المكفى

***

فيا سيدى يا روض كل مؤمل لما عز من عرف ذكى ومن عرف
ويا درة حلت من الدهر جيده وزينت الاذان بالقرط والشنف
ويـا نعمـة عمت عوارف فضلهـا ويامزنة يروى ندى سحبها الوطف
أتيناك نستسقى وقد شفنا الظمى وذو الجهد قد يرضى من البحر بالغرف
نهنى مـولانـا بعافيـة رمت شياطين ذاك الصنف بالرجم والقذف
وندعو بتأبيد السلامة والهنا لسيدنا نفديه بالسمع والطرف
وهذا دعاء سر كل موحـد وكان على الاعداء احمى من الرصف
بقيت لدين الله تحمى غريبه اذا ربع ياوى من حماك الى كهف
بجاه الذى يرجـى لكل عظيمة ومن كفه بالخير دائمة الوكف
نبى شفى دين الهـدى واقامه وجاهد فيه باللسان وبالسيف
عليـه صلاة الله والغر ءاله وأصحابه ما حن الف الى الف

وكتب اليه من (فاس) مع رسالة :

ايانسمة من نفح ريح الصبا روحى باطيب أنواع السلام على روحى
فقـد فارقتنى حين فارقت ساحة رمتنى عيون العين منهـا بتبريح
وخلفتهـا بـين الربوع اسيرة لكل مليـح لا يمن بتسريـح
وبؤت بجسم دون روح تمجه بحكم النوى فيح الفجاج الى فيح
فلله كم قاسيت من مضض الأسى وبرح هموم كاتبين بتشريـح
فمن غربة تقضى وبين احبة تروح عنى الهم اية ترويح
هم سادتى من لا اقول سواهم علـى لـه مـن برقى وتسريحى
عسى نفحـة من عطفة الله تنتمى بوصل قريب يجمع الشمل ممنوح
عليه سلام الله ما حن عاشق رمته النوى يوما الى هبة الريح

سيدى الذى تقيدت باحسانه وانا المطلق . واستفتحت بفاتحة يمنه فانفتح لى كل باب مغلق . ونصبت شباك سعده فاصطدت بها بيض الانوق والعقوق الابلق (١) واستبصرت فى ليل الهموم فما رايت فى غير جبين احسانه طالع الفلق . ولا استرقيت بسوى رقية سورة ذكره مهما مس طائفة القلق .

---

١) الانوق بالفتح : الرخمـة التى لاتبيض الا فى قمم الجبال المنيعـة . والأبلق العقوق : الفرس الذكر الحامل . قال :

طلب الأبلق العقـوق فلمـا لم يجده أراد بيض الأنوق

أو اعتاد السان المسرة من جن الاحزان عائد الأولق (١) قبلة وجهى حيثما توجهت . ومولى نعمتى الذى عن غيره تنزهت . سيدنا وأستاذنا وأصل نعمتنا . أبو الحسن . جذب الله شوارد النعم والمعارف الى ربعه بالرسن . وأدام عليه ما عوده من لطفه الجميل الحسن . (الى قوله بعد السلام) ونعلم سيدنا أننا منذ خرجنا لانسرى الا فى ظل سعده . ولا ننتمى الا لرفده .

ومـا يممت من بيـداء الا ... ومن جـدواك راحلتى وزادى

وقال أيضا أبو الحسن يرحب بالوفد الايفرانى الذى يقدمه المترجم دائمـا :

لله قوم بهذا الربع قد ربعوا ... أيامه كلها الاعياد والجمع
تألقت بهم الارجاء وازدهرت ... أرض القلوب بما من الهدى جمعوا
هم الايمة أبناء الايمة من ... فاقوا وراقوا وثدى العز قد رضعوا
يزينهم ويزيد الطبع حبهم ... شيئان : علم وجود ليس ينقطع
أدين رب الورى وهو الشهيد به ... بحبهم . ربعوا فى الربع أم رجعوا
منى عليهم سلام طيب عطر ... مارنح القلب أوتصبى الصبا القطع(٢)

ولم أقف على جوابها من المترجم . مع أن ذلك غير معتاد .

وقال المترجم وقد أوفد أهله الى (الغ) يخاطب أبا الحسن اثر ما تزوج ولده سيدى محمد بن على الاديب :

أيا أملى فوق سراك وسدد ... لحضرة مولاى الامام وسيدى
وحط بها رحل الرجا منك واستلم ... بجبينك ذيّاك الثرى فهو أثمدى
وبس راحة فيها لذى الوجد راحة ... وكفا هى الداماء فى صورة اليد
وأدبها عنى ـ هديت ـ تحية ... يفاوح رياها شذا الزهر الندى
وقل يا امام الدين يا كعبة الندى ... ويا مؤمل الامال يا كنز مجتد
ليهنك ان أصبحت واحدها علا ... وان نداك الغمر مورد من صدى
وان محياك الكريم بنوره ... يسير على سمت الهدى كل مهتد
فمن بعطف منك يهدى سنا الهدى ... الى قلب عبد من جنا يده ردى
وبالفضل منك اعطف على وفدك الذى ... به ظما برح لا عذب مورد
فهم ضيف نعماك التى غيثها همى ... على مغور فى الخافقين ومنجد
عشوا لسنا رحب الفنا. من عشا له ... (يجد خير نار عندها خير موقد)
يقودهم الوجد الحثيث وترتمى ... بهم همة تدعو لأكرم معهد
تطير بهم للوصل كل طمرة ... وتفرى بهم نجب السرى كل فدفد

---

١) الأولـق : الجـن .
٢) القطـع . كـذا .

يشيدون الشاد التهانى بنغمة ... بها انقادت الامال فى زى اغيد
باملاك سر الفضل نجلكم الرضا ... فريع العلا بدر الكمال محمد
فلازلت يا مولاى تجنى جنا المنى ... وترفل فى ثوب الهنا المتجدد
وتبصر فـى أولادك الغر كـل ما ... تؤمل من مجد وسعد مؤيد
بجاه رسول الله خير وسيلة ... لنيل المنى والسؤل فى اليوم والغد
عليه صلاة الله ما حن عاشق ... لنغمة ’قمرى‘ الحمـام المغرد

وقال أيضا يهنى ابا الحسن بولادة احمد لابنه الاديب محمد بن على :

مولاى فاهن باحمد بن محمد ... ولد بدا بدرا بطالع اسعد
وافى وجسم المجد قد اغرت بـه ... نوب الحوادث ناب ليث معتد
فاستبشرت اذ بشرت بوروده ... رتب العلا منه بهاد مهتـد
وتيقنت ان قد أتاها من يفى ... عجـلا بلـم نظامهـا المتبـدد

الى أن قـال :

لا زال فى حلل العناية رافلا ... حتى يروح كما تحب ويغتدى
بالمصطفى صلى عليه الله ما ... حنت الى مغناه نفس موحـد

وللمترجم الى أبى الحسن يهنئه باملاكـه بزوجـه الأولى مريم بنت احمد . وذلك فى نحو ١٣٠٤ هـ ـ وهى من أولياته ـ

ترشف لداء الهم ثغر ابنة الكرم ... وفض الى مكنونها طينة الختم
ونح لثام الدن عن حر وجهها ... تر البدر فى جنح الدجا ليلة التم
يروى غليل النفس رشف مزاجها ... ويذكى الهوى ريح لها طيب النسم
ويـذكر أيام اللـوى ونعيمه ... وعهد الصبا اذ ربعه اهل الرسم
ووصل فتاة تبعث الوجد كلما ... رمت ففـؤاد المستهام هـو المرمى
لها عين مذعور الغزال وشامة ... كما نقطت من مسكة وردة النم
وجسم كمـا صيغت لطافـة مسه ... من اللؤلؤ المكنـون يـولم باللثـم
يحكم فى جند النهى حسن خدها ... أمير الهوى يسبى لها حلية الحلم
تطيع لـه والجور فيه سجية ... وأعجب شىء جائر مرتضى الحكـم
اذا أسفرت أعشى العيون جمالها ... فيحجبها فاعجب لمبتذل محمى
صرمت لها حبل التنسك ضلة ... وصار الهوى بعد التحلم من وسمى
وجددت عهد العامرى وذكره ... وباحت بمكتوم الهوى عبرة تهمى
فقل للذى ينهى المشوق عن الهوى ... اليك ففى اسماعه مجة اللوم
ففى مثلها خلع العذار صبابة ... وقار ووصل الغيد ايمن ما غنم
ففى منظر الحسناء رمز اذا بدا ... الى اليمن فى محبوب طلعتها يومى
كما لاح للسعد المؤبد بارق ... بجبهة شيخ الفضل والمجد والعلم
امام الهدى من قارن السعد حظه ... وانعله هام السماكين والنجم

واورده ماء المكارم صافيا … وادرك ما لم يسر للمرء في وهم
وطار مطار النسر ذكر كماله … ودارت بما يهوى رحى القدر الحتم
ومن خدمت أيدى السعادة شأنه … تنله الذى ما نيل بالسيف والسهم
لك الله يا شمس المكارم كلها … وانسان عين الفضل من سيد شهم
تحملت عبء الفضل فردا وما هوى … له كاهل ءازرته بعرا الحزم
وقاسيت فى جنب السيادة كلها … تذوب له رضوى ويذبل من هم
وشيدت ركن المكرمات بهمة … تقرطس أغراض العلا كلما ترمى
وحاولت آمرا طالما كاد دونه … أولوا البغى فاستعلى لك السهم بالرغم
فبورك فى أمر نما السعد غرسه … فاثمر جزما ثمرة الفرح الجم
فدمت لماء المجد تهمى سحابه … اليك غزيرا من ولى ومن وسمى
موفر ءامال تؤمك طاعة … على رغم أنف الحاسدين من الوصم

***

فيا سيدى انى بمدحك صادح … على سرحة من بحر احسانك الطم
خدمت بها جهد القريحة ساحة … تمثل من خدامها السعد بالجسم
فدونكها من فكرة صك وجهها … تراكم أمواج السرور من النظم
فأبدلها وجه القبول مسامحا … واسبل على علاتها حلة الكتم

وقال أيضا المترجم يخاطب الاستاذ الالغى :

بانت فبان جميل الصبر اسماء … وانهل من سحب الاجفان أنواء
سارت باحداجها الوجناء غادية … فلا سرت بعدها فى البيد وجناء
لم أنسها ساعة التوديع اذ سفرت … كأنها قمر أبدته ظلماء
قدكنت أحسب أن الصبر طوع يدى … حتى نأت ولسهم البين اتكاء
فخلفت جسدا ملقى تكنفه … من الجوى والدموع النار والماء
أرسى باحشائه الشوق المذيب كما … للمجد فى أرض (تحت الحصن) أرساء
أرض ثراها عبير والنسيم شذى … والماء راح وكالياقوت حصباء
وأربع طلعت فيها شموس هدى … فهى المنازل لا فرغ وعواء
نور من العلم عم العالمين سنا … منه فارجاء ذلك الجو لألاء
تاهت بواحدها (الغ) فقلت لها … ايه فقد سلمت (مصر) و (زوراء)
شيخ له قدم فى العلم راسخة … وهمة فى اقتناء المجد قعساء
بحر سرى كل ظمئان لساحله … فاصدر الكل من جدواه رواء
خلق كما عطرت ردن النسيم اذا … ما زارها روضة فى الحزن غناء
مناقب ثقبت قلب الحسود الى … مكارم لم يحط بهن احصاء
وسؤدد شاده العزم المصمم لا … يثنيه مهما تنى الامال اعياء
فهو امام ومولى ما تزال له … فى جيد كل فتى وافاه نعماء

وسيد بهداه يستضاء اذا … اخفت سواء سبيل الرشد اهواء
له مكارم اخلاق خصصن به … حلم وعلم وافضال واسداء
فعزمه وسجاياه وراحته … روض نضير وصارم ودأماء
فانه الشمس فى برج العلا اذا … ما طلعت لم يبن نسر وجوزاء

***

مولاى يا من اذا هبت شمال شذا … ثنائه طاب انشاد والقاء
ويا محط رحال المعتفين فمن … مننه راحته مسته سراء
هذا جنى فكرة ذوت نضارتها … وشفها من صروف الدهر الحاء
امضها الوجد فانتابت مديحك كى … تشفى وأين من المشتاق عنقاء
خريدة بسطت كف السؤال الى … نداك مطلوبها صفح واغضاء
تنث طيب تحيات كصوب حيا … جادت به مزنة وطفاء سحاء

وكتب رضى الله تعلى عنه عليها :

تقبل ركن المجد من كف سيد … زياته كنز ورؤيته فوز

فلنكتف بهذا القدر . لأن ما بين المترجم مع شيخه كثير وكبير ، وقد تفرق فى أيدى الطلبة ولم يسجل كله بايدى المعتنين كسيدى محمد بن الطاهر . وسيدى محمد بن علي . وانما قدمنا من ءاثار المترجم ما بينه وبين شيخه هذا . اشادة بشيخه الذى كان أصل كل هذا الخير . وسنوخر غيره من بعض السوسيين الى أن نفرغ مما بينه وبين الحضريين وغيرهم .

بين المترجم والفاسيين

زار الاستاذ (فاس) حيث مكث ثلاثة اشهر منها رمضان ١٣١٤ هـ وقد ذكر كرم الفاسيين واعتناءهم به وبرفيقه . حتى انهم ليتخاطفونه الى الضيافات خصوصا فى عشايا رمضان . ولم يزل يلهج بالكرم الفاسى ، ويحكى لنا عنهم . والفاسيون مشهورون من قديم بانهم يالفون ويولفون . وهل هناك ألفة الا بالكرم ؟ (وما قلت الا بالذى علمت سعد)

وقد كان بين الاحمديين الذين نزل عليهم أدباء منهم الاديب علال بن شقرون . فجرت بينهم قواف . منها هذه اللامية من علال بن شقرون خاطبهما بها لما أزمعا الرجوع الى بلدهما :

خلاى هيجتما شوقى وبلبالى … فى حين أزمعتما الترحال فى الحال
ان تقلعا فأسير الروح بعدكما … فى حالة البين لا يلوى على ءال
خلاى مهلا فما أشهى خلالكما … سرا وجهرا باقوال وافعال
يا جامعين لكل الخير انكما … اهل النهى والسنا والمقصد العالى
هذاكما سابغ الالاء موهبة … الى حلول الحمى يسر لترحال

ونلتما أملا أولاكموه قرى ... قطب الكمال وشمس السبق والتالى
ابو الفيوض أبو العباس (تجاننا) ... من ليس ينعته تعداد اقوالى
وفزتما بجوار منه ءاونة ... فى عز أمن ويمن كامل عال
لله در زمان قد رشفت به ... سلاف أنس بكم بكل جريال
حيا الاله محيا الطاهر العالى ... والفاضل السيد العربى بهطال
فلا خلا الربع من معناكم أبدا ... ولا ونى ذكركم والذكر أحلى لي
تحية من عبيد دام يرقبكم ... نجل (ابن‌شقرون) من يسمى‌بعلال
فى كل حال حلا قولى يؤمكم ... (خِلاّيَ هيجتما شوقى وبلبالى)

فقال المترجم في ذلك الموقف ـ وللقارىء أن يوازن بين سبك القطعتين ـ :

هو البين لا يقوى على حمله قلب ... ففى موقف التوديع يفتضح الصب
تبين خفايا الود من لفتاته ... فمن زفرة تعلو ودمع له سكب
فلله ما قاسيت من مضض الأسى ... عشية جد البين وانبعث الركب
وودعت اخوانا يعز وداعهم ... عليّ وصحبا لا يوازيهم صحب
لطافة أخلاق ولين عريكة ... وصفو وداد لا يكدره شوب
ولاسيما فرد الكمال وواحد النـ ... ـسجابة علال بن شقرون الندب
أخي‌الجد والتشمير‌والصدق والصفا ... وصارم عزم فى الملمة لاينبو
وخل سبا عقلى بحسن سجية ... فصحت له منى المودة والحب
وأورثنى لما رحلت فراقه ... وحق الهوى ما لا يقاس به كرب

***

فيا أيها الخل الوفى الذى علا ... به في سماء المجد والسؤدد الكعب
لك الله فى حفظ الوداد واننى ... على العهد حتى يستر الجسد الترب
وانى لا أنسى شمائلك التى ... هى‌الروض‌حسنا بل‌هى‌المورد العذب
فأنت الذى يعنى بحسن اخائه ... وأنت الذى من داره يحمد القرب
لك السبق فى شأو البلاغة كلما ... جريت بفكر في الاجادة لايكبو
اذا قلت قولا اذعنت لبيانه ... ذوو السبق لا قيس يبين ولاكعب
فلله ما زودتنى من خريدة ... كأن حلى الفاظها اللؤلؤ الرطب
أقبلها ان جد بى الوجد والأسى ... على البين تقبيلا يهون به الخطب
بقيت لقطر كنت نجم سمائه ... تنقل (نفح الطيب) من ذكرك النجب (١)
وأزكى سلام لا يزال نسيمه ... يؤمك ما نابت مناب اللقا الكتب

ثم كتبا اليه من (السويرة) هذه الرسالة :

سلام على الخل الموافق علال ... سلام محب غير ناس ولا سال

١) كان (نفح الطيب) من منابع الادب فى هذه الطبقة فى الحواضر وفى (سوس) .

يرى المجد فى رعى الوداد وحفظه ... (وقد يدرك المجد المؤثل امثالى)(١)

ذلك الاخ الفاضل . والخل الكامل . ياقوتة الصفا . ومحط المودة والوفا . اخونا الفقيه الموفق لاقوم الطرائق . ذو السيادة الفائقة والخلق الرائق . سيدى أبو الحسنات علال ابن شقرون . لازال حبل السعادة وهو بكفه مقرون . ولازالت الرعاية تلاحظه . يغدو أو يروح والسعد حافظه . وسلام عليه ما حن مشتاق . وتألم للفراق . ورحمة الله وبركاته (هذا) فانا نحمد اليك ايها الاخ الله الذى لا يكل من توكل عليه الى سواه . ولايضيع من حكم أمره تعلى على هواه . ونصلى على الواسطة العظمى . والباب الاكبر . نقطة الوجود . ونخبة البشر . سيدنا رسول الله وعلى ءاله وكل من تلاه . ونسلم تسليما كثيرا . ثم ان مما يقتضيه العهد ويوجبه . التفقد بالكتاب اذا حدث موجبه . لما فيه من اظهار العناية . ودوام الرعاية . وتجديد التذكير بالمعاهدة . وان كان مثلكم والحمد لله مامون الغيب والمشاهدة . وفى ذلك قيل :

ولما غبتم عن لحظ عينى ... وحاد الدهر بينكم وبينى
بعثت لكم سوادا فى بياض ... لأبصركم بعين مثل عينى

وموجبه اعلامكم بأننا والحمد لله لما خرجنا من (رباط الفتح) كما اعلمناكم به . سرنا على البر الى (الدار البيضاء) ومكثنا فيها اياما لانتظار البابور . نازلين على من كتب الينا أهل دار السيد رضى الله عنه اليه . من اخواننا فقاموا جزاهم الله خيرا أحسن قيام . حتى ركبنا فى البحر . فارسينا والحمد لله فى مرسى (السويرة) وأوصلنا كتابك لسيدنا الشريف القاضى الصارم الماضى . فقام بنا وقعد . وجرى فى الاحسان الى المدى الأبعد . وبش وارتاح . وغدا بالاحسان وراح . ورأينا منه اليعبوب الذى لايجارى . والصارم الذى لايبارى . والنور الذى لايوارى . وقد طبع كأنه النسيم سحرا . وغزارة حادة كأنه البحر اذا جرى . الى سلاسة منزع . واستقامة مهيع . ونظم كأنه العقد اتساقا . والخمر مذاقا . ونثر بنى على السليقة مبناه . متناسب الفواصل تناسب بنابيب القناة . اطلعنا حفظه الله على ديوانه . وعلى شرحه لنظم المسارى . فقضينا من نجابته العجب . ورأينا ما كنا نظن أنه غاب عن أهل هذا العصر واحتجب . فعلمنا ان الانشاء من الحكم التى يوتيها الله من يشاء . مع ما تحلى به من الشهامة . والصرامة فى الولاية . والعدل الذى زرع فى قلوب اهل المدينة حبه . واحترموا حق

١) شطر من قصيدة لأمرىء القيس . وأوله :

ولو اننى أسعى لنيل معيشة ... كفانى ـ ولم اطلب ـ قليل من المال
ولكننى أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

الاحترام بسببه جنبه . فلقد وقع في جميعهم أحسن موقع . وحل منهم محل المنظر والمسمع . لاتسمع عنه الا" مثنيا . داعيا بدوام الامنية عليهم متمنيا . وبالجملة قد كان لدلالتك عليه أعظم منة لك علينا . وأجل ما اسديته الينا . وأقول كما قال الاندلسي في مثل ذلك :

أيها الفاضل الذي قد هداني ... نحوه قد حمدته باختياري
شكر الله ما أتيت وجازا ... ك ولا زلت نجم هدى لسار
واذا ما النسيم كان دليلي ... لم يحلني الا" على الازهار

وقد فاتحته بأبيات استمطارا لديمته . واستنهاضا لعزيمته . فأجاب عنها بما بهر . وأظهر من كمال اقتداره ما أظهر . وقد أخبرني أنه كتب بالجميع اليك . حفظ الله كماله . وأدام على طاعته اماله . وايانا معه . ثم ان من الحق الذي لايسعك اهماله . ولا يخلصك منه الا" أعماله . المواظبة على الدعاء بالخصوص تجاه الضريح الانور . والسلام عليه منا . كما تسلم عليه من نفسك . نسأل الله تعلى أن يجمع على طاعته قلوبنا . وان يقابل بسابغ عفوه ذنوبنا . ويسدد سهام هماتنا لمرضاته . ويحفظنا من الشيطان ومكيداته . ويديمنا على محبة الشيخ رضي الله عنه حق حبه . ويجعلنا من خاصة حزبه . بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه امين . وكتبه أخواكم الضعيفان الفقير الى الله الطاهر بن محمد التامانارتي الايفراني . وأخوه العربي بـ ١٠ خلون من ذي القعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ .

ثم كتب اليهما هذين البيتين :

سلام على الاحباب في طي قرطاس ... سلام على السادات من ودهم راس
على حضرة الخلين عربي وطاهر ... يسلم علال ابن شقرون من (فاس)

في رسالة لم نقف عليها . فأجاب المترجم بهذه القصيدة :

أتتني على بعد المسافة من (فاس) ... رسالة خل هيجت حر أنفاس
وجودت الوجد القديم وأذكرت ... عهود الصبا قلبي وان لم يكن ناس
وشاقت الى مغنى أدار به الهوى ... على زمان الوصل اكؤس ايناس
بصحبة اخوان اذا ما ذكرتهم ... وما ذاب قلبي بالجوى فهو القاسي
نعمت بهم دهرا فمذ بنت عنهم ... تنكرت الدنيا (فما الناس بالناس١)
اخلاء صدق ما تسليت عنهم ... بأهل ولا عيش هنيء ولا كاس
ولا نفحت من نحوهم سحرية ... من الريم الا" عاودتني بوسواس
فلله منهم عهد وصل وان مضى ... فشوقي الى مغناهم راسخ راس

١) من هذا الشطر :
فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي أنت تعرف

سلام عليهم ما تنسم عاطرا ... نسيم الهوى عن روض نفس وقرطاس
وما رنحت عطف المحب اذا سرت ... على البين انفاس التحية من (فاس)

ثم لاشك أن المترجم سلم على جميع الذين عرفهم في (فاس) وعلى العلامة البلغيثي الذي يظن انه لايزال في (السويرة) ولم يبلغه انه انتقل من هناك الى (فاس) فتولى هذا الاديب الكبير الجواب عن هذه الرسالة ونص ذلك :

أنفحة مسك عطرت جو أنفاسي ... من (افرانة) هبت بلطف على (فاس)
أم الحب قد وفى بعهد وداده ... فوافى جواب منه يهمي بايناس
أتاني خطاب منه اكسبني بها ... وأذهب عن قلبي شياطين وسواس
أراني به السحر الحلال وأظهرت ... بلاغته عجز المعارض في الناس
وشنفت سمعي من رقائق لفظه ... وسلى فؤادي عن سماع وعن كاس
وقرت به عين الشجي وقبلت ... شفاهي حروفا منه خطت بقرطاس
وقلت لقلبي اهنأ بنيل المنى لقد ... بدت أنجم السعد المعلى لا نحاس
فقد طالما عانيت كيد هواهم ... وعاينت ما اودى من البعد القاسي
فهاذي مكاتيب الأحبة قد وفت ... تناجي باسرار وتنفي لالباس
عسى الله من بعد البعاد ينيلنا اجـ ... ـتماعا بهم في خير جمع وجلاس
سلام عليهم من صفي ودادهم ... لعهدهم والله لم يك بالناسي
سلام عليهم طيب عاطر الشذا ... يعم فناهم لا يحد بمقياس
سلام على مغناهم الرحب ما بدا ... هلال وما لاحت اشعة نبراس

رعى الله بعين رعايته . وحمى بسرادقات عنايته . ساحة سيدنا الفقيه العلامة المشارك النقاد . الذي أصبحت أزمة المعارف لديه تطوع وتنقاد . الاديب الذي دوخ أرباب الادب بفصاحته . وحير لسان اهل لسان العرب ببلاغته . مصدر اللطافة الذي اشتقت منه أفعال الرقائق . واساس البلاغة الذي وضحت بطبعه الفائق . حقيقة الحقائق . من امتطى بالقريحة السيالة جواد النظم والنثر . فكان له في ذلك اليد الطولى ورفيع القدر . ذا الاخلاق الطيبة التي هي الطف من النسيم . وأحسن من وجه الحسن الوسيم . وأعذب من ماء التسنيم . وأطيب من منازل التنعيم . الحاوي من الفضائل كل وصف باهر . أبا النزاهة السيد الطاهر . التامانارتي اصلا ونجارا . الايفراني دارا وقرارا :

واني لأدري أن وصفك زائد ... على منطقي لكن على الواصف الجهد

ورفيقه وأخاه في الله . الفقيه النزيه العلامة الاواه . صاحب الخلة الصافية . والمودة الضافية . اخا الصفات الكاملة . والسمات الفاضلة . الكاتب المتقن .

الاديب المتفنن . مَن حسُنَ خلقه على زهر الخمائل يُربى . الفاضل الانبل أبا حامد السيد العربى . الساموكنى أصلا ومحتدا . الايفرانى محلا ومولدا :

ووصفه لم يزده معرفة   لكننا لـلذة ذكرناه

أبقى الله فى الوجود مثلكما . وزكى بالمكارم فضلكما . وسلام تام طيب . بوابل صافى المودة صيب . أرق من النسيم اذا سرى على الادواح . وأعبق من المسك اذا ضاع وفاح . وأعذب من تواعد بعد الجفا . وتواصل بعد النوى . وأحلى من شكوى ألم البعاد . بعد الوءام واتحاد الوساد . ما غردت قمرية على فنن . ووصل كتاب من (حسن) (١) يعم تلك الربوع . التى هى مقر ما حوت منا الضلوع . ويمر على قلوب الاحبة ببرد وسلام . وان أجج لواعج الوجد والغرام (أما بعد) فانى أحمد اليكما الله الذى لا الاه الا هو عالم الغيب والشهادة . على نعمه التى لاتحصى . وأساله لنا ولكم الحسنى والزيادة . وذلك الفضل الذى لايعد بالاحصا . ونستوهب لنا ولكم من حضرة النبى المصطفى المبعوث لتتميم مكارم الاخلاق . والامر بالوفاء المدد الفياض . على الجداول والحياض . بعناية شيخنا ووسيلتنا الى ربنا . القطب المكتوم . الذى به مقام الختم مختوم . ومن بالانحياش اليه فى أقرب مدة يصل العبد الجانى . العارف الأكبر . أبو العباس مولاى أحمد التجانى. سقانا الله جميعا من فيض مدده . وجعلنا من حزبه وعدده :

امين امين لا أرضى بواحدة   حتى أضم اليها ألف امينا

(هذا) وانه قد حل بنا جوابكم الذى هو غاية الامانى . المغنى عن رنات المثالث والمثانى . المؤرخ بعشرين بقين من ربيع الثانى عامه .

فكأننى يعقوب من فرحى به   وكأنه ثوب أتى من يوسف

فحيا وأحيا . وبسط القلب والمحيا . وكاد لولا أنه تميمة وحجاب . أن تطيش من شدة الفرح به الافئدة والالباب . ففضضت ختامه بحال الزمن افتضاض كواعب الافكار . وحسرت لثامه فبانت لى غرة الصبح من بين هاتيك الاسطار . وتأملت معناه فاذا هو يشير من خلال تلك الالفاظ بطرف بابلى. فقلت أنا رفيق تلك المحاسن انكنت قابلى. وكان أهم ما له التشوف . وأعظم ما عليه التلهف . سلامتكم التى هى غاية المنى . ومنتهى ما تتمنى . فوجدت جوابكم للدلالة عليها أهدى من قطا . فسجدت لله شاكرا على عظم هذا العطا . ثم انى أرجو الله وهو أكرم من وجه اليه السؤال . أن يديم علينا وعليكم العافية دينا ودنيا فى الحال والمئال . وكل ما فى ضمن كتابكم عرفناه . فهمنا حين فهمناه . وما ذكرتم من تأخر وصول كتابنا اليكم .

١) يشير الى أن الرسالة وردت على يد من اسمه حسن فى (فاس)

بعد انتظار حلوله لديكم . فذلك لما قلتم لبعد الشقة . وذلك مظنة عدم وصول المكاتيب الا بمشقة . والواصل بعد طول الانتظار والتعب . الذ من المنساق بلا ارتقاب ولا طلب . ثم اذا تشوفتم للاخبار وتشوقتم للانباء . فالزاوية الزاهرة الأحمدية كل يوم فى ازدهاء وامتلاء . والسر والحمد لله فى ازدياد . والسرور فى انقياد . والحب منا كما تعهد يزيد فى الصفا . والثناء عليكم والدعاء لكم بظهر الغيب ما درس والله ولا عفا :

نسائل عن أحوالكم فيسرنا   سماع الذى نبغيه منها ونطلب
اذا كنتم فى نعمة وسلامة   فما نحن الا فيهما نتقلب

وحال الاصحاب كلهم فى ذلك كحالنا . وما حال الحال فى المودة وكيف يحول فى أمثالكم من أمثالنا . نؤمل من الله سبحانه أن لايجعله اخر العهد بكم . وان يقر العين برؤيتكم وقربكم . بجاه افضل من به يتوسل . سيدنا ومولانا محمد خير مرسل . وممن يخصكم من الاخوان باعطر تحية وأفخر سلام . حافظ الزمان على الدوام . من يحسن صحبته تعزيزى . الفاضل الاريب سيدى محمد الزيزى (١) . كما يسلم عليكم بافخره وأتمه السلام المؤبد . أخوه الابر السيد محمد . وكذلك من لازال مبتهجا بحسن معرفتكم أحسن ابتهاج . الفاضل الارضى السيد الطاهر القباج . وكذلك الشريف الأصيل الفقيه النزيه الاثيل . سيدى محمد بن مولاى العابد العراقى الحسينى . والشريف الماجد . ابن السراة الاماجد . سيدى محمد العمرانى . وكذلك الطالب الحسيب . الراغب فى التعريب . سيدى محمد بن عبد الرحمن . وأما صنوه الشاب الانور الاطهر سيدى عبد العزيز فقد دعاه داعى مولاه فلباه . وقضى عليه بعد فتح مبين بان عليه فى سره ونجواه . ويهديكم عاطر سلام : الفقيه الكاتب الاديب . المحب الخاشع المنيب . من سعيه بطالع اليمن مقرون. أبو الحسن السيد علال بن شقرون. وكذلك من البركة الانور. ذى السر الصافى الاطهر. سيدى احمد العبدلاوى. وولده الابر سيدى محمد . وأما المقدم المكرم الاجل . المحترم الاكمل . سيدى الغالى بن معزوز . فقد دعى ايضا فاجاب . وانقضى أمره من الدنيا وانجاب . أكرمه الله فى دار الكرامة . وجعله فى جوار أهل السلامة . وكانت له جنازة عظيمة حفيلة . ظهرت بها فتوحات جزيلة . واما الفرض الذى أخبرتم بعدم المسامحة فيه . والعدول الى ما ينافيه . من تخصيصكم بالدعاء بالمحل الانور . والموضع الاطهر . فهذا دين نرى قضاءه فرضا

١) والد هذا الأستاذ الفهم اللبق صاحبنا بل خير أودائنا من اساتذة (القرويين) البارزين اليوم . الكريم الذى يستولى على الالباب بلطفه .

واجبا . وحقا لازبا . تقبل الله ءامين . كما يسلم عليكم أطيب سلام وأعلاه . وأعطره وأغلاه ؛ منشيء هذه الكلمات على عجل . وموشى برودها على وجل . أخوكم في الله . وفي الطريقة المحمدية الاحمدية . أحمد بن المامون البلغيثي حماه الله من الغواية . وبلغه في الدارين كل أمنية . قاضي الثغر السويري حين ورودكم وصدوركم من رحلتكم الفاسية . ذات الفوائد الفاشية . فقد من الله عليه بالرجوع الى الوطن . والحلول بالسكن . عائدا سلام الكل على من كان منكم واليكم من الاخوان والاقارب . والحواشي والخلان . خصوصا المقدم المعظم سيدى الحاج الحسين ابن الحاج أحمد الايفراني . راجين دعاءه الصالح . ببلـوغ كل الاماني . كان الله للجميع . بجاه النبي الشفيع . وبجاه النبي والآل . نرجو منال منتهى الامال . وكتب فـى ثاني عشر شوال الابرك عام ١٣١٧ هـ

ومما جرى بين المترجم وبين الفاسيين هـذه العينيـة التي أرسلها اليهم المترجم ـ والغالب أنها بعد هذه الرسالة ـ

قف حادى الاظعان بى في المربع   كى تمطر الاجفان صوب المدمع
فالدمـع ان شح الغمام أحق أن   يهمي بربـع للأحبـة بلقع
واحطط رحالك ساعة في حى من   بانوا فبان القلب غير مودع
يا ليتهم لما استقلوا قد سروا   بى معهم أو خلفـوا قلبي معى
لم أنس من أحدا جهم ظبيا رعى   حب القلوب خلاف حب المرتع
سفر اللثام لدى الوداع فبان لى   بدر الدجا من تحت غيم البرقع
ورمى بطرف فاتر مهما دعـا   قلب الخلى الى الغواية يسمـع
أرسلت طرفي في محاسنه فما   أرسلته الا لروض ممرع
ورد الخدود ونرجس العينين او   غصن القوام غداة صوب المهمع
ودعتـه فتساقطت من جفنه   درر على ورد نضير أينـع
قد غيبت عنى الهوادج شمسه   لم تبق لى نفس ولا قلب يعى
كلا ولا حل المنام بساحتى   طرفي فأبصر طيفه في المضجع
اهفو الى مر النسيم اذا سرى   سحرا وأصغى للحمام السجّع
نتدارس الوجد الكمين ونذكر الـ   ـعهد القديم برامتين فلعلع
ناديتها اذ أودعت قلبي شجى   لما شدت شدوا لغير تفجع
أحمامة الوادى بمنزلة اللوى   ان كنت مسعدة الحزين فرجعى
انا نقاسمك الغضا فغصونه   في راحتيك وجمره في أضلعى
ءاه على بين الحبيب فليتني   ودعت نفسى قبل يوم تودع
يا قلب مالك من سلو بعد أن   بان الخليط فخل عينك تدمع

لولا التعلل بالمنى وتعرضى   للروح من مر الرياح الاربع
متمثلا (فاسا) ومن قد حلها   حتى كأنهم معى في موضعى
لقضى على نوى الحبيب وفزعة الـ   ـبين المشت وسافنى للمصرع
بلد حوى كل الامانى واكتسى   حلل الفضائل والمحاسن اجمع
ما شئت من دين اذا قدح الهوى   اورى ومن عيش نضير ممتع
فكأنه برج لأقمار العـلا   أو مكنس الظبي الأغن الأتلـع
وكأنما هو هالة دارت على   شمس المعارف شيخ كل سميدع
قطب السيادة خاتم السر الذى   أعيا الفحول . ملاذ يوم المفزع
غيث الورى ليث الشرى بدر السرى   نور الهدى بحر النوال الأوسع
سر البريئة منبع الفضل الذى   يروى العطاش فيا له من منبع
غوثى أبا العباس أحمد من غدا   تاجا على هام السماك الارفع
من لا الوذ بغير ركن جنابه   ان هال خطب أو الم مروعى
من لا أحوم اذا عطشت على سوى   بحر زلال منه مرو مشبع
يا دهر انى قد حميت بركنه   نفسى فابرق ثم ارعد أو دع
ياسعد من أضحى نزيل جنابه   يمسى ويصبح حول علب المشرع
يا رب عجل لى اليه زيارة   تشفى جوى القلب الكئيب المولع
حتى أشاهد ذلك النور الذى   يسبى القلوب بضوئه المتشعشع
وأشم تربا ضم أفضل جثة   فضح العبير بطيبه المتضوع
وأعفر الخد المصون بتربـه   وأذيل ثم ثمين در الادمع
وأمد نحو الجود كف توسل   بتـذلل وتخشـع وتضرع
وأهيم في روض (الوظيفة) عندما   تتلى الاسعد بين ذاك المجمع (١)
وأجيل طرفي في وجوه قد زهت   متلألئات كالبـدور الطلع
قد لاح نور الفتح من أسرارهم   فغدوا نجوما في سعود المطلع
لم أنس اذ عاطيت منهم جلة   خمر الغـرام بجـام ود مترع
ما منهم الا وفى سيـد   صافى المـودة لوذعـى ألمعى
خلق كما رق النسيم لطافة   ونـدى كبحر أو كغيث انفع
لاسيما المولى الشريف المرتضى   العالم العلم الاديب الاروع
بحر العلوم ومنبع الافضال من   لبى السيادة والمجادة اذ دعى
من بذ في شأو البلاغة كل ذى   لسن واعجز كل صدر مصقع
فرع النبوة من سما في رتبة   للمجـد ذات تعزز وتمنع

(١) يعنى ذكر الطريقة الأحمدية .

مولاى احمد(١) نجل مامون الرضا … من نسل (بلغيث) الهمام الاورع
وكذا الفتى الغطريف من قد حل فى … قلبى وحق المجد احسن موقع
لقن نشأ فى عفة وصيانة … وسرى الى العليا باقوم مهيع
هو سيد الحسن(٢) بن ادريس الأ … بن المرتضى الصدر الكريم اللوذعى
وكذاك من قد بان فى أفق العلا … بدرا ينيف على النجوم اللمع
من قلد الاعناق بالمنن التى … احسانها بالمن غير مضيـع
بدر الدجا الزيزى سيدنا محـ … ـمد الذى يدرى بصدق تورع
وكذاك سابق حلبة العلياء ذو الـ … ـنور البهى المستنير الاسطع
العالم الحبر المقلد منـة … كالعقد بين منضد ومرصع
ذو رتبة فى الصدق والتصديق لا … تخفى أقر بها الحسود المدعى
عـلال العالى ابن شقرون الذى … مهما دعى نحو المكارم يهطع
وكذاك باقى السادة الغر الألى … حازوا من العلياء فوق المقنع
فازوا بحظ فى السيادة لا يرى … فيه لشخص غيرهم من مطمع
منى السلام عليهم وعلى ربـا … كانت بمراى منهم أو مسمع
ما أن سرت ريح النسيم فروحت … عن قلب صب بالنوى متصدع
يارب عطف شيخنا قطب الهدى … غوث الورى طرا علينا أجمع
وأمدنا مـن عنـده بعنايـة … تاتى فتغنى كل فقر مدقع
وتحوطنا من شر من ينوى لنا … سوءا ومن صرف الزمان الموقع
وتنيلنا فتحـا تضىء بنوره … أسرارنا من غير كد مفظع
برسولك المختار احمد من غدا … غيث الكئيب ورحمة المتضرع
روح الوجود وبابك الأدنى الذى … ما زال يولى الفتح مهما يقرع
صلى عليه الله خير صلاته … ما شاق برق نحو تلك الاربع
وعلى صحابتـه الكـرام وءالـه … وجميع أمته السجود الركع

وقال المترجم يخاطب العلامـة سيدى محمد بن عبد السلام كنون :

تهب صبا نجد صباحا فتصبينى … لألف غيـد باللواحظ تسبينى
تذكـر أيامـا لهـوت بغـادة … تسدد سهم الجفن عمدا فترمينى
تتيـه بألفـاظ الجمـال تدللا … وتطمعنى وعد الوصال فتلوينى
لها مقلة حوراء تفضح شادن الـ … ـفلاة وقد يفضح الغصن فى اللين

١) هو العلامة مولاى أحمد البلغيثى قذ (فاس) فى عصره .

٢) لعله المقصود الذى جاءت على يـده الرسالة المتقدمـة . التى أجاب عنها البلغيثى .

قطعت بها من قبل أن يخطر النوى … زمانا به أدعـو المنا فتلبينى
فلما اناخ الركب للبين انشات … تجود بعقيان من الدمع مكنون
فقلت لها طيبى فؤادا فانما … أسير على طير من السعد ميمون
لحضرة (فاس) حيث تكتسب العلا … ويظفر بالدنيا الهنيئة والدين
بلاد حوت لطف (العراق) ورقـة (الـ … حجاز) وطيب (الهند) فى نضرة (الصين)
تنسى الغريب النازح الدار اهلـه … بما شاء من لطف وانس وتامين
فما شئت من علم ودين مشيد … باتقان حكمى كل فرض ومسنون
كأين بهـا من عالـم متورع … ولا سيما شيخ المشايخ كنون
امام يبث الخير فى الناس جهده … ويكسب مجدا راسخا غير ممنون
يقـوم بايضـاح الخفى مبرزا … بنور يقين لا بحدس وتخمين
بفهم تضىء المشكـلات بنـوره … وذهن كمسلول الهند مسنون
وعزة نفس لا تلـين لغـامز … ولا تترضى بالدنيـة والـدون
فسار مسير الشمس فى الجو صيته … وباء بعز لا يزول وتمكين
فيا سيدى انى قطعت سباسبا … اليك واقوى الظن انك تؤوينى
أتيتك عن بعد المدى متوسلا … بركنك عاف باء بالنجح فى الحين
اليك أبـا عبد الاله زففتها … عروسا تجلت فى منصة تزيين
تقبل كف المجد منك تبركا … بلثم بنـان بالسعـادة مقرون
وتأمل أن تحظى لديك بزينة … تجدع من حسادها كل عرنين
فلازلت فى برج السيادة طالعا … تضىء بك الامال فى الاعصر الجون
ولا زال كل الكون بالصدق كلما … دعوت لكم يشدو بالاف امين
ومنى على علياك ازكى تحية … معطرة تزرى بنفحـة دارين

كان مقصود المترجم من المخاطب ان ياخذ عنه . ولكن وجده مريضا فلم يحضر عنده الاّ فى درس واحد . فلما أبل من المرض خاطبه بقوله :

ليهنا العلـم والقرطاس والقلـم … فقد أبل الامام العالم العلم
وصح اذصح جسم المجد وانكشفت … عن طلعة البدر فى افق العلا الظلم
فالحمد لله اذ عافى بمنته … ركن الهدى فانجلى عن جسمه الألم
فالله يكـلاه حفظا ويسعـده … حظا ويبقيه والدنيا له سلم

وخاطب الغالى بن موسى بن معزوز الفاسى بقوله :

انخت ببـاب الجود والسؤدد العالى … محط رجاء القاصد السيد (الغالى)
مقام سما فوق السماكين قدره … وخص بحال لا يقاس على حال
تجلى له سر الخصوصية التى … تنال بوهب لابحيلـة محتال
فاصبـح غيثا للبرية كلهـا … بجود بهتان من السر هطال

فيا سيدا فاضت عليه معارف — من الله لاتحصى بقيل ولا قال
حللت بكم ضيفا وللضيف حرمة — ينال بها ما شاء من كل اجلال
أتيت بقلب قد صفا لك وده — صفاء زلال المال أوصرف جريال(١)
أؤمل أن أحظى باقبالك الذى — ترم به حالى وتنجح امالى
فانك بعد الشيخ منيتى التى — عقدت على ادراكها عزم ترحال
وحاشا ندى كفيك أن لا يناله — فقير غدا يدلى براحة تسئال
عليك سلام الله يا مزنة الندى — ويا درة جيد الكمال بها حال

وكتب الى محمد بن العربى بن ادريس الزرهونى :

يا غريبا لابتغاء الكرم — مل الى بيت الشريف العلم
من غدا فى المجد والفضل وفى — مظهر العرفان مثل العلم
الكريم ابن الكريم السيد الـ — ـعربى الندب وبدر الظلم
فرع دوح المجد من قد حاز من — غاية الفخر مدى لم يرم
قطب علم وحياء وتقى — متحل بجميل الشيم
من اذا حل به مقترب — حل فى خير حمى محترم
مرشد الجيران مغنى المعتفى — مورد يروى به كل ظمى
علم يهدى الى قصد الهدى — فى الطريق الاحمدى العلم
سيدى انى ضيف نازل — من حمى مجدك انجى حرم
ساقنى نحوك وجد لم يزل — فى الحشا مشتعلا ذا ضرم
وندى كفك من أمله — بالرجا نال الغنا من عدم
وعليكم من سلام الله ما — يزدرى طيبا بزهر الاكم

وكتب اليه أيضا :

مولاى يا ذا العربى الهمام — يا نخبة العز وبدر التمام
يا كعبة المجد وبحر الندى — من جوده يزرى بوبل الغمام
يا سيدا أجلسه الله فى — رتبة تفريج هموم الأنام
أغث بهمتك شخصا له — بمجدك السامى العزيز احترام
واستعطف الشيخ له فعسى — ينجح ما يامله من مرام
فانت أولى من وفى كرما — بمقتضى العهد ورعى الذمام
لا زال من يرجوك ذا ظفر — تدنو له الامال ذات ابتسام
ثم على علياك من ذى هوى — أوفى تحية وأزكى سلام

١) الجريال بالكسر : من أسماء الخمر .

ثم كتب اليه أيضا بعد ما ارسل الجواب برسالة :

اتتنا بانواع المسرة والبشرى — رسالة من طابت مكارمه نشرا
رسالة مولانا وسيدنا ابى الـ — مواهب من قد بان فوق السها قدرا
فطابت بها نفس الغريب واقلعت — حرارة نار الهم عن كبد حرى
وضاع نسيم البشر من نشر طيها — كما ضاع نفح الورد من روضة زهرا
ونفس مسراها عن القلب كل ما — يقلقل من هم فيا حبذا المسرى
فبارك فيك الله يا ابن رسوله — وابقاك فى افق العلا للورى بدرا
ولا زلت مأوى للغريب تنيله — سرورا وتأمينا فتكتسب الاجرا
ودمت لهذا المجد تجنى ثماره — وتطعم من وافاك من جودك السرا
عليك سلام الله يشرق نوره — كما أشرقت ارجاء ساحتك الغرا

وقال فى هذه السفرة الى حضرة الشيخ التيجانى رضى الله عنه ؛ وللمترجم فى الشيخ قصائد كثيرة . فلولا الاختصار لأتينا بها كلها .

خطرة العيس فى مجال الموامى — ضمنت للفتى نجاح المرام
فارم عن قوس كل وجناء سهم الـ — ـعزم تقصد به بعيد المرام (١)
واهجر الموطن الحبيب ومالو — ف اللذيذين راحة ومنام
واغترب تكتسب كمالا وفضلا — فبذا تم نور بدر التمام
وتعنه كى تستريح وخاطر — (جنة الخلد تحت ظل الحسام)
واقتعد كل ما ذلول وصعب — لجة البحر دون ذر الظلام
قل للاخ ينهى عن السفر المحـ — ـمود جهلا باوجه الاغتنام
أرح النفس وارض بالدون حظا — ما حييت ودع عليك ملامى
فالفتى يطلب المكارم من حيـ — ـث الكرام ولو باقصى الشئام
رب خل ودعته وهو باك — ومقام الوداع أدهى مقام
قال أنى تريد صاحبت لطف اللـ — ـه فى كل رحلة ومقام
قلت حيث ماء المكارم والسؤ — دد والمجد والسيادة هام
حيث شمس الهدى تجلت عيانا — فى سماء العلا بغير غمام
حيث قطب رحى الولاية من دا — نت لرفعة قدره كل هام
مظهر السر منبع العلم والعر — فان بحر الندى وشمس الظلام

الى أن قال يخاطب الشيخ :

أيها الشيخ خصك الله فضلا — بين ذا الخلق بالمزايا العظام
انما أنت رحمة جددت للد — ين ركنا اشفى على الانهدام

١) القصد الرامى : اذا أصاب الهدف

اكرم الله ءاخر الناس عصرا   بـك يـا خير سيد وامـام
وشفى من زلال وردك فيهم   رحمـة كـل غلـة واوام
عجزوا عن كثير بر فاضحى   قلهم باكسير حبـك نـام
أنت قلت كذا . وأنت اذا مـا   قلت قولا فانت انت حـذام
يا لها منة فيا فوز من أصـ   ـبح في سمط حبه ذا انتظام
أبشروا معشر المحبين فيـه   بنجـاح مـؤيـد مستـدام
فزتم بالمنى وبـالعروة الوثـ   ـقى التى ما لعقدها من فصام
وظفرتـم بمـا تتنافس فيـه   من عـلى الفوز همـه مترام
فلتطيبوا نفسا فليس كمثـل الـ   شيخ في الوعد والوفا بالذمام
ولتقوموا بعهـده كـى تنالوا   غايـة السر فيـه أى قيـام
فعلى قـدر صدق كل مريـد   ينجلى عن حجـاه كل لثام
ايها الشيخ فضلك الشمس لا يجـ   ـحده غـير حاسد متعـام
وفـدى كفـك المؤمـل بحر   ورد الكل ماءه وهـو طـام
انني ضيف جودك الجم كم قد   جبت من لجة وكم من قتام
حملتنى مـن الرجـاء مطـى   يعمـلات تسرى بغـير زمـام
ارتجى الربح فـي تجارة حبى   لـك فـالحب متجر المستهـام
ومن الضيم استجير فقد قيـ   ـل نزيل الكرام غير مضام
وعلى العبد أن يبوح بشكوا   ه لسيـده بغـير احتشام
وفؤادى فيـه من الجهل داء   وجنابك فيـه برء سقامى
وبقلبي مـن التشوق نـار   شبها البعد لم تزل في احتـدام
فاتيت الى جنابك مـا قـد   مت بـين يدك غـير الغرام
وتيقنت مذ رميت بسهم الـ   ـعزم نحوك ان أصابت سهامى
ورأيت ثمر السيـادة والسؤ   دد قد علقت بغصن الثمام
ووجوه المنى تجلت بدون الـ   ـستر في حسن شارة وابتسام
فمددت يدى ومن رشد الانـ   ـسان أن يطلب المنى بالتزام

***

واليـك ارسلتهـا بنت فكـر   خلب البرق ذى سحاب جهام
زانهـا من حلى مدحك وشى   صان من حسنه لها كل ذام
فتبـدت كأنهـا الخـود حسنا   قلـدت بنفيس در الكـلام
يحسب العاشق المتيـم مهمـا   تليت لفظهـا عتيـق المـدام
ويراها من طيب ما اودعتـه   وردة كشفت لثام الكمـام
تبتغى منكم القبول فان نـا   لته نالت كل الامانى الجسام

وحشا سيدى يخيب ضيفـا   ذا انتصار بعهـده واعتصـام
وسلام عـلى سيادتـك العـ   ـظماء ما رنمت شوادى الحمام
وعـلى سيـد النبيئين ازكـى   صلوات تنمـو وازكـى سلام
وعـلى ءالـه واصحابـه الغـ   ـر ذوى الصدق والوفا بالذمام
ما تنفس في مسير صبا نجـ   ـد صباحا ذكى طيب البشام

وحين ازمع الرجوع من مشهد الشيخ الى بلده خاطبه بقوله :

أمولاى هذا الضيف حان ارتحاله   فيا ليته يدرى بما ءال حاله
أادرك من برد الرضا منك سؤله   فيفرح أم قد عز عنه مناله
وحاشاك يا غوث البرية أن يرى   نزيلـك محروما وأنت ثمالـه
فللضيف في شرع المكارم ذمة   يحق بها أن لا يخيب سؤالـه
وذو الجود لايرضى يئوب نزيله   ومـا ملئت من كل خـير رحالـه
وانت الذى قد فاض من بحر جوده   على كل أجزاء الوجود نوالـه
فـلا سر الا منكم سريانـه   ولا فضل الا من نداك انفصاله
وانك ظل الله من لاذ خيفـة الـ   ـهجير بـه فاءت عليه ظلالـه
أمولاى مالى غير جاهك حيلة   اذا نابنى خطب يضيق مجاله
فعطفا على ضيف ضعيف تقطعت   عـلى كل حـال من سواك حباله
وجد بالذى يرجو على الفور انـه   ألذ الندى ما لم يشبه مطالـه
بحرمـة سر الختم والسؤدد الذى   به خصك الرحمان جل جلاله
وحرمـة نجليك اللذين غذاهمـا   من الفضل مـاء لايشاب زلالـه
وءابائك الصيد الكرام الألى هم   مدى الدهر أعلام الهدى وجبالـه
وجـاه الذى ما فـاز منك مؤمل   بسر سوى ما عن يديه يناله
أبى الحسن الميمون خير خليفة   (حرازم) اللذ من سناك هلاله
وسائر من حفته منك عناية   فتم بما قد نال منك كمالـه
وضاء له من نور سرك بارق   فاذهله عن كل حسن جماله
عليك من التسليم ما أنت أهله   يدوم على مدى الزمان اتصالـه
وحزبك من سادوا بك الناس كلهم   فاضحوا وهم حزب الهدى ورجاله
وازكى صلاة الله دائمة عـلى   نبى حوت كل الكمال خصاله
واصحابه والتابعين ومن هـم   اذا عد ارباب الفضائل ءالـه

وخاطب ايضا السيد أبا النصر من ءال الشيخ :

أمولاى ياذا الجود يا ابن ابى النصر   ويا من لـه فضل يجل عن الحصر
ويا من سما عرش الخلافة رافعا   على الرأس من دون الورى راية النصر

ويا من بأمر الشيخ قلد خطة الـ   تصرف بالتخصيص من مالك الأمر
اغثني من دهر تألب صرفه   علىّ ومن هم يضيق به صدري
وكن لي شفيعا في رضا الشيخ انني   نزيل وذا وقت الرجوع الى الوكر
لعلي ان احظى بادراك كل ما   أؤمله من مطلب السر والجهر
وارجع في أمن وظل سلامة   بعز مكين في ذرى رفعة القدر
عليك سلام الله يا ابن رسوله   كماهب نفح من شذا العنبر الشحري

وقال أيضا في جناب الشيخ :

هات اسقني شمسا بكف الفرقد   فلقد دعا للنزهة الروض الندي
هبت شمال جعدت من نهره   ذوب اللجين فمتنه كالمبرد
وشدا الحمام فرنحت نغماته   عطف القدود من الغصون الميد
وتألقت من نوره وجناته   ما بين مبيض وبين مورد
فاغنم من اللذات ما لم يقذه   اثم ينغص صفوه بتنكد
فاذا قضيت النفس حظ نعيمها   وسطا المشيب بأبيض في أسود
فانفض يديك وقل عدا عما بدا   شيب يقول اخشوشني وتمعددي
واطو المراحل طي شيحان ولا   تخلد الى كسل يبطيء أودد (١)
وارحل الى مغنى الحقيقة واستبق   واركض جواد العزم واكدح واكدد
وافض دم الاجفان كي تمحو به   رينا علا قلبا صبا حتى صدي
واذل جواهر أدمع واخدد بها   خدا بأثواب الوقاحة مرتد
وابك الخطيئة نادما ثم انتخب   ثوبا خصيفا للمتاب وجدد
واجدد بسيف العزم سوف وفز اذا   جن الظلام لفرصة المتهجد
واستنجد الهمم التي تحمي الحمى   همم الرجال ذوي الحفيظة تنجد
وافزع الى شيخ غيور نافح   عن جاره في مصدر أو مورد
ماذاك الا المهتدي بمناره   والمرتوي من ورده العطش الصدي
قطب الوجود الخاتم المكتوم من   صابت على عاف يداه ومجتدي
غوث العوالم بحر أمواج الندى   هادي الهداة امام كل مقلد
من يستمد العارفون ببحره   وبنوره يسدي الجميع ويهتدي

الى أن قال في وصف الشيخ :

ذاك الامام القطب مولانا أبو العبـ   ـاس مجدي المنتمي والمهتدي
ذاك التجاني تاج هامات العلا   مولى الموالي أحمد بن محمد
ذاك ابن سالم الذي قد سلمت   لكماله أهل العلا والسؤدد
قدماه فوق رقابهم فلذا سما   في كل مرتبة سمو السيد

---

١) السدد : اللعب

ان الولاية كالقلادة فصلت   اسلاكها بجواهر وزبرجد
أو كالنجوم الزهر في افلاكها   كل له نور يضيء لمهتد
لكن علا بعض على بعض كما   تقضيه حكمة قاهر متوحد
فاعرف لكل فضله واحكم بما   تدريه حكم مقلد متقيد
واعلم بأن الشيخ مولانا ابا الـ   ـعباس واسطة القلادة واشهد
واذا عددت الشهب فهو الشمس في   اشراقها فاصدع ولا تتردد
فبذاك الخبر وهو اخبره به   من ربه صدقا بغير تفند
لما تلقى ورده من جده   أجداه ما اجدى برغم الحسد
ضمن النجاة لكل من ينمي له   ومن انتمى لذوي السعادة يسعد
فمريده في ذمة ومحبه   في جنة من كل عاد معتد
لجأوا لركن ضمانه فتستروا   بحماه من كيد الزمان الانكد
سعدوا به فعلت بهم همم الى   رتب تسامت فوق سعد الاسعد
لا يدعون لرامة الا التقى   والسير في السنن الاسد الاحمدي
ركبوا الرضا والشكر من يركبهما   يشكر سراه لدى الصباح ويحمد
سبقوا على مهل السرى من لج في   امعانه بتقعر وتشدد
سبقوا بسبق امامهم فحووا بلا   طول العنا خصل المدى المتمدد
فوحقهم لقد استحقوا قول من   حلى بصدق القول لهجة منشد
والفضل ليس يناله متوسل   بتورع حرج ولا بتزهد
ان قال ذاك هو الدواء فقل له   كحل الصحيح خلاف كحل الارمد
رباهم الشيخ العطوف بهمة   وبعطفة نبراسها لم يخمد
هم سادتي هم اسرتي هم عدتي   في شدة تعرو وهم مكمد
فبهم أصول على العداة فلم اكن   لاخاف من اسد يصول واسود
ولركنهم آوي اذا دهر عدا   فاقول ابرق يا زمان وارعد
وبهم ارجي ان انال سعادة   في الحال والماضي جميعا والغد
بشراك يا قلبي ظفرت بعروة   وثقى فامسكها بكفك واشدد
وابسط رجاءك ما استطعت ولا تكن   هيابة واسأل والحف واجهد
ايه فديتك صاحبي حدث بما   قد صح عنهم من حديث مسند
ضمخ مسامعنا بما تروي فما   احلى مكرره واذكى في الندي
واسعد وساعدني على قصدي الى   (فاس) فانك ناصر ان تسعد
مغنى امام الاولياء ومرقد الشـ   ـيخ التجاني يا له من مرقد
روض المنى كنز الغنى حصن الهنا   افق المنى مأوى الاماني الوجد

حيث السعادة والسيادة والتقى   والنور والسر الذى لم يجحد
حيث الهدى حيث الندى حيث البها   حيث الفتوح تتاح اخذا باليد
هى روضة اطيارها قوم لهم   نغمات ذكر لا كنغمة معبد
قوم لهم زجل بذكر الله فى   ادب الوقار بصحن ذاك المسجد
هى جنة الدنيا جناها الذكر مع   ملا كرام ركع أو سجد
غرر علاها النور فهى أهلة   وتمايلوا وجدا كغصن أملد
ان صففوا عند الوظيفة خلتهم   درر السلوك نظمن بعد تبدد
لله درهم فما منهم سوى   ندب كريم أو تقى صندد
فاذا وصلت أخى فابشر بالمنى   فادخل وحط الرحل واركع واسجد
واعلم بأنك فى حمى حرم فسر   هونا الى القبر المقدس واصمد
واحرص على أدب الحمى وانشد به   درر المصون من الدموع وبدد
واستحضر القصد الصحيح وهمة   ان تستمد بها العناية تمدد
وقل السلام عليك يا غوث الورى   وغياث مستجديه والمستنجد
يا أيها الكنز المطلسم يا رجا   أمل المروع بدهره المستأسد
يا عز مهتضم ويا نورا به   فتحت مغالق كل باب موصد
يا من له التصريف فى الكونين عن   اطلاق اذن عم غير مقيد
انى أتيت اليك ما قدمت من   عمل سوى قصدى لبابك سيدى
ما كان من زاد ولا تقوى ولا   علم ولا رأى أسد محصد
لكن لى برجاك خير وسيلة   ترجى وحاشا ان تخيب مقصدى
يحدو بى الشوق الحثيث الى ندى   بحر خضم من نوالك مزبد
كم شقة قد جبتها ومهامه   قطعتها بعد العناء وفدفد
قد هون الصعب الحرون تشوق   لزلال موردك الهنىء المبرد
فانظر الىّ بعين عطفك واكفنى   ما هم واعن بمطلبى المتعدد
واغسل فؤادا سودته نوبة   فعساه ينعش بعد طول تسود
وامنن بفتح تنجلى عنى به   ظلم الهوى ودجا الهموم الهمد
وبنور سر تقتضيه عناية   سبقت وقالت يا فتى لا تبعد
يا رب يا رحمان يا من ظله   لا ينزوى عن متهم أو منجد
يا أكرم الكرماء يا من بابه   عن عبده مهما دعى لم يسدد
يا مالك الملك العظيم ومن له   منن تروح على العفاة وتغتدى
يا بر يا ذا الفضل يا من جوده   قد عم كل مقرب ومبعد
يا من اذا ما جاءه عبد عصى   ناداه يا عبدى تقرب وازدد

ادعوك للذنب العظيم لزيحه   عنى وتغسل ذلك القلب الصدى
ادعوك للدنيا لتنيل بها المنى   وتجير من هم الناخ مهدد
ارجوك فى اصلاح دين طالما   قدته أهواء عنت بمتمرد
ادعوك للاخرى لتنيل بها الرضا   وتحلنى فضلا بصدق المقعد
ادعوك للابناء توليهم غنى   يسرى ويلحم دون فقر مفسد
ادعوك للاشياخ والاباء جد   كرما بعفو عنهم متغمد
يا رب بالمختار احمد من له   جاه فمن يسال به لم يردد
وبآله وبصحبه وبكل من   قربتهم من عبد او زهد
وبشيخنا القطب المعظم قدره   وبسره وبنوره المتوقد
عجل اجابتنا بنيل المرتجى   وبصرف ما يخشى ولا تردد يدى
وافتح بصائرنا وثبتنا على   دين الهدى وقنا ظلال الملحد
وارحم اذا ما ضمنى بطن الثرى   وتركت فردا فيه غير موسد
وصل الصلاة على النبى وآله   وعلى صحابته وكل موحد
ما حن مشتاق لطيبة وانتحى   وفد الرجاء الى بقيع الغرقد
وسرى النسيم على الرياض واشرقت   شمس وما طلعت نجوم الفرقد
وادم على القطب المقدس هاطلا   من غيث رضوان يدوم مؤبد
وعلى سلالته الكرام وكل من   ينمى له بتحبب وتودد
ما اخضر روض زاره صوب الحيا   فهفا النسيم بغصنه المتاود
وحدا الى (فاس) حنين حثه   شوق الى أنوار ذياك الندى
مولاى هذى خدمتى قدمتها   أسعد بها مهما قبلت واسعد
ضمنتها من در مدحك ما زرى   بالدر نظم فى نحور الخرد
صيغت لبحر كامل فى كامل   فزهت على ما صاغ كل مولد
دالية أدلت دلاء توسل   للنيل من أندى الكرام واجود
نزعت بهمتها اليك واعرضت   من رشدها عن كل ندب اصيد
جاءت تبختر فى برود حاكها   فكر يحوك القول حوك الابرد
تمشى على استحيائها ترجو الرضا   من خير مقصود لكل مقصد (١)
فاغفر لحسن رجائها تقصيرها   فالرد منك سجية لم تعهد
فمديحك البحر المديد عبابه   يفنى الزمان وموجه لم ينفد
فاقبل وسيلة ضيف جودك واسقه   كأس الرضا لا من مدامة صرخد
فاذا رضيت فنجم سعدى طالع   والجد سام فى المسرة مصعد
ثم السلام يصوغ مسك ختامه   فى روضك الزاهى البهيج الاحمدى

١) قصد تقصيدا : قال قصيدة

قصد المترجم مع رفيقه سيدى العربى (العدوتين) فتلقاه كل العلماء الذين اخذوا عن الشيخ سيدى العربى بن السائح المتوفى ١٣٠٩ هـ قبل هذا الوقت بسنوات فجاذبهم المترجم القوافى فخاطبهم وخاطبوه :

وقد قال مخاطبا لأحمد بن موسى السلوى العلامة الكبير :

عندى لمجدك يا ابا العباس ... فى الله أى هوى بقلبى راس
ملكت شمائلك الفؤاد فلا يرى ... يصغى لسلوان ولا وسواس
وسرت حميا الود فى سرى كما ... تسرى بنشوان حميا الكأس
لم لا وقد فتّ الورى بسجية ... تزرى بلطف نسيم روضة ءاس
وبهمة شيدت من التقوى ومن ... كل الكمال على متين أساس
لاترتضى الا العلا أبدا ولا ... تعنو لغير الله رب الناس
ايه (ابا العباس) كم قد حزت من ... معنى يضيق بساحة القرطاس
احرزت من سر الحقيقة حالة ... كم رامها فاصاب ربح اياس
فغدوت بدرا يستضاء بنوره ... فى ظلمة الجهل البهيم الغاسى
واليكها تفشى ودادا لم يزل ... مترددا بتردد الانفاس
تهدى اليك تحية حفت من الرّ ... حمان بالالطاف والايناس

ثم خاطب المترجم حضرة الشيخ ابن السائح بقوله :

هذا مقام السيد ابن السائح ... ذى الفضل والنور المبين اللائح
هذا مقام العارف المولى أبى الفيـ ... ـض المقدس ذى الثناء الفائح
هـذا ضريح ضم بحرا لم يزل ... يرمى بموج بالمعارف طافح
من طبق الافاق بالسر الذى ... عم الورى من حاضر أو نازح
بدر الهداية صارم الحق الذى ... يسطو بكل مجالد ومكافح
هذا الذى أقذى عيون الحاسد ... ين العمى عن نور الاله الواضح
هذا الذى نصر الطريق الاحمدية ... ـة بالبنان وباللسان الرامح
هذا الذى أعلى منار العلم والتـ ... ـقوى بقول للحقيقة شارح
هذا الذى ما زال يرتاض العلا ... حتى تنسم كل صعب جامح
لايختشى جور الحوادث جاره ... كلا ولا كيد العدو الكاشح
من راح فى حاجاته لجنابه ... حمد السرى وغدا بقصدنا حج

***

يا سيدى يا من يهش جبينه ... بنزيله هش الكريم المانح
انى حللت حماك ضيفا طالبا ... أن لا أبوء بغير مسعى رابح

فاعطف على وجد بما املته ... واكف الهموم ودافعن ونافح
فالله يجزيك الرضا من فضله ... يا خير هاد للبرية ناصح
وعليك يا بدر الكمال تحية ... موصولة مع كل غاد رائح
وصلاة رب العرش ثم سلامه ... أبدا على قبر النبى الفاتح
وعلى صحابته الكرام وءاله الـ ... ـغرّ الهداة وكل عبد صالح

فقال سيدى محمد بن موسى ـ ولعله اخو أحمد بن موسى ـ يجيب المترجم عن لسان حضرة الشيخ ابن السائح :

لبيك يا من حاز كل فضيلة ... سبقا ومن حوز المنى ناداكا
لبيك يا من رام كل جميلة ... فالصفوة الغرا تريد رضاكا
لبيك يا خير الاحبة مقصدا ... أسعد بسعد للهدى مثواكا
لاتختشى ضيما وعندك عروة ... وثقى فنم فضل الكريم حباكا
عز ظفرت به ولم يظفر بـه ... غير السعيد ففاح طيب شذاكا
هذى المنى من روضة الحب انبرت ... كيما تقود يديك نحو هداكا
هذى المحاسن أشرقت من تربة ... خير الثرى وتوشحت للقاكا
هذا الصفى المرتضى والمجتبى ... والمنتقى أسعد بنقل خطاكا

هذا ما وجدنا من القصيدة بخط سيدى محمد بن الطاهر . ولعلها لم تعجبه فاختصرها . فاجابه المترجم :

هذى جواهر حلت الاسلاكا ... لا بل زواهر جلت الاحلاكا
أم نظم فكر راق حسن ذكائه ... فوشى برودا للقريض وحاكا
فكر النجيب محمد من همه ... حوز المعالى كلها ادراكا
مهلا أبـا عبـد الاله فانه ... أزرى بنور البدر ضوء سناكا
جاريت أبناء الزمان الى العلا ... فسبقتهم وغدوت فرد مداكا
انست شمائلك النسيم لطافة ... وعلا على الجوزاء بدر علاكا
ورأتك حور السعد كفئا ماجدا ... فدعتك من بين الانام بهاكا
ولقد سبيت القلب حتى لايرى ... أبدا يظل الى سوى مغناكا
فاحفظ فديتك عهد خل لم يزل ... متوقدا بلهيب حر هواكا
فالحر لايسلو وان طال المدى ... ووجوب حفظ العهد لايخفاكا
لازلت فى أمن وحفظ عناية ... وتتابع الالطاف من مولاكا
وعليك تسليم يفوح عبيره ... ما حنّ مشتاق الى لقياكا

وقد قال المترجم ايضا فى مقام سيدى العربى بن السائح :

هذا مقام أبى المواهب من غدا ... مستوهبا من جوده نال المدى

فاقصد حماه بنية متوسلا   وابشر بما ترجو فسل وامدد يدا
اني قصدت اليك يا بحر الندى   مستمنحا فامنن بمايروى الصدا
فاقبل زيارة قاصديك واولنا   من فضل سؤددك المنى والسؤددا
وافض على العافين عادتك التى   من اجلها قد لقبوك السيدا
لازلت غيث رضا يصوب سحابه   بمقامك العالى الى أقصى المدى
وتحية منا تكون وسيلة   لرضاك عنا دائما كى نسعدا

وقال المترجم لما ازمع الترحال من عند مشهد ابن السائح :

يا ايها السيد الميمون من قصده   ومن هو البحر لاتفنى الدلا مدده
هذا نزيلك قد جد الرحيل به   فاملأ بجودك ياأندى الكرام يده

وخاطب الاستاذ الشاعر عواد السلوى (المولود نحو ١٢٦٦ ه وتوفى فى ١١ رجب ١٣٣٦ ه وهو أديب كبير أخذ عن أحمد بن خالد الناصرى وعبد الله بن خضراء واحمد بن الفقيه الجريرى . والبريبرى . وزنلو ومعاصريهم . وله ديوان لايزال فى يد ولده الأديب صاحبنا سيدى عبد الرحمن الباشا المشهور . وهو من أصحاب سيدى العربى بن السائح)

عليك سلام طيب رائح غادى   يفوح كما فاحت خلال ابن عواد
سلام محب هزه الشوق والهوى   اليك كما هز الصبا سرحة الوادى
سبى مجدك المأثور عنك فؤاده   بحبك سمعا قبل أن يجمع النادى
ونم شذا ذكراك عنك فدله   عليك صريحا والشذا مرشد هاد
فدونك ضيفا يطلب القرب لاالقرا   ويخطب صرف الود لاطرفة الزاد
فلازالت الامال تقصد ساحة   نزلت بها غيث الندى نجعة الصادى

مع السويريين

مر المترجم بـ (البيضاء) فأبحر منها الى (السويرة) ؛ فنزل على القاضى البلغيثى فدار بينهما من تقريظ (الابتهاج) ومن المساجلة ما طبع فى آخر ذلك الكتاب وممن أتصل بهم هناك . السيد احمد اقنثور . وقد كان امينا اذ ذاك . ثم صار من الرؤساء المخزنيين فى العهد الحفيظى . ولم يتوف الا بعد ١٣٣٠ ه ـ فيما روى لى ـ فخاطبه المترجم بقوله :

لقد بسم الثغر السويرى بالنور   لطلعة احمد الكريم (اقنثور)
اخ ماجد قد حاز كل فضيلة   وفاز بحظ فى السيادة موفور
وساد على أهل الزمان بجوده   سيادة محمود السجية مشكور
فتى لا يريد المال الا لبذله
يرى الشكر عن بذل الندى خير مذخور

يهش الى وجه النزيل كانما   اتاه اذا ما جاء يوما بتبشير

***

فيا ايها الخل الوفى الذى سما   بحرص على جمع الفضائل مقصور
مننت باحسان جزيل ومنة   تقاصر عن احصائها لفظ تعبيرى
فاصبح فيك المدح منى معطرا   كنفح شذا ورد من الروض ممطور
جزاك اله العرش خير جزائه   وأولاك فضلا واسعا غير محصور
بجاه رسول الله خير وسيلة   لنيل المنى والسؤل أو دفع محظور
عليك صلاة الله والصحب ثم من   تلاهم باحسان الى النفخ فى الصور

مع حضريين آخرين في سفرات اخرى

ذلك ما وقفنا عليه فى تلك السفرة ١٣١٤ ه ثم لما تردد الشيخ فى سفراته الاخرى الى (مراكش) والى (مكناس) والى (زطاط) والى «البيضاء» صدرت منه فى هذه الحواضر قواف أخرى أكثر وأكثر مما تقدم . فأما ما قاله فى الشيخ النظيفى فانه سيذكر ان شاء الله فى ترجمته فى (الجزء التاسع عشر) وكذلك ما قاله فى سيدى محمد بن على العينى البيضاوى وأما ما قاله فى النقيب المكناسى فانه فى ترجمته فى كتاب (مشيخة الالغيين من الحضريين) ـ يسر الله تخريجه ـ وأما غير ذلك فسنذكر منه ما أمكن ان شاء الله .

مع القاضي الحاج احمد سكيرج الزطاطى

كان للقاضى سكيرج رحمه الله صلة متصلة بالالغيين ومن اليهم من الايفرانيين . وذلك بوساطة صاحبه الفقيه سيدى محمد بن على العينى التازاروالتى السوسى ثم البيضاوى . فهناك قصائد كثيرة راجت بين الفريقين شارك فيها المترجم . والاساتذة محمد والمدنى والطاهر والحسن الاخوة الادباء الالغيون أبناء شيخ الجماعة سيدى على بن عبد الله . وكذلك سيدى عبد الله بن محمد الالغى ابن أخيه . والاديب أحمد بن زكرياء . زيادة عن المترجم . وقد نذكر فى ترجمة سيدى محمد بن على فى (الجزء التاسع) ما أمكن لنا من ذلك .

قال المترجم يوم أهوى الى لقاء سكيرج بادئ ذى بدء ١٣٥٤ ه :

احقا دنا منا الامام سكيرج   والا فما هذا الشذا المتأرج
بل هذه أنفاسه وثناؤه   فيا طالبى نيل المعارف عرجوا
ومدوا أكف المستميحين للندى   فهذا هو البحر الروا المتموج

وحيوا بآداب وقولوا هنا 'بنا … لقنالك حادي الشوق والشوق مزعج
فمنوا بالقبال على ضيفك الذي … اذا بهرجت اهل الهوى لايبهرج
بقيتم لاسداء المكارم كلما … تضايق بالعاني الخناق تفرجوا
عليكم سلام طيب النشر ما سرى … على كاهل الشوق المبرح مدلج

فاجابه سكيرج :

نسيم بشذاك الربع منا مؤرج … وقدطاب نفسا حين جئت (سكيرج)
وأمسى قرير العين مما بدا له … من الصدر من حب به أنت تلهج
لقد كان في شوق اليكم وعندما … رءاكم غدت أشواقه تتاجج
تزايدت الاشواق منذ تسعرت … بصدروقدكادت بها النفس تحرج
فيا طاهر النفس الرفيع مقامه … بقلبي وقلبي نوره منك مسرج
ويا طاهر الفضل المزين بالتقى … وفضل سواه في معاليه مدرج
على امارات الذى قمت أدعي … به ودعاوى الصدق للخير تنتج
فكن واثقا بي في وثاق محبتي … بحبل وداد منه راسي متوج
وعش راعيا عهدي بغير تكلف … ومثلي فقير منك للود احوج
ربطت بحبل الحب فيك حبائلي … وصدري بحب فيك والله مثلج
فدم والذى بيني وبينك دائم … وعني وعنك الهم لاشك يفرج

وكتب اليه ايضا وقد نزل بارباض (زطاط) :

يا نسيم من الربا متارج … حي حي عني الامام (سكيرج)
والقدم قبل وقبل يمينا … لثمها فيه راحة المتحرج

وكتب اليه أيضا :

يا راكبا يطوي الفلا اذ يدلج … يهديه نفح للصبا متأرج
عرج على (زطاطة) متأدبا … واخلع نعالك خاضعا اذ تدرج
واعلم بانك قد اتيت حمى به … علم الهدى بدر الكمال (سكيرج)
سلم عليه مقبلا كفا بها … توشي المهارق حكمة وتبرج
واجل خاطك في محياه الذى … هو بالجلالة والبهاء متوج
وقل السلام عليك من ذي غلة … يشكو النوى وغرامه يتاجج
يرجو دعاك وانت انت بان ينا … ل المرتجي ويروج منه البهرج
فاصرف اليه عناية تولي المنى … وتفك عنه همومه وتفرج
لازلت مطمح عين كل مؤمل … وندى يمينك بحره متموج
وعليك الف تحية يزهو بها … ذاك الجناب المستنير الابلج

من صادق الود الصريح الطاهر السو … سي من في الحب لا يتلجلج

اذا كان الناس معادن فمعدن الانصار هو النضار (ان الخيار هم بنو الاخيار)

من سره كرم الحياة فلا يزل … في مقنب من صالحي الانصار

وحسبك اية الايثار (والذين تبوءوا الدار) وحديث (الناس دثار والانصار شعار الانصار كرشي وعيبتي . لو سلك الناس واديا لسلكت وادي الانصار لولا الهجرة لكنت أمرءا من الانصار . وأبناء الانصار) وناهيك في الافتخار التنويه لما حمي الوطيس بـ (يا للانصار . يا للانصار) وفي المدح بالكرم هو من قلب الجود . ونداء من أراد أن يشبع من الخبز واللحم فليات قصر (بني دليم) والرسول الشمس . وما أشبه اليوم بالامس . والجفنة التي تدور ؛ ذوو الاسنة الرزق . والالسنة الذلق . منهم المصانع . المسلم لهم في المجامع . ان كانت الخطابة فلثابتهم (١) الثبات . والتقدم في الاقحام والاكبات . أو الشاعرة فلحسان الاحسان . والشكر بكل لسان . والتفدية من كل انسان . وناهيك بقوله

فان أبي ووالده وعرضي … لعرض محمد منكم وقاء
هجوت محمدا أو أجبت عنه … وعند الله في ذلك الجزاء

ان قال بذ كل قائل . وجدل كل صائل . فهو الرافع الخافض ؛ الاسد الرابض . كم نصبت له المنابر . وأيده روح القدس في المحاضر ؛ يلقي على فكره الابيات ؛ وتلك غاية الآيات ؛ فهو أمير الشعرا ؛ وان قلت نبيئهم فلا مرا . فشاعر الانبياء نبي الشعراء . فهنيئا لك يا حسان تلك المراثي النبوية . بعد الامداح . دافعت بها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما لاتدفع الصفاح . يوم الكفاح . كم أسكت بها ناطقا . وجدلت منافقا . لك اللسان الطويل الذلق . والقول المديد الطلق . يحلق الشعر . ويفلق الحجر . فنفسي فداك . لاصم صداك . ولا فض فوك . ولا سعد من يجفوك . ولتقر عينك بما خلفت من نسلك من الاشبال . ورثة مقالك في الدفاع عن الدين يوم النضال . الناطقين بلسانك المزرى بالنبال فلو رايت العصابة الكريمة السكيرجية . لقرت عيناك وعلمت أنهم أبناك . وان سناهم من سناك ؛ والقاضي أطال الله بقاءه وسطى قلائدهم . وبيت قصائدهم . وحبالة مصائدهم ؛ تآليف بديعة المعاني . تتلقاها بالاذعان مصاقع الاصقاع والمغاني أربت عن الاحصاء والعد . وكاثرت والحمد لله البحار في المد . أقرت لها بالسبق الاعلام ؛ وسلمت لحجتها فرسان المهارق والاقلام . في جميع أقطار

١) ثابت خطيب الانصار يوم جاء بعض العرب للمفاخرة .

الاسلام . فعليه منا السلام . مشفوعا بكل احترام واحتشام . ما لاح البرق واخضل البشام . وقد اشتملت هذه الرسالة من الاشارات على ما لايفهم الا من منشئها رضي الله عنه . وقد استفدنا ذلك منه مشافهة والحمد لله :

فان يسر الله الكريم بفضلـه   وصادفت أهـلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستفدت مودة   والا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه   ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وكتب اليه ايضا :

وافت لتآليف الامـام (سكـيرج)   شمس النهى روض البهـا المتأرج
اهدى الى العبد الفقير على النـوى   منها لئالى وافقت ما يرتجى
وضع الهناء مواضع النقب الذى   أضنى فؤاد المشفق المتحرج (١)
لله منه قريحة اذكت سنـا   علـم رزى بالكوكب المتوهـج
لفظ كما اطّرد الزلال سلاسة   ونصوع معنى كالصباح الابلج
ودلائل منصوصـة ذلت لهـا   أعنـاق كل مزخرف ومبهرج
صدعت بما أمرت به من نصرة الـ   ـحق المبين الواضـح المتبلـج
بشبا لسان لايفل سنانه الـ   ـماضى قراع الباطل المتلجلج
وثبات جاش لاتزعزع ركنـه   شبه الملـد المستجيش المحرج
والمرء يسبر غـوره بلسانـه   وكتابـه من موسر أو ملفـج (٢)
والروض يعرف ورده بأريجـه   ونخيله بالتمر بين العوسج
العلم اكثره دعـاو لم تكـد   تحظى اذا قايستهـا بالمنتـج
كم مدع نادته جهرا محنة الـ   ـتجريب ما هـذا بعشك فادرجى
ايه أبـا العباس ته فخرا يمت   غيظا عـدوك أو معانـدك الشجى
فلأنت واحدها على رغم العدا   ولأنت درة تـاج كل متـوج
ولأنت بحر لا تكـدره دعـا   ميص الدجاجل حين تذهب أو تجى
جليت فى شأو المعارف سابقا   وجرى سواك وراك جرى الاعرج
لما نظرت سناك قلت تعجبا   سبحان من نصر الهدى بالخزرجى
فالله يجزيك الرضا ويديم ما   أولاك تهدى الناس أهدى منهج
بالمصطفى المختار سيدنا رسو   ل الله فاتح كل باب مرتـج
وبنجلـه مـولاى أحمد عدتى   فى شدتى اذ أرتجى أو التجى
ثم السلام عليك يا بدر الدجا   ما ضاء نجم فى السما للمدلـج

---

١) الهناء بالكسر : القطران . والنقب : الجرح . قـال دريـد يصف متجردة تطلى الجربى بالقطران :

متبـذلا تبـدو محاسنـه   يضع الهنـاء مواضع النقب

٢) الفلج : ذهب مالـه .

وبه الباك الطاهر بن محمد الـ   ـعبد الذى يرجو جميل المخرج
تاريخـه ثانى الربيع وعامـه   (قم ضارعا بأزمة الدين اخرج)(١)

وقال المترجم وقد أرسل اليه (سكيرج) مؤلف الاستاذ (منّاش) فى نصرة النظيفى لما قام عليه علماء (فاس) حول كون صلاة الفاتح من كلام الله القديم . وقد أرسل القصيدة الى (سكيرج)

وافت تبختر فى حلى وفى حلل   وطفاء تصمى اسود الغيل بالمقل
جرت من التيه والاذلال ذيل سنا   تفاءلت منه شمس الصحو فى الحمل
خريدة من بنات الفكر ثم لهـا   من صحة الرأى مايحمى عن الخطل
رسالة (المسلك العدل الحنيف على   نصر النظيفى) شيخ العلم والعمل
رسالة حكمت بالعدل وافية   بكف غلواء أهل الزيـغ والزلل
جاءت بحجتها البيضاء فانتصرت   وجدلت حجج البطال بالجدل
ودافعت بصريـح الحـق عن رجل   ناهيك فـى الصدق والتصديق من رجـل
لله درك يا شيخ الجلالة يا   (منّاش) يا عالما أربى على الامل
حاميت عن عرض أهل الله محتسبا   لله لا راغبا فى الخيل والخول
لم تخش عزمتك الصماء صولة من   خاصمت اذ لم تخف فى الله من عذل
فنلت فى حربك العلمى بالقلم الـ   ـخطى ما عجزت عنه شبا الاسل
قطعت أعناق لـدّ عدلوا سفها   عن الهدى وسروا خبطا مع الهمل
فصار تآليفك الميمون أسير فـى   جو السعادة من طيف ومن مثل
حتى أتـى الغرب من شرق كمـا طلعت   شمس الضحى فسرت للغرب فى الطفل(٢)
فليهنك العلم والسعد المؤيد يا   (مناش) ياطب ما بالدين من علل
فالله يجزيك رضوانا ويعليك مقـ   ـدارا ويحميك من خوف ومن وجل
بقيت للعلم تحميه وتنصره   وللزمان تحليه من العطـل
منى على مجدك العالى سلام أخ   اصفاك فى الله وداصين من دخل
ما أيد الحق برهان وما نطقت   دلائل الحق تصريحا بصدق ولى
ثم الصلاة على خير الورى وعلى   اخوانه أنبياء الله والرسل
والصحب والآل والتالى ومن سلكوا   فى نصر كـل ولى واضح السبـل

---

١) ١٣٤٧ هـ .   ٢) الطفل محركا : عشية اليوم قبل الغروب .

... سماه « الحجارة المقتية .
... به على مؤلف لابن الموقت المراكشي
... « المناطيد الجوية » . غفر الله للجميع .

الحمد لله العظيم الشان — المنعم المتفضل المنان
المسبل الستر الجميل القابل التـ — ـوب المفيض جلائل الاحسان
خلق العباد بفضله فدعاهم — بدعاية التوحيد والايمان
فهدى بمنته فريقا للهدى — وقضى الشقاء على الفريق الثاني
بعث النبي محمدا فدعا الى الـ — دين الحنيف بحكمة القرءان
ساس الانام مبشرا ومحذرا — بسياسة وتلطف وحنان
ما كان فظالا ولا متفاحشا — لا بل نزيها عن بذاء لسان
ما زال يدعو للهدى حتى رست — أعلامه وعلا على الاديان
صلى عليه الله ما داع دعا — لله في سر وفي اعلان
(وبعد) وانا قد سمعنا انه — قد قام بعض أجلة الاعيان
بـ(ابن الموقت) قد دعوه شهرة — بمدينة (الحمراء) ذات الشان
قد صاغ تاليفا ابان به مسـ — ـاوى الوقت صوالا بكل بيان
قد رام ان ينهى ويامر غيرة — لكن تجاوز حومة الميدان
وجرى جموح جواده طلقا الى — حد تعداه الى الطغيان
هبطت به عشواؤه في ظلمة — سقطت به في هوة الخسران
فرمى البرىء بذنب مقترف ولم — يرقب عهود الله في انسان
جرح المشايخ كلهم وعدا على — أهل الهداية من أولى العرفان
وأباح اعراضا تصان مندادا — بالطعن في الانساب والابدان
وسما الى الاشراف ءال البيت من — قد طهروا من صحة الاردان
ما هكذا ما هكذا يا ابن الموقـ — ـت تورد الابال في الغدران
ما أنت محتسب على كل الورى — فعلى شخيصك فاحتسب يا جان
لكن شفى وكفى ودافع عن حمى الا — يمان محتسب جرىء جنان
فرمى لك (المرءاة) رميا كاسرا — بصخور مقت للبغيظ الشان
بحجارة مقتية تنقض دا — مغة لرأس براهن الفتان
لما رءاك عدوت طورك جد في — اخماد ما أوقدت من نيران
ورمى العصا من كفه فتلقفت — ما صغته من سحرك الشيطاني
فغدوت ينشد فيك كل مردد — مثلا جرى في غابر الازمان
فابن الموقت قد سعى لكنه — سقط العشاء به على سرحان (1)

1) ذلك مثل : والسرحان بالكسر : الذيب .

نفع الامام (سكيرج) عن حوزة — أنهكت بمحض الزور والبهتان
لله در عناية قامت به — في حفظ حوزة هذه الاوطان
ودعته للاقدام لا متهيبا — لقنا ولا متبرما بطعان
بالتقلم مطردا كانبوب القنا — والنثر منبعثا كوقع سنان
فجزاك ربك يا ابا العباس يا — بدرا بدت انواره للرائي
يابحر بل ياغيث بل يا ليث بل — يا صقر منقضا على الورشان
دافعت عن طرق الشيوخ واوليـ — ـاء الله ظفر البغى والعدوان
فلسوف تجزى بالكرامة والرضا — وتنال كل منى وكل امان
فاسلم ودم للدين والدنيا وللـ — ـعلم الغزير وللندى الهتان
ولكل معضلة تفك عويصها — ولكل عاف يجتديك وعان
ولأمة تخذتك ملجأها اذا — حمى الوغى في المازق المتداني
وعليك خير تحية مقرونة — بمودة وضاحة البرهان
ماافتر ثغر الصبح فانكشف الدجا — وهوى الصبا بغدائر الاغصان
وعواطر الصلوات دائمة على — خير الانام المصطفى العدناني
وعلى الصحابة والاجلة ءاله — والتابعين وكل ذي احسان

وقال ايضا في رحلة للمذكور سماه (تاج الرؤوس . بالتفسح في نواحي (سوس) ـ وهي مطبوعة في قصيدة نونية :

(تاج الرؤوس) زها على التيجان — بجنى لطائف ما جناها جان
هي رحلة البدر المنير الى ربا — (سوس) فبشرى تلكم الاوطان
فخرت معالم(سوس) الاقصى بها — فخرا تتيه به على كيوان
فخرت بشمس العلم والعمل الرضا — فخرت ببدر قلادة العرفان
فخرت ببحر قد طمت أمواجه — فتقاذفت بالدر والمرجان
بالعالم العلم الامام المقتدى — بالكامل ابن الكامل الرباني
جماع أشتات العلوم شريعة — وحقيقة وفريد هذا الشان
من طار صيت سنائه وسناه من — (سوس)الى (بغداد) و(السودان)
فرد الجلالة والسيادة والندى — شيخ الشيوخ وفارس الميدان
ذاك الامام الشيخ سيدنا ابوالعبـ — ـاس أحمد قامع العدوان
بـ(سكيرج) يدعى ونسبته الى الانصـ — ـار لاتخفى على الأذهان
منشاه من (فاس) ولكن قام في — (زطاط) سهم يقضى برغم الشاني
لازال يرتق فتق هذا الدهر في — يمن واسعاد وطول زمان
ويكف عادية الجهالة سالكا — مثل الطريق ومنهج الاحسان

وقال المترجم يقرظ كتابا لـ (سكيرج) سماه « الحجارة المقتية . لكسر مرءاة المساوى الوقتية » الذى رد به على مؤلف لابن الموقت المراكشى الذى له ايضا فى المذكور « المناطيد الجوية » . غفر الله للجميع .

الحمـد لـلـه العظيـم الشان
المنعم المتفضـــل المنـان

المسبل الستر الجميل القابل التـ
ـوب المفيض جلائـل الاحسان

خلق العباد بفضله فدعاهم
بدعاية التوحيد والايمـان

فهدى بمنته فريقا للهـدى
وقضى الشقاء على الفريق الثانى

بعث النبى محمدا فدعا الى الـ
ـدين الحنيف بحكمة القرءان

ساس الانام مبشرا ومحذرا
بسياسة وتلطف وحنـان

ما كان فظالا ولا متفاحشا
لا بل نزيها عن بذاء لسان

ما زال يدعو للهدى حتى رست
أعلامـه وعـلا على الاديـان

صلى عليه الله ما داع دعا
لله فى سر وفى اعـلان

(هـذا) وانا قـد سمعنا أنـه
قد قام بعض أجلة الاعيـان

بـ(ابن الموقت) قد دعوه شهرة
بمدينـــة (الحمراء) ذات الشان

قـد صاغ تاليفا أبان بـه مسـ
ـاوى الوقت صوالا بكل بيان

قد رام أن ينهى ويامر غيرة
لكن تجاوز حومة الميـدان

وجرى جموح جواده طلقا الى
حـد تعـداه الى الطغيـان

خبطت به عشواؤه فى ظلمة
سقطت به فى هوة الخسران

فرمى البرىء بذنب مقترف ولم
يرقب عهود الله فى انسان

جرح المشايخ كلهم وعدا على
أهل الهداية من أولى العرفان

واباح أعراضا تصان منددا
بالطعن فى الانساب والابدان

وسما الى الاشراف ءال البيت من
قد طهروا من صحة الاردان

ما هكذا ما هكذا يا ابن الموقـ
ـت تورد الابال فى الغدران

ما انت محتسب على كل الورى
فعلى شخيصك فاحتسب يا جان

لكن شفى وكفى ودافع عن حمى الا
يمـان محتسب جرء جنان

فرمى لك (المرءاة) رميا كاسرا
بصخور مقت للبغيظ الشان

بحجـارة مقتيـة تنقض دا
مغة لرأس براهن الفتـان

لما رءاك عدوت طورك جد فى
اخماد ما أوقدت من نيران

ورمى العصا من كفـه فتلقفت
ما صغته من سحرك الشيطانى

فغدوت ينشد فيك كل مردد
مثلا جرى فى غابر الازمان

فابن الموقت قـد سعى لكنـه
سقط العشاء به على سرحان (١)

---

١) ذلك مثل : والسرحان بالكسر : الذيب .

فلج الامـام (سكيرج) من حوزة
نهكت بمحض الزور والبهتان

لله در عناية قامت بـــه
فى حفظ حوزة هذه الاوطان

ودهته للاقـدام لا متهيبا
لقنـا ولا متبرما بطعـان

بالنظم مطردا كانبوب القنا
والنثر منبعثا كوقع سنان

فجزاك ربك يا ابا العباس يـا
بدرا بدت انواره للرائـى

يابحر بل ياغيث بل يا ليث بل
يا صقر منقضا على الورشان

دافعت عن طرق الشيوخ واوليـ
ـاء الله ظفر البغى والعدوان

فلسوف تجزى بالكرامة والرضا
وتنال كل منى وكل امان

فاسلم ودم للدين والدنيا وللـ
ـعلم الغزير وللندى الهتان

ولكل معضلة تفك عويصها
ولكل عـاف يجتديك وعان

ولامـة تخذتك ملجاها اذا
حمى الوغى فى المازق المتدانى

وعليك خير تحية مقرونـة
بمودة وضاحـة البرهـان

مافتر ثغر الصبح فانكشف الدجا
وهوى الصبا بغدائر الاغصان

وعواطر الصلوات دائمة على
خير الانام المصطفى العدنانى

وعلى الصحابة والاجلة ءاله
والتابعين وكل ذى احسان

وقال ايضا فى رحلة للمذكور سماه (تاج الرؤوس . بالتفسح فـى نواحى (سوس) - وهى مطبوعة فى قصيدة نونية :

(تاج الرؤوس) زها على التيجان
بجنى لطائف مـا جناها جان

هى رحلة البدر المنير الى ربـا
(سوس) فبشرى تلكم الاوطان

فخرت معالم (سوس) الاقصى بها
فخرا تتيه به على كيوان

فخرت بشمس العلم والعمل الرضا
فخرت ببدر قلادة العرفان

فخرت ببحر قد طمت أمواجه
فتقاذفت بالـدر والمرجان

بالعالم العلم الامام المقتدى
بالكامل ابن الكامل الربانى

جماع أشتات العلوم شريعة
وحقيقة وفريد هذا الشان

من طار صيت سنائه وسناه من
(سوس) الى (بغداد) و(السودان)

فرد الجلالة والسيادة والندى
شيخ الشيوخ وفارس الميدان

ذاك الامام الشيخ سيدنا ابوالعبـ
ـاس احمد قامع العدوان

ب(سكيرج) يدعى ونسبته الى الانصـ
ـار لاتخفى على الاذهـان

منشاه من (فاس) ولكن قام فى
(زطاط) ـهم يقضى برغم الشانى

لازال يرتق فتق هذا الدهر فى
يمن واسعاد وطول زمان

ويكف عادية الجهالة سالكا
مثل الطريق ومنهج الاحسان

ومنافحا عن حوزة الشيخ النجـ … ـانى بالبراعة او سنان لسان

هذا ولم أر مثلها من رحلة … حازت حلى لفظ وحلو معان

وحوت من النكت الحسان فوائد … ما خلتها طرقت حمى الاذان

وتضمنت أسماء بلدان سمت … وتشرفت بأفاضل السكان

وزهت بمايزهو به القرطاس من … أسماء أعـلام مـن الاعيان

من كل صنديد وشهم سيد … أو كل مطعام القرى مطعان

أو عالم متضلع أو عابـد … متورع أو زاهد فـى الفانى

لله در قريحة نظمته تا … جا يزدرى بقلائد العقيـان

لفظ كما أطرد الزلال سلاسة … وبديع معنى فى بليغ بيان

وبديهـة يعنو لها سحبان اذ … عانا ويعيـا دونها الصادان (١)

كادت لرقتها وسحر بيانها … تسبى التغزل أعين الغزلان

وأمالها من رحلة لو أنها … مدت أعنتها الى (افران)

فتفوز بلدتنـا بحـظ من جنى … ذاك السنـا والحسن والاحسان

ماضرها لو أنها جادت لنا … بسويعة تحيى بها جثمانى

ولو أنها تشرى لمـا استغليتها … بنفيس ما يهدى من الاثمان

ما ضرها لو أنهـا جادت عـلى … بغت وعدتنـا من الاخـوان

وحكت بمنتها الجميلة فعل مـو … لانا أبى زيد الرضا الزيدانى(٢)

لما أتانا زائرا فى ساعة … أنست لدى ذنوب كل زمان

نفسى الفؤاد به مقلد منة … جلت فأعيا شكرها أركانى

وافى على ظما فأحيانا كما … يحيى الخمائل عارض النسيان

وتعطرت ارجاؤنا بذرور نعـ … ـليه فناب لها عن الريحان

قد قيل لا عار على مولى عز … يز زار منزل أرذل العبـدان

فوحقه لقـد استرق ببره … نفسى كما أحيا فـؤادى العانى

فالله يحفظه كما حفظ الودا … د لنا ويرضيه كمـا أرضانى

هذا وما قصدى بهذا كله … عتب الامام بل الزمان الجانى

لكننى متأسف جـدا عـلى … ما فات من وصل شهى دان

ورايت ذلك من ذنوب جمـة … تستدفع الارباح بالخسران

أيه نسيم صبا الصبابة حى عن … قلبى منازل رامـة والبـان

واعطف على صب غلت أحشاؤه … بلظى هوى أنسى هوى غيلان

١) الصادان يقصد بهما الصابى والصاحب ابن عباد المشهورين .

٢) يعنى زيارة النقيب ابن زيدان لايفران . حيث المترجم .

فاذا مررت على حمى (زطاطة) … فاشفع لروحى عنه روحى الثانى

واربع على ربع الامام (سكيرج) … متأدبا فى السر والاعـلان

وقل السلام عليك يا بدر الدجا … من رق نعمتك القديم (فلان)

واساله همته الى مغنى الهوى … (فاس) محط رحال كل لهان

حيث الندى حيث الهدى حيث الهنا … حيث السنا يعشى عيون الرانى

حيث القصور الشم تجرى تحتها … أنهارها بالعـدل والميزان

حيث الجلالة حيث زاوية بها … قطب الوجود وغـوثه الصمدانى

فاذا وصلت رحابها فلتخلع النعـ … ـلين وادخلهـا بالاستيذان

واعمد الى ذاك الضريح مسلما … واجلس حذا شباكه النورانى

وقل السلام عليك يا غوثى ويا … قطب الوجود ويا ملاذا جنانى

حباك ربك ثم زادك رفعة … واحلنا بـك جنـة الرضوان

فهناك تشهد كل سر ظاهر … وتحط عن جنبيك ثقل الران

واعلم بانك قد اويت الى حمى … يحمى ويولى الضيف كل أمان

ويجير من ريب الزمان ومن أذى … شر الحسود ونزغة الشيطان

فاسال واطلب مااستطعت ولاتخف … ردا فان الشيخ ذو سلطان

يعطى بلا من ويعلى قدر من … وافى ويكرم مقدم الضيفان

فاذا قضيت مهم شأنك كله … فارجع فقد قرت لك العينان

واجعل مرورك ان مررت على حمى … (زطـاط) حيث الرى للظمـآن

واشكر وسيلتك الامام (سكيرجا) … واساله لا يسلو ولا ينسانى

فانا القليل الى ارتشاف زلاله … وأنا الفقير بل الاسير العانى

واذا مررت بدارة (البيضا) فعج … لمحل أنسى بل سرور جنانى

مثوى مقدمها الامـام محمـد بـ … ـن على السوسى رجا اللهفان

فهو المقدم فى الحقيقة انه السـ … ـباق للغايـات دون توان

فمحله ماوى الامام وربعـه … مغنى العفاة ومقصد الاعيان

لله درك يا مقدم من فتى … جاز المدى فردا بدون مدان

كم نعمة لك لاتزال حميدة … يثنى عليك بهـا مـدى الازمان

قلدت كاهل كل خل منة … شهدت بها لك جلة الاخوان

منى السلام عليك عن ود صفا … ما عشت ليس يشاب بالنقصان

فلقد شكرتك حينما اظهرت لى … (تاج الرؤوس) المحكم الاتقان

فاسلم ودم فى نعمة مغبوطة … ودوام امن فى اعز مكان

وعلى جلالتك التحية ما سرت … ريح الصبا وتعاقب الملوان

وعلى (سكيرج) الامام ومن حوى ... مغناه من اهل ومن ولدان
وخصوصا البر النجيب سليله ... عبد الكريم فلى به حبان
حب لوالده وحب فيه للا ... دب الذى ارقاه فى الشبان
واخص ستى (مريمـا) بتحيـة ... تعلو بها شرفا على النسوان
وجميع (زطاط) التى قلبى بهـا ... مغرى لأن السر فـى السكـان

* * *

يا أيها المولى (سكيرج) ان فى ... ترداد ذكرك لذة النشوان
هــذى عجالة فكرة أذوت نضا ... رتها ريـاح الهم والاحزان
من غربة مـا بين قوم لا خـلا ... ق لهم ومن نكد الزمان الشانى
خدمت بها (تاج الرؤوس) محبة ... فيها فان قبلت فذاك كفانى
ان الكـرام وأنت أكرمهم اجـ ... ـل من أن يردوا تحفة الاخوان
فالعى افحم والقصور وعاجز ... من رام حصر القطر بالحسبان
والله أرجو أن يساعد باللقا ... فـى نعمـة ومسرة وأمـان
ويديل من هذى النوى وصلا به ... ينسى المشوق مرارة الهجران
فوسيلتى الشيخ التجانى من له ... أشكو فيكشف كل ما عنانى
وبجاه مولانا رسول الله من ... نرجو النجاة به من النيران
صلى عليه الله ما هبت صبا ... سحر فاذرت عارض الاجفان
وعلى ابى بكر وصاحبه أبى ... حفص ومشهور الحيا عثمان
وعلى ابى الحسن الوصى وزوجه الـ ... ـزهراء يتلو ذكرها السبطان
وعلى جميع الصحب من نصروا ومن ... هجروا كذا متبوئو الايمان
ما حن مشتاق الى نجد وما ... غنى الحمـام عـلى غصون البان

مع المراكشيين

في سنة ١٣٥٤ هـ مر بنا المترجم فى (مراكش) مرجعه من (فاس) وما اليها . فقامت له الحضرة وقعدت . فخاطبه الادباء كالشاعر ابن ابرهيم ومحمد الردانى والحسن التنانى ومحمد أخيه وأحمد شوقى وأحمد النور وعبد القادر حسن وعبد الله ابرهيم ومحمد المختار بقواف متعددة . ترحيبا به . وتنويها بقدره . وأتأسف الآن حين لم أجد القصائد كلها ازاءى لأثبتها وسأحرص ان شاء الله ان أثبتها فى محل اخر . متى وقعت عليها بين اضبارات مكتبتى الغير منظمة . وقد كان أسبوعا أدبيا رائعا . وقد جمع الاستاذ كل ما خوطب به وذهب به على عادته فى الحرص على مثل ذلك . ثم لما رجع الى اهله كتب رسائل وقصائد لهؤلاء . وقد ودعهم بقصيدة . وقد

كان سيدى محمد ولده جمع كل ما ارسله الينا . فلنتركه ليملى لنا ذلك بلفظه – ولايهمنا ما فيه من ذكرى ؛ لان الشوهاء لاتزينها حلى الدنيا كلها –

قـــال :

ولما رجع – يعنى والده – رضى الله عنه نزل بـ (مراكش) على الاخ الفقيه العالم الاديب المدرس النفاعة . اديب اللسان . وفارس اليراعة ونابغ الزمان . السابق المجلى فى حلبة البراعة . سيدى محمد المختار ابن الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى . فتلقاه مع حلبة تلاميذه الكرام الادباء الاعلام . خارج المدينة . ورحبوا به وفرحوا بمقدمه المبارك . ولقوه من الكرم مـا يزرى بالسحب . وخاطبه كل واحد من أولئك الادباء بقصيدة ابان بهـا اقتداره . واغلت فى سوم الادب قيمته واقداره . فقال رضى الله عنه فى خطاب استاذ الجميع السيد المختار مع أولئك السادات الاجلة الاخيار :

يـا سادتى يا فتية (الحمراء) ... أنتم نجوم بل بدور سماء
يهناكم العلم الذى صرتم به ... فى العصر غبطة سامع او راء
قد فزتم من كل علم طارف ... أو تالـد بالكـل والاجزاء
وجمعتم مـالا اخال وجـوده ... من كل دان او غريب ناء
ما بين منقول ومعقول ومن ... أدب كوشى الروض غب سماء
وظفرتم من سيدى المختار بالمختـ ... ـار بـين أيمـة العليـاء
نسب كما اطردت أنابيب القنا ... ولـد تـوارث جلـة الابـاء
علم كما فاض العباب وهمة ... فى عفة كالماء فى الصهباء
فلتغبطوا بامام عصركم فمـا ... لامامكم فى العصر من أكفاء
جمع العلوم اصولها وفروعها ... ونفيسها المنخـول بالاراء
ولشرب الادب النضير كأنـه ... أنفاس زهر الروضة الغناء
ادب حكـى ظلم الحبيب وظلمه ... بالظاء مفتوحـة وضم الظاء
فصلوا حبا لكم بـه وتيقنوا ... أن قد نصحتم غلة بالمـاء
لازلتم ترقون فى أوج العلا ... حتى تذلـوا أنجـم الظلماء
فالعلم نـور يهتدى بمناره ... والعلـم كنـز المقتنى بثراء
والعلم ظل فى الهجير وسؤدد ... يـوم الفخار وعدة البأساء
ولتعتنوا بالنحو ان النحو ان ... أنصفتـه كالحلى والحلـواء
ثم البيان فانه السحر الذى ... يرقى ذوى الاسماء فى الاسماء
والفقه أول ما به يعنى الفتى ... ليحوز أعلى رتبـة الافتـاء
ثم الاصول فانه فـى ذاته ... بمثابـة الافنـان للافيـاء

واذا أتى التفسير والاثار فلا … نوار تخشع من طلوع ذكاء
ان العلوم تعاظمت زهوا فلا … تعنو لغير الهمة القعساء
فهي الحسان وكل من لم يبتذل … في نيلها لم يهنا بالحسناء
فتنافسوا يا سادتي يا فتية … حازوا بعز الجد كل ثناء
فلقد منحتكم النصيحة محضة … اذ كنتم بمثابة الابناء
ولقد حللتم سادتي من عبدكم … هذا محل الروح في الاحشاء
ولتحفظوا عهدي فان الضيف في … عزم الوداع فودعوا بهناء
لا زلتم في غبطة وسعادة … تاتي بكل سنا وكل سناء
واخص حضرة سيدي المختار بالـ … ـمختار من ودي وحسن وفائي
فهو الكريم ابن الكريم وسيدي … منتخير من سادة كبراء
لازال محفوفا بطلاب العلا … كالبدر حف بأنجم الجوزاء
ما غازلت صبا جفون زانها … دل الصبا من غادة وطفاء
ثم السلام عليكم ما هيجت … وجد النجد شدوة الورقاء

ثم قال رضي الله عنه يخاطب منهم الاديب المشهور بشاعر (الحمراء) السيد محمد بن ابرهيم دام علاه :

يا شاعر (الحمراء) حزت ثنائي … فأغبط به يا شاعر (الحمراء)
فالشعر يشهد أن فكرك ظافر … بكسا الكساء وفروة الفراء (١)
شهد الزمان اليوم أن بديعه … بك رد للدنيا يراه الرائي

ولما رجع رضي الله عنه الى البلد كتب اليه في رسالة :

عليك ابن ابرهيم يا شاعر (الحمرا) … سلام اشتياق ثار عن كبد حرى
سلام أخ عبدت بالود قلبه … وقد كان قبل اليوم يدعونه حرا
اخيك الفقير الطاهر بن محمد … بقطر اذا رخمت سميته افرا (٢)
رءاك اختلاسا بعد شوق فلم يزد … لقاؤك الا ما تزيد الصبا الجمرا
وزودت بكر الفكر فتانة النهى … وما كنت أدرى قبلها الفتكة البكرا
فيا (شاعر الحمراء) جليت سابقا … وفقت بفضل الشعر حتى على الشعرى
فته فأمير الشعر ولاك خطة … من الجوزة (الحمرا) الى الحضرة (الخضرا) ٣
الى خلق كالمزن لطفا وكالحيا … صفاء وكالمسك الذكي الشذا عطرا
وعزة نفس لا تلين لغامز … ولاترتضي منا ولو أجروا النهرا

١) بحذف ياء النسب من الكسائي .
٢) يعني (ايفران)
٣) يعني بالخضراء (تونس)

وبيت كريم النسبتين مؤسس … على كل امر يورث المجد والفخرا
فدم يا ابن ابرهيم للمجد تجتلي … جنى روضه غضا وتشتمه زهرا
ومهما دجا ليل الجهالة واختفت … بغيم الهوى زهر النجوم فلح بدرا
وسر هكذا تعلو وتتلو مرتلا … على الشعرا مهما انتدوا سورة الاسرا
وحافظ على رعى الوداد فرعيه … بمثلك من احرار اهل الوفا احرى
عليك سلام الله ما خطت الصبا … على النهر ما قام الحمام له يقرا
يردده اليك شوق مبرح … من (افران) الاقصى الى حضرة (الحمرا)

حضرة الاخ المحب الحبيب . السرى النسيب . العالم الاديب . الكامل اللبيب سيدي محمد بن ابرهيم المراكشي . حفظ الله كماله . واصلح اعماله . وسلام عليه (هذا) وما أنس لا انس بنات أفكارك . وعرائس بكارك . وغرائب اشعارك . وبدائع أسمارك . فكتبت هذه النفاثة تجديدا للعهد . وتاكيدا للود . ولا نيأس من روح الله ان يمن باللقاء ثانيا . فنقضي من حق الاخوة امانيا . والى هذا فقد بقيت في النفس حاجة واي حاجة . وهي فوات لقاء الباشا . وما أدراك ما الباشا . الكريم ابن الكريم . والسرى الذي لايبرح مركز السيادة ولا يريم . سيدي الحاج التهامي المزواري . لا زال علم سيادته منصورا . وصيت سعادته الطيبة النشر منشورا . فان الهمة بالتعرف الى سيادته مهتمة . والنفس بفوات لقائه مغتمة . فهو حفظه الله واحد العصر ونجيبه . وملبي داعي الرياسة الراسية ومجيبه . فتؤكد على اخوتك أيها الأخ الحميم أن تسلم عليه سلام محب مخلص . وتعلمه أطال الله عمره . وأعلى أمره . اني :

مازلت اخلصه الدعاء ولم أكن … أهلا له ولعله أن يقبلا

والله يوفقنا لما فيه رضاه . ويلطف بنا وبالمسلمين فيما قضاه . والسلام . محبكم واخوكم الفقير الى الله الطاهر بن محمد التامانارتي الايفراني السوسي امنه الله في ٧ شوال عام ١٣٥٤ هـ .

ثم كتب مع ذلك رضي الله عنه الى الفقيه العلامة القاضي سيدي الحاج ادريس الورزازي الساكن بـ (المواسين) مع ابنه الاديب الاروع سيدي عبد السلام ادام الله علاهما :

يا نسمة حملت انفاس دارين … حيي فديتك سكان (المواسين)
وخصصي ربع قاضي الفضل سيدنا … ادريس جامع أشتات المحاسين
اعيده وبنيه الاكرمين ومن … حوى حماه بطاسين وياسين

ثم عاد الفكر فقال في بحر الكامل . تلذذا بتكرار ذلك المجد الكـامل :

لبني الهلب في الندى مثل سري   انساه ذكر ندى بني (الورزازي)
ادريس القـاضي وابنـاء لـه   شهب بأفـق المجـد والاعزاز
دامت لهم رتب السيادة ما جزّي   بالبر عن صدق الوداد مجازي
وعليهم مني سـلام مـودة   تسطو حقيقتهـا بكـل مجـاز

وسلام الله تعلى ورحمته تتوالى عـلى سيادة القاضي سيدى الحاج ادريس . ومن به واليه . من ولد وأهل وحاشية . وقطين وغاشية . من محبكم الداعي الشاكر . الفقير الطاهر بن محمد السوسي الايفراني أمنه الله .

ثم كتب رضي الله عنه مع ذلك الى الاديب الشاب الاكرم . السيد احمد شوقي ابن القاضي ابي عبد الله محمد ابن العربي الدكالي أدام الله سعادته .امين :

اذا شب عمرو الشوق يومـا عن الطوق (١)
فطول النوى قد شب شوقي الى (شوقـي)
غذى لبان العلم نخبة سادة   حووا بالقضا وبالندىقصب السبق
سلالـة قاضي المسلمين محمـد   الى العربي يسمو بـه كرم العرق
على كلهم من والـد وسليلـه   سلام يودى البعض من واجب الحق

ثم كتب رضي الله عنه مـع ذلك الى الاستاذ الفقيـه المدرس الاديب الثقافة فارس البراعة والبراعة سيدي محمد المختار ابن الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي الالغي المراكشي سكنا :

اذا حوى حلبة الاخيار مضمار   فطرف سيدنا المختـار مختار (٢)
بدر تسوى حضرة (الحمراء) منزلة   في طالع السعد نعم البدر والدار
مني عليه سلام مثل ما نفحت   في الروض ريح الصبا والروض معطار
ثم على فتية غر هناك سموا   نورا على علم في رأسه نار
فالله يكلؤهم حفظـا ويسعدهم   حظا ويحمي حماهم كيفما داروا

السلام والرحمة والبركة على الاخ العالي كعبه . المنقاد لهمتـه من الامـل صعبه . الفقيه المدرس العلامة . المخصوص بكرامة التحقيق وتحقيق الكرامة سيدي محمد المختار ابن شيخنا سيدي الحاج علي بن أحمد الالغي . ساكن (مراكش الحمراء) المطاع في أندية علمها نهيا وأمرا . أطال الله بقاءه لعلم يبديه . وعرف يسديه . من أخ فقير شاكر لاهتباله واحتفائه . مقر بجميل صنعه وجزيل نعمائه . داع بطول بقائه . ودوام ارتقائه (هذا) وموجبـه تجديد العهد . وانهاء الشكر بما لانقوم به من جزيل انعامكـم . ومـديد

١) شب عمرو عن الطوق : مثل   ٢) الطرف بكسر فسكون : الفرس الجيد

اكرامكم . فالله يكافئكم بما هو اهله ويثيبكم بما يغمركم فضله . انه ولي ذلك . ولا تنس ايها الاخ الحميم . والابن الكريم . حظ هذا الفقير من دعائك وسلم منا على جميع اولئك السادة نجوم ناديـك . ومقتفي اياديـك . خصوصا الاخ شقيق الهزار . سيدى الحسن بن احمد البونعماني . وهاك هذه الرسائل توصل كلا منها لمحله . جزاك الله خيرا . ولا باس ان تكتب الينا بوصولها . ليطمئن البال . ان شاء الله والسلام في ٧ شوال عـام ١٣٥٤ هـ اخوكم الضعيف الفقير الطاهر بن محمد التامانارتي الايفراني امنه الله .

(أقول) هكذا انقضى هذا الاسبوع الممتاز الذى لم ينسه المراكشيون الذين حضروه الى الآن .

اسبوع ادبي آخر

قضى الله الذى لا مرد لقضائه ان أنفى الى (الغ) مفتتح ١٣٥٦ هـ . فالزمت أن استكن عن كل أحد . فاذ ذاك ولد (المعسول) واخوانه . ثـم لما انفرجت الازمة . كان الشيخ أول من هنأني بمقدمه في رجب ١٣٦١ هـ . فاهتزت له (الغ) على عادتها . فخاطبته بقصيدة . مطلعها :

اليـوم نظفر بالمنى جمعـاء   لمـا رأينـا وجهك الوضـاء

فاجابني بمثلها . وهما في (الالغيات) ثم استمرت المجالس الادبية بمـا تحتوي عليه رسالة (نجوى الصديقين) المطبوعة . وهاك الآن ما دار اذ ذاك من قواف . فقد قال الاستاذ سيدى المدني بن علي :

ثاب الزمان بما جناه وفاء   وأتى يجرر ذيلـه اغضاء
وأناب من عدوانه فيما مضى   وأتاحنا وصلا محـى اسواء
فاليـوم نظفر بالمنى جمعاء   ونرد ما اغتصب الزمان كفاء
ونديل من جيش النوى وصلا أتا   ح لنا منانا اذ طغى ما شاء
هذى مني قد أثمرت بمسرة   قد صيرت حلك الزمان ضياء
ونأت الشهوات للهوات في   ايرادنا اصدارنـا جمعاء
بقدوم شيخ قد رفا ما خرقت   كف النوى فيما مضى شلاء (١)
شيخ الشيوخ ومن بدا علما بأو   ج العز بل قد لاح فيه ذكاء
انسان عين المجد واللج الذى   لاينتهي لمـا غـداد امسـاء
ما شئت من شيم زكت انفاسها   كالزهر فاح بروضة غناء

١) رفا الثوب يرفوه : خاط ما تخرق منه .

اوكالنسيم سرى بمنعرج اللوى   وهنا فخلت السيف سل مضاء

او كالمشوق المستهام ترنحا   فيصير نشوانا حسا الصهباء

وطلاقة تحكى بحسن بهالها   وجه النهار اذا اشع سناء

لله أخـلاق صفت وتلطفت   فحكت برقتها صبا ورخاء

* * *

يا أيها الشيخ الهمام ومن لـه   اشراف كـل تنوقـة شماء (١)

شرفت أولادا بزورتك التى   قد هزت الارجـاء والانحاء

أهلا وسهلا فازديارك قد غدا   لقلوبنـا لـمـا بـدا أنـــواء

انا وان فتكت بنا كف النـوى   فلقد نضا يـوم اللقا الـلاواء

لله يوم قد أتى بالوفد من   أشياخ صـدق قـادة علماء

فاسلم ودم تعلى لنا قمم العلا   وتقودنا كـــلا الى عليـــاء

لاسيما من بينهم (مختارنـا)   من هلهل الشعر العويص ذكاء

فهو المقصد للقصائد دائما   فى (الغنا) ولنشكر (الحمراء)

ان حاك شعرا خلته روضا أريـ   ـضا مونقا أو روضة زهراء

لاسيما ان كان انشاده له   فى قصر (غسان) حوى لألاء

قصر الاجل الشيخ من يكنى أبا   حسن (عليا) من مرى أنواء

هذى عجالة لافظ أودت بـه   أوزاره قـد عانـق الاعيـاء

فاقبله يا شيخ الشيوخ وان غدا   فى معزل عن شعركم عرجاء

منى على مثواك يا بـدر الدجا   أزكى السلام يطيب الارجاء

ثم قال سيدى الطاهر أخوه :

أهلا بسيدنا الرفيع الشان   مولى الانام ومعدن العرفان

غوث الانام ومعدن الاسرار بل   هادى الهداة ومورد الظمئان

نلنا المنى كل المنى بقدوم سيـ   ـدنا الامام الطاهر الافرانى

فلقد نمى هذا الحبور وعمنا   وأزاح عنا كل ما أحزان

وفشا السرور وزاد (حتى انه   من فرط ما قد سرنى أبكانى (٢)

والنور قد عم البلاد بأسرها   وتوالت الافراح فى البلدان

وكـذا الامام السيد المختار من   حاز العلا فى السر والاعلان

فهـو الذى أحيا العلوم بأسرها   وهو المجلى ما له من ثان

وكذا المحقق سيدى المدنى من   أزرت بلاغته عـلى سحبان

مولاى عبدك مخرس بفهاهة   فاعذر فهذا العمى قد أعيانى

---

١) التنوقة : الفقر   ٢) هذا الشطر من بيت قديم .

مولاى عذرا للضعيف لعيه   فالصفح شان الوالد الحنان

ان الكويتب طاهرا لايعتنى   بالشعر بل بالفرس والبنيان

يارب سلم حضرة الندب الرضا   ذى المجد والفخر العلى (الغسانى)

وعليك ما هدل الحمام تحية   تزرى بزهر الروض والريحان

فخاطبته فى الحين بقولى :

مهـلا عليك مجلى الميـدان   ومغبرا فى أوجـه الاقران

ما انت الا للمعارف والعلا   والشعر لا للفرس والبنيان

ثم كتبت مع هذا : (أيها الطاهر المفلق . مـا هـذا أيها الشاعر ؟ أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون) تسكت ما تسكت . ولكنك اذا نطقت نطقت بالسحر الحلال . من الشعر البليغ . فلله درك من فحل وان تأخر عن اقلبه قولا . فانك قد قد أحرزت خصل السبق (وذلـك فضـل الله يؤتيـه من يشاء) .

ثم قال الاستاذ أحمد البناءى الغشانى :

نـور الهدايـة طبق الارجاء   بقـدوم وفـد عمنـا سراء

شمس المعارف شيخنا ومفيدنا   طب القلـوب هدايـة ودواء

وبهجة الدهر الرضا المختار سيـ   ـدنـا العـلى بهمـة قعساء

واخو البلاغة سيدى المدنى من   حل العويص وحقق الاشياء

والطاهر الاخلاق سيدنا الاد   يب المرتضى أصلا سنا وسناء

قد بشرت ريح الصبا بقدومكم   أهلا بكـم يـا جلة بلغاء

بقدومكم قد عمنا السر الذى   لاينتهى يا خير وفد جاء

يا نعمـة مشكورة من ربنا   لـمـا أتـاح لنـا بها نعماء

ثم قال اخوه سيدى محمد بن الحسن :

اهـلا وسهلا بالامام ومن غـدا   سر السيادة والعلوم ومرحبا

ذاك الامام ابو محمد الذى   قد خصه الله الكريم ومن حبا

الطاهر الاخلاق والسر المصو   ن ومن تنال به المكارم والحبا

وكذا الامام السيد المختار من   (الخ) اليه مذ زمان قد صبا

يـا سادتى عـذرا فانى عـاجز   عن وصفكم فالسيف منى قد نبا

قال سيدى محمد بن على الاديب بعد هذا :

(هذه آخر الترحيبات من هؤلاء السادات فلله درهم فقد اطلقـوا العنان . واستنوا استنان الجواد فى الميدان . فحازوا خصل البيان . مـن انواع البلاغة والبيان . فلهم الشكر والمنة علينـا اذ قامـوا عنا بـاوجب

المفلوق . بارك الله لنا فيهم . وكثر مثلهم في الناس . انه هو القفور المنان

وقد قيلت هذه القصائد في دار الرئيس أبي الحسن الايفشائي .

فقلت انا في شكره :

جزيتم (بني الديسان) خير جزاء ... كذا فليكن في الناس أهل وفاء
عهود من الاباء حافظتمـوا عـلى ... مواثيقها الوثقى بكل اباء
فما انتم يا (ءال اكني) سوى عقو ... د در بسلك صيغ من سيراء(1)
وواسطة العقد الثمين الرئيس من ... علا في الندى والفضل كل سماء
ابي الحسن الفذ الذي اعتنق العلا ... بعهـد شباب مونـق برواء
أخي الحلم والاغضاء حينا وفي المهـ ... ـسم ذو عركات مرة ودهاء
كذاك يكون الشهم يختار للذي ... ينوب فعال الاذكيا البصراء
فدم للعلا والمجد والجود رافلا ... بثوبي سنى اكرامكم وسناء
فشكرا لما اوليت شكر فتى يريـ ... ـد منك اخاء لابلال سخاء

ثم لما كرر الاستاذ المترجم زيارة (الغ) ١٣٦٢ هـ خاطبته بقولي :

هم الاعاظم في زى المساكين ... نالوا المعالي بالاخلاق والدين
يغشى اذا حضروا من هيبة وسنا ... نور التواضع لامن خوف مسنون
تواضعوا حسبة لله فارتفعت ... أقدامهم فوق هامات السلاطين
وازينوا بحلى اخلاصهم فغنوا ... بسره المجتلى عن كل تزيين
لم يسعفوا للمعالي في طرائق لا ... توفي بصاحبها الا الى الهون
من يمش في الطرق المثلى فأحر به ... أن يحرز المجد أجرا غير ممنون
من يطلبـون مقامات العلاء بلا ... دين فقد ذبحوا بغير سكين
كل لـه غرض يسعى ليبلغـه ... في كل منحى وفي كل الميادين
والحر اغراضه جمعاء تمثل في ... قفو الجحاجحة الغر الميامين
هل المجادة والفوز العظيم وهل ... يمن مبين لحر جد ميمون
في غير أن يصبح الانسان مثل أبي ... محمد علما في العلم والدين
منار كل رشاد ليس يحجب عن ... عين سوى عين محروم ومغبون
من كان في (سوس) فينـا اليوم مفخرة ... تزهو بها بين أهل (الهند) و (الصين)
اليه ارث شيوخ كان ديدنهم ... حياطة الدين في نصر وتمكين
علم ودين واخلاق ألست ترى ... فيها غنى ليس في ارث الملايين
كذا كذا فلير الارث العظيم فلا ... نامت عيون فتى بالمال مفتون
من كان مثل امام بذ عن مهل ... أقرانه لو يكون مع مقرون

---

(1) السيراء بكسر ففتح : من أسماء الذهب .

انا لنغدو فنجني بين روضته ... من ياسمين وخيري ونسرين
مستمتعين بما نرجوه اجمعه ... انـا بفهم واحيانـا بتلقين
كاننا وعيون السعـد تلحظنا ... في جنة الخلد في الولدان والعين

* * *

مولاي مولاي لا والله ما عرفت ... (سوس) مكانتكم الا بتخمين
لو عرفت لكفت كل الشئون لكي ... تمضي حياتك في درس وتدوين
فمثل سيدنا الشيخ الامام لذر ... وة المنابر لا حرث الفدادين
لكن أبى الله الا أن تبرهن عن ... عرفانك الفذ للدنيا وللدين
فحزت أيضا بهذا اي منقبة ... ما حازها كل حلس للدواوين
ابقاك للدين والدنيا وكل هدى ... مصرف الكون بين الكاف والنون

(ثم اقول) : قد جرى بيني وبين شيخنا المترجم وانا في (الـغ) اذ ذاك الشيء الكثير . رسائل وقوافي . والكل في (الالغيات) ولم نذكر هنا الا ما لم نذكره هناك .

بينه وبين شيخنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي : تلميذا وابن شيخه

تهنئة سيدي عبد الله بن محمد للمترجم بولد اسمه هاشم :

الا قل لمن قد هش نحو النهى شم ... بافق العلا والمجد طلعة هاشم
وليد أتى والسعد في جنباته ... فشاد به المولى رسوم المكارم
وزان به للدين عقدا منثرا ... ولا غرو وهو ابن لبحر غطمطم
واحيا طريق العلم والرشد والهدى ... وقد درست منها نجوم المعالم
فيارب يـا مولاي أولـه حكمـة ... ودينا متينا واهده خير عالم
وبارك له في العمر والرزق واجعلن ... لـه ولوالديـه أمن المظالـم
وقربه يا بحر عينا فانـه ... لدين اله العرش أقوى الدعائم
فلازلتما مستبشرين بنيل ما ... تأملتما من غفر كل مآثـم

من المترجم اليـه في شأن اطلاق اسير :

يا سيدا قاد الكمال سعده ... وعم أهل العلم طرا رفده
ولاح كالبـدر المنير مجـده ... هـذا المقيـد يفـك قيـده
فانـه اذاه جـدا شـده ... وبلـغ الغـايـة منه جهده
والله يعفو ان عصاه عبده ... سبحانـه عز وجـل حمده
والراحمون يرحمون وعده ... يرجى ولا يليق يوما جحده

منه اليه ايضا ـ وهما في اداى ـ

يا قرة العين عبد الله ان وصلت ... اليك طر بجناح الشوق ترتاح
فالشمل مجتمع والجمع ذو شغف ... بك وقربك للافراح مفتاح

الجـــواب :

يا من بهم نفحـات الله تستام ... ومن هم لسرور العبد مفتاح
ومن اذا ما بدت للقلب طلعتهم ... بدا السرور بوقت فيـه ارتاح
ومن لهم في صميم العز منزلة ... عظمى اذا ماغدوا في القلب أوراحوا
لبيكم سادتي لبيكم فـانـا ... لبركم كائنا ما كان جناح
اهلا وسهلا بكم من طالعين لهم ... في منزل القلب امساء واصباح

الى ان قال :

صان الاله من التبديد شملكم ... ومن يردكم بسوء فهو مجتاح
وجمع الشمل معكم أبدا فيرى ... لنا بكم من جميع الحاج انجاح
ثم على الساحة العلياء عاطرة ... من التحيـــة أنفاس وأرواح

من المترجم اليه يستدعيه :

عليك عبد الله يا من به ... تبتهج العليـاء أزكى سلام
هذا وان الكأس قد أبرزت ... وجـه شقيق زال عنـه الكمـام
تبدى اذا مـا ابتسمت حببا ... كالورد أو كمثل حب الغمام
فطر الى حضرتنـا مسرعـا ... واطلع كما يطلع بدر التمام

وكتب اليـه أيضا :

فطر بجناح الشوق نحو متيم ... لقاؤك دون الناس غاية مرماه

منه اليه أيضا حين كان يأخذ عنه :

عليك سلام مثل ما هب من نجد ... نسيم زكا من نفحة البان والرند
(وبعد) فان العلم احسن ما به ... تزين واللب المؤيد بالرشد
ولكـن ءاداب التعلم جمـة ... فمن جد في تحصيلها باء بالقصد
فدونك منى البعض منها مفصلا ... كما فصل الدر المنظم في العقد
عليك بتقوى الله فهي وسيلة ... الى كل مايرجو الفتى من ذرى المجد
وقصدك صحح فالبدايـة ءايـة ... تدل على حسن النهاية من بعد
وجد فان العمر أنفس درة ... يضن بها فيما سوى سبل الحمد
وسدد سهام العزم منك وصارمن ... لذيذ الكرى واختر مداومة السهد
وغض عن الدنيا وزخرفها فما ... تنال العلا الا بواسطة الزهـد
وعد عن اللذات فهي حبالة ... تقصر دون القصد من همة العبد
وفكرك فرغ لاقتناص شوارد الـ ... علوم ففي جوف الفرا جملة الصيد

ومن عرفـاك المكنون من كل خلة ... تشين ولا تحفل بعمرو ولا زيد
وعاشر من الاخوان من كان همه ... كهمك واحذر من صداقته تردى
ولن وتواضع فالمعارف كلها ... كما قيل مثل السيل تسرع للوهد
ففى حكم دلت عـلى ما وراءها ... وذو اللب تكفيه الاشارة بالايدى
وايـاك عبـد الله تعنى فجـد لها ... بحسن اللقا واقبل من النصح ما تبدى
فلازلت تسعى للسيادة جاهدا ... الى ان ترى كالبدر في منزل السعد
بجاه رسول الله افضل ما بـه ... توسل في نيل المنى كل مستجد
عليك صلاة الله والغر ءاله ... واصحابه ما هب نفح صبا نجد

بينه وبين الاديب محمد بن علي الالغي

ذكرنا بعض ما بينهما في ترجمة هذا الاديب . ولاريب ان ما بينهما كثير . وهاك الآن بعض ذلك ايضا . كان للاديب ولـد فتوفي فكتب اليـه المترجم :

يا ابن الالى نهج السيادة لاحب ... بسناهم ودجا الضلالة عازب
ايه التجلد للزمان وريبـه ... فالحر لا تغنى حجاه مصائب
وتعز عن نجل اقلته الى الـ ... ـرضوان من ريب المنون نجائب
على نفيس عاف دار ارتقت ... منها باقذاء الهموم مشارب
فراى ابائتـه لهـا من قبل ان ... تعديه من تلك الصروف شوائب
هذا وقد فت" الاسى اكبادنا ... لذهابه والدهر بيس الصاحب
فالله يسنى اجركم ويعيضكم ... خلفا تجل به عليك رغائب

وكتب مع هذه الابيات الى والده أبي الحسن جوابا عن رسالة :

شيخنا مصدر النعمة والمنة . ومطمح ءامال الفرقة الغريبة من اهل السنة . بركة الله في ارضه . وحجته المبينة لسنة الدين وفرضه . ارضاه الله تعالى واطال بقاءه . وجعل أعداءه مع كل ما يكدر وقاءه . وسلام عليه ورحمة الله تعالى وبركاته .

(هذا) ولو علمنا قرب سيدنا لطرنا بجناح الشوق اليه . وسقطنا سقوط ذباب العسل عليه . تيمنا بتقبيل راحته . واغتناما لانعاش القلب وراحته . لكن الايام على عادتها بخيلة . فلما تمطر سحابتها وان ظنت مخيلة . وقد وافت رسالة سيدى فانست بما افاضت من التحية . وامضت بنعي تلك النسمة الزكية . فانا لله وانا اليه راجعون . تسليما للقضا .

وتفويضنا لما نفذ به القدر ومضى ، فالله يعظم اجر سيدى ويحيى الخلف منه بفضله)

وكتب أيضا الى ذلك الاديب يجيبه عن قصيدة :

طاب السرور لنا فهاك وهات   خمر البيان باكؤس الابيات
واستجلها غراء يزرى لفظها   فى نظمه بجواهر اللبّات
فكر من الكلم العراب زهت على   عرب الخرائد بالجمال الذاتى
لله فكــر راضهــا فتذللت   وتقدمت فى الحسن كل لدات
فكر الاديب محمد نجم العلا   نجل البدور الجلة السادات
الطيب الاخلاق والاعراق من   زانت مكارمه صفات ثبــات
فتاح أغلاق المعانى حامل الـ   رايات فردا حائز القصبات
لا زالت العلياء طوع يمينه   والسعد يدعوه بهاك وهات
وعليه ما غنى الحمام تحية   عن صدق ود عاطر النفحات
وعلى النبى وءاله وصحابــه   أزكــى سلام طيب وصــلاة

بينه وبين الاديب المــدني بن علي

تقدم ايضا بعض ما بينهما . وهاك البعض الآخر مما وقفنا عليه .
قال المترجم يجيبه عن قصيدة ١٣٣٤ هـ :

اهلا به برقا تألق بالحمى   فغدا به برد الغمام منمنما
وبها صبا نجدية هبت على   زهر الربا غب الحيا فتبسما
نمت بانفاس الحمى فتوقدت   نار الهوى. جل الهوى أن يكتما
راقت ورقّ نسيمها فكأنــه   نفح النسيم من القريض تنسما
فرقائق الاشعار أدهى للنهى   واغل للالباب من بيض الدمى
أو ما ترى هاذى التى فى صدرها   (أمن السماء تعد ساحات الحمى)
قسماً بها وبما حوت من جوهر اللـ   ـفظ البديع منضدا او منظما
ان الذى صاغته نار ذكائه   ووشاه ثوبا بالبلاغة معلما
لهو المبرز فى السيادة حائزا   قصب المدى فى شاوها متقدما
لم لا وذاك الواحد الفذ الذى   حاز العلا فردا ترى أو توأما
بدر الكمالة سيدى (المدنى) من   أسرى فجارى فى العلا نجم السما
من أرضعته المكرمات لبانها   طفلا وقمصه الكمال وعمما
ذو همة يعلو السها لعلوها   وقريحة وقادة تنفى العمى
المنتمى فى المكرمات وفى العلا   وجميع ما يرضى لأكرم منتمى

نسب كما نظم الجمان وسؤدد   عد كما تبدى المجرة انجما
لازال ملحوظ الكمــال ميسر الا   مال محفوظ الجناب منعمــا
فى ظل والده الامام اجل من   غنى به حادى المطى وزمزما
شيخ المعارف روض ءامال المنى   بدر السنا مغنى الهنا مروى الظما
نورالهدى مولى الندى كنزالجدى   غيث همى ليث حمى بحر طما
دامت عليه عناية تحمى الاذى   تلك السيادة والجناب الاعظما
مافاح روض زاره سارى الصبا   سحرا فنبه طائرا مترنما
واليكهــا منى عــلى علاتهــا   من لم يجد الا التراب تيمما
وعليكم منى سلام ما شدا   شاد وما شاق النسيم متيما
وعلى النبى اجل مولى ينتجـ   ـيه المرتجى صلى الاله وسلما

بينه وبين القاضي سيدي موسى الرداني

ساح المترجم الى (تارودانت) ليزور فــى تلك الناحيــة ابا العباس الجيشتيمى ؛ فكتب اليه سيدى موسى قطعة مطلعها :

سلام عــلى من ارتقى ذروة الادب   ومن حاز خصل الفضل فى سائر الحقب

فاجابه المترجم بقطعة . مطلعها :

اشمس الهدى والدين والعلم والادب   ومن حاز أعلى مــا ينال من الرتب

والقطعتان ذكرتا فى (الجزء الثامن عشر) المطبوع على انهما بين سيدى موسى وبين محمد ابن الحاج الايفرانى . وذلك غلط . والحقيقة أنهما بين المترجم والمذكور ؛ وحين استقر المترجم فى داره خاطبه بقوله :

على حضرة القاضى الرضا العلم الفرد   مقام أبى عمران ذى السؤدد العــد
سلام أخ صافى المودة مخلص   وان عاقه فيما مضى صارف البعد
تعشق بالاذنين صيتك فانثنى   يجوب الموامى خاطبــا طرفــة الود
ولا غرض الا اللقا ومحبــة   تدوم مدى الايام محكمة العقـد
فلازلت ميمــون النقيبــة مفعم الـ   ـحقيقة رشدا ما تسر وما تبدى

بينه وبين سيدي الحاج احمد الصــوابي

مر المترجم مع العلامة ابى الحسن الالغى بهــذا الاستاذ فــى مدرسة بـ (تاهالا) سنة ١٣٤١ هـ فخاطبه الاستاذ الالغى بقوله :

مرورى لم أعـج نحو الصوابى   امام القطر ليس من الصواب
ولكــن للضرورة فليجـــد لى   بتوديــع وتعجيل الذهاب

واكرام التنزيل بمشتهاه   حديث صح عن بعض الصحاب
عليه من الالــه بلا تناه   سلام يزدرى زهر الهضاب

وخاطبه المترجم بقوله :

على مقام الشيخ بحر الندى   هادى الورى طرا طريق الهدى
علامــة العصر مبصر من   راح الى أبوابـه أو غـدا
سيدنا البر الفقيه أبى الـ   ـعباس كشاف العمى (أحمـدا)
ازكــى سلام عطر كسجـا   ياه التى من طيبها يجتدى
هــذا وانى خاطب رغبـة   فى ودك الغالى فكن مسعدا
قد قرّب الشوق مزارك عن   نأى مسافات وبعـد مـدى
فامنن برؤيـاك ورَوّ بهـا   غليل قلب حائم من صدى
ففضلك المأثـور شوقنـا   وساقنـا أن نعرف الجسدا
لازلت تولى من أتاك المنى   يثنى على علياك من وردا
بجاه خير الخلق جاد جنا   بـه صـلاة ربـه أبـدا

بينه وبين الفقيه جامع بن محمد التازاروالتي ثم البوزاكاري

كان هذا الفقيه كتب الى المترجم بقطعة . فأجابه المترجم بقوله :

اهـلا وسهلا بنظـام سقى   روض البيان وابلا غـدقـا
ضم من الاداب زهرا غدا   نشر شـذاه طيبـا عبقـا
انشاه الخل الوفى الـذى   حاز الفخار والنـدى نسقا
مولاى (جامع) شتات العـلا   فرع الكمال والهدى والتقى
لا زال بدرا يستضاء بــه   مهما دجا ليل الهدى أشرقا

بينه وبين سيدي احمد بن محمد بن عبد الله الاساكي
وسيدي المدني التامانارتي

كتب المترجم اليهما ما ياتي وهما اذ ذاك يأخذان في (أدوز) :

أفضل سلام . ممن له لأحكام الغرام استسلام . وأطيب تحية ؛ ممن له لاستنشاق أخباركم أريحية . أخيكم الذى ملأ الحب زوايا فؤاده المعمود. وأوقد على قلبه نار ليس لها مدى الدهر خمود . وصاح عليه ـ وما كفر ـ صيحة عاد وثمود . (الطاهر بن محمد) على من رست أعلام مجده الشاهقة. وأشرقت بدور فضله فى ليالى الغواية الغاسقة . ونورت شجرة نجابتـه الباسقة . خالنا أبى العباس احمد بن محمد بن عبد الله المجاطى الايفرانى.

والنسمة الطيبة الطاهرة . ابى عبد الله سيدى محمد المدنى بن عبد الله التامانارتى (هذا) وقد بلغنا طيب اخباركم السارة ففرحنا والحمد لله بسلامتكم . واجتهادكم فيما انتم بصدده . أعاننا الله وإياكم وامدنا بمدده ثم ان عليكم المواخذة . اذ لم تبدأوا الكتابة الينا اى منابذة . مع ان الكتابة تخفف بعض الاشواق . اذ عز التلاق :

الم تدر أن الكتب ان لم يكن لنا   تخفف بعض الوجد عن قلب مشتاق

* * *

حى نسيم فؤاد ابان عن بدنى   مذ بان وهنا لعينى البارق اليمنى
واقرا السلام اذا ما جئتهم عطرا   للخال احمد منهم والاخ المدنى
نجما سما العلم من يسرى بنورهما   فى مهمه الجهل يهدى واضح السنن
من سلم الخصم فى نيل العلا لهما   وانقاد اذ ناداه العلم فى رسن
وحائزا قصبات الفضل اجمع من   جد وضما الندى والعز فى قرن
والوارثا خير مجد من أصولهما   أحسن بنجل شبيه باب حسن
عليهما حيثما كانا تحية من   فى ملة الحب بالسلوان لم يدن

بينه وبين المؤرخ الايكرارى

بينهما مكاتبات شتى . وقد ذكر ما أمكن لنا فى محلات من هذا الكتاب وقد وقفنا اليوم على هذا أيضا للمترجم فى المؤرخ :

عـلى العالم العلـم المحترم   غذى الندى وحليف الكرم
محمد البـدر بدر الفلــلا   م من حبل سؤدده ما انصرم
سلام ذكى الشـذا من اخ   مشوق الى وصله ذى قرم (١)

بينه وبين سيدي عبد الله بن مبارك العروسي السملالي

خاطبه المترجم بقوله يهنيه بولد :

ليهنك نجم زان افقك يـا بـدر   فاصبح تعلوه البشاشة والبشر
وليـد سيسمو للسيادة سالكـا   مدارج اباءهم الأنجم الزهر
وينمو مصونا فى ذرى حجر والد   كريم له فى كل صالحة ذكر
همام تأتت كالعروس له العـلا   فاضحى له فى ذلك اللقب السر
بقيت لمجد شدت يا ابن مبارك   ودامت لك العلياء والمجد والفخر
عليك سلام من خليلك ما شدا   حمام على غصن وما انهمل القطر

١) القرم : شهوة اللحم . والمقصود هنا مطلق الشهوة .

وخاطبه ايضا بقوله :

عليك ابا محمد ابن مبارك   سلام اخ في ودكم لم يشارك
فقير يرجى دعوة منك يشتفي   بها قلبه من دائه فتدارك

وخاطبه يوما مداعبة وقد نزل عنده :

ان الضيافة ثلاث اثرا   في خبر قد صح عن خير الورى
وأنت يا بدر الدجا احق أن   تعمل في كل الامور بالسنن

وعبد الله بن مبارك ذكر في كتاب (من أفواه الرجال)

بينه وبين سيدي عبد الله بن محمد السملالي

كان هذا الفقيه خاطب المترجم بقطعة لم نقف عليها فاجابه بقوله . وذلك في ١٣٢٦ هـ – وكان سيدي عبد الله يترامى على القريفي دائما –

أنفحة من نسيم زهر الأكم   ضاع الشذا منه غب طيب الديم
أم لمحة من سنا برق بذى سلم   شاق الى الجزع لما ضاء في الظلم
أولا فما هاج بى هذا الغرام وقد   صحوت مذ زمن من ألم اللمم
نعم سرت غادة وطفاء غانية   تقلدت دررا في صورة الكلم
نمقها ذهن من ذلت لفكرته   شوارد الشعر أو غرائب الحكم
غواص بحر البيان والبديع على   فرائد الدر والغالية القيم
خير الاخلاء مغبوط الاخاء سليـ   ـل المجد والعلم والعلياء والكرم
أبو محمد الميمون نجل أبى   عبد الاله الزكى الطيب الشيم
من معشر ورثوا سر النباهة عن   آباء صدق سموا برفعة الهمم
ايه أخي فانت اليوم فارس غا   ية القريفي فقل ماشئت واحتكم
وافت قصيدتك الغراء ترفل في   بدائع الوشي من صنع يد القلم
أبديت فيها مديحا لو وجدت له   أهلا ولكنك استسمنت ذا ورم
أطريتنا بخلال هي فيك ولم   تعلم بعيب خفي عنك مكتتم
كذاك كل كريم الخيم يغفل عن   عيب الصديق بجنب الرعي للذمم
جزيت عنا على صدق الوداد جزا   كل صفي برعى العهد متسم
ودمت في كنف الصون ودام لك الا   سعاد بالنجح والاقبال والنعم
عليك ما حفظ الحر الكريم عهو   د الوداد أزكى سلام طيب عمم
ثم الصلاة على خير الورى وعلى   آل وصحب جميعا سادة الأمم

وسيدي عبد الله ذكر في الكتاب المذكور أيضا . وربما ذكر في هذا الكتاب

بينه وبين اخرين لم نعرف اسماءهم الآن

سكرت ولم أرسل الى فاتن طرفا   ولا ذقت من جام معتقة صرفا

ولا سلبت مني الفؤاد خريدة   ولا مد نحوى الظبي من عينه سيفا
ولا الفت نفسي المجون وانما   اتاني قريض خالص جلب الخفا
سقاني من الفائق الراح خاليا   من الوجد لم صبر الوجد لى الفا
ولم ادر ان الشعر كالشعر شائق   فالفيته ادهى من القادة الهيفا
ولا سيما ان صاغه فكر ماجد   اديب اذا ابداه تحسبه شنفا
اتاني وجيش الهم عندي مخيم   فلما بدت راياته جلب اللطفا
تأملته فهمت لما فهمته   وجدت فما احرت لفظا ولا حرفا
وما الشعر الا مسبر العقل انما   به يستبين المرء عن عقله كشفا
فبالله يا من صاغ ذا الدر زاريا   بما كان في الاصداف من بحره يلفى
ترفق – فداك النفس – بالقلب انه   براه الهوى حتى على تلف اشفى
فياسيدا حاز السيادة كلها   وكان لمن والاه من دهره كهفا
بعثت الي من بنانك ما سبى   فؤادي فلم اقنع بتقبيلها الفا
ولم آل من اكفائها غير انها   لأخلاقها المرضية استحسنت جلفا
فتهت باني خاطر لك مرة   بقلب قد اهدى ودك الخالص الاصفى
ومن ذا يجاري البرق اويدرك الذي   غدا راكبا للسبق متن الصبا طرفا
بقيت لادراك المكارم ساعيا   ونلت من الرحمان في الجنة الزلفى
ولازلت مكلوءا بعين عناية   وما دمت لاقيت من زمن خسفا
فلولاك من فكر كليل لفاظة   اذا كنت ترضى الرمل عن لؤلؤ صرفا
ومني سلام الله يأتيك نفحه   كزهر اذا ما امطرت مزنة وطفا

***

ما ورد روض زها بحسن خضرته   ولا محيا سباك نور نضرته
ولا عليل نسيم هب مبتكرا   على المصاب فجلى داء صبوته
ولا وصال حبيب ساعدتك به الا   يام فانقاد سمحا بعد منعته
ولاسلاف اذا ما ظلت تشربه   غدا للبيك سلابا بسورته
ولا زواهر ازهار تطيب لها   نفس الحزين فتهدا نار كربته
احلى واطيب من سحر بعثت به   نظما يشفي الشجي برء علته
ما بين صحة معنى وسلاسة الـ   ـفاظ يخلي الحليم فضل سلوته
وميم مبسمه ولام لمته   ونون حاجبه وصاد مقلته
ولو راى البابلي نفث سحرك في   ابيات شعرك لم ينفث بعقدته
ولو سحرت به السحر سلبت له الا   ستغريق بين امرء برء وزوجته
وان في الشعر حكما ملهما بيد الا   سرحمان من خلقه المعطي لحكمته

فاشكر فديتك نعمى الله وانا بها   عن ان يشان بذنب وجه نعمته
ولاخيك فسائل منه توبته   لكي يجلله غفران حوبته
لازلت سامي هضبات العلاء ومتـ   ـعب الحسود ومحظوظا ببغيته
ونلت غاية كل الخير عمرك أو   أخراك أفضل مغبوط بخلته
وكنت للدين من أنصار أسرته   وللنبى خير حفاظ لسنته
عليه أزكى صلاة مع صحابته   وءاله وجميع من بملته
عليك من قلب من أصفاك صحبته   سلام ربك بل أذكى تحيته
يدوم ما نمّ دمع بالصبابة أو   (ما ورد روض زها بحسن خضرته)

***

سلام كورد شق بالوهن جيبه   على الصاحب المعمور بالود قلبه
على الفاضل الندب الكريم (محمد)   أخي المجد من قد سيط بالقلب حبه
(وبعد) فأول ما تعنى ذوو النهى   به ود شخص يورث المجد قربه
وانك ممن كنت أرجو وداده   ولم يثنني نهى العذول وعتبه
فلا تحسبن قلبى وان بعد المدى   سيسلوك لا والله ما ذاك دأبه

***

أهلا بها من غادة هيفاء   تاهت بزينتها على الاكفاء
جاءت لكى تقضي على حكم الوفا   بين الهوى تمشي على استحياء
بكر من الفكر الصحيح تولدت   وتهذبت مرضاته بذكاء
فكر الأديب الندب سيدنا (علـ   ـى) فارس التحبير والانشاء
شهم حوى خصل السباق بهمة   طماحة تسمو على الجوزاء
ايه أخي فأنت واحدها سنا   وذكا وأنت أحق بالعلياء
فالمجد مجدك والكمال قلادة   طوقتها فافخر على النظراء
لا زلت تسمو في سماء سيادة   بدرا مليئا من سنا وسناء
وعليك من قلب صفى لم يزل   لك عامرا بمودة وولاء
أزكى سلام يزدرى بشذا صبا   روض الربا المخضل غب سماء

نبذ مما يقوله في الرؤساء

كان المترجم سائل اليراع بشكر كل من يسدى اليه معروفا بالقوافي أو بتحريك من يريد منه غرضا من الاغراض . فمما قاله في الحاحيين ما قاله في القائد (أنفلوس) القائد على (تيزنيت) ١٣١٨ هـ :

بدا طالع العلياء في برج تانيس   فجلى ضياء الحق جور الحناديس

واصبح جند الملك ينشر بنده   بعزة نصر الله في ساحة (السوس)
كتائب كالعقبان فوق سوابح   مطهمة هوج لدى الملتقى شوس
بكل فتى قرم يخوض لظى الوغى   اذا استعرت كأنه أسد الخيس(١)
يقودهم الليث الهزبر محمد   ربيب العلا والمجد نجل (انفلوس)
همام لمته للرياسة والعلا   جدود يرون المجد افضل ملبوس
فما منهم الا رئيس سما به   الى المجد عزم صادق غير منكوس
تفرع من دوح السيادة فاستوى   لتشييد ما أسسوه أحكم تأسيس
يحل من الافضال والباس والندى   بحلية حظ وافر غير مبخوس
فما هو الا الليث والغيث كافلا   بارغام باغ او بارفاد مبؤوس
فلله منه همة قد علا بها   على كل ذى مجد رئيس ومرؤوس
ونفس تردت بالسيادة واكتست   من العز والعلياء افضل ملبوس
رءاه امير المؤمنين مهندا   اذا سل لاتثنيه عارضة البوس
فجرده في نحر كل مهوس   يغبر في وجه الصواب بتلبيس
جدير بعون الله ان يدرك المنى   بفتح مبين لا يشاب بتدليس
فيقصم اهل البغي حتى تراهم   لدى الحرب صرعى من قتيل ومحبوس
ويجرى في تلك المراس برغمهم   كراديس خيل منه بعد كراديس
فيصبح فتحا طبق الارض صيته   تروح به او تغتدى وخد العيس
يخلده طول الدهر انباء ذكره   وتودعه الاقلام بطن القراطيس
فلازلت تفنى البغي حتى تبيده   وتنشر من ميت العلا كل مرموس
وتدرك ما اعيا وعزّ مناله   فتصبح بدرا حل في برج تانيس

وقال يخاطبه :

يا من يعد مداه يضرب المثل   ومن يغيث نداه يراب الخلل
ومن بهمته او عدله امنت   من حادث الجور في ارجائنا السبل
ويا هماما سما للمكرمات وقد   ارضى السيادة منه القول والعمل
انا بفضلك نرجو ان تمن بما   نبغي ففي جودك الهامي لنا امل
لازال دهرك يسعى في رضاك الى   ان يحتمي بحماك السهل والجبل

وقال يخاطب بعض ابناء الحاحيين هؤلاء :

عليك سلام يا هلال ذوى الفضل   ويا سيدا قد ساد بالذات والاصل
ويا ابن كرام سادة قد سموا الى   منال المعالي بالبسالة والبذل

١) الخيس بالكسر : مأوى الاسد .

ويا من له صيت تواتر ذكره   وطبق ءافاق البسيطة بالنقل

بك ابتسم الدهر العبوس واصبحت   رسوم العلا والمجد موصولة الشمل

وكنت حمى تولى النزيل كرامة   وتوسعه بالبر فى القول والفعل

فكم من غريب قد رثيت لحاله   وءانسته حتى تسلى عن الاهـل

وكم ءامل أنجحت غاية قصـده   وقابلته ان جاء بالرحب والسهل

فلازلت محفوظ الكمال ممتعا   بنيل الذى تبغيه من كل ماسؤل

ولا زال عطف الشيخ يوما ملازما   جنابك حتى تختم السر بالوصل

بجاه أجل المرسلين وءالـه   عليه صلاة الله ذى المن والطول

وأما ما قاله فى الحاجبين الكيلوليين ففى (الجزء الخامس عشر)

وقال فى القائد أحمد بن على كابـّـا باشا (تارودانت) حين زار هذه المدينة سنة ١٣٢٧ هـ يوم زار سيدى الحاج أحمـد الجشتيمي . يهنيـه باعراس ولده . فأكرمه . فجزاه بهذه القصيدة :

هنيئا باقبال المسرة والسعد   بدولتك الغراء يا قمر المجد

فلازلت فى أمن ويمن وعزة   ونجح مساع ظافرا وأرى الزند

فيا قائد الخيرات يا أحمد الذى   سما فى سماء الفضل بالجد والجد

لأنت اذا عـد الكـرام وميزت   بأقدارها فى الفضل واسطة العقد

فقد زانت العلياء أيامك التى   حلت فى لهاة المجد كالظلم والشهد

وسرّت بأمـلاك الفتى نجلـك الـذى   هـو السيف سيف العزم جرد من غمـد

فبورك من نجل وبوركت والدا   تشيدان ركن المجد بالسيف والرفد

فقد طبق الافاق صيتك وانتهى   ثناك الى مسرى السماكين فى البعد

وقمت بحق المجد فى زمن رمى   أماني أهل المجد بالعكس والطرد

فمالك يا شمس المكارم فى الندى   وفى الباس والرأى المسدد من ند

فلا زالت الامال تسرع كلما   دعوت كما تعدو الظماء الى الورد

ولازالت الاقدار تجرى مطيعة   بما رمت من فعل جميل ومن قصد

عليك سلام من فؤاد ملكته   بجودك والاحسان للحر كالقيد

رأى منك فضلا لا يكافىء حقـه   بدون جميل الذكر والشكر والحمد

وخاطب الباشا البيضاوى وقد زاره فى (تارودانت)

باشا (ردانة) سيدى البيضاوى   حاز الكمال وبذ كل مناو

لنسب كعقد الدر فى مجد سما   ولدى ال سعد يجل مساوى

وسياسة يقتادها العلم الذى   يعنو له الراى معا والراوى

لين يرجيه الصديق وهيبة   ينقد منها كل خب غـاو

لله منـه مكـارم ومحاسن   غصلت من الايـام كل مساو

مازال راجى الجاه او باغى الندى   يعشو لمنزله الرحيب وياوى

فلقد سما فوق السماك مكانة   فغدا معاديه اللئيم يعـاوى

لازال مخدوم السيادة جاريا   فلك السعادة بالذى هو ناو

فلقد حوى المجد الصريح بحجة   اذ كان مجد سواه محض دعاو

منى سلام كرامة ابد على   باشا (ردانة) سيدى البيضاوى

وخاطبه ايضا بقوله :

أسيدنا الباشا علوت على الشعرى   وحزت الى العلم السياسة والشعرا

لئن كانت الابا بنت لك سؤددا   فأنت بسبل المجد من بعدهم أدرى

حيـاء واقـدام وعلم ونائـــل   وحلم وخلق كالصبا صافحت زهرا

لقد كانت الانباء عنك مبينة   فجئتنا فشاهدنا بك الآية الكبرى

فان كان كل الفاضلين كـواكبـا   فانك كنت اليوم من بينهم بدرا

بك ازدان (سوس) كله اذ حللته   وتاهت على الدنيا (ردانة) كالزهرا ١

فانك انسيت الخصيب وجوده   وانست بنعماها وزينتها مصرا (٢)

فدم سالما للمجد تعلى بناءه   وتدنى لك الامال ما تشتهى قصرا

تتيه بك العليا ويحيا بك الندى   ويغمر بحر الجود من كفك البحرا

عليك سلام من فؤاد ملكتـــه   بلطفك لما شام اخلاقك الغرا

فانك فى جيد الزمان قلادة   وفى عينه انسان مقلتها الحورا

لقد صادفت منك القوافى مكانها   وأصبح فيك الشعر يعلو على الشعرى

فخذها كما شاء الوداد خريدة   ومهد لها ان قصرت فى الثنا عذرا

وقال فى بعض الباشوات . فى ربيع الاول ١٣٦٦ هـ :

هـو المجـد والباشا المعظم معنـاه   فما الفضل الا ما تضمن معناه

سياسة ميمون النقيبـة حازم   اقامت مبانيـه ظباه وجـدواه

همام اذا ما هم امضى وان نوى   تولت يد التوفيق ما يتولاه

نوى حبه أو رعبه كل مهجة   فلا فم الا ودّ تقبيل يمناه

---

١) الزهراء : مدينة القصور التى بناها فى قرطبة عبد الرحمن الناصر

٢) الخصيب امير مصر ممدوح أبى نواس بقوله :

أنت الخصيب وهـذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحـر

جرى صيته مجرى الصبا فتعطرت   برياه اذان اصاخت وافـواه
بشاوته الكبرى افاءت ظلالها   على الغرب أدناه القريب واقصاه
بشاراته الميمونة انسدل الهنا   فقامت قريرة العيون رعـاياه
فـلا أحـد يخشى عداء عدوه   ولا طارق تخشى معرة مسراه
فاصبح قطر الغرب يحسده عـلى   سعادتـه قطر الشمال وأرجاه
بسيدنا الباشا الهمام وجـوده   ونجدته والمرتضى من سجاياه
فما شاء من مجد طريف وتالد   وادحاضه من بغي باغ وعدواه
فطابت به الايام وانفسح المـدى   وعاود خفض العيش نور محياه
تجمع فيه بارك الله فيه ما   تفرق من أهليـه صانهم الله
حياء واقـدام وعقـل مشيـع   وحلم وعلم زانه وصف تقواه
فان بنى أهليه أقمار سؤدد   وأبحر جود لا تغب عطاياه
وهم في العلا والفضل عقد منظم   وسيدنا الباشا المعزز وسطاه
ففى السلم روض لا يمل نسيمه   وفي الحرب سيف لايفل غراراه
فان ندب اهتز الوجود لصوته   وان غضب انشقت مرائر أعداه
فدامت له العليا ودام لها ولا   يزايله الاقبال واليمن والجـاه

***

فيا أيها المولى الهمام ومن علا   بهمته فـوق السماكين مبنـاه
أتيناك حبا فيك والحب شافع   ينال به المشتاق مـا يتمناه
سمعنا فأحببنا فجئنا فلم نزل   نشاهد ما أربى على ما سمعنـاه
ففضلك عم الخافقين وطيبـه   ينم بما أبكى الحسود وأنكاه
فانــك بــدر والسيادة هالـة   وبرجك سعد بالسعادة مجراه
بقيت لتشييـد المفاخر ظافرا   بما ترتجى مكفى ما تتوقاه
ودمت لارفاد الوفـود مرحبـا   بمن وخدت شوقا اليك مطاياه
ودونكهـا نجديـة بدويـــة   تمت بحب لا تزيف دعــواه
فهبها الرضا وابذل لمقدمها قرى الـ   قبول وقابلها بما أنت مولاه
ودم للمعـالى واغتبط بسعادة   تنيلك أقصى كل ما تترجاه
عليك سلام يملأ الكون نوره   وتزرى بأعراف الرياحين رياه
سلاما يوازى بـدءه وختامـه   سنا ذلك المجـد الذى أنت معناه

وخاطبه أيضا فى غرض فى صفر ١٣٦٨ هـ :

الى سيدى الباشا الهمام أثرتها   قلائص عزم همها لثم كفه
يقود بها وجد ويحدو بها آسى   لكيد عدا همّوا جميعا بحيفه

تمالوا فاما جراة وتطاولا   واما بالمراء عليه لضعفه
فجئت الى مولاى مستنصرا به   فاما بابعـاد واما بسيفه
فقم أيها المولى بضيفك واحمـه   فقد يغضب المولى الكريم لضيفه
وناد انا جار لهذا فمن يرد   أذاه فقاضى السيف قاض بحتفه
لكى يعلموا أنى أويت الى حمى   همام يكف الدهر ايماء طرفه
فجاهك جاه لايضام جواره   يجير على ريب الزمان وصرفه
فانك باشاها على الرغم والرضا   فمن لم يدن طوعا فارغم بانفه
ومثلك من يرجوه مثلى لكل ما   ينوب سواء فى رجاء وخوفه
عليك سلام الله ما صاب وابل   فانعش أزهار الرياض بوكفه
وما أمت الباشا يقود بها الهوى   قلائص عزم همها لثم كفه

وقال فى جناب الملك المفدى بطل التحرير محمد الخامس لما زاره فى شعبان ١٣٧١ هـ :

هنيئا لعزمى حين أصبح يوجف   الى ملك من عبده الدهر ينصف
الى الملك المولى محمد الذى   نماه الى الاحسان والحسن يوسف
له فى سنى عشريه رأى محنك   يفل فلا يخطى ويأسو ويوسف
جلالة اسماعيل فى رشد هاشم   وحكم سليمان بعدل يصرف
اجار على علاته الملك لم يزل   يجارب أو يختال أو يتالف
الى أن سما فوق السماكين سعده   ونال التى ما بعدها متشوف
وأصبحت الامال طوع يمينه   اذا ما دعا لبته لا تتوقف
والقت ممالك المغارب طاعـة   وتابت له مما جناه التخلف
تذكرت الذكر القديم فسارعت   لخدمة مـولى عبـده يتشرف
وان أمـير المومنين محمـدا   معانى معاليه غريب مصنف (١)
ذكـاء واقـدام ومجـد وعزة   وهيبة اجلال رست وتعطف
تربى بحجر الملك طفلا فلم يزل   تهيب بــه العليا سرورا وتهتف
الى أن تولاها فجاءت كأنها   على خير اذن قرط در مشنف
فقام باعبـاء الخلافـة حـازم   تكف به الطغوى ويكفى التعجرف
فساس الورى كاف كفيل وقادهم   اليه جميعا رغبـة او تخوف
فبورك من مولى ومن ملك ومن   امام ومن غيث به المحل يكشف
فما زالت العليا تذكرنا بــه   حلى الحسن المولى التى تتعرف
ويحيى عهودا كان اسسها لنا   جلالـة اسماعيل يسطو ويعطف

١) غريب مصنف ، فيه تلميح الى كتاب قديم يحوم اسمه حول هذا .

فيا ملكا غطى على الشمس نوره ... وانسى نداه البحر والبحر يقذف
تبوات عرش العز من سعد طالع ... به يصحب المستنكف المتانف (١)
فانت لنظم الملك بيت قصيده ... وأنت لعطف المجد برد مفوف
بنوتك يستكفي الذى فاته الحيا ... بنورك يستهدى الذي يتعسف
فانكم ءال النبى عصابـــة ... مودتكم قربى بهــا يتحنف
مناقبكم فى محكم الذكر نصها ... فماذا عسى يثني الكلام المؤلف
مديحكـم صدق وطبع سجية ... ومدح سواكم مرية أو تكلف
فعطفا أمير المومنـين فان لى ... أواصر ود نقـــدها لايزيف
وعذرا فان الفكر غيض ماءه ... نوائب ما تنفك بالحر تجحف
فان كان قولى فى المديح مقترا ... فان فؤادى فى المحبة مسرف
بقيت لدين الله يا كهف أهله ... تذود وتحمى أو تحوط وتكـنف
ولازالت الايام تدني لك المنى ... وتوليك نصرا عزه لا يكـيف
الى أن ترى (الخضراء) منظومة الى ... حماك و(مصر) بعدها و(المعرف) (٢)
فانـك أولى بالمالـك كلهــا ... وهل للدجا بعـد الصباح تشوف
عليـك سـلام لا يزال مرددا ... كما رجع الحادى وردد مصحف
سلام كفيـل بالسعـود مبارك ... كسعد اعتزام نحو بابك يوجف

وقال اذ ذاك فى الخليفة السلطانى فى (تيزنيت) مولانا الحسن بن يوسف سمو الامير الجليل :

صيت الخليفة سيدى المولى الحسن ... قد طبق الارجاء معناه الحسن
كـرم واقـدام وعقـل راجح ... وسياسة اهدت الى المقل الوسن(٣)
ومناقب كالزهر فى الاشراق والا ... حصاء لاياتي عليها ذو لسـن (٤)
ورد الورى سلسال راحته على ... ظما فلا كدر يعاف ولا أسـن (٥)
فتزاحموا فى بابه وتسابقـوا ... لرضاه وانقاد الابى بلا رسن
فعلا سيادته سلام مثل مـا ... بسم الاقاح بثغره الحسن البسن

(الآن) وقد ذكرنا ما سنح لنا من اقوال شيخنا فى أشياخه وأقرانه وتلاميذه . وفى الرؤساء . نختم اقواله بما قاله فى الجناب النبوى :

١) أصحبت الناقة : انقادت . ٢) الخضراء : تونس . والمعرف مكان عرفة والمقصود الحجاز . ٣) الوسن : النوم . ٤) اللسن : الفصاحة . ٥) أسن الماء : تغير .

النبويات

ان للمترجم فى الجناب النبوى قوافي كثيرة . وقد اجتمعت عندنا قصائد له فى الموضوع. فاحببنا ان نشرف بها هذا الكتاب منها هذه القصيدة التى بعث بها مع زوار الحرم الشريف لتقرا تجاه الروضة الشريفة - ولعلها اقدم قصائده فى الموضوع - :

نبي الهدى منى اتم صلاة ... تجوب بمتن الريح كل فلاة
تفاوح عرف المسك طيبا وتقتدي ... لقبرك بالاصال والبكرات
وتفنى مدى الايام طولا مضيها ... وآت بعد مثل كل نبات
تخفف كل الوزر عن كهل خائف ... ذنوبا دنا منها من الهلكات
وتنجح آمالا بقصدك نجحها ... وما خاب من يرجو نداك بهات
على أن روح الجود أنت وذاته ... بدونك جسم كان دون حياة
وأنت الذى لولا نداك لما بدا ... بحال وجود الكون فى العدمات
ولا وضحت سبل الهدى لميمم ... رشادا ولا حطت ذنوب عصاة
ولا لاح من دين الهدى ضوء نوره ... ولا بان للجانى سبيل نجاة
وأنت الذى ناداك آدم ضارعـا ... ونوح وابراهيم فى الازمات
وآمن فى الغيب النبيئون كلهـم ... بمبعثك الجالى دجا الظلمات
ألا يا رسول الله ناداك ضارع ... يؤمل من جدواك ستر هنات
أسير ذنوب لا يلين وثاقها ... تسيل لها عيناه بالعبرات
حليف بطالات أضاع زمانه ... وأوضع فى الاسراف فى الغفلات (١)
وأنفق شرخ العمر ما بين صبوة ... تطاع واكباب على الشهوات
يطاوع نفسا طالما أقدمت بـه ... على كل أمر يعقب الحسرات
ويركض فى شأو المـآثم جاهدا ... أصم اذا وافاه نصح لحاة
وما أن صحا من سكر لذاته التى ... تعامى بها عن شرعة الحسنات
الى أن بدا صبح المشيب براسه ... وآذنـه طيب المنى بفـوات
فاسرع يا أوفى النبيئين ذمـة ... واكثرهم فى المحل سيل هبات
يناديك يا من لا يضام جواره ... وانت منى الداعين فى الخلوات
أجرني من ذنب تضاعف وزره ... علي ولم يعقب سوى التبعـات
فان أنت لم تدرك بعفوك زلتى ... ربحت بها الخسران فى الصفقات
وحاشاك ان يشقى ضعيف مؤمل ... نـداك رفيع الصوت بالدعـوات

١) أوضع : أسرع وجرى

فالك الذى إبداك ربك نعمة ... تجير من الخزيان كل عتاة
ببابك حط العبد رحل رجائه ... يروم النجا من ربقة الهفوات
ومن ذا الذى يصغى سواك لانتى ... ومن ذا الذى أرجو يزيل شكاتى
ومن ذا الذى يغنى يدى ان مددتها ... سواك من الخيرات والبركات
ومن ذا الذى يحمى حماى من الأذى ... اذا لم تجرنى يا أعز حماة
ومن هو ذو الفضل الذى لم أكن به ... خليقا سوى من يجزل المنحات
وان رسول الله من أم بابه ... ينل سؤله من رفعة الدرجات
ويكفف أمورا ضاع ذرع فؤاده ... بها آمنا من شر كل عداة
وانى يا خير الورى متوسل ... اليك بمدح طيب النفحات
تكلفته عن عجمة انتمى بها ... لخدمة ذات الفضل منك بذاتى
فمدحك حرز لايضام دخيله ... وان به الصعب الشموس يواتى
ومدحك بحر يكرع الظامئون فى ... سواحله عن راحة الكلمات
فكل لذاك الفضل يسعى بوسعه ... وكل يعانيه بكل لغات
على انه من لم تنله عناية ... اذن ما رمى فى فنه بحصاة
بعثت به جهد المقل وسيلة ... لينقذنى من ورطة العثرات
وارسلته يا خير من قطعت الى ... زيارته مجهولة الفلوات
ببث كمين الوجد اذ لم أبت على ... مطا النجب وسط الركب خير بيات (١)
وعاقنى الذنب المثبط كلما ... رأيت على الاقدام جد لذاتى
فياسعد من أسرى لطيبة هاجرا ... الى الفوز بالحسنى لذيذ سنات
يؤم على بعد المدى خير مرسل ... ويذرى دموع العين منهملات
يراوح روضات الجنان معفرا ... بها الخد لا يهدا من اللثمات
ينادى أجل العالمين مسلما ... على الروضة الفيحاء كل غداة
ويظفر من خير المساجد كلها ... تهيؤ فى الاسحار بالركعات
فيا أيها الركب الميمم طيبة ... تيممت سحب الجود منهملات
فحث بسوط الوجد نضوك انونى ... وغن بهذا المدح بين حداة
الى ان ترى نور الهداية لاحبا ... وأذيال ثوب المجد منسحبات
فقل يا أجل العالمين ومن به ... توسل ماضى المذنبين وآت
دعاك الفقير (الطاهر) بن محمد ... على أضلع بالشوق متقدات
لتدركه منك العناية كى يرى ... بها آمنا من شدة السكرات

---

١) المطا بالفتح : محل الركوب على ظهر الناقة : كالصهوة للفرس .

وفى القبر والحشر الفظيع وكل ما ... مخوف ومنه البعث بالنفخات
وتنجده بالعون كى يمتطى الى الـ ... ـحجاز مطى العزم قبل وفاة
فيغسل من رجس الذنوب فؤاده ... بزمزم كى يصفو من الكدرات
ويجمع من (جمع) على حسن توبة ... ويعرف عين الفوز من (عرفات)
ويقضى لبانات المنى من (منى) وفى ... افاضته يفضى الى الرحمات (١)
وبـ(المشى) المحمود يشعر نجحه ... ويمرى دموع العين بـ(المروات)(٢)
فيركب متن البيد معتسفا الى ... رياض المنى من (طيبة) الارجات
يشم ترابا يفضح المسك عرفه ... ويكرع من ماء هناك فرات (٣)
ويقرأ خير العالمين تحية ... ينادى بها من داخل الحجرات
سلام على مثواك يا خير مرسل ... يدوم مدى الايام والسنوات
يصافح قبرا ضم جسمك كلما ... علا نفس المشتاق بالزفرات
وأزكى صلاة يملأ الكون نورها ... ويفضح من ذا المسك كل فتات
وآلك والصحب الهداة أولى الندا ... بدور الدجا انصارك السروات(٤)

وقال رضى الله عنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم لما حنا عليه البحر جوانحه وذلك عند سفرة ١٣١٤ هـ من (السويرة) الى (طنجة) قاصدا (فاس) ـ وقد ركب البحر أيضا فى تلك السفرة من (البيضاء) الى (السويرة) ـ

نبى الهدى انى بجاهك ضارع ... الى الله فى تفريج ما هو واقع
فقد ضاق صدر العبد عن حمل مابه ... ألم وما لى غير جاهك شافع
وجاهك حرز لايضام جواره ... اليه اذا عض الزمان أسارع
عليك صلاة الله والصحب كلما ... تشفع مضطر بجاهك ضارع

وقال أيضا فى التوسل الى النبى صلى الله عليه وسلم :

لـذ بالنبى هديت فهو المهرب ... ان رمت أمرا عز منه المطلب
واحطط رحال القصد منك ببابه ... فجناب خير الخلق أحمد أرحب
وابسط يمينك بالخضوع تذللا ... ولتسألن من جوده ما تطلب
واضرع وقل يا رحمة الله التى ... يرجو اليسار بها المقل المجدب

---

١) اللبانة بالضم : الحاجة
٢) مَرى الدمع كرمى : أساله
٣) كرع كسمع وقطع : فى الماء أو الاناء : مد عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه .
٤) سروات القوم : سادتهم

يا فاتح الاغلاق يا من جوده   ان شح صوب المزن روض مخصب
يامن اذا ما اجدبت ارض المنى   فنواله الغيث الغزير الصيب
يا من يجيب السائلين وعمره   ما قال لا في كل سؤل يوهب
هـذا فقـير سائل متوسل   عاف أناخ عليه أمر مكرب
نفس بجودك ما به يا خير من   بجناب سؤدده يلوذ المذنب
وانظر لحاجته بعين عنايـة   تهدى له الفرج القريب وتكسب
واعطف عليه بجاه آل طهروا   بنصوص ما بين الدفاتر يكتب
وبحق أزواج شرفن بأن غدا   بيت البناء بهن وهو مطنب
بـ(خديجة) خير النساء ومن لها   في الصدق والتصديق مالايحسب
وببضعة الصديق (عائشة) التى   بالحب منك لها الطراز المذهب
وببنت زمعة(سودة) وبـ(حفصة)   بنت الذى منه الموسوس يهرب
وببنت جحش(زينب) من بعدها   أم المساكن والارامـل (زينب)
وبـ(هند) بنت أبى أمية من لها   والله يوم الروع راى أصوب
و(صفية) الصاق لها اذ زاحمت   بالجد فـى حب النبى المشرب
وكذا (جويرية) و(رملة) من غدت   من عند(اصحمة) تزف وتجلب(١)
وببنت حارث الهلالى من غدت   (ميمونة) واليمن دابه يطلب
وبفرعك الزاكى المقدس (قاسم)   وبـ(طاهر) وكذاك يتبع (طيب)
وكذا بـ(ابراهيم) من للقبط؛ اذ   أبدته (مارى) فى الفضائل موكب
وبـ(زينب) من قد تزوجها أبو الـ   عاص الذى فى وعده لا يكـذب
و (رقية) و بـ(أم كلثوم) اللتيـ   ـن حواهما عثمان وهو محبب
وبـ (فاطم) تفاحة الفردوس من   فى فضلها قصر اللسان المطنب
خير النساء على الحقيقة من غدت   يوم القيام لها الشفاعة توجب
زوج ابن عمك سيف نصرك خير من   يـوم الملاحم بالمثقف يلعب
وبوردتيك سليلى الزهراء اطـ   ـيب من به روض الثناء يطيب
فرعى أصول السؤدد (الحسنين) من   طلعا وكل فى السيادة كوكب
وبخير أمتك الخليفة من هدى   اذ هد أركان الجبال المرهب
ثانيك فى الغار المواسى المؤنس (الصـ   ـديق) أفضل من لفضل ينسب
وبمن هو (الفاروق) من فى الله قد   يرضى ويغضب بل يلين ويصعب
(عمر) الذى بالله عز فـاصبحت   من حد درته الجبابر ترعب

---

١) اصحمة : اسم النجاشى الذى وقف حتى زفت (رملـة) الى النبى . وهى أم حبيبـة .

وبمن غدت منه اللالئ تستحى   الا صار يعرف بالحيـا ويلقب
(عثمان) ذى النورين خير خليفة   اضحى بورس دم الشهادة يخضب١
وبمن غدا فى الزهد والتقوى وفى   ثوب المعارف دائمـا يتقلب
بدر الكمال (على) المولى الذى   بولائه يعطى الفائز ويسلب
وبعمك (العباس) من كنيته   بابى الملوك فحبذا ذا المنصب
وبـ(حمزة) ليث الكفاح اشد من   بالعضب فى يوم الكريهة يضرب
وبسائر الصحب الكرام وكل من   فى شرعة التقوى يجىء ويذهب
صلى عليك الله خير صلاته   وعليهم ما دام جودك يسكب

وقال وذلك سنة ؛ ١٣١٢ هـ :

طاب الزمـان بطيب يوم المولد   وزهت معاطفه بطلعة احمد
ودنا جنى السعد المؤبد فاجتنى   ما شاء من ادلى بحسن المقصد
وتناثرت فيـه الجوائز فانثنى   بسعادة الدارين منبسط اليـد
لـم لا وللرحمـان فيه نفحـة   مهما تصادف من فقير يسعد
وبه بدا نور الوجود ومن به   للخير فتح كل باب موصد
بدر الدجا شمس الهدى غيث الندى   عز المهيمن مرفد المسترفد
واذا تشرف كل ظرف بالذى   فيه فما مقدار ظرف (محمد)
حقا هو اليوم الذى قد فاز من   خير البرية بالوحيد المفرد
فتنزهوا فى روضه وتناولوا   زهـر المديح بمثل نغمة معبد
فيه ينال المرء ما يرجو ويظـ   ـفر بالمفاخر والمنى والسؤدد
وتواجدوا من ذكر افضل من به   هام المحب المستهام المهتدى
خير البرية من ينال بفضلـه   من يرتجيه غنى عميما سرمدى
صلى عليه الله ما حن امرؤ   منه لمراى بالجلالة مرتـدى
وعلى صحابتـه وآل شرفت   مقدارهم آى الكتاب المرشد

وقال ايضا عام ١٣١٩ هـ فى مجلس هام فيه الحاضرون وجدا :

برح الخفاء وصرح الوجـد   وبدا الذى ما خلته يبـدو
ذكر الحمى ونزيله فتناثرت   درر الدموع واضرم الوقـد
وجرت صبا انفاسهم فتمايلت   اهـل الهـوى فكانهم ملـد
والمستهام وان ابان تجلدا   ابدا يحن اذا جرى نجد
عجبا لقلب لايلوب اذا شدا   حادى الحمى ولو انه صلد
واذا ادار المادحون الكـاس من   مدح النبى فقد بدا السعد

---

١) الورس بفتح فسكون : نبات كالسمسم يصبغ به وهو احمر .

فمديح خير الخلق ان شف الظما ... جوف المشوق صبابة ورد
واذا تنفس فى الندى نسيمه ... هبت بما لم يحكه الورد
فهو الحلى لأذن سامعه وفى ... لهواته الحلواء والشهد
فالذكر قد يغنى عن اللقيا اذا ... طال النوى وتقادم العهد
فالقلب ربتما تعلل بالمنى ... والطيف ان أودى به البعد
لاسيما والمصطفى أبدا له ... بحضور مجلس مدحه وعد
أترى وحاشا جوده أن ينثنى ... مداحه وسوءا لهم رد
فهو الكريم وجوده الممنوح لا ... يخطى العفاة ببابه رفد
وهو الذى من جوده الدنيا وما ... فيها فليس لبذله حد (١)
وهو الذى عم الوجود بأسره ... مذ كان غيث نواله العد
وهو الذى من جاءه يبغى الندى ... منه فقد أورى له الزند
سر الوجود وشمس أفلاك الهدى ... بحر الندى والجوهر الفرد
كهف اللجا بدر الدجا غوث الرجا ... ما خاب منه لمن رجا قصد
ياخير من أسدى وأفضل من هدى ... وأجل من يقفى به الرشد
يا رحمة من الاله بها على ... كل الورى فالشكر والحمد
هذا مقام المستجير من الردى ... من بعد أن أودى به الجهد
يرجو الشفاعة منك فى الدنيا وفى الا ... خرى اذا ما ضمه اللحد
فاغثه يا اندى الورى فعليك قد ... وقف الرجاء به فما يعدو
فهو العبيد وأنت مولاه ومن ... يرجوه الا السيد العبد
صلى عليك الله ما حنت الى ... مسرى شذاك النجب والجرد
وعلى صحابتك الكرام وكل من ... قد شفه للقائك الوجد

وقال أيضا :

اليك رسول الله أنزلت حاجتى ... واسرعت اذ موج الخصاصة ماجت
فبحرك طام لايكدر صفوه ... عفاة الحت فى السؤال ولجت
وأنت الذى ما رد راحة آمل ... ولاراح راجى الفضل منك بخيبة
وأنت أجل المرسلين شفاعة ... الى الله والمبعوث من خير أمة
وأنت على باب الكريم فمن أتى ... اليك ينل ما شاء من كل بغية
أتيتك استعدى على الضر ضارعا ... اليك فسارع فى اغاثة كربتى
عليك صلاة الله ما ضاء طالع ... مدى الدهر فانجابت به كل ظلمة
وآلك والصحب الكرام وكل من ... تمسك بالهدى المبين وسنة

وقال أيضا :

رأى برقا بكاظمة مساء ... فامطر مزن مقلته دماء

---

١) هذا المعنى كرره الشاعر مرارا . ومعلوم ما قيل حوله للأبوصيرى.

وهب نسيم ذى سلم صباها ... فاذكى من جوانحه صلاء (١)
مشوق ناء من مغنى هواه ... ولا بدع بكا صب تناءى
اذا ذكر الحمى ذابت حشينا ... حشاشته وان ابدى عزاء
وان غنت شوادى الورق وهنا ... برجع اللحن عنته عناء (٢)
وشاقته الى عهد تقضى ... بما بين العقيق الى قباء
سقته المزنة الوطفاء مغنى ... حوى معنى سكرت به انتشاء
وحيا ساكنيه حيا عميم ... وان أبدوا لعاشقهم جفاء
وان ضنوا ولو بخيال طيف ... يحيى عله يحيى ذماء (٣)
فاف للنوى كم من كريم ... وفى قد أزارته تواء (٤)
وللايام كم عيش هنى ... ووصل كدرت منه صفاء
وويحى ليت شعرى هل اراني ... ارامى البيد بالوجنا رماء (٥)
أخوض بها بحار الآل فلكا ... واجريها على أمرى رخاء (٦)
وافديها ولو بحياة نفسى ... وقد قلت وان عزت فداء
يقود بها الهوى طورا ويحدو ... بها شوق يحثثها حداء
ويهديها من الانفاس زند ... متى يقدحه تذكار اضاء
وتطوى شقة البيداء حتى ... تشيم سنا تلألأ او سناء (٧)
وتغشيها أشعة نور بدر ... أعار البدر والشمس الضياء
وتنشق طيب ترب ضم قبرا ... أعار المسك طيبا والكباء (٨)
وتلثم من حمى خير البرايا ... ترابا كان للقلب الشفاء

***

حمى بالمصطفى المختار باها ... ففاق الارض مجدا والسماء

---

١) الصلاء بالكسر : النار الشديدة الوقد
٢) الوهن كفلس : طائفة من الليل نحو وسط الليل
٣) الذماء بالفتح : بقية الروح
٤) التوى بالفتح مقصورا : الهـلاك
٥) ناقـة وجناء : شديـدة
٦) الآل : السراب . ورخاء بضم الراء : أى بلين ورفق
٧) السنا : الضياء . وشام النور يشيمه : نظره من بعيد ؛ والسناء الرفعة والشرف .
٨) الكباء بالكسر : العود الذى يتبخر به .

رسول فالــق الصبح ليــلا　　وادم ما عدا طينا وماء
وأول من بدا الرحمان نورا　　له والكون قد اضحى عماء
نبـى هاشمى ابطحــى　　سما الارسال قــدرا واعتلاء
شفيع فى مقام حــاد عنه　　جميع الرسل خوفا واتقــاء
فقال أنــا انالهـا فغدا حميدا　　وقــد رفــع العلامة واللواء
تقدمهم عــلا وبــدا اخــيرا　　فحاز الفضل بــدءا وانتهاء
أما فى ليلة الاسراء لما الـ　　ـتقوا بالقــدس أم الانبياء
وصاحبه الامين وشايعته الـ　　ـملائكة احتفــالا واحتفــاء
فطاف السبع واستعلى سموا　　وجاز العرش ثم دنا ارتقاء
الى أدنى من القابين حتى　　رأى حــق اليقــين الكبرياء
وكلمــه كفاحــا واجتباه　　وتوجــه وزاد بــه اعتناء
فاصبح مخبرا فارتاب قوم　　أضلوا الرشــد واعتاموا الشقاء
وصدق من تحرى الصدق دينا　　فلم يرتب ولم يبد امتراء
ولم يبرح رسول الله يدعو　　قريشا للهــدى فأبوا اباء
وجــاء بكــل معجزة عيانــا　　كشق البدر أو كالسرح جاء (١)
وتسليم الجماد ونطق ضب　　وظبى والبعير رغــا رغــاء
وفحل قد قضى لمـــا رآه　　أبو جهل دنــا منه قضاء
وسيف خــان (غورث) اذ نضاه　　وصفواء كذا قاءت وفاء (١)
وبيض حمامتين بغــار ثــور　　ونسج العنكبوت به وقاء (١)
ومهر (سراقة) ساخت يداه　　فمال به وانهضه فناء (٢)
فلم يرجع الى أن كاد يردى　　بثالثــة فنــاداه اجتــداء
فانجــده وأنجــاه نبــى　　حليم لايجــازى مــن أساء
وبشره بلبس سوار كسرى　　فالبسه الخليفة كيف شاء (٣)
كذا حلب الشويهة حين مروا　　بخيمــة أم معبــدهم ضحاء
ونطق الجن بالاشعار تدعو　　لايمان بــه صبحــا مساء
الى ما لا يحيط به لسان　　من آيات جلت فحكت ذكاء (٤)

١) هذه من جملة المعجزات التى ظهرت على يد النبى صــلى الله عليــه وسلم وهى مفصلة فى كتب السيرة .
٢) ساخت يداه : هوت بهما الارض . وقوله فناء : أى فقام .
٣) يقصد الخليفة عمر بن الخطاب
٤) ذكاء بالضم : الشمس .

واعظمهــا وابقاهــا كتاب　　مبين لا ترى فيــه خفاء
فعجزهم وهم فرسان خيل الـ　　ـكلام بسورة فغووا غــواء
فقال كهانة قوم وقــــوم　　رأوه السحر والشعر افتراء
ولما ان عموا جهلا وصموا　　وزادوا فى ضلالهم اعتــداء
ولــم ينجــع لدائهــم دواء　　ولا راعــــوا لقربــاء ولاء
تحامــاهم وآذنهــم بحرب　　أصب على رؤوسهم بــــلاء
وقــاد اليهــم أسدا حرادا　　على الاعداء قد عشقوا اللقاء (١)
نجوم ظلام نقع الحرب مهما　　دجا فبــدت وجوههم اضاء
اذا ظمئت رمــاحهم سقوها　　بكليــة كــل جبــار دمــاء
وان صدئت سيوفهم جلوها　　بكــل منــاط تعويذ جــلاء
اذا ذكر الوغى حنوا اليها　　كأنهــم اذن سمعــوا غنــاء
كأن فتى ينــادى واصباحا　　أدار عليهــم كــأسا رواء
مهاجرة وأنصارا اذا مــا　　دعــوا لبوا خفافا لا بطاء
شروا بنفوسهم جنات عدن　　فمــا أزكــى واربحه شراء
وهم قاموا بنصر الدين حتى　　تأطــد ركنــه وعــلا بنــاء
وجلوا فى جهاد الكفر حتى اسـ　　ـتحالت شدة الاعداء رخــاء
ففى (بدر) اذاقوهم وبــالا　　غدا بطن القليب له رداء (٢)
فناداهم رسول الله فيــــه　　وهم جيف فاسمعهم نــداء
أنالوا مثل ما أسروا وجدوا　　أنوفــا جــدعها زان العــلاء
وفى (أحد) وشدته أبانوا　　وثــوب ضراغم ابصرن شاء
وصالوا صولة فلت غرارا　　وشدوا شدة كشفت غطــاء
ولمــا دارت الهيجــا وعظت　　وغطت ظلمة النقــع الضياء (٣)
سخوا بنفائس الارواح دون الـ　　ـنبى فكلهــم كــان الوقــاء
فما زالوا ولا زالوا الى ان　　أزالوا عن سنا الدين الغشاء
لقد صدقوا الاله جميل وعد　　فكان رضــا الاله لهم جزاء
ويوم (حنين) قد أرادوا وافنوا　　جمــوع (هوازن) وسبــوا سباء
ويوم (الفتح) يا لله كــم من　　جواد جال فى جنبى (كداء)(٤)
به اهتز الهدى واهتز مما　　تسنى قائم الدين ازدهــاء

١) أسدا حرادا : أى غضبى
٢) القليب : البئر ؛ وقــد كانت فى مكان واقعة بدر بئر رميت فيها جثث قتلى الكفار . ٣) عظت الحرب وعضت : لغتان . ٤) كداء بالضم : محل بمكة

واظهر دينه الرحمان حقا   ظهورا عمّ بالنور الفضاء
وايد عبده فغدا جميع الـ   ـانام لـه عبيدا او اماء
واولاه مزايـا قـد تثنت   امانى الرسل عنهن انثناء
واعلى ذكره فغدا قرينا   لذكر الله ظهرا او عشاء
فيا خير الورى يا غوث عان   اتى لجناب سؤدده التجاء
ويا سر الوجود وما حواه   ولولاه غدا كل هبـاء
ويا من باسمه المرفوع قدرا   توسل آدم فنجـا نجـاء
وأغرق نوره أمواج نار الـ   ـخليل فلم تزل تبدى انطفاء
ويا من جوده ان شح غيث   وأخلف لم يزل يهمى عطاء
ويا من لايزال نـدى يديـه   على العافين موحد او ثناء
ويا من لا يرى الظامون دنيا   وأخرى من سوى يده ارتواء
ويا باب المفاز فمن أتى من   سواه لم ينل الا العناء
دعاك فقيرك المسكين يرجو   ويامل من ندى يدك الحباء
ويخشى ذنبه لكن اذا سا   ل سيل ذراك اذهبه غثاء
ويشكو داء قلب ضاق عنه   تجلـده وقـد أعيـا الاساء
وضعف عزيمة ان هم يوما   بخـير تلتـوى عنـه التواء
وجور الدهر كم أنحى عليه   بكلكلـه فاذهلـه انتحـاء
وليس لـه مـلاذ غير جاه   عظيم منـك يقصده احتماء
فمن كفيك فاض الماء حسا   ومعنى كـلـه أروى ظمـاء
فكم أغنت وأقنت من فقير   وكم أولت أخا داء دواء (١)
وكم من معسر تربت يداه   أتاه فعاد ممتلئا ثراء (٢)
وكم غاو هديت وكم طريد   أويت فنال بعد أذى هناء (٣)
وكم عان فككت فقر عينا   وكم جان مهدت له وطاء
فقابل يا رسول الله كسرى   بجبر ان لى فيكم رجاء
ولبّ نـداء منكسر فقـير   أقر بسر حاجتـه وبـاء
وأبلغنى رسـول الله اقصى   رجاءى واستمع منى دعـاء
فان تفعل فيا فوزى والاّ   فـانـى لازم هـذا الفنـاء

١) أقنى الله فلانا : أغناه وأرضاه
٢) تربت يده كفرح : افتقر
٣) أويت . هكذا . واللائق «اويت

وحاشا جاهك العالى وحاشا   يرد من استغاث بكم وباء
فان آك قد أسات فان ظنى   جميل فيكم وكفى اقتضاء
فدونكها رسول الله بكرا   عروسا قـد اتت تمشى حياء
تمد يد السؤال لكم وتدلى   الى بحر الندى منكم دلاء
ولا مهـر تقدمـه ولكـن   تقـدم بـين أيديها ثنـاء
وكم من شاعر قد عاد عنكم   وقـد ملئت حقائبه مـلاء
ولا يحصى مـديحكم كـلام   ولو ان النجوم غدت هجاء
ولكن شفنى ظما ومنك الـ   ـندى فبعثتها ترجو استقاء
فلا تردد رسول الله كفـا   اليهـا فلانت عـودت السخاء
بجـاه الصاحب (الصديق) ثـا   نيك اول مومن لبى النداء
و (فاروق) معز الـدين جهرا   ومن فر اللعين اذا تراءى
و (عثمان) الشهيد اخى ثراء   وايثـار ازال بـه العـلاء
وباب العلم صنوك أصل نسل   شريف قد زكا ونمى نماء
وازواج شرفن وكل صحب   وءال قـد ادرت بهم عباء
عليك صلاة رب العرش تترى   ويملا طيبها النامى الهـواء
صلاة قدر ما ترضى ويرضى   لقـدر كمالك العـالى كفـاء
تحيط بكل ما ماض وءات   من الانـا وتـوسعـه بقاء
وءالك والصحاب وكل تال   ومـن أدلى لبحركم الـدلـاء

وقال بعد هذه بنحو ١٥ يوما . يوازن (البردة) وذلك فى ١٣٢٧ هـ :

بطيب مـا نقلت عن جيرة العلم   ريح الصبا يشتفى قلبى من الالم
وبتذكر (سلع) و (اللوى) وربا   (نجد) ومن حل فى جرعاء (ذى سلم)
معاهد لذ لى فيها الهوى فمتى   هام الفؤاد بها يحمد ولم يلم
انهب منها نسيم شب نارجوى   منها توقد تنور الحشا وصمى(١)
وان تالق برق بالحمى سجمت   عيناى غيث دموع موزجت بدم
نات فلا الدهر يسخو بالوصال ولو   سعيا على الراس لا سعيا على القدم
ولا صحا لا صحا قلبى الشوق وهل   يصحو فؤاد اذا قلت استفق بهم
آه سرى الركب يحدوه الغرام الى   نيل المنى بخيام الحى من اضم
وواصلوا بالسرى سيرا وبالنص اعنـا
قـا وجدوا ومـا يعبون بالسام

١) صمى كعمى : أى حل به ما أصماه ؛ أى قتله فى الحين فى مكانه .

اطار شوق اللقا طير النعاس فلم   يرد بحوض ماآقيهم ولم يحم
وخلفوا جسمى المضنى وصاحبهم   قلبى فها انا لم اظعن ولم اقم
امثل النفس والايام تمطلنى   عن المسير بزور الوعد والقسم
ياركب (طيبة) لازالت تحفكم الا   لطاف والقصد منكم غير منخرم
بالله ان جزتم فيح البطاح الى   أن يتبين نور البيت والحرم
وطفتم السبع واستلمتم حجرا   يا سعد ملتثم له ومستلم
وقمتم تحت ميزاب الرضا خاضعيـ   ـن فيه ملتزمين خير ملتزم
وملتم نحو ماء صح فيه لما   شرب وهو طعام وشفا سقم
وسرتم لاقتضاء الخير من جبل   صبت به الرحمات صيب الديم
ثم نفرتم الى (جمع) اذا وجبت   فى ليلة ذات سر غير منكتم
ومنه لـ(لمشعر) الزاكى ومنه الى   حيث تراه دنا هدى من النعم
لمت ودعتم البيت العتيق وقد   سعدتم وغنمتم كـل مغتنم
فرقصت بكم النجب المراسل فى الـ   بيداء شوقا لخير العرب والعجم
وشمتم برق قبر ضم اعظمه   (طوبى لمتنشق منـه وملتثم)
وقمتم بوقار فى حمى تقف الامـ   ـلاك فيه بذل وقفة الخـدم
فاستقبلوا الروضة الغراء ثم سلوا   سؤال ملتحف بالذل متسم
وبلغوا المصطفى عنى السلام وقو   لوا عاقه الذنب والمقدور وهو ظمى
فان وليس له الا رجاؤك يـا   من بنداه استبان الكون من عدم
يا اول النور ياروح الوجود ويا   سر الحقائق أو يـا مولى النعم
يافاتحا كلما اغلق يا خاتم الا   رسال يا خيرهم يا سيد الامم
انت السراج وانت المستضاء به   الى سبيل الهدى فى حالك الظلم
وانت احمد والمحمود والفرط الشا   فى والمجتبى المختـار فى القـدم
بك استغاث ابوك آدم وبك اسـ   ـتغاث نوح وابرهيم فى الضرم
وبك ايوب حين مسه ضرر   وبك يونس فى احشاء ملتقم
وبك بشر عيسى والكليم وكل الـ   ـرسل تبشير صدق غير متهم
واخذ الله منهم عهد نصرك اذ   جئت فانت رسول الرسل كلهم
لك المقام الذى ما سامه ملك   ولا رسول رفيع القـدر ذو شمم
والمعجزات اللواتـى لا خفاء بها   الا على كل قلب بالضلال عمى
اضحت كمثل النجوم كثرة وسنا   فمن يرد عد نجم الجـو ينفحم
قد عدها فانتهت الى ثلاثة آ   لاف محققة بعض ذوى الهمم
وكل ذلك مـا عد الكتاب وهـل   يحيط بالقول فيه ناطق بفم

شق لك القمر الزاهى كما وقفت   شمس وآمن ضب فى يد السلمى
وحن جذع كما آوت مطوقة   وذرت الشاة درا غير متحسم
وفاض ماء كما نما الطعام فكم   اروى وأشبع من ظام ومن نهم
واثمرت عامها فسلان سلمان اذ   غرستها بيد فياضة الكرم
رددت عين قتادة كجبرك كسـ   ـر ابن عتيك فعاد خير ملتئم
كما قلبت عصا عكاشة فغدت   سيفا يقد الطلا من كل مستلم(١)
وابن حضير وعباد اضاءهما   من نورك الجذل فى حلولك الأدم(٢)
ثم تفرق لما افترقا فغدا   كل بقسط يدله على اللقم (٣)
ومد ثوبا أبـو هر غرفت بـه   فلم يصب بعد بالنسيان والوهم
واذ شكوا جدب أرض قد أضربهم   دعوت فانهل فورا وابل الديم
فدام سبعا فجاءوا يشتكون به   فقلت رب على الظراب والاكم(٤)
ثم خصصت بخمس ذخرت لك لم   تتح لغيرك يا ذا السؤدد الفخم
نصرت بالرعب والارض الطهور ومسـ   ـجد كـذا الغنم مـع جوامع الكلم
سبحـان من خص ذات المصطفى بكمـا   ل الخلـق والخلـق والاسرار والحكـم
افلج اذ عج أقنى افلج حببى الثغـ   ـر ازهر اسنى حالك اللمم
اذا تبسم رىء النور يخرج من   بين ثنايا كدر راق منتظم
احيا من البكر فى خدر وأجود من   ريح وأشجع من ليث لدى اجم
ما قال لا فى سؤال بل يرد بميـ   ـسور من القول اوبالسؤل او نعم
أعطى عيينة والعباس فـى نفر   ما لا يعد من الابال والنعم
اذا استحر وطيس الحرب واشتجر الـ   ـقنا تقدم لم ينكص ولم يجم
وفى حنين وقد جال الصحابة لم   يزل على البغلة الشهبا ولم يرم
واشجع الصحب من يدنو لموقفه   بل يتقون به فى يوم مصطدم
دعا قريشا الى دين الهدى فعموا   جهلا وصموا وراموا نصرة الصنم
وهم من الشدة الجهـلا بمنزلـة   عليا وما عودهم يوما بمنهدم

١) الطلا جمع طلية بالضم : العنـق

٢) الجذل بالكسر : أصل الشجرة زالت عنـه فروعه ؛ ويقصد بالادم أديم السماء والارض أى الظلمة . وقضية أسير بن حضير مع رفيقه مشهورة فى الحديث . ٣) اللقم : محركا : الطريق الواضح . ٤) الظراب بالكسر جمع ظرب ككتف : الرابية الصغيرة . والأكم محركا جمع أكمة : الهضبة الصغيرة

فقام فيهم بامر الله لم يسل الا ... جر سوى الود فى القربى اوالرحم
فهجروه وجدوا فى عداوته ... وما رعوا فيه من آل ولا قمم
فاذن الله فيهم بالجهاد فما ... لانوا الى أن غدوا لحما على وضم(١)
قاد اليهم ليوث الغــاب كاسرة ... تنقض فى الجو كالغربان فى الرضم ٢
فى يوم بدر غدوا ما بين منجدل ... قتلا ومنخذل أسرا ومنهزم
وعاد رهن قليب عاثون بغوا ... والبغى مرتعه أدهى من الوخم
عقبة عتبة شيبة أمية والوليـ ... ـد والمكتنى جهلا أبا حكم
وكم له فيهم من وقعة شرحت ... صدر الهدى وشفت غيظا وكم وكم
حتى علا وسما الدين الحنيف الى ... أن لم يدع فى العلا مرقى لمستنم
يا صفوة الله ياخير الورى شرفا ... يا خير منتصر بالله معتصم
يارحمة الله يا جبر الكسير ويا ... كنز الفقير اذا أصيب بالعدم
ياغوث ياغيث ياأندى الكرام يدا ... ياحرز محترم يا عز مهتضم
ياذا الشفاعة والجاه العظيم ويا ... أدنى الورى رتبة من بارئ النسم٣
أنت الملاذ وأنت المستعاذ بــه ... والمرتجى الملتجا للهول ذى العظم
لولاك لم يستبن نور الهدى أحد ... ولم يصل ولم يسلم ولم يصم
كنه حقيقتك المخزونة اكتتمت ... عن العقول فلم تدرك ولم ترم
أعيا كمالك أرباب الكلام فما ... فيهم سوى عاجز عنه ومنعجم
كم عام فى بحره فكر ليقطعه ... فكاد يردى بموج منه ملتطم
وكيف يحصره لفظ وربك قد ... أثنى عليك به فى (نون والقلم)
ياسيدى يارسول الله انــى فى ... حماك انك أوفى الخلــق بالذمم
أرجوك للدين والدنيا ويوم حلو ... ل الرمس والحشر عند شدة السدم٤
فأنت عروتى الوثقى ومصعدى الا ... رقى وملجاى الاوقى من النقم
بشراى اذ كنت فى حرز النبى ومن ... لجا الى حرزه يكرم ويحترم
(من يعتصم بك ياخير الورى شرفا ... فالله حافظه من كل منتقم)
يالهف نفسى متى أحدو الركاب الى ... حماك يا خير مقصود لمغتنم
حتى أرى ذلك النور المبين بعيـ ... ـنى وأشكو ما ألقاه من أمم (٥)

١) الوضم : خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم
٢) الرضم بفتح الراء والضاد أو تسكين الضاد فقط : الصخور العظيمة يرضم بعضها فوق بعض فى الابنية .
٣) النسم بالفتح جمـع نسمــة : الانسان ؛ أو كــل دابة فيها روح .
٤) السدم بالفتح : شدة الغيظ مع الحزن ؛ أو كثرة الهم مع الندم .
٥) أمم محركا : قريب

واشتفى من صدى قلبى وابسط آمـ ... ـال فؤاد الى نيل الرضا قرم
واستقيل ذنوبا ضاق ذرعى من ... اثقالها اورثت قلبى ضنى الندم
ابث حزنى طبيبا لايمائلــه ... داء بقول حبى منه محتشم
واستجير من الدهر الخؤون بمن ... لم يوذ جار له قط ولم يضم
يا رب بالمصطفى الهادى الشفيع وما ... أودعتــه مــن كمال غـــير منقسم
اغث عبيدك هــذا المستجير بــه ... وامح بفضلك عنه كل مجترم
والطف به يا لطيفا بالعباد فحسـ ... ـن الظن فيك متين غير منفصم
فاننى عبد سوء ما ائتمرت ولا انـ ... ـتهيت حتى كان السمع ذو صمم
وليس لى حيلة الا رجاك وحب الـ ... ـمصطفى فهو ركن غير منهدم
وارنى يا كريم ما أؤمله ... فى النفس والاهل والأولاد والخشم
واصلح الدين والدنيا لنا وقنا ... من شر كل ذوى شر وكيدهم
واحم حمى الدين من أعدائه فهم ... قد فغروا باجتهاد فم ملتهم
وعجل النصر واقصمهم بعزك فالأ ... مر اليك ولا يد بحربهم
واخزهم واشف غيظ المسلمين وبـ ... ـدد شملهم بددا يا خير منتقم
وصل صلاة الرضا تؤم عاطرة ... حضرة مسك الختام صاحب العلم
وحضرة الخلفاء الراشدين وكل الـ ... ـصحب طرا والآل الطاهرى الشيم
ما امه راكبا متن الرجا عطش ... فعاد ريان من ماء الرضا الشبم ١

وقال رضى الله عنه فى عيد مولد عام ١٣٣٥ هـ يوم تزحف جيوش الاحتلال الى تلك الجهة :

يا وادى الجزع نعم الجزع والوادى ... ظبــاك هل لقتيلهن من واد
وهل ينم اذا هبت صبا سحر ... من بعدنا فيك نفح البان والجادى ٢
وهل يعيد لنا فيك الزمان منى ... اولا فروّاك صوب الرائح الغادى
أم هل تسير بنا فى كل هاجرة ... قـود ينازعننــا اطراف مقواد
يطوى بساط النوى منها انبساط يد ... ويقطع البيد منها صارم الهادى(٣)
اذا ونت جذب الشوق الملح بها ... وحثها من لواعج الهوى حاد
حتى تبلغنــا الى حمى حرم ... سواء العاكفــون فيه والبادى
حرم مكة حيث البيت والحجر الـ ... ـملثوم حيث الندى دان لمرتاد
حيث يزج بجمع المذنبين ببحـ ... ـر العفو حيث سنا وجه الرضا باد
اعفر الخد خوف الذنب ملتمسا ... من كرم الله بالغفران اسعادى
ثم تعوج بنا الوجناء مسعدة ... الى حمى المصطفى خير الورى الهادى

١) الشبم : البارد ٢) الجادى : الزعفران ٣) الهادى : العنق

نور الوجود وسر الكون صفوة خلـ ـق الله أفضل مبعوث بارشاد
الفاتح الخاتم المختار من مضر الـ حمراء أكرم مخلوق مقصود لقصّاد
محمد شمس أفلاك النبوة من أبدى سناه لنا أسعد ميلاد
يوم حوى الفضل والفخر المبين على الازمان فى كل اصدار وايراد
فليلة القدر ما حازت مزيتها الاّ باعـداء سر منـه مزداد
كذاك لولا نداه الجم ما اشتملت على مسرتها أيـــام اعيـــاد
ففيه جدع أنف الكفر وانخسأ الشـ ـيطان مشتملا ثياب احـــداد
ونكست للقفا الاصنام اذ سقطت كنار فارس اذ تمنى باخمـاد
وفيه فتـح باب الفوز وانتشرت جوائز الفضل نثرا دون تعداد
يا سعد جد امرىء قد جد فيه الى ذخر يفوز بـه فـى يوم ميعـــاد
ويا سعادة من أوى الى حرم النـ ـبى مستشفعا من دهره العادى
يا سيدى يارسول الله يا أمل الر اجى ويـا ذخر من وافى بلا زاد
يا من شفاعته أجل ما ذخرت يــوم القيامـة آبـــاء لأولاد
أمنن علىّ رسول الله فى كرم بفـك أصفاد فاقـاتى باصفاد (١)
ورد من مـاء توفيق ومغفرة وسر دنيا وأخرى قلبى الصادى
وحـط بنصرك جيش المؤمنين ودا فع عن حمى الدين حزب أهل الحاد
وجد بحرمتك العظمى وجاهك عنـ ـد الله يا سيدى بفضل انجاد
ودمر الكافرين المعتـدين باذ ن الله تدمير اخوانهم عـــاد
فكل مأسورة يرجى الفداء لها وما سواك لدين الله من فاد
فالكفر جاش على هذى البقية من دينـك عجبا باعـداد واعداد
وطبق الرعب منه الجو وارتفع الا يعـاد منـه بابراق وارعـــاد
وصار دين الهدى لديهم هزءا وغـيرة الله للاعـــدا بمرصاد
يوما عليهم كبدر أو حنين يقد السيف ما خاك منهم كل زراد (٢)
وتصبح القلب القوراء عامرة بجثث من كلاب النار أوغـاد (٣)
ومدّ دينك من غيب الغيوب ومن ملائك الملا الأعلى بـأمـــداد
وبسيوف صحابك الألى هجروا ونصروا بقلوب غـير صـــداد
بجعفـر وعـلى وبحمـــزة أو سعد وخالد الضارى ومقـداد

١) أصفده مالا : أعطاه اياه
٢) الزراد : صانع الزرد ؛ والزرد الدرع وقد استجيب الدعاء فأهلك الله (حيدة) يوم ثانى عيد المولد . كما هو معلوم .
٣) القلب ككتب جمع قليب : البئر . والقوراء : الواسعة

وبدوى النصر فى بدر وفـى احـد ناهيك من سادة فى الحرب انجاد
يا رب بالمصطفى وءاله وجميـ ـع اوليائك اقطـاب وامجـاد
وبخصائص ميلاد النبى ومـا حواه من منن مثنى وافراد
اغفر بفضلك اجرامى وما كسبت بالجهل امارتى فى كل ما ناد
واغفر لأمة خير الخلق ما شغلت به عن الرشد من بغى وافساد
ظلم علينا به مد العدو يد الـ ـعدوان اذ شب نارا ذات ايقاد
واصلح الدين والدنيا وامر أميـ ـر المؤمنين باسعـاد وامـداد
وصل صلاة الرضا على النبى واصـ ـحاب النبى صلاة ذات ترداد
ماحث حادى الهوى ركب الحجاز وما اذكى لهيب الجوى طير الحمى الشادى
وما تلذذت الأفواه من شغف بمدحـه بـين انشاء وانشاد

وقال رضى الله عنه فى سنة ١٣٣٦ هـ

تألق برق شق جيب الدجا وهنا فشاق لعهد بالابارق فالدهنا (١)
وهبت على نجد صبا سحرية برت جسد المشتاق لما انبرت وهنا ٢
ورجعت الورقاء شدوا على الغضا فشبته فى قلب بأهل الغضا مضنى
اذا ما جرى ذكر العقيق وأهلـه أسالته أيدى الشوق من عينه عينا ٣
وان زمزم الحادى وزم وحثها نجائب لاتشكو كلالا ولا أينا (٤)
وسدد منهـا للفلا أسهم السرى وزج بها فى الآل اما طما سفنا (٥)
وأم بهـا (أم القرى) متنصـلا عن الزور لامـا يروم ولا لبنى
هنالك يبدو ما يجن ذوو الهوى ويقرع حلف البين من ندم سنا ٦
فيا ايها الحادى الموفق سر فلا كبوت ولا مس الجوى لكم وجنا (٧)

١) الابارق والدهنا : موضعان بالبلاد العربية
٢) صبا سحرية : تمر وقت السحر . وانبرت وهنا أى مرت ضعيفة هينة . والوهن بفتح فسكون والموهن : نحو وسط الليل .
٣) العقيق فى الشطر الاول اسم موضع ؛ والضمير فى قوله اسالته فى الشطر الثانى راجع الى العقيق بمعنى الحبات الحمر المعروفة بهذا الاسم فشبه به الدمع وفيه استخدام ؛ كالبيت قبله فى (الغضا)
٤) زمزم الحادى : ترنم بغنائـه
٥) الآل : السراب . وطما البحر : تموج
٦) أجن الشىء يجنه : أخفاه . وقرع سنه ندما أى أظهر مدى ما بلغ به الندم .
٧) الجوى : الاعياء أو الضرر . والوجناء : الناقة الشديدة .

ولا عدمت مرعى نضيرا ولا روى نميرا ولا ظلا ظليلا ولا امنـا
وخاطر فى امثالها بحمد العنا فكم ركب الاخطار من خطب الحسنا
ولا تهيب مهمه الدو طامس الـ منار ولا سهلا دميثا ولا حزنا (١)
ولادامس الليل البهيم ولا لقى الـ ـهجير ولا انسا يروع ولا جنا
الى ان يوافيك الهنا وترى السنا مبينا وتحظى بالمنى يسدك اليمنى
وتدخل من (باب السلام) مسلما ومستلما وفق المنى (الحجر) الاسنى
وملتزما بالشوق (ملتزم) الرجا ومرتشفا بالغلة (الحجر) الاسنى
هناك يحط الوزر عنك وتجتلى ثغور الرضا مفترة تزدهى حسنا
تشاهد بيت الله و (الكعبة) التى على حبها احناء أهل النهى تحنى
وتمرح ما بين (المقام) الى (الصفا) الى (زمزم) الشفاء من كل ما أضنى
الى (عرفـــات) والمشاعر بعـــدها (منى) حيث فرض الرمى حيث الدما تمنى ٢
فسل كل ما تبغى تنله فأنت فى رياض بها زهر المنى دائما يجنى
وبالفضل منك ارحم أسير النوى على اء ـسوجاج به واذكره فى ذلك المغنى
وان تقض حق الوجد ثم ولم تدع لنفسك من وعد بانجازه تعنى
فارخ لها فضل العنان ميمما حمى (طيبة) الغراء والروضة الغنا
حمى حبه سيطت به كل طينة من العجم أو من الجمادات أومنا (٣)
فالق العصا واطو النوى وابسط الرجا ظفرت بما تهوى فقر بـه عينـــا
وصن موطىء النعل التى وطئت على بساط الرضا فى قاب قوسين أو أدنى
ولاتمش مهما استطعت فى ذلك الحمى بغير جبين طالما ألف الصونا
فصـل وسلـم واستلـم وادن واحتشم وتب وتوسل وارج واخش وسل واهنـا (٤)
وقل بانكسار وافتقار وذلـة اليك رسول الله ضيفا رجا منا
اليك طوى عرض البسيطة ما رجا سواك لرفد عز أو حادث عنا
واياك نـادى للزمـان وصرفه وكيد أعـاد كلها ملئت ضغنا

---

١) مهمه الدو : مفازة البريـة والدميث : المكـان اللـين ذو الرمـل . والحزن بفتح فسكون : ما غلظ من الارض وارتفع .
٢) تمنى : أى تراق
٣) سيطت به : أى مزجت
٤) واهنا من هنىء كفرح معنى ووزنا

ومنك رجا حسن القبول ومنة الـ ـرضا والامان والزيادة والحسنى
وعفوا جميلا عن ذنـوب غـدا بها رهينا يرجى أن تفك له الرهنا
وعافيـة فـى حالـه ومالــه وفى الدين والدنيا وفى الاهل والابنا
فانك باب الله اى امرىء اتى سواك فاين الفتح من يده اينا
وانت لهذا الكون علة كونه فما هو الا اللفظ انت له المعنى
ومن نورك انشق الوجود ومن ندى يديك استمد الفضل كل من استغنى
وجاهك ذخر لم يزل متوسلا به انبياء الله قرنا تلا قرنا
فآدم لما تاب مت به فسنـ ـه لبنيه نعم ما آدم سنا
ونوح وابراهيم مذ جئنا الى سيادتك العظمى غدت لهما حصنا
وموسى بن عمران الكليم بجاهك اسـ ـتغاث فنال الفوز فى (الطور) واليمنى
واولاك لم ينج المسيح ولا اجيـ ـب فى حفظه دعاء جدته حنا (١)
وحسبك فخرا ماروينا وصح فى الشـ ـفاعة اذ قالوا البكم بها عنا
فقلت وقـد ضاق الخنــاق انابها زعيم بمراى من يحب ومن يشنا ٢
لك المعجزات الملجآت الى الهـدى فكم بصرت عينا وكم اسمعت اذنا
فمن حائل درت ومن شجر جرت وصدر وبدر شق أو خشب حنا ٣
واعظمها آى الكتاب الذى جلا بأنواره ليل الضلالـة اذ جنا (٤)
ولكنهم جنـوا عنادا وصمموا از دراء فقالوا نفثة السحر أو جنا
فحاكمتهم للسيف فانصدعت عصا اللـ ـجاجـة وانماعت صفاتهم الصنـا (٥)
ودانوا لما يقضى واصحب من عصا به بعد أن فل الائمة او افنى (٦)
فكم ولغت زرق الأسنـة فيهم ببطن ملى شحما وقلب مـلى شحنا

---

١) دعاء جدته المقصود به قولها : انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . وحنا أصله حنة فرخم للضرورة
٢) ومن يشنا أى من يكره : واصل يشنا يشنا
٣) الحائل : الانثى ما لـم تلد . وقوله درت أى سال لبنها . ويقصد بقوله خشب حن الجذع الذى تحول عنه النبى صلى الله عليه وسلم بعدما كان يتخذه منبرا فصار يحن اليه .
٤) جن الليل : أظلم
٥) أراد بقوله انصدعت عصا اللجاجة : انهم فت فى عضدهم . وقوله انماعت أى ذابت . والصنا أى الصماء . يقال بالميم والنون .
٦) أصحب : انقاد بعد صعوبة وامتناع

وكمشرحت بيض الظبا شرح معرب   وفى بتوضيح الخفى لهم متنا (١)
وكم نظمت لسن الرماح وقرضت   قوافى هام منهم ثقلت وزنا
لقد قام سعد الدين فى(بدر) فاعتنى   بتلخيص أخبار الفتوح وما كنا
ومن اشكلت عنه التفاصيل فليسل   (حنينا) يبين كيف أولاهم حينا
بأيدى رجال بايعوا الله بالرضا   كرام نفوس لا خلاب ولا غبنا (٢)
أسود اذا نـار الوطيس توقـدت   صلوها فلا تعريد عنها ولاجبنا (٣)
وان دعت الحرب العوان نزال نـا   زلوها سراعا من فرادى ومن مثنى
ومهما دجا ليل القتام لدى الوغى   جلت لهم شهب الابارقة الدجنا ٤
هم سلبوا عز الاكاسر واستبوا   عقائلهم من بعد أن أمهروا الطعنا
وهم دوخوا شرق البـلاد وغربها   وماسترشدوا الا الظباوالقنا اللدنا
وهم جاهدوا فى الله بالله طالبى   رضى الله لايبغون من غيره عونا
وهم عززوا خير الانام وعززوا   الى أن رسا دين الهدى محكم المبنى
فكانوا لخير الانبيا خير أمـة   أئمـة حـق يأمرون وينهونـا

***

ألا يارسول الله مدحك أعجز الأ   عاجم بل والعرب واللسن واللكنا
فماذا عسى ياتى به متطفل   بليد غليظ الطبع مثلى ان اثنى
ولكننى عاف فقير ومن يكـن   كـذلك فليسأل ملحـا ومفتنا
فكن يـا رسول الله خـير مدافع   أذى دهرنا عنا فحادثه عنا
وجد بغنى الدارين واعن بحاجتى   فغيرك ما أجدى فتيلا ولا اغنى
فمن للفقير الطاهر بن محمد   سواك ينقى قلبه المتلى رينا (٥)
ويسر له بالقرب حجا ورحلة   الى بابك العالى وعجل له الاذنـا
وعم جميع الوالدين وجلـة الشـ   ـيوخ برضوان واسكنهم عـدنا

١) من هذا البيت الى آخر الثلاثة بعده تجد توريات لطيفة تظهر مدى قدرة شاعرنا على تصييد المعانى واحكامها فى قوالب لفظية مما يناسبها فقوله وكم شرحت الخ يشير الى شرح المعرب على متن التوضيح ؛ ويقصد بقوله متنا : ظهرا . وقوله قرضت : قطعت وقوافى جمع قافية مرادف القفا . وقوله كنّ أى ستر

٢) قوله لا خلاب : لا خداع

٣) التعريد : الميل والانحراف عن الحرب .

٤) شهب الابارقة : السيوف اللامعة . والدجن : الظلام .

٥) الرين : الخبث والدنس .

وأن لى وللاولاد والاهل والالى   احبوا ومن اسدى ومن احسن الظنا
وصل عليك الله يا كعبة المنى   ويا قبلة الآمال الى توجهنا
وآلك والصحب الالى نصروا ومن   لاهم ومن اضحى لدين الهدى ركنا
صلاة بها نحظى لكل مؤمل   صلاة رضا يفنى الزمان ولا تفنى
تفاوح ازهار الربا وتدوم ما   تألق برق شق جيب الدجا وهنا

وقال رضى الله عنه فى موازنة (بانت سعاد)

دع عنك لومى فما التعذال مقبول   (بانت سعاد فقلبى اليوم متبول)
ارشدت لكن لى قلبا ينازعنى   يرى الصبابة رشدا وهى تضليل
ان لاح برق باكناف الحمى سحرا   لباه بالدمع جفن منه مطلول
او هب منها نسيم كان مختبلا   (كأنه منهل بالراح معلول)
هلك سعاد حمى ناء تكنفه   أسد العدا دونها من القناغيل(١)
كيف الوصول ولا جرداء سابحة   تدنى اليه ولا قوداء شمليل (٢)
لا الطيف منها ملم بى ولا عدة   يومـا تعللنى منهـا الاباطيل
استغفر الله كم اكنى واكتم من   بهـا فؤادى مشغوف ومشغول
ما هاج وجدى لا خود مخفرة   (ولااغن غضيض الطرف مكحول)(٣)
ولا زرفت لطيف من سعاد سرى   ولا لرشف لماها وهو معسول (٤)
لكن لـ(طيبـة) خير العالمين هفا   قلبى فرشف لى زرقائها السول ٥
حمى بافضل خلق الله كان له   على جميع بقاع الارض تفضيل
مثوى النبى واصحاب النبى ومن   بسعيهم حبل دين الله موصول
من جاهدوا فى رضا المولى وكلهم   (مهند من سيوف الله مسلول)
ومهبط الوحى بالدين الحنيفى (وال   ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل) (٦)
حيث النبوة قد فاضت أشعتها   فطبق الارض منها العرض والطول
مدينة المصطفى من بشراه شفا   من جاءه وهو بالاثام مكبول

١) يقصد بالغيل هنا الشجر الكثير الملتف وعبر عن كثرة القنا بذلك .

٢) جرداء : قصيرة الشعر أو لاشعر عليها من الخيل . وسابحة : سريعة وقوداء : سهلة الانقياد . وشمليل بالكسر : سريعة الخطا من الابل .

٣) الخود بالفتح : البارعة الجمال . والاغن : ذو الغنة . وطرف غضيض : فاتر مسترخى الاجفان .

٤) اللمى بتثليث اللام : سمرة أو سوداء فى باطن الشفة يستحسن .

٥) الزرقاء : عين فى المدينة المنورة

٦) كل ما بين القوسين من الاشطار فانها من (بانت سعاد)

يا سعد من حملت حتى تبلغه   لها (العتاق النجيبات المراسيل ١)
فراح ما بين جيران النبى له   أمـن ويمن وتنويل وتمويـل
وعفر الوجه فى تلك البطاح له   لثـم وشم وتضميم وتقبيـل
وافرغ الدمـع من عينين جفنهما   له باثمد ميل الذنب تكحيل
يبكى دمـا ندما حتى يسيل بـه   (صاف بأبطح أضحى وهو مشمول٢)
يحكى زفيرا واعوالا وفرط أسى   ثكلاء (جاوبها نكد مثاكيل) (٣)
ويقرع السن عما كان أسلفه   من عمر وعده بالبر ممطول
يدنو فيدعو رسول الله مـن كثب   (والعفو عند رسول الله مأمول)
يقول يـا خير من يرجو شفاعتـه   عبد عـلى الشر والتقصير مجبول
يا خـير من وخدت لقصـده نجب   (لها على الاين ارقال وتبغيل) (٤)
(ياخير من يمم العافون ساحته ٥)   فنال ما أملت منـه الارامل
يا خير من ورد الظامون بحر ندى   يديه يتبع جيلا صادرا جيل
يا من لخدمته تسعى الملائك اجـ   للا واحرز خصل السبق جبريل ٦)
يا من به فخر الرسل الكرام فقصـ   ـت ذلك الفخر توراة وانجيل
يامن به فاخر الارض السماء فلم   ترض وقد نالها من ذاك تذليل
لذا أزارته فى الاسرا ؛ فاكسبها   فخرا له فوق هام العرش اكليل
انـى أتيتك مـا قدمت من عمـل   الا نداك الذى لى فيه تأميل
أنـا النزيل وضيف الجـود حق له   فخر وأمـن وتعظيم وتبجيـل
لهفى على عمر أوضعت فيه الى   لهوى وبى عن جنى الخيرات تكسيل
أمضيته فى لعل أو عسيت وما   يغنى لعل ولكن فيه تعليل
متى الى (طيبـة) الغراء أرحلها   ضوامر مسهن الارض تحليل

١) يقال جمل عتيق أى رائع . والنجيبات المراسيل أى النياق الجيـدة المسرعـة فى السير
٢) ماء مشمول : أصابته ريح الشمال فصفته
٣) النكد جمع نكداء : التى عسر حالها وقل خيرها . ومثاكيل جمع مثكال والمثكال والثكلى الكثيرة الثكل وقد مد ثكلى للضرورة .
٤) الأين : التعب والاعياء . والارقال والتبغيل : نوعان من السير السريع
٥) هذا شطر من قصيدة البردة المشهورة فى مدحه صلى الله عليه وسلم
٦) خصل السبق : أى الفوز به ؛ يقال حاز خصل السبق أى فـاز ؛ والخصل بفتح فسكون : ما يأخذه السابق فى الميدان

أطوى بها البيـد طيـا لاينهنهنى   ذعر وان كشفت عن نابها الغول
وان تعرض لى بحر ركبت بـه   هوج الجوارى لها بالموج تجليل
لم يثن عزمى حر القيظ ولا   برد ولا يزدهى ريف ولا نيل
حتى اليخ باكناف الرسول على   اجل مولى له بالضيف تاهيل
احط من ظهرى الوزر الذى حملت   نفسي ولا يستطيع حمله الفيل
فتمتلى بالمنى كفى ويصبح لى   عز على كاهل العلياء محمول
واشتفى من مياه الفضل مرتشفا   رشفا بى قلبى المسود مغسول
بعطفة من رسول الله سيدنا   محمد خير من ناداه مسؤول
من جاهه الملجا الاحمى ينال به الع   ـزة والنصر مرذول ومخذول
سر الوجود فلولاه اكتسى عدما   وما بدا منه اجمال وتفصيل
أضحى نبيا وادم ابوه لفى   بين التراب وبين الماء مجدول
وعادت النار بردا للخليل بـه   فأعجب لنور به أخمد سجيل (١)
فكم وكم لرسول الله معجزة   على الهدى غرة منها وتحجيل
كشق صدر وبـدر او كنور عصا   ونطق ضب وظبى وهو محبول
والجذع حن ومرجون حباه فتى   فعاد فى الحرب سيفا وهو مصقول
ورد عـين وكـف لحلهمـا   هـذا وما شان تعوير وتشليل
وكالذراع اذاع السر اذ خدعت   به اليهود وكيد الكفر تضليل
وكم به وكفت سحب الحيا وكفى   الفا على القل مشروب وماكول
وللطعام وللحصبا براحتـه   بافصح النطق تسبيح وتهليل
دعا الى الله بالقول المبين وقد   عم الضلال وليل الشرك مسدول
فصد عنه قريشا ضلة وعمى   على الهداية انصاب تماثيـل
لم تنفع الاى فيهم والكتاب وهل   يرى ويبصر ضوء الشمس مسمول٢
بل جادلوه بزور القول من سفه   والحـق لايزدريه القـال والقيل
فلم يصدق به منهم سوى فئة   هم الائمة والغر البها ليـل
ثم دعاهم لحكم السيف فانصدعت   تلك الصفاة فمغلـول ومقتول
فبادرتهم بـ (بدر) فتكـة تركت   جسومهم بالقنا وهى خراديل (٣)
أضحى ابو الجهل مجدولا بها فغدا   كأنه بعد حز الراى مجهول
فمادت الملة الجهلاء ليس لها   لـا نعى بكرها الناعـون معقـول

١) سجيل بكسر السين والجيم المشددة : أحجار طبخت بنار جهنم .
٢) سمل عينه : فقأها
٣) خراديل : قطع متفرقة

جاد القليب له بقمة قطعت — تلك المفاصل يابيس المفاصيل
في جحفل من صناديد العدا لعبت — من النبال بهم طير ابابيل (١)
يا (بدر) طلعتك الزهراء دام بها — لنا الهنا ولوجه الدين تهليل
ويوم مكة اذ سار النبى لها — في سادة بهم للصعب تسهيل
أسد على حدا قبل براحهم — من الظبا شهب بيض مشاعيل (٢)
بكل منتدب لله محتسب — ما أن له عن حياض الموت تهليل ٣
يمشون للحرب هونا لا ينالهم — هون ولا عن لقى الهيجاء تنكيل
فرحبت بهم (أم القرى) وقرت — فحبذا نازل منهم ومنزول
قرتهم ببنيها فرحة وسقت — راح الدماء لها فيهم عقابيل (٤)
وجدلت كلمات الله ما نصبوا — فـ(هُبَل) حين جاء الحق مهبول ٥
و (اللات) لات لها حين الفرار ولا — عز لـ(عُزّى) فعرش الكفر مثلول
وآذن المصطفى برا ومرحمة — بالعفو عنهم فحبل الرحم مفتول
فعاد بعد لهم في الدين خير يد — في السلم والحرب سادة رآبيل (٦)
وفي (حنين) طغت (نصر) فما انتصروا — بل سلبوا فهم ميل معازيل (٧)
شوتهم في وطيس الحرب نار وغى — كأنما هم فصال او عجاجيل (٨)
فمن خير الورى على السبا كرما — فلم تذل تلكم العين المطافيل (٩)
الله أكبر عز الدين واتضع الـ — ـكفر المهين له خزي وتذليل
بالصحب من هجروا أو نصروا فهم — بيض ميامين لا (سود تنابيل)(١٠)
(لا يفرحون اذا نالت رماحهم — قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا)
هم الجبال اذا ما زويلوا وهم — أسد اذا قوتلوا سحب اذا سيلوا

١) أبابيل قيل : جمع لا واحد له ؛ وطير أبابيل : أى متتابعة متجمعة

٢) الحِدَا بكسر ففتح ؛ جمع حِدأة : نوع من الطيور الجوارح . والقبل كحمر جمع قبلاء : وهى التى يقبل سواد كلتا عينيها على الأنف

٣) التهليل : الجبن ؛ والنكوص

٤) العقابيل : الشدائد أو بقايا العلة

٥) هُبَل بضم ففتح : صنم وكذلك (اللات) و (العزى)

٦) رآبيل جمع رئبال : الأسد

٧) ميل جمع أميل : وهو الجبان أو الذى يميل عن السرج الى جانب ؛ ومعازيل جمع معزال وهو من لاسلاح له . و(نصر) هوازن التى حاربت المسلمين

٨) فصال جمع فصيل: ولد الناقة. والعجاجيل جمع عجول كهلوف: ولد البقرة

٩) مطافيل جمع مطفل (اسم فاعل) وهى ذات الطفل

١٠) التنابيل جمع تنبال : القصير القامة ؛ يشير الى ما قيل فيهم فى (بانت سعاد) — اذا عرّد السود التنابيل —

فادتهم ملة الاسلام واضحة الا — علام لم يخش تغيير وتبديل
هل نزل الدين ضيفا فى جوارهم — نال المنى فهو مكفى ومكفول
فهم وفيهم ومنهم للهدى جذل — لسام وعز وتتميم وتكميل
فرضى الله عنهم ورضوا فهم الـ — ـقرن المخصص بالتفضيل والجيل
فالمصطفى الشمس والصحب النجوم وان — نوعت فالبحر والصحب الجداويل
فمن لم الهدى وافى النبى متى — وكل شئ له حد وتأجيل
فقام صديقه بالدين لا ضرعا — ولا جزوعا لأمر فيه تهويل
فاخمد الردة العميا وخضد شو — كة النفاق ولم يخدعه تأويل
وقام من بعده الفاروق فاتسع الحـ — ـوض وعم الورى غنم وتنفيل
ولم يفت جيشه روم ولا تتر — ولا بحور ولا بيض يعاليل (١)
ثم تلاه ابن عفان الحيى ابو — عمرو الذى ربعه بالجود ما هول
عثمان البر ذو النورين افضل من — لوفره فى سبيل الله تسهيل
ثم ابو الحسن الليث الغضنفر صنـ — ـو المصطفى الفحل فحل الحرب زهلول (٢)
زوج البتول ابو الاشبال شمس هدى — من نوره العلم مكتوم ومبذول
هم الائمة والصيد الغطارف والشـ — ـم الخلائف والزهر الاماليل
وبعد ذلك توالى النقص وانتثر السـ — ـلك وعاود سيف الدين تفليل
حتى اتانا زمان قد غلت فتن — فيه علينا كما تغلى المراجيل
طال الضلال على دين الهدى فغدت — عيونه وهى عمى منه او حول
هذا ونحن على عد الرمال فلم — تقم له خيلنا ولا الاراجيل
طال الخلاف علينا والتواكل فـ — ـيما بيننا وعلا خزى وتخذيل
امال بعض على بعض والظهر كيـ — ـد الدين بالافك احبار دجاجيل
فالله يجرى قضاء لا مرد له — (وكل ما قدر الرحمان مفعول)
لهفى على الدين بل لهفى على زمن — ثوب الهدى فيه اسمال رعابيل(٣)
لا عاصم اليوم الا من تداركه — برحمة الله لطف منه مسئول
لكن لنا برسول الله معتصم — حام وحبل بحبل الله موصول
يا سيدى يا رسول الله حظ فانا — بصدق ظنى على علياك محمول

١) اليعاليل : جمع اليعلول : وهو الغدير الابيض المطرد .

٢) الزهلول بالضم : جبل

٣) رعابيل : جمع رعبولة : الثوب البالى .

فقـد تكنفني هم بـه جلدى … واه وجسمي معلـول ومهزول
فقل لجيش العدا والهم ان نزلا … هاذاك جارى وان جار فمـه زولوا
واردد لدينك تأييدا يكون به … لوجهه اليوم تبييض وتفسيل
نصرا يزول (الفرنسيس) اللعين به … عنا فعقد اصطبار الناس محلول(١)
ويصبح الثعلب العداء منضويا … الى الوجار لـه وخد وتعسيل (٢)
فنحن منك على علاتنا ولنـا … ركن وثيق من التوحيد محلول(٣)
فارحم وجد واعف يامولاى عن زلل … به على القلب تدنيس وتثقيل
وامـلأ فؤادى بأنواع المنى ويـدى … واحم جنابى فلا يقربه ضليل
وجد بسر وستر دائمين يرى … شملي به وهو ملموم ومشمول
أنت الطبيب الذى منه الشفاء ولى … نفس ظلوم وقلب فيه تجهيل
وقو عزمى عـلى الفعل الجميل فبى … فى الخير بطء وبى فى الشر تعجيل
واشف غليلى بلثم من ثرى حرم … طابت بك الهضب منه والجناديل
برحلة يسعد التوفيق همتهـا … للحـج تطوى بها البيـد المجاهيل
اطوف أسعى أنال الفوز ثم على … ما كان من عوج ما فيه تعديل
أجنى المنى بـ (منى) وانثنى وعلـ … ـىّ من حلى السعد والعليا سرابيل
وأسأل الله لى حسن الختام فمـا … الاّ على فضله المامول تعويل
يا أكرم الخلق هذى خدمتى ولها … عـلى علاتك توغيـل وتطفيـل
أرجو نداك وأرجو أن أنال بها … منك القبول فقل لى انت مقبول
وازت قصيدة كعب فى العروض ولـ … ـكن هل يقابل شمس الصحو قنديل
فكعب كعبك يا خير الانام عـلا … اذ ناله منك تامين وتنويـل
لكن طويت رجائى فى رجاه لكى … لايعترى قصدى المصدوق تعطيل
فأنت بحر تساوى فى ارتياد ندى … جدوى يمينك مفضال ومفضول
ومدحك الدلو يمتاح النوال بـه … والفضل حتم لمن فى باعه طول(٤)
ان السعـادة اقسام مقـدرة … سهم مصيب وسهم فيه تفييل (٥)
ومدحك الكنز لى والذخر ان كنز الـ … ـياقوت والتبر والمرجان واللؤلؤ

---

١) هذا هو شاعرنا طوال حياته ؛ يكافح ببيانه وبلسانه
٢) الوخـد والتعسيل : نوعان من السير .
٣) محلول : أى محلول فيه بمعنى منزول فيه .
٤) متح الماء من البئر بالدلو وامتاحه : اذا نزعه منها .
٥) فيه تفييل : أى لايصيب ؛ وفيّل رأيه خطّأه وقبحه .

منك النوال وبى فقر ولى امل … من غير بالك يا مولاى مبتول (١)
وكيف ابسط كفا بالسؤال الى … مثل فقير لديه الضيف معلول
وذلك الباب باب الله منفتحا … وكل باب سوال الدهر مقفول(٢)
هذا سؤال ولى وسائل فاجز … منى السؤال ومنك البذل والسول
عليك سحب صلاة الله ما طرة … بها ضريحك مطلـول ومبلول
ما جاب وفدك بحر البيد معتسفا … وقد تلفع بالقور المساقيل (٣)
ثم على انجم العليا صحابك من … منهم لدينك تفريع وتاصيـل
والك المصطفين المجتبين بمـا … قد نص من وصفهم بالطهر تنزيل

وقال ايضا اواسط شعبان ١٣٥٣ هـ :

عرج على الحى بين الضال والسمر … فى فسحة الليل بين الوهن والسحر(٤)
واخلس به نظرة بين الخيام ولو … كنغبة الطير بين الأمن والحذر (٥)
واحفظ ذماك لاتذهب به هدرا … ضعيفة الحصر والميثاق والنظر
ثم اصرف الحزم واركب كل ناجية … يسابق الخطو منهـا اللمح بالبصر
واطو الفلا والدجا على المشيح وجد … بخلعة النوم والبس خلعة السهر(٦)
واقصد بهمتك القصـا الى حلل … من حلها حل فى امن من الغير
الى عصور سادة غر هم مطر … لكـل رائـد غيث لا بنو مطر (٧)
هم الكرام الالى يحمون جارهم … فلا يبيت لهم جار على خطر
هم الاسود أسود الغيل ضاربة … هم سادة العرب العرباء من مضر
هم النبى واصحاب النبى وهم … اجل من ينتمى للبدو والحضر
فالى لم عصا التسيار واسل وسل … تنل بلا منة صفوا بلا كدر
فالنزيل لديهم ذمـة ولـه … عز يسامى سمو الانجم الزهر
وقل يا خير خلق الله ضيفك اذ … من وزره خاف جد السير للوزر
وافاك الفى واوفى بالجوار ومن … نادى يا لرسول الله لم يضر
اضحوك للذنب والهم الملم وللـ … ـحر المليم وجور الحادث النكر

---

١) مقطـوع
٢) الذى يقال : مقفل لامقفول على ما يظهر من القاموس ؛ فليراجع .
٣) القور بالضم جمع قارة : الجبال الصغيرة . والمساقيل : السراب .
٤) السمر بفتح فضم : شجر من العضاه . والضال : السدر البرى .
٥) نغب الطائر من الماء ينغب كيفتح اذا حسا حسوة بسرعة .
٦) المشيح : الجد .
٧) قوم من العرب معدّمون .

قلب دعوة مسكين الناخ بـــه   هم وفقر فرى بالناب والظفر
فمد للبحر من جـدواك كف رجا   ما خاب من مدها في الورد والصدر
(فان من جودك الدنيـا وضرتها)   ومن نوالك نول البحر والمطر
ومن سناك سرى نور الوجود الى ال   ـكونـين والنيرين الشمس والقمر
لولاك لم يجر لافلك ولا فلك   ولا بدا مبتد ينمى الى خبر
وجاهك الجاه من يسأل مناه بـــه   يفز ومن يستجر من أزمة يجر
به انطفت نار ابراهيم وانكشفت   به غيابة هم عن أبي البشر
وفي القيامة يوم الحشر قمت بها   اذ خاف من غضب الجبار كل برى
وقلت اذ خام كل الشافعين انـا   لها فلم تبق من فخر لمفتخر (١)
أرسلت بالرحمة الهامى حياها على   كـل الانـام بمنهـل ومنهمر
بنورك انفتحت غلف القلوب الى   ايمانها ثم لم ترتب ولم تحر
وجئت بالمعجزات الغر ليس بها   خفا على أحد الا على البقر
اما كفى شق بدر فلقتين وهل   يقول سحر جرى للبدر غير جرى٢
أما عدت سرحة الوادى اليك وقد   دعوتها ثم عـادت بعد للاثر (٣)
أما تشهد ضب بل اما ضرعت   غزالة وكفاها اللطف من حجر
أما الكتاب كتاب الله أعجز ان :   يماثلوه ولو في أقصر السور
اما تصدى له كذابهم فعوى   وباء بالخزى لما فاه بالهـذر
اما تمادت قريش في الجفا أنفا   فأذعنوا لصليل الصارم الذكر (٤)
الم تبادرهم (بـدر) بفاقرة   جافت بها جوفهم في الاجوف القعر
ثم استجاشوا الى عينين فانصرفوا   بالخزى من بعد وخز النبل في الدبر ٥
وبعد ذاك استعانوا باليهود على   كيد فيا خسرات الخائن الغدر (٦)
فانزل الله جند النصر من ملك   ومن صبا فأراهم عز مقتدر
واسلموا للردى احلافهم فقضت   على دماهم سيوف الله بالهدر
ويوم مكة يوم الفتح اذ نزلت   عليك من ربك الآيات بالبشر
فجئت بالخيل خيل الله ترفل من   زهـو بعزتها وضاحـة الغرر

١) خام عن الشيء : جبن عنه ونكص
٢) جرى أي جريء .
٣) السرحة : الشجرة الطويلة
٤) الذكر من السيوف أجودها . وصليل السيف : صوته ان ضرب به
٥) الى عينين . هكذا . ولم أدر المقصود به
٦) غدر كعمر : كثير الغدر . ويقصد بهذه الصيغة الشتم

فحطمت من تصدى للنضال وما   لطمها غير خمر الخود بالخمر (١)
وطهر الله بيت الله من قذر   وانتفى من دولة الاوثان والصور
وقابل المصطفى برا ومرحمة   ذاك الجفاء بعفو عنه عفو سرى (٢)
وفي (حنين) دعـا للحرب حينهـم   (هوازن) فتداعوا جمع منكسر
فصدقتهم سيوف الله عادتها   ضربا بأيدي كرام في الوغى صبر
فعاد مالكهم عبدا وفر (بنو   نصر) فما نصرهم يوما بمنتصر(٣)
ففاض نور الهدى وعم ملك رسو   ل الله من(سوس) الاقصى الى(تتر)

***

يا سيدي يا رسول الله انى ذو   وجد الى مدحك الذاكي الشذا العطر
وزاد قليل ولا يروى القليل سوى   تكرار ذكرك في الآصال والبكر
ارجو بذلك لي وسيلة لغنى   فقري وكشف شجبى في القلب مستعر
وهمتي ورجائي في رجائك وفي   شفاعـة اقتفى بجاهها وطرى
وان أجيل جوادي في مدى مـلا   نالوا بمدحك اعلى رتبة الخطر
أروم جرى المذاكي لـو يطاوعني   قول ولكن عدتني وصمة الحصر(٤)
فحلت خلف جياد القوم ذا عرج   فلم اقف رغبة عنهم ولم اسر
فكيف لي ولهم بنيل غاية ما   يحق كلا ولا بالنزر ومن عثر
أبعد مدح كتاب الله يامل ان   ياتى بـه عاجز في القول والفكر
وجملة القول ان الحسن أجمع والا   حسان فيك فهذا جهد مقتصر
فذاك استأثر ذوو الاوصاف ما لهم   من الكمالات في الاخلاق والصور
وجه منير وجسم ناضر وشذا   كالمسك والطرف معمور من الخفر ٥
واللون أزهر والفرع الغدافي والـ   ـمارن أقنى ونظم الثغر كالدرر ٦
والمس مس حرير زانه ترف   وقامة بين فرط الطول والقصر
جسم تجسد من نور وركب من   فضل ولكنه من جملة البشر

١) الخود بالضم جمع خود بالفتح : الجميلة من النساء . والخمر بضمتين جمع خمار .
٢) السري : الشريف
٣) مالك رئيس هوزان يوم حنين
٤) المذاكي جمع مذكى بضم ففتح : من الخيل ما تم سنه وكملت قوته . والحصر محركا : العي في الكلام .
٥) الخفر محركا : شدة الحياء .
٦) يقصد بالفرع الغدافي : الشعر الاسود .

سبحان من صاغه فردا بلا شبه   فى الخلق والخلق والتهذيب والسير
وخصه بالمزايا الغر من كرم   الى وقار ومن علم الى ظفر
وفاتحا خاتما ان حام حول ندى   سواه طير رجا يقع ولم يطر
وخصه كرما بامة شرفت   بالعدل فى الحالتين النفع والضرر
وبالصحابة أسد الغاب همتهم   ذب عن الدين لا حرب على الحبر
وبالوزيرين خير المومنين ابى   بكر وفتاح أمصار العدا عمر
وبالشهيد شهيد ا لدار سيدنا   عثمان من زنده بالمكرمات ورى
وبعل أبى البسطين ليث وغى   يفرى لدى الحرب بالصمصام خيرفرى
يا رب بالمصطفى يسر زيارته   فى صحة وغنى وفسحة العمر
واقض حوائجنا طرا موفرة   فأنت أكرم مسؤول لمفتقر
واغفر ما ثم لاتحصى وجد كرما   بجبر قلب بثقل الوزر منكسر
واغننا وقنا شر العدا واذى   كل حسود وجبار وذى بطر
وارنا ما يسر فى البنين وفى   دين ودنيا واسعد بقضا الوطر
والطف بنا يا لطيفا بالعباد ومت   ع ما حييت بحفظ السمع والبصر
واقبل وسيلتنا الى النبى بجا   ه المصطفى خير مامول ومدخر
وصل صلاة الرضا منهلة أبدا   تهمى عليه مدى الايام والعصر
ثم على ءاله الغر الميامين والصـ   ـحب الكرام وكل التابعى الاثر
ما هب نفح صبا نجد على زهر   وأيقظ البرق وهنا راقد السمر ١
وماسرى الركب يحدوه الغرام الى   أرض (الحجاز) فعاد تاجج السفر

ثم قال أيضا رحمه الله ءاخر شعبان ١٣٥٣ هـ :

قفا نجر سفح الدمع فى سفح منزل   نأت عنه بيض خلفته بمعزل
عفت ءايه أيدى رياح تلاعبت   بـه لعب الافكـــار بالمتغزل
وبدل بعد البيض بالكدر جثما   وبالعفر من ريم وغيداء مطفل (٢)
قفا واسألا اطلاله أين خيمت   أبالجزع أم حلت بحومة (حومل)
فـان عميت أنباؤها فتنسمن   شذا عرفها النمام من ذيل شمال
وشيما سناها ان تألق بارق   بجنح الدجا فى العارض المتهلهل

١) يقول المعرى فى قصيدته الرائية :
ياسارى البرق أيقظ راقد السمر   لعـل بالجزع أعـوانا عـلى السهر
٢) وبدل الخ : أى حل محل النساء البيض . الكدر من القطا وهى غبراء اللون . والعفر جمع أعفر : نوع من الظباء وهو أضعفها عدوا . والريم : الظبى الابيض . والغيداء : من فى عنقها غيد كقمر وهو طول فى العنق يستحسن فى النساء . ومطفل ذات طفل .

رمى الله كوم الشدقميات بالوجى   والهند فى لبانها ضرب منصل (١)
فكم غربت من شمس خدر فادلجت   على غرة فى الهودج المتحمل
وكم سملت عينا بسهد وخلفت   طليح النوى فى كل بيداء مجهل (٢)
وكم عاشق أغلت غليل فؤاده   بحر النوى لما سرت غسل مرجل
فكم سافرت ليلا بليل فاودعت   بقيس جنونا ليس عنه بمنجل
فما الشؤم الا الكوم ما للنوى سوى   سراها فما شكوى غراب واخيل(٣)
فاقسم لا اصفى أمونا مودة   وان كرمت فى اعين المتامل (٤)
فما ذنبها عندى بمغتفر ؛ ولا   جناها بمنسى لـدى ومغفل
الى أن تمطى ما جئته برحلة   ازيح بها الهم الملم فينجلى
اجوب بها البيداء بالنص تارة   وبالوخد اخرى او بتقريب تنقل ٥
وتفرى اديم الدو فريا وتنبرى   كسيد الغضا أو كالهجف المجفل ٦
الى ان تحط الرحل فى حرم به   محط لاوزار المنى المتقبل
حمى البيت بيت الله والكعبة التى   بدت كعروس تحت ستر مذيل
اذا اشرقت اعشى العيون جمالها   ونور كتاج فوق هام مكلل
به الحجر والمسعى ومروة والصفا   وزمزم الشفاء اشرف منهل
وملتزم الرضوان والحجر الذى   تقبله أحبب بـه من مقبل
وجمع وخيف والمشاعر والذى   به النحر كم هدى هنالك مجدل
ومهما قضت تلك اللبانة ارقلت   لـ (طيبة) تطوى مرحلا بعد مرحل
الى ان ترى شمس النبوة اشرقت   بمنزل سعد فيه اكرم منزل
فعندئذ تستوجب الشكر ثم لا   يحل لها ظهر لرحل وماكل
فليس جزا من قربت خير منزل   سوى الرعى فى روض اريض مظلل
فيا (طيبة) طابت لساكنك المنى   وقرت لهم عين بكل مؤمل
ودر لهم در السعادة والهنا   وعز الغنى حتى يرى كلهم ملى(٧)

١) كوم جمع كوماء : الناقة السمينة . والشدقميات : ضرب من الابل . والمنصل : السيف . وغربه : حده .
٢) سمل عينه : فقأها . وطليح : أعيا وتعب فهو طليح . والبيداء المجهل : القفر الذى لا أنيس فيه ولا طرق .
٣) الاخيل : طائر مشؤوم
٤) الامون بالفتح : المطية المامونة العثار
٥) النص والوخد والتقريب : انواع من السير . والتنقل : الثعلب .
٦) الدو : الفلاة . والسيد بالكسر : الذيب . والغضا الغابة . والهجف كملف : الظليم المسن .
٧) الملى : الغنى

فانهم جيران اكرم سيـــد   ففضلهم نـــام وكعبهم عــــل
يرون رسول الله فى كل ساعـة   فسرحهم من رعيه غير مهمل
ويحمى حماهم من أذى كل مارق   وعات وعاث عاجل او مؤجل
ليهنهم الفضل الذى أحرزوا فما   على الارض اولى منهم بالهنا الجـل
فياليتنى أمسيت فى ظل (طيبة)   نزيلا فيقريني الرضا خير مرسل
وأنعم بالا كلما شفنى ظمـا   سقاني ويكسوني سوى ملبسي البلى
وان تربت كفى فمن كفه الغنـا   ومن عزه ان شانئي عطل حلى (١)
وان طال ليل الهم عندى فقل لـه   (ألا أيها الليل الطويل الا انجلى)
ألا يا رسول الله مدحك ان جرى   (نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل)٢
وفى لهوات المستهام عـلى الظما   زلال مدوف بالرحيق السلسل (٣)
وانى على عيي وفرط فهاهتي   لمحتبس فكري عليـه وانمـل
فان رام ان يثنى عنانى ناصح   مدل اقل (ويح الشجى من الخلى)(٤)
يصدُّ صد عن ماء صدى وقد غلا   عليـه غليل فى هجير بهوجل (٥)
فمدح رسول الله راحى وراحتى   فليس فؤادي عن هواه بمنسل
فيا شرفى ان يرضني عبده عـلى   عيوبى ويا فوزى بسعد مؤصل
هنـاك اقـل للفاطمين نـداهم   (افاطم مهلا بعض هذا التدلل)
فكل نوال من سواه وان أتى   أخس وادنى من انابيش عنصل ٦
سواه بحكم اليأس عندى من دنا   ومن بان أو من قد تناءى ومن ولى
اذا رضى المولى وجاد فكل من   على الارض موزون بحبة خردل
فجود رسول الله ذخرى وجاهـه   اذا راعنى خطب حماى ومعقلى
فتحصيل ذخر الوفر من غير بابه   عنـاء وتحصيل بغيـر محصل
فلا جاه الاّ جاه أحمد يرتجى   لكل سعيد من غنى ومرمل
فما رحمة تأتى من الله عن يدى   سواه ومن يجحد سنا الحق يخذل
به أنبياء الله طرا توسلوا   فمن دونهم من عابد متبتـل
لعزتـه القعسا تقـاصر قيصر   وكسر كسرى كسرة لم تزيل

١) تربت كفرح : افتقر .
٢) الشطران الاخيران من معلقة امرء القيس .
٣) مدوف : مخلوط
٤) هذا مثل . والشجى : المشغول البال . والخلى : الخالى من الهم
٥) الصَّدِى والصديان : العطشان . وصُدَّى كنعمى بضم الصاد وتشديد الدال : ماء عذب معروف عند العرب . والهوجل : المفازة لاعلم بها
٦) أنابيش عنصل أى أصولـه والعنصل بضمتين : البصل البرى .

فايوانه قد هد ساعة وضعه   وكان على ما صح اعظم هيكل
واخمد نار الفرس من غير علة   ومذ ألف عام قبل لم تتعطل
ومن رشده قبل النبوة انــه   بغـار (حراء) للتحنث يختلى (١)
فلما أراد الله اظهـار سره   أتاه أمين الوحى جبريل من على
فاقرأه مـا فيه قرة عينـه   وان فاجأتـه روعـة التزمـل
فقام رسول الله يدعو الى الهدى   بأمر ونهى جاهدا غير مؤتل (٢)
فصدقـه الصـديـق أول مرة   وخير النسا خديجة والفتى على
وتابعهم من شايع الحق فاهتدى   وجاهر بالعـدوان كل مضلل
ومن بره عانى العـدا اذ عناه ان   يفيئوا الى نـور الكتاب المفصل
فلما عموا غيا وصموا وصمموا   وأفحش منهم كل نذل وارذل
تحاماهم هجرا لأرحب منـزل   باذن ولـولا الله لم يتحـول
فحل على قوم وفوا لنبيهم   وفاء بـه ينسى وفاء (السموال)
بنى (قيلة) الأقيال ان صمموا على   قراع العدا ذابت لهم صم يذبل(٣)
وهاجر بعد المصطفى كل مومن   كريم معم فى العشيرة مخول
فأذن أمر الله لمـا تزيلوا   بمثل ظبا العضبين سيف ومقول
فجاهدهم خيـر الورى بضراغم   سراع الى نار الوغى غير خذل
بكـل طمر اعـوجى مضمر   وكل ابى باسل غير اعزل (٤)
فـذاق عـداة الله سوط عذابـه   بأيدى أسود غابها سمر ذبل (٥)
فكم فتكة بكر فسل ان جهلتها   ابا الجهل عن جهل الحسام المصقل
وسل شيبة عن حمزة وبلائه   ووجه له عنـد اللقا متهلل
وسل عمرو ودٍّ عن على يجبك عن   فتى غـير رعديد بصير بمقتل (٦)
وسل مرحبا أيضا فقد رحبت به   صوارم ندب شب غير مهبل
وسل مكة عن فتحها بقنابل   من الخيل قبل فوقها كـل اجدل
كتائب فيهـا المصطفى بدر هالـة   واصحابه شهب بليلة قسطل (٧)
تداعوا الى أم القرى أمهم كما   تداعت ورود جحفـلا بعـد جحفل

١) التحنث : التعبد
٢) المؤتل : المقصر
٣) يذبل : جبـــل
٤) الطمر : بكسر الطاء والميم والراء المشددة : الجواد الكريم .
٥) غابها أى غابتها . سمر أى رماح . ذبل أى دقيقة .
٦) عَمْرو ودٌّ هو الفارس الذى بارزه على فى الخندق .
٧) القسطل : الغبار الساطع فى الحرب

فاكدت (كدى) من كل اجرد سابح   متى ما ترق العين فيه تسهل (١)
فمن احمر ورد وابيض ناصع   وأدهم غربيب أغر محجل (٢)
تظللها رايات نصر متى تمل   خوافقها ريح الصبا تتميل
وسل عن (حنين) محصنات هوازن   وما ذا رأت من كل أجرد أبسل
أما لفحت نار الوطيس رجالها   وشكت بناب في فم الرمح أعصل ٣
ومزق مسنون الظبا حلل الظبا   لدى السبي (الا لبسة المتفضل)
واذهلها ما جاءها عن نفوسها   (وعن كل طفل ذى تمائل مغيل) ٤
فلانت قناة الجهل وانفل حده   وحلت عرا حبل الضلال المفتل
وعز نصاب الدين واخضر عوده   وذل مصاب الكفر اى تذلل
وأيد رب العرش بالنصر عبده   ومكنه العز الذى لم يحول
واعلاه فوق الخلق قدرا كما علا   الى العرش في جنح من الليل مسبل
سرى راكبا متن البراق مدللا   ولولا وقار المصطفى لم يذلل
ورافقه جبريل فارتقيا الى   مقام لغير المرتضى لم يؤهل
فنال مقام القرب غير مكيف   وفاز بوصل سره لم يفصل
فعاد وستر الليل باق وثوبه   من الفجر لم ينضح بماء فيغسل
فيا عجبا شمس سرت في الدجا وقد
عهدنا الدجا أن تطلع الشمس يعزل (٥)
الا يا رسول الله مدحك لايفى   به وصف قول موجز أو مطول
ولكن رأيت المادحين توصلوا   به لا بتنا ركن من المجد معتل
فسرت بجهد خلفهم فلعلنى   افوز كما فازوا بمجد مؤثل
اما بقصيد من زهير هوازن   مننت بسبيى لم تذل بتبذل
وجدت على كعب بعفو وبردة   فيا سعد كعب بالهنا والتمول (٦)

---

١) كدى : محل بمكة . أكدت : وطئت
٢) غربيب : أسود
٣) ناب أعصل : معوج اصالة . عصل كفرح .
٤) الطفل المغيل : الذى رضع من أمه لبنا وهى حامل (الشطر من المعلقة)
٥) انتقد بعضهم كلمة يعزل . فقال الاولى ينجلى . فقلت له لو سمع الشيخ ما قلته لقبله على عادته رحمه الله .
٦) لعله يعنى بالتمول . ما حصل لكعب لما بيعت البردة لمعاوية بمال جزيل .

وذا شرف الدين الابوصير ناله   بمدحك بر من عطال معطل (١)
وحاشاك ياخير الورى ان اخيب من   نداك وقد أدليت دلو التوسل
فجد بقبول مسعد وارض خدمتى   على علتى فالعفو منك معول
واول غنى لا فقر يتبعه وصن   محيا رجاى من مقام التذلل
وثبت على صدق اليقين عقيدتى   كتثبيت من اصفى ولم يتأول
وكن لى مجيرا من ذنوبى فانها   (اناخت باعجاز وناءت بكلكل)(٢)
ومن حادث كالليل ارخى سدوله   (على بانواع الهموم ليبتلى)
فجودك مكنوزى ؛ وجاهك عدتى   وحبك ترياقى ؛ ومدحك مندلى (٣)
عليك صلاة يفعم الكون نورها   وتهمى كمنهل من الغيث مسبل
تطبق انحاء الزمان مضيها   وحالا وءات ءاخرا بعد اول
وتشمل كل الصحب من نصروا ومن   أووا فنسوا (ذكرى حبيب ومنزل) ٤
وءالك من خصوا بقرباك فاعتنت   بمدحهم اى الكتاب المنزل
ومن دان دين الله من كل تابع   ومن بعدهم من عابد ومهلل
الى ان يتم الدهر دورا وينقضى   ويبقى دوام الملك للصمد العلى

وقال ايضا رحمه الله ٤ رمضان ١٣٥٣ هـ :

بارق الرقمتين جد ائتلاقا   فجفونى القرحى ابت ان تلاقى
ذكرت بك ثغر سلمى فاذرت   كعقيق تقلدته السياقا
واسق عهد الحمى فديتك عهدا   يوسع البان والغضا ايراقا (٥)
فالنوى قد ضنت عليه بدمعى   وعدت عنه نوءه الغيداقا (٦)
يا رعى الله عهده كم سقانى   من مدام الغرام كاسا دهاقا
حين ورد الشباب ما رنقت الـ   ـداء شيب زلاله الرقراقا
ليت شعرى هل تبلغنى الى الجز   ع امون لاتسام الاعناقا (٧)

---

١) الابوصير بحذف ياء النسب . والاستغناء عنها بالكسرة
٢) الشطران الاخيران من هذين البيتين معلقة امرء القيس . والكلكل من البعير : صدره
٣) المندل بفتحتين : العود الذى يتبخر به
٤) هذا مأخوذ من أول المعلقة (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) وهذا تضمين حلو
٥) العهد الثانى : السحاب
٦) الغيداق : الكريم . وضمن بالضاد الساقطة : بخلت
٧) الامون : الناقة المأمونة العثار . والاعناق : نوع من السير؛ من اعنق

فارى من خدى لنعلك نعلا   وحياتى لك الفدا يا ناقــا

حادى العيس قف علىّ بها كى   تنطفى غلتى فسوقك شاقا

ان يكن صدنى قضاء ـ وعوقـ   يت ـ عن السير (للحجاز) وعاقا

فاقر منى السلام اكرم من حـ   ـل وثاقـا وفتـح الاغلاقا

سيدى موئـلى ملاذى غياثى   ان دهى حادث وضاق نطاقا

أحمد المرتجى واكرم من آز   جى مشوق الى نـداه النياقـا

أفضل الخلق رحمة الحق عين الصـ   ـدق أوفى من عاقد الميثاقا

اكمـل العالمين أغزرهم كـ   ـفا وأنـداهم نـدى دفاقـا

أن يصل بالحسام جدل من لا   قى وان جاد فتل الاملاقا

أو يسابق فى كل مكرمة جلـ   ـى وأوفى قـدرا وحاز السباقا

أو يبـارى الغمام والبحر والر   يح أقرت بأنه قد فاقـا

أو يقابل شمسا تضاءلت الشمـ   ـس أو البدر بزه الاشراقـا

وافد الرسل شافع الخلق فى يو   م تناهى هولا وكظ خناقا

النبى الامى من بشرت قبـ   ـل به الرسل فاسأل الاوراقا

بعثت عند بعثه الشهب كى تمـ   ـنع كل الموارد الاستراقا

وسرى فى الدجا الى قاب قوسيـ   ـن ونور سيره الافـاقـا

قدمته الاملاك تقديم مخـدو   م عزيز وأركبـوه البراقـا

أيـد الله عبده بالصبا فالنـ   ـصر يماشى لـواءه الخفاقـا

كم تداعى العـدا اليه اغتيالا   فحماه وأخفقـوا اخفاقـا

وحباه بالصحب اسد الشرى أبسـ   ـل من عانق الرماح اعتناقا

أكرم الناس أشجع الناس أوفى النـ   ـاس عهـدا أجلهم أعراقا

ان دعوا اعنقوا الى الحرب اعنا   قا وقدّوا من العدا أعناقا

قد أعدوا للحرب قبا عتاقا   وطو الاسمرا وبيضا رقاقا (١)

صدقوا الله وعدهم وأعزوا   نصر خير الورى وشاقوا الشقاقا

هاجروا ناصروا سخوا بنفوس   فى رضا الله أحسنو الانفاقا

جاهدوا الكفر والنفـاق الى أن   أخمدوا الكفر كله والنفاقا

رضى الله عنهم ورضوا عنـ   ـه وتقوا وطهّروا أخلاقا

فهم خير أمة أخرجت للنا   س نصّ يعمهـم اطـلاقـا

أشهد الله اننى مخلص فى   حبهم لم ازل لهم مشتاقا

(١) جمع أقب ؛ والقبَب : دقة الخصر وخمور البطن ـ

ارتجى وصلة بهم لرضا اللـ   ـه فهم خير من حبا الارفاقا

يا نبى الهدى دعاه بشوق   شفه الوجد والغرام احتراقا

سائل يرتجى لدالك ويخشى   ذنبـه فهو راجف اشفاقـا

عبد رق لايبتغى منك الا   من لظى النار ان يرى اعتاقا

جئت مستشفعا وقدمت هذى   بنت فكر تبغى القبول صداقا

زانها حلى مدحك المنتقى اذ   تخذتـه قـلادة ونطـاقـا

ليت شعرى متى ارى (طيبة) الطـ   ـيب فارمى نفسى بها استنشاقا

ومتى اجتـلى محيـا رباهـا   مستشيما ترابها البراقا

ومتى من رضاب (زرقائها) ار   وى فاحبب بـه الىّ مذاقا (١)

أعزمات ان لا ازال مذيلا   لـم دمعـا يقرح الامـاقـا

فعل مثلها يذال مصون الـ   ـدمع لاملعب اجد الفراقا

واحيى خير الورى من قريب   لازمـا من حيائه الاطرافـا

ثم آتى (الصديق) خير رفيق   ذاب وجدا بعد النبى واشتياقا

ثم آتى (الفاروق) من خاف ابلـ   ـيس عصاه ففر منه اباقا

ثم ادعـو فانثنى وفـؤادى   قد صحا من همومه وافاقا

يا أجل الورى ويا خير مامو   ل لعاف دعاه ما لن يطاقا

هب لفقرى نداك وارحم بفضل الـ   ـعفو دمعا بوجنتى مراقا

فعليك الصلاة ما حثحث الحا   دى باشواقه اليك الرفاقا

وسلام يزرى بنفـح نسيم   زار روض الربا فرق وراقا

وعلى الآل والصحابة من سـ   ـد من الدين بالرماح الرواقا

مـا دعا الله مومن فكفاه   وحمـاه ودرر الارزاقـا

وقال ايضا رضى الله عنه فى سابع رمضان ١٣٥٣ هـ :

سرى طيف سلمى فسل ما اثارا   أثـار دموعـا واورى أوارا

سرى يخبط الليل حتى اغا   رّ على سرح نومى الاّ غرارا

تحمـل أنبـاء من دونهـا   قفـار تضل القطا والقطارا

فذاع شذاها فمنه النسيـ   ـم رق من الغيظ والغار غارا (٢)

نشدتك بالله يـا طيفهـا   اذا ما استطعت فشن المزارا

لتنعش قلبا جرى بالهـوا   ن حكم الغرام عليه وجارا

والاّ فقل لى متى اجتلى   برغم الرقيب سناها جهارا

١) الزرقاء عين مشهورة فى المدينة المنورة ـ

٢) الغار : نبت طيب بالحجاز

وهـل تبلغني بنات المهـا … ر أولا فقوداء بنت المهارى (١)
فلى عزمة لو يساعدنى … عليها القضاء وأعطى الخيارا
فما فاز بالعز الا جسو … ر على جسرة لاتهاب القفارا (٢)
تناجى السها فى السرى سحرا … وتغدو تبارى النهار النهارا (٣)
وتهجر ظل الغضا فى الهجيـ … ـر اذا ما الظليم من الحر حارا
يقـوم بارواثهـا مـا جرى … من الدمع فى مقلتى انفجارا
وتفرى أديم الفلا بخطا … ترى الميل ميلا لديها اختصارا ٤
تكـاد تطـير اذا سمعت … بذكر الحمى أو تـذوب انفطارا
الى أن ترى (شامة) و (الطفيـ … ـل) وترعى الخزامى به والعرارا ٥
وتهوى الى (مكـة) وترى … من البيت نـور البهاء استنارا
سنا الكعبة البيت يا سعد من … تطوف حجابهـا واعتمـارا
واروى بزمزم مـا شفـه … أواما واصلى حشاه استعارا
وقبـل شامة ذات الستـو … ر وعم الجميع جدارا جدارا
واوفى الى جبـل (عرفـا … ت) فحط هناك ذنوبا كبارا
وبات بـ (جمـع) وسار الى … (منى) ثم جد ليرمى الجمارا
فحل وحل عن القلب مـا … عنـاه واصلى الجوانـح نارا
ومن بعـده زمهـا راحـلا … لـ (طيبة) يدعو البدار البدارا
فيطوى الفلا والدجا طى من … يفل غرار الدواهى اصطبارا
الى أن يرى سعفات النخيـ … ـل ويبصر نورا عـلا أو منارا
ويسجد شكرا وينثر من … دمـوع باثر القطار النثارا
فينزل عنهـا ويمسح عـن … مناسمها بالجفون الغبـارا
ويدنو فيشدو السلام السلا … م عليك أيا أرحب الناس دارا
أيا خير من حملت نجب … اليه نشاوى الغرام سكارى
ويا خير من حام طير الدجا … رواحـا عـلى بابه وابتكارا

١) القوداء : الناقة الذلول المنقادة . والمهارى بالفتح جمع مهرية : وهى ابل تنسب الى مهرة بن حيدان من عرب اليمن قالوا انها كانت لايعدل بها شيء فى سرعة جريانها . والمهار بالكسر جمع مهرة بالضم : الفرس
٢) الجسرة بالفتح : الناقة القوية
٣) النهار بالفتح : فرخ القطا
٤) الميل الثانى : المرود الذى يكتحل به
٥) شامة وطفيل : جبلان فى مكة . والعرار بالفتح شجر أو نبت .

ويا رحمة الله يا سيـدا … سما شرفا وتعالى نجارا
ويـا فاتحـا خاتمـا هاديا … لنور هدى ليس يخشى سرارا
ويـا اوجه الشافعين ويـا … اعز الانـام نزيـلا وجـارا
اتيناك نرجو النـدى كرما … ونشكـو ذنوبا كبارا غزارا
فمن بمـا نرتجيه وجـد … بعفـو يقى ويقيـل العثارا
فجودك اعدى البحار الندى … ونورك اعدى الدرارى ازدهارا
وانت الشفيع المشفع فـى … مواقف هول لقاه استطارا
واشفق كل رسول فمـا … يرى الكل الا اليك الفرارا
فقمت مقـام عزيز كـر … يم على الله مهما استجار اجارا
وانـت وسيلـة آدم اذ … رأى اسمك فى العرش خط جهارا
واطفات نـار الخليـل بنـو … ر وجهك لما استطارت شرارا
وموسى بن عمران نجيته … ومن معه اذ فلقت البحـارا
ونورك اعشى عيون اليهـو … د ونجى المسيح الكريم فطارا
ويمنـك رد الاحابش عـن … حمى (مكة) شرفت ان تضارا
وفضلـك شرف كـل بنى … معـد وخص عـلاه نزارا
وحين ولـدت سعيدا عـلا … سناك علـوا وطـار مطـارا
واطفى المجوس خمود اللهيـ … ـب وغيض البحيرة والنهر غارا
واهل كسرى تداعى البنا … ء ورؤيا المنام فذل انكسارا
وبنـاك سعدية سعـدت … بيمن يمينـا ويسر يسارا
وحين بلغت اشدك جا … ء جبريل جهرا ولم يتوارا
فرامت خديجة خـير النسا … ء علم اليقين فماطت خمارا
فلما استبانت غـدت لعـلا … ك خير وزير وشدت ازارا
وقمت بما امـر الله لـم … تحاب قريبا ولم تخش عارا
فايـدك الله بالمؤمنيـ … ـن وبالنصر ان تدع لبى ابتدارا
وبالمعجزات كفـار حمـا … ك نفسى فـدا ذلك الغار غارا
وحسب سراقة واها لـه … بشارته ان سيكسى السوارا ١
ونطق بعير وظبى ومـا … جرى من نمير بكفيك فـارا
وجـذل النار وجـذع نايـ … ـت عنه فحن وان وخارا
ولما امرت بسـل الظبـا … حللت الحبى وسننت الشفارا
واغريت بالحرب كـل فتى … جرىء الجنان فشنوا المغارا

١) واها : كلمة تعجب من طيب الشيء

ففي (بدر) قد ثار بدرهم ... فلله بدر بسعدك ثارا
واضحى قليب العدا زبية ... وصاروا على الخسف فيه يعارا ١
فأضحت قريش كثعلبة ... رات لبوة فاستكنت وجارا (٢)
فكم من هزيم وكم من سليـ ... ـب وكم من قتيل وكم من اسارى
الى غيرها من مواطن قد ... همى وابل النصر فيها انهمارا
كسا الصحب فيها محيا الهدى ... بياضا وبيض السيوف احمرارا
اذا ظمئت صم سمرهم ... سقوها دماء الاعادى عقارا (٣)
وان غرثت قب خيلهم ... قروها قحوف الكماة مقارى (٤)
خفاف اذا سمعوا هيعة ... وفى السلم صم الجبال وقارا
فلله هم نجدة وندى ... فان شئت ماء وان شئت نارا
أعزوا الهدى وأذلوا العدا ... وكفوا الغرور وسلوا الغرارا
فكانوا الحماة وكانوا الكما ... ة وكانوا الهداة وكانوا الخيارا
بجاههم يا أجل الورى ... أجرنا أجرنا اذا الخطب جارا
ولبِّ نداءنا سريعا فقد ... مددنا الاكف اليك افتقارا
ولا تخز بالرد هذا القصيـ ... ـد وان كان لا يستحق اعتبارا
فجودك كالبحر يقبل من ... أتاه وان كان فى السوم بارا
فانا أتيناك نرجو الندى ... ونخشى الردى فبقينا حيارى
فبين القنوط وبين الرجا ... نموت مرارا ونحيا مرارا
وجاهك ليس يضام به ... دخيل وجودك ليس يبارى
عليك صلاة اله علا ... بك السبع حيث حمدت المزارا
وآلك والصحب من نصروا ... ومن هجروا فى رضاك الديارا
تؤمك ما صاب قطر الحيا ... وما لاح برق فاورى اوارا

وقال أيضا رضى الله عنه فى ١٣ رمضان ١٣٥٣ هـ :

اذا أغبرت الارجاء من آلهاشم ... بوارق غيث من ربا آل هاشم (٥)

١) يعار بالكسر جمع يَعْر : وهو الجدى الذى يربط عند زبية الاسد أو الذئب فاذا سمع الذئب صوته جاء ليفترسه فوقع فى الزبية
٢) اللبوة : أنثى الاسد . والوجار بالكسر : جحر الضبع وغيرها
٣) العقار بالضم : اسم من اسماء الخمر
٤) الخيل القُبُّ : الضامرة البطون . والقحوف جمع قحف بالكسر : وهو ما انفلق من الجمجمة . ومقارى جمع مقراة بالكسر : أى القصعة . وغرث كفرح : جاع .
٥) شام البرق يشيمه : نظر اليه أين يتجه . والآل : السراب

سحائب غيث الفضل اطواد سؤدد ... شموس الهدى ازهار روض المكارم
خلاصة عدنان ونضر وغالب ... واشرف شعب من قريش الاعاظم
حماة حمى البطحاء سادة (مكة) ... اجاود شاو المجد دون مزاحم (١)
قبيل رسول الله اكرم باسرة ... سموا برسول الله فوق النعائم (٢)
عليه صلاة الله ثم عليهم ... صلاة تبارى هاطلات الغمائم
فحمزة سيف الله عم نبيه ... اعز فتى للكافرين مراغم
شهيد فدته النفس خير مضمخ ... بمسك دم يزرى بمسك اللطائم (٣)
سخا بنفيس النفس فابتاع جنة ... لمبتاعها البشرى بها والمساوم
فجل على قلب النبى مصابه ... وقل له سكب الدموع السواجم
لذا لم نزل فى كل قلب كآبة ... عليه ولا انفضت نوادى المآتم
عليه من الله الرضا ما انحنت ... على فقد سقب جازعات الروائم ٤
وعباس من يستنزل الغيث جاهه ... ابو الفضل فعدود الملوك الاكارم
معظم كل المؤمنين محبب ... الى كل قلب من اذى الضغن سالم
عصابة خير الخلق حائز اجره ... فيا لك ذخرا ما له من مقاوم
وجعفر الطيار ذو الهجرتين من ... يكنى ابا المسكين جم المراحم
أمير شهيد صارم متبصر ... بـ(موتة) اذ جاشت لئام الاعاجم ٥
تلقى صدور المشرفيات والقنا ... بصدر رحيب للواء ملازم
الى ان تلقته الملائك طائرا ... بريش محل من دم بالعنادم (٦)
ومن ذا كمولانا على شقيقه ... ابى الحسن القرم البعيد العزائم
معز الهدى سم العدا واسع الندى ... منير الهدى مردى الكماة الضراغم
فمولاه من سيف ومن أسد ومن ... فتى هاشمى للجماجم هاشم
امام الورى باب العلوم ابر من ... جثا اذ يقوم العدل بين المخاصم
ابو الحسنين الفرقدين سلالتى ... نبى الهدى يا طيب زهر الكمائم
[illegible] سيوف البغى نفسى فداهما ... وتبا وخسرانا لاظلم ظالم

١) اجاود جمع جواد : السخى الكريم
٢) النعائم : منزلة من منازل القمر
٣) اللطائم : جمع لطيمة : نافجة المسك
٤) السقب كمجم : ولد الناقة حين يولد . ورئمت الناقة ولدها : عطفت عليه فهى رائم جمعه روائم
٥) موتة اى غزوة موتة وموتة اسم لأرض بالشام
٦) العندم : نبات يصبغ به

مصابهما انكي وابكي فيا لها   دويهية صكت بادهى العظائم
سمائي مجال أنجم الشرف التي   هي الأمن ما دامت لكل العوالم
ومن كبنى العباس كلهم فتى   عن الحرب أو نار القرى غير خاتم ١
ولاسيما بحر العلوم وحبرها   ومن بسناه يستقي كل عالم
وذلك عبد الله من ساد في الصبا   و (نال الثريا قاعدا غير قائم)
وجارى فبذ في المدى كل سابق   ولا غرو فهو (خازم وابن خازم) ٢
ومن لي بأن أحصى ثنا آل جعفر   جعافر تجرى بالندى المتلاطم (٣)
كرام طمت أيديهم البيض بالندى   وطمت على موج البحور الخضارم ٤
ومن ينس هل أنسى عقيلا وعقله   وافحامه بالجد كل مخاصم
وما طالب الاشأى كل طالب   وفات مدى ادراكه كل رائم (٥)
الى غيرهم من كل اروع سيد   اذا جاد أنسى كل معن وحاتم
نجوم الدجا والمصطفى شمس هالة   وأنوارها تسرى الى كل شائم
بهم كنت استسقى بهم كنت احتمى   اذا خفت من جان يروع وظالم
واستمنح الرضوان من خير مرسل   بجاههم العالى الرفيع الدعائم
ألا يا رسول الله جئتك خائفا   مغبة اجرامي وعقبى مآثمي
بجاه ذوى القربى توسلت فاحمني   فقد أثقل الاعناق حمل المغارم
وجاه ذوات الخدر ازواجك الالى   حوين بستر منك كل المكارم
وجاه البنات الطاهرات رقية   وزينب كلثوم وزهراء فاطم
وجاه البنين الطيبين الشم طاهر   وتاليه ابراهيم من بعد قاسم
وصاحبك الصديق ثانيك اذ حبت   مكانكما في الغار ورق الحمائم
وثانى الخليفتين والعمرين من   أعز الهدى اذ حاز فتح الاقالم
وعثمان ذى النورين أكرم صابر   على ما جرى من جور أهل الجرائم
واربع أركان الخلافة من ارى   جنى زينة الدنيا زهادة صائم

١) خسام : أى حاد ومال
٢) قال اسحاق الموصلي :
اذا مُضَرُ الحمرا كانت أرومتى   وقام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت   يداى الثريا قاعدا غير قائم
٣) الجعفر : النهر الصغير . جمع جعافر
٤) البحور الخضارم : أى الكثيرة المياه . وطما البحر : زخر . وطمّ على الشيء : اذا غمره
٥) شأه : علا منه شأوا ومجدا .

وباقي الصحاب الصيد شهب سما الهدى
تضيء بليل من دجا الجهل عاتم
فيا رب بالمختار اكرم فاتح   لباب الندى الهامى واكمل خاتم
وبالصحب أساد الوغى ان توقدت   صلوها بشؤبوب القنا والصوارم
ومن فاز بالقربى فحاز مزية   من العز اعيت كل ساع وقائم
أنلنا الرضا والفتح والامن والغنى   وعفوا فأنت الله أرحم راحم
وعم بغفران الذنوب مشايخا   وأهلا لنا طرا وكل ملائم
واصلح لنا الابناء والاهل واكفنا   اذى كل جبار وطاغ وغاشم
وصل على الهادى الشفيع وآله   وأصحابه ماشاق حادى الرواسم ١

وقال ايضا رحمه الله في ٢٣ رمضان ١٣٥٣ هـ :

أبرقا بدا من (رامة) يتألق   ترفق فقلبي عاده منك اولق ٢
وجفني اذا ما شام لمحك جاده   من الدمع مسفوح وآخر يخفق
فسهدى وصبري واقع ومحلق   ووجدى وصدرى واسع ومضيق
النائح ذات الطوق في الغصن ان شدت
فلله منا عاطل ومطوق
واهفو الى مر الصبا متنشقا   شذاها ولولا الشوق ما اتنشق
سقى (رامة) و(الجزع) عهد فانأبى   وشح فصوب الدمع مني ريّق ٣
وحيا الحيا ناسا هناك وان نسوا   عهودنا فاني لم أزل أتشوق
مرابع لذات ومأوى جآذر   خرائد من الحاظها الاسد تفرق ٤
مغان لسلمى ان جرى طيب ذكرها   توهمت أن الجو مسك مفتق
رمت بنواها الحادثات فدونها   موام تروع الطيف ان رام يطرق ٥
فلا القلب سال ـ لا سلا ابدا ـ ولا
على البخت يعدى البخت تعدو وتعنق (٦)
فارحلها كالقوس محنية اذا   رمت بسهام السير بيداء ترشق
فآها على قلبي وويل من النوى   فلا الجزع يدنو لى ولا الوجد يرفق

١) الرسيم : نوع من السير
٢) رامة اسم موضع . والاولق : الجنون أو شبهه
٣) الريق ككيّس : وصف للمطر
٤) الجوذر بالضم : الظبي . وفرق كفرح : خاف
٥) الموامى جمع موماة : المفازة الواسعة
٦) قوله على البخت بضم الباء : أى الابل الخراسانية . والبخت (الثانية) بفتح الباء : كلمة فارسية معربة : معناها الحظ . وتعنق : تسرع ؛ من العنق

اذا خطرت لى عزمة شرع الشقا   يؤلف اعذارا وهت ويلفق
ويخدعنى آل من الامل الذى   يعلل نفسا عن صبوح ترقق (١)
فيا حادى الركب المشرق ان تأتى   بى الحظ فاغتمها فانت الموفق
فرافقك الاسعاد واليمن وانطوت   لعزمك موماة وبيداء سملق (٢)
الى أن ترى (سلعا) و (رامة) و (اللوى)
ويدنو من السارى (عقيق) و (ابرق) (٣)
وتلتاح بين النخل أنوار (طيبة)   كما لمع الفجر المنير المرونق
فارخ لها فضل العنان وخلها   وسر بجفون سير من ليس يشفق
ولا تبتذل بالرجل ارضا غبارها   أنم وأذكى من ذرور وآنق (٤)
وسر بوقار بل ان استطعت فلتطر   سرورا فمعذور على النزق شيق
وضع جسمك المضنى على باب خيرمن   لمعروفه المعروف تحدج أينق (٥)
فصل وسلم وادع واشك فان عدا   عن النطق عى فالمدامع أنطق
هناك أذكر العانى فديتك راحما   فقد يرحم العانى المقيد مطلق
وقل يا رسول الله يا من بجاهه   يؤمن مذعور ويطلق موثق
غريب رماه البين رميا فطالما   تمنيه بالوصل الامانى فتخفق
شتيت هوى الامال جسم مغرب   وقلب على رغم البعاد مشرق
فجد بنوال منك ينعشه الى   حماك الذى يرجوه ما دام يرمق
وامدد بتوفيق وعون ورحمة   تعفى ذنوبا عن حماك تعوق
فما لبنى الآثام والفقر والغنا   سواك امرؤ تدعوه أو تتعلق
فمن جودك الدنيا وضرتها ومن   نداك ارتجى الصنفان مثر ومملق
ورحمتك الممدودة الظل قد أوى   الى ركنها الحامى صناع وأخرق ٦
ومن نورك امتد الوجود واشرقت   شموس واقمار وزهر تبرق
ومنك استمد الرسل قبلك مثلما   أمدت ذكاء الشهب من قبل تشرق

١) الآل : السراب . والصبوح بالفتح : ما يشرب صباحا . والترقيق عن شىء : التكنية عنه بلا تصريح . وأصل ذلك المثل : أعن صبوح ترقق . أجاب به رب المثوى ضيفه الذى قال له : اذا اصطبحنا غدا فأين الطريق ؟

٢) الموماة : المفازة . وبيداء سملق : أى أرض قاع صفصف

٣) هذه أسماء لمواضع فى الحجاز

٤) الذرور بالفتح : اسم للعطر

٥) حدج الناقة : شد عليها الرحل

٦) يقال رجل صناع اليدين بفتح الصاد وتخفيف النون: أى حاذق ماهر

فآدم لما تاب تابك سائلا   بجاهك فانزاحت هموم تؤرق
وجدك ابراهيم متّ فاطفئت   لوامع نور منك نارا تحرق (١)
وموسى كليم الله نجيته وقد   أحاط به الجند المشوم فاغرقوا
بك الله يا خير الورى قد هدى الى   طريق هدى يسمو سناه ويسمق ٢
وجئت بآيات مبينة فلم   تكد تختفى الا على معشر شقوا
وأعظمها آيات حق تنزلت   يعطر رياها النهى ويخلق
هى الروض طيبا بل هى المسك فائحا
هى الماء ريا بل شراب معتق
اذا شمها من شمها يتنشق   وان ذاقها من ذاقها يتمطق (٣)
دعت للهدى فارتاح لما راى سنا   ضحاها كرام للسعادة سبق
وكذب من عانى الشقا ثم صدقوا   مقالة حد السيف(والسيف اصدق)٤
بهم لمم أعيا الرقاة فعوذت   عليهم ظبات بالتعاويذ احذق (٥)
سيوف بنصر الله تفرى فلم تبل   اما حاك داود فرت ام خدرنق (٦)
بأيدى رجال لايبالون من أتى   الآساد غيل ام نقاد واعنق (٧)
هم الجند جند الله جدوا وشمروا   لحرب العدا حتى اشاموا واعرقوا ٨
بحور ندى يوم النوال وفى الوغى   أسود لاشلاء الكماة تمزق
بهم عزز الله النبى فاصبحوا   وعزهم اسنى واسمى واسمق
اذا ما دعا لبوا وان هم حققوا   وان لاح اطرقوا وان قال صدقوا
فهم صدقوا ما عاهدوا فوفوا به   وهم جاهدوا حق الجهاد وانفقوا

١) متّ : توسل

٢) سمق : علا

٣) التمطق : صوت فم المشتهى لشىء

٤) قال أبو تمام :
السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

٥) اللمم : جنون خفيف . والرقاة جمع راق : وهو الذى يعوذ المريض بما يقرأه عليه .

٦) الخدرنق : العنكبوت

٧) النقاد بالكسر جمع نقد محركا : صغار الغنم . والأعنق بضم النون جمع عناق بالفتح : اناث الجديان .

٨) أشاموا أى اشأموا بالهمز ثم سهلت بمعنى دخلوا الشام . واعرقوا بمعنى دخلوا العراق .

ففازوا بمدح الله في نص ذكره   ولقاهم الرضوان في جنب ما لقوا
جزاهم عن الدين الحنيفي ربه   وجادهم صوب الرضا المتدفق
ألا يا رسول الله غوثا فان لي   ذنوبا ولكن من رجاك ستمحق
أتيتك نضو الهم والفقر فاكفني   واغن غني يروى ويملا ويدهق (١)
وكن لي مجيرا من زمان صروفه   تهدد حتى كدت منهن اصعق
فان تداركني فجدي صاعد   وحبلي موصول وبيعي ينفق (٢)
وغالب ظني بل يقيني أنني   بقصدك منصور رشيد موفق
فلي بك سعد لا ينكس نجمه   وعز على هام السماكين يخفق
عليك صلاة الله يا خير من به   تحف عفاة المكرمات وتحدق
وآلك والصحب الكرام وكل من   له بعرا الدين الحنيف تعلق
صلاة تؤدى حق قدرك ما بدا   بـ (رامة) برق في الدجا يتألق
وما جال فكر في مديحك فانثني   وأنفاسه من روضة الورد أعبق

وقال أيضا رضي الله عنه في ٢٥ رمضان ١٣٥٣ هـ :

تألق برق الأكر (الجزع) فـ (السقطا)   فأذكى الجوى بين الجوانح لي سقطا (٣)
وبت بليل نابغي كأنما   أساور من لدغ الهوى حية رقطا ٤
أساهد عين الفرقدين كأنني   أدرس من سطر المجرة ما خطا
وانتظر الصبح المريح وقد سطا   بـه الليل كالحبشان غالبت القبطا
اذا خط صبغ السقم في الوجه قصة   تولت يد الاجفان من عبرتي نقطا
وان رام شيطان السلو استراقة   رماه شهاب من سما القلب ما اخطا
فيا رحمة العشاق ما أجرا النوى   عليهم وما أعدى الغرام وما أسطا
ويا عجبا للفاتر اللحظ ان رمى   على ضعفه أصمى وان حكم اشتطا
ويا غبطتي للركب جد ميمما   حمى (الجزع) أو (وادي الغضا) أونقا (الارطى) ٥

١) النضو بكسر فسكون أي المهزول . وأدهق الكاس ملأها
٢) نفق البيع ينفق كيدخل : راج
٣) الجزع والسقط : موضعان ؛ والسقط الثاني : شرارة الزند ؛ مثلث السين
٤) قال النابغة الذبياني :
فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع
٥) محلات في بلاد العرب . والنقا بالفتح : القطعة من الرمل المحدودبة

يعود ببحر الآل ان متع الضحى   فتذكر من الدامه اللج والبطا (١)
ويفري الدجا من غير هاد سوى الهوى   ويخبط في احشاء ظلمته خبطا
فلما استبانت غرة الصبح وانبرت   تساعده الانوار من (طيبة) حطا
وألقى العصا ثم انثنى يحمد السرى   ويشكر وعثاء الطريق وان شطا
واصبح ضيف الجود في خير منزل   لدى خير من اسدى واكرم من اعطى
ونادى على (باب السلام) مسلما   نزيلك يستقري رضاك وان ابطا
وانت وقد اوصيت بالضيف خير من   اجار واجدى وارتضى ضيفه الخطا ٢
هنالك ينادي السعد من جانب الحمى   انخ مرحبا فالمهد قد احكم الربطا
فيا اسفي كم ذا أرى متكاسلا   بطيئا وقد جدت بي اللمة الشمطا
واعرض عن قصد الهدى متعللا   بزور على وجه الحقيقة قد غطى
ويا ليت شعري هل تساعدني المنى   فاضرب من عنس السرى الجنب والابطا
وارحلها من قبل رحلتي التي   تغمط جسمي في حشايا الثرى غمطا
الى ان احط الرحل في ذلك الحمى   وابسط أثواب الرجاء به بسطا
واملا جفني من ثراه تكحلا   واستفه حلوا واستافه قسطا (٣)
وادعو فيجلو الهم والذنب جاهه   فانهما لاشك ان دعى انحطا
لأن رسول الله أندى الورى يدا   وأوسعهم جاها واكرمهم رهطا
حوى الحسن والاحسان والحلم والهدى   وحاز الى بسط الندى الخلق السبطا
اذا كان كل الفاضلين قلادة   فان رسول الله درتها الوسطى
فمن كان او من قد يكون كأحمد   سنا وسناء او ندى عم او قسطا
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي   تغطي بها اهل السما والثرى ربطا ٤
هو النور نور الله لولاه ما هدى   لرشد ولا أعطى جزاء ولا شرطا
الا يا رسول الله ان سامني الهوى   هوانا يعنيني ويجهدني غطا (٥)
فلي في اقتضا جدواك سعد يريشني   وينعشني ان قص ريشي او قطا
فمذ حام فكري حول مدحك حققت   اماتيه ان السعد اوفى لها الاعطا
فمدحك في انفي ذرور وفي فمي   مدام وفي اذني تعلقته قرطا

١) متوع النهار : طلوعه . وفي المثل : أو للشبط* . تهدين بالشمط .
٢) الخطا : مقصور الخطاء
٣) استف الدقيق : اذا جذبه بنفسه الى فيه . واستاف العطر : اذا شمه والقسط بالضم : العود يتبخر به .
٤) الربط جمع ربطة بالفتح : نوع من الملاءات يشتمل بها .
٥) غطه بالثوب ونحوه : ضمه فيه ضما شديدا

وبى غلة لاينقع الرشف حرها ... ولا ترتضى الاّ التلجيج لا الشطا
ولى همة طماحة للعلا فلا ... تنى أوترى من دونها النجم منحطا
ولى رغبة تواقة لا تكف عن ... أمانيها أو يفعم الجوهر السمطا ١
فمن غاص بحر الجود ثم اكتفى بما ... يبل ولا يملأ السقاء فقد اخطا
فوف رسول الله سؤلى موفرا ... فقصدك قد وطا لى المهيع الاوطى
صرفت رجائى عن سواك فمن رعت ... سوائمه السعدان هل يرتضي الخمطا ٢
وغط ذنوبى كلها وتلافنى ... بلطف فان الدهر يغمطنى غمطا
قلب رسول الله دعوة ضارع ... أسير الخطايا المستجير الفقير العطا ٣
فان ترضنى يا أكرم الخلق لم ابل ... بمن عز أو من هان أوخف أو ابطا
وهب لوسيلتى القبول فاننى ... جهدت بها لو ساعد الفكر حرف الطا
تجلت بحلى المدح فيك فاصبحت ... تتيه على من جرت الريط والمرطا ٤
عليك صلاة الله ما هبت الصبا ... ولاح صباح فى عذار الدجا وخطا

وقال ايضا رحمه الله فى ليلة عيد الفطر ١٣٥٣ هـ :

أنفح صبا روض الربا أم شذا المسك ... أم المدح فى خير الورى فاح من صك ٥
بلى هذه أنفاسه فانف ما به ... تغالط واصدع باليقين ردا الشك
فانا عرفنا المسك والطيب كله ... فمن قال هـذا مثله فاه بالافك
اذا كان كل الطيب من طيب أحمد ... فمن لنسيم الروض والمسك ان يحكى
فلولاه ما طابت جنان العلا ولا ... تضوع وادى (طيبة) والفضا المكى
فعطر بمدح المصطفى أنف ناشق ... وخل فتيت المسك والقسط والسك ٦
فمدح رسول الله أذكى ونوره ... أشف من البدر المشعشع فى الحلك
واحسن من نظم الجواهر قلدت ... بها لبة الغيد الخرائد بالسلك
فلولا رسول الله ما أشرق الضحى ... ولا انجاب عن وجه الدجا غيهب الشرك
ولا لاح فى الكونين رسم ولا جرى ... مدار لأفلاك السماوات والفلك
فوف رسول الله حق ثنائه ... تجد نفس التنفيس فى ساعة الضنك

١) سمط الجوهر بالكسر : وعاؤه
٢) الخمط : كل شجر لا شوك له . والسعدان : نبات يحمد لرعى الابل
٣) الطاهر : من باب الاكتفاء
٤) المرط بالكسر : ملاءة المرأة
٥) الصك بالفتح : الكتاب ؛ والمقصود ما كتب فيه المدح
٦) السك والقسط بضمهما : نوع من الطيب

ونرتاع فى روض المنى كيف نشتهى ... وننجو من الهم الملم الذى ينكى (١)
ونجنى ثمار السعد دانية بلا ... عناء ولا كد يكدر او شوك
فما فى الورى اوفى من المصطفى ولا ... ابر ولا احمى لجار من الهلك
ففى الحشر كل العالمين نحوا الى ... حمى جاهه المامول يرجون ان يشكى
نبرا كل المرسلين وسلموا ... له الامر بل كل على نفسه يبكى
فقام رسول الله يدعو فقيل ها ... عطائى فامنن يا محمد او اوكى (٢)
فقولك مسموع وانت مشفع ... وقدرك مرفوع ومجدك فى سمك
ففاز رسول الله ثم بسؤدد ... وفخر تعالى ان يقابل بالمحك
وأنجى جميع الناس من هول مادهى ... من الغم وانفض الحساب على وشك
فلذ برسول الله ان كنت ترتجى ... نجاة من الهم المهدد بالنهك
وضمخ لسان الذكر بالمدح كلما ... شدت صادحات الطير فى غصن الايك
ولا تعبأن بالمبطلين فانما ... يفرق بين التبر والصفر بالسبك ٣
وفر الى خير الورى متمسكا ... باذياله فالربح فى ذلك المسك
وقل يا رسول الله خذ بيدى فقد ... تعاظم ذنب لم يزل خوفه يبكى
اجرنى من همى ومن زمنى فقد ... تعاظم ذنب لم يزل خوفه يبكى
فقد اسرت قلبى ذنوب وعاتقى ... ديون فجد عن ذلك الاسر بالفك
ودافع صروف الدهر عنى ولا تدع ... تماحكها يغرى اديمى بالعرك
فلى ذمة لما قصدتك بالرجا ... وبالمدح اذ عطرت من طيبه فكى
فمدحك ذخر لى وجاهك عدة ... ومنجى لمثل من مقل من النسك
فان كان لايحصى مديحك جاهد ... بطئ ولا طرف بعيد المدى مذكى
فانى ارى ان المديح توسل ... اليك وان النزر خير من الترك
فيا نفس طيبى بالمنى وابشرى بما ... ترومين من فوز وخل الاسى عنك
وسل فؤادا شفه الخوف وارفقى ... واعفى دموع المقلتين من السفك
فحاشا رسول الله يسلم جاره ... لسهم الردى ينكيه بالوخز والشك
فكل الورى يرجون من فضل جوده ... فسيان مسكين فقير وذو ملك
عليه صلاة الله ما عطر الفضا ... ثناء فازرى بالعبير وبالمسك
وما غردت ورق الحمام وما بكى ... غمام فسلته الازاهر بالضحك

١) ذكروا أنه يقال نكيا لا انكيا ؛ والمقصود هنا نكى ينكى لكناية ؛ كرمى يرمى ؛ تامل فى ذلك
٢) أوكا المزادة : اذا ربطها بالوكاء . يقال اوكى كاعطى لا اوكا بالهمز . وفى ذلك مؤلف لسيدى الراضى الحنش .
٣) الصفر بضم فسكون : النحاس

انتهت القصائد النبويـة التى وقفنا عليها للشيخ رحمه الله . ومن هذه القصائد وحدها تعرف مكانته فى اللغة والبلاغة واستحضار السيرة ؛ وأمثال العرب ؛ فرضي الله عنه من فصيح يتلاعب بالكلام كما شاء .

وليعلم أن الشيخ يبيح لنفسه ارتكـاب بعض زحافات جائزة اصالـة عند العروضيين ؛ وهى وحدها ما ربما يلاحظه من يتتبع جميـع قوافـى الشيخ . والامر فيها أسهل مما يلاحظون ؛ ولايعرف الشوق الا من يكابده؛ ولا الصبابة الا من يعانيها .

الآخـذون عنه

كان الاستاذ مكبا على التدريس ـ كما قلنا قبل ـ منذ ١٣٠٧ هـ الى ١٣٣٠ هـ لاشغل له الا ذلك . ثم بعد هذا العام وقد انتشب فى جيوش الكفاح ؛ والحضور فى المؤتمرات الجزولية ؛ تولى الدراسة فى المدرسة ولده سيدى محمد . وربما ياتى فينة بعد فينة فيلقى بعض الدروس كلما حضر فى البلد ؛ ثم فى سنة ١٣٥٣ هـ وقد احتلت جيوش الاحتلال تلك الناحية انكمش عن المدرسة وقلما يلم بها ؛ بل لم يلق فيها اى درس من نحو ١٣٥٧ هـ الى أن لحق بربه . فكل الذين اخذوا فى المدرسة من ١٣٣١ هـ انما هم فى الحقيقة تلاميذ ولده المذكور ؛ وانما أخذ بعضهم عنه اخذا قليلا قبـل ان ينقطع عن المدرسة بالكلية ؛ من نحو ١٣٥٧ هـ . ولذلك يصح ان يقول : ان كل الذين اخذوا من هناك من اقران ولده ؛ فانهم تلاميذه حقا ؛ كما ان الذين اخذوا من هناك بعد انقطاع الاستاذ عن المدرسة هم تلاميذ ولده وحده واما الذين اخذوا ما بين ذلك ؛ فهم من تلاميذ الشيخ وابنه . فلنذكر الآن قائمة الآخذين عنه وحده ؛ والآخذين عنه وعن ولده معا . ولنوخر من اخذوا عن ولده وحده الى ان نترجمه قريبا ؛ مع علمنا ان كل اهله اخذوا عنـه كبارا وصغار ؛ لانه ربما يدرس معهم فى داره ؛ كما ياخذون عنه فى مجالسه التى وصفناها فيما قبل :

الايفـرانيـون

محمد ولده الكبير
عبد الله ولده الآخر
احمد ولده الآخر
البشير ولده الآخر

ابرهيم ولده الآخر
المدنى بن محمد بن الطاهر
يحيا بن محمد بن الطاهر
البشير العزيبى التانكرتى
الحسن بن محمد بن العربى التانكرتى
محمد بن محمد ابن الحاج التانكرتى
محمد بن حسون التيموسانى التانكرتى
عبد الرحمن بن احمد الشريف من ءال (مسجد الجمعة)
المهدى بن البشير الناصرى التانكرتى
محمد بن البشير الناصرى التانكرتى
محمد بن الحاج الحسين السوقى التانكرتى
احمد بن الحاج الحسين اخوه
احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الاساكى
محمد بن الحسين الاساكى
محمد بن احمد الاصراءى
على بن الحسين التيمولاءى
محمد بن مبارك السلامى التاغونيتى
مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى
مولاى محمد بن ابرهيم البوزاكارنى الشريف التازاروالتى اصلا
محمد بن مبارك اولوش التاغاجيجتى
البشير اخـوه
ابرهيم اخوهما
محمد بن بلخير التاغاجيجتى
صالـح اخـوه
الهاشم التيسلاتى
ابرهيم بن محمد القصبى التامانارتى
احمد ابن الشريف البعمرانى ثم الاقاوى
ابرهيم السيمورى البعمرانى
احمد بن الحسين بيبيس الاخصاصى
فارس الجاطى
محمد بن بلقاسم الرخاوى الجاطى
الحسين ابو الطعام الرخاوى الجاطى

مبارك بن عمر المجاطى
مبارك التوماناري التاززروالتى
احمد بن الحسن الاغرابويى
محمد بن الحافظ الحامدى
الحبيب الاسغاركيسى
ابرهيم التازيلالتى الرسموكى
داود الرسموكى
محمد بن الطيب التيزيبى السملالى
أحمد بن الحسين الاعضيايى السملالى
الحسن الكوسالى السملالى
الحسين الاخصاصى السملالى
صالح بن محمد السملالى من آيت عدى
عبد الله بن محمد الالغى
محمد بن عبد الله الالغى
محمد بن على الالغى
الطاهر بن على الالغى
الحسين بن ابرهيم الالغى
المختار بن على الالغى ـ جامع الكتاب ـ
أحمد البناىى الايغشانى الالغى
محمد البناىى الايغشانى الالغى
أحمد بن بلقاسم التيملى
أحمد بن محمد الدويملالنى التيملى
محمد ابن الاعسر التيملى
محمد الاومسناتى التيملى
محمد بن بلقاسم التيملى
محمد الكثيرى
أحمد بن الحاج محمد اليزيدى
محمد بن الحاج أحمد اليزيدى
محمد بن أحمد اليزيدى الواعظ
محمد بن بلقاسم الغرمى الجرادى
عبد الله أخـــوه

مراثيه

توفى الاستاذ بعد ضعف شديد اعتراه منذ نحو سنة ؛ فكان لايغادر داره حتى قضى نحبه ؛ فاجتمع عليه الناس من (تانكرت) ومن القبائل حواليها . فغسله وصلى عليه ماء العينين ؛ سبط الشيخ ماء العينين ؛ ودفن فى قبة الشيخ سيدى محمد أباراغ ؛ ازاء المدرسة التى درس فيها حياته . ثم قال فى رثائه كثيرون ؛ فلنورد مـا عندنا من مراثيه . فاولاها للاديب داود الرسموكى :

أمن غوائل دهر حالك اللمم ... جزعت فانهلت الاجفان كالديم
وبت فى قلق والعين فى ارق ... والقلب فى حرق من شدة الضرم
وفر صبرك والاشجان زائدة ... زيادة اليم او زيادة العرم (١)
نعم رمى حادث الايام سيدنا ... شمس الكمال الامام الطاهر الشيم
افض سجال دموع من جفونك ان ... أنفدتها فافض عنها سجال دم
فالخطب جل وقدر الشيخ اكبر لا ... يقاس بالطود بل اعلى بكم وكم
الله اكبر ما اقسى الحوادث ما ... رعين حقا ولا وفين بالذمم
عفرن وجها عليه النور مرتكم ... أجل وجد لى جسما مترف الادم
والشمس تخجل من أنوار طلعته ... اذا بدت فوقه فى زى محتشم
اه على شيخنا اه عليه ؛ وهل ... ينفع (اه) أخا الاحزان والسدم
اه على السند المختار عنصره ... من طينة المجد والعلياء والكرم
شيخ الشيوخ امام المتقين سر ... اج المهتدين بليل حالك اللمم
بدر السيادة من عمت فضائله ... كالشمس فى الافق عمت سائر الامم
فرد به الله احيا المجد فى زمن ... تعطل المجد فيه دارس الرمم
حتى اعاد شباب المجد مكتسبا ... حلة عز بهاذى الاعصر الدهم
جل وصل بمضمار السيادة لا ... يلحقه كل من يسعى على القدم
فاختلسته يد الايام من حسد ... بخلا به عن ذوى الفاقات والهمم
يادهر قدم واخر من تشاء فقد ... خلا لك الجو من عرب ومن عجم
مات الامام الذى تخدم ساحته ... طوعا وكنت له من جملة الخدم
مات الامام الذى ان سل صارمه ... على العويص زرى بالابيض الخذم (٢)

١) العرم بفتح فسكون : السيل الجارف
٢) الخذم بخاء وذال بكسر الذال : السيف القاطع

من ذا الذى بعده يحل مشكلة   بصارم الفهم او بصارم القلم
ان قال قافية فالدر منتظم   أو قال نثرا فدر غير منتظم
فان جهلت فسل عنه قصائده   تنبئك عنه بلا من ولا سام
طالع قصائده تشهد عجائبه   تشهد جواهرقد صفيت من الكلم
عرج على نظمه لمتن (مختصر)   أو نظمه لجواهر من (الحكم) ١
اما (رسالة وضع) فجواهرها   تزداد حسنا بنظم منه منسجم
فان شغفت بمدح المصطفى وكذا   مدح التجانى الامام المفرد العلم
فاقرأ قصائده ترى العجاب وما   تخالها من كلام ناطق بفم
كمثل(عرج) (وسيلةالنجاح) ومثـ   ـل(خطارة العيس)فى مسالك اللقم٢
و(طيب مانقلت من جيرة) و(سرى   طيف لسلمى بليل) سابغ الظلم
واقرأ (أبرقا بدا من رامة) وكذا   (اغبرت أرجاؤنا من ءالها فشم)
كذا(قفا نجر سفح الدمع فى دمن)   و(بارق الرقمتين انهل وانسجم)
كذاك (طائية) من بعد (نفح صبا   روض الربا بين جيران بذى سلم)
ومثل(جيب الدجا وهنا فشاق له   بالابارق صبا بالغرام رمى)
ومثل (ياوادى الجزع) ومثل(فدع   عنك ملامى) ولو أنصفت لم تلم
ومثل(هات اسقنى شمسا) فان بها   مايشتهى الذوق أويشفى من الالم
ومثل (برقا بدا يوما بكاظمة)   او(صرح الوجد)للمشتاق من اضم ٣
وغير ذا من قصائد منمنمة   كالروض ان زاره وبل من الديم
ومن تتبع مـا قد قال من نخب   يوصف قبل تمام العد بالسأم
أبعـد موت الامام اليفرنى تحا   ول الحياة بدار الحزن والسقم
هيهات والله ما فى العيش من أرب   فكيف وهو على مـا كان لم يقم
هيهات لاتغترر فانت فى سنة   تحلم قم واستفق من غفلة الحلم
هيهات واأسفى هيهات واندمى   ان كان يجدى على مافات (واندمى)
فليبكه الادب الغض اللذيذ اذا   أوضح فى منتداه صاحب العلم
وليبكه العلم والطلاب ان وفدوا   للأخذ عنه بدمع للبكاء حم
وليبكه البشر فى وجه الجليس فكم   يلقى النزيل بثغر منـه مبتسم
فالله يسكنه والله يكرمـه   جنان خلد بأفنان من النعم
ولتصبروا يا بنيه عن رزيته الـ   ـجلى فاجركم فى غاية العظم
ولم يمت حاش من خلف مثلكم   ففيكم من يسد كل منثلم

١) مختصر خليل
٢) اللقم محركا : الطريق
٣) راجع مطالع القصائد المتقدمة

والله لو ساعدت عيم على حصر   عيدا حزينا منى بحادث عمم
لسن مثل الذى سنت (تماضر) من   شجو على(صخر)ها رعيا لذى رحم١
لكننى عـاقنى عجز وأقلقنى   رزء فهل حيلة لمن بذين رمى
لم يبق الا الرضا بما به حكمت   أيدى المقادير والتسليم للحكم
وليس ينجو وان طالت سلامته   حى من الموت ؛ غير الله لم يدم
فاين من ملكوا الدنيا باجمعها   كانت تهابهم الاسود فى الاجم
فالموت سوى بسيف الحتف بينهم   رغما عليهم وبين الاعبد القزم (٢)
الـ لهادى الدنا دارا مزخرفة   بباطل شيب بالاوصاب والوخم
من سره زمن منها فمن عجل   يرى بها أزمنا تمضى بالغمم
ما أنس لاأنس يوما فيه قد حجبت   شمس الهدى تحت أطباق من الرجم
فخلفت غيهبا عم البسيطة فـى   حزن طويل على الاحشاء مرتكم
وكل فكر صحا عن رزء سيدنا   بلا رثـاء رماه الله بالعقم
يـا رب قدس لهذا الشيخ أعظمه   فى جنة الخلد والاشياخ كلهم
واختم لنا ربنا بحسن خاتمة   واستر مساوينا يـا واسع الكرم
بحرمة المصطفى المختار عن مضر   يا طيب مبتدأ منـه ومختتم
صلى عليه اله العرش ما صدحت   تبكى الهـديل حمام الحل والحرم
وءاله الغر والاصحاب قاطبـة   ومن يدين بدين الله من امم

ثم قال الفقيه سيدى الحاج أحمد بن الحسن البناى الايغشانى :

حادث جـل انـه لعجيب   أى دمـع أجراه ذاك العجيب
لأهـل العالمين فتت اكبـا   د الورى ما أشد وقعا يشيب
ذاك رزء يبكى البعيد فلا   حول ولا قوة ويبكى القريب
غاب والمجد الره غاب قطب   هل ترى القطب قط قبل يغيب
هو ذاك الرضا الامام المربى   بدر تم الورى وفتح قريب
عمدة الدين شيخنا التمنرتى   شمسنا البكرى الحسيب النسيب
طالمـا نـور البـلاد جميعـا   ثم الآن الى الجنان يئوب
مات فى رمضان ءاخر يوم   منه والعيش بعد ذاك عجيب
لـذ عيشا حياتـه مطمئنـا   مات اذ مات والممات يطيب
يا اماما اجاب يوما نـداء   قد أتاه ومن دعى سيجيب
جـاءه ربـه فنـاداه حبـا   نعم ذاك الندا ونعم المجيب

١) تماضر هى الخنساء المشهورة بقصائدها حزنا على أخيها صخر
٢) القزم محركا : الارذال ؛ هكذا مفردا وجمعا

دائما أنت للقلوب طبيب   اين من يرتجى وابن الطبيب
هون الحزن ما نرى فى بنيه   سادة ظرفا ؛ وكـل نجيب
يا بنى المجد يا بنى العلم صبرا   لا فلا تحزنوا لرزء يذيب
اين من قبلكم وكم ابن اين المص   ـطفى المجتبى النبى الحبيب
اعظم الله أجركم وأتـاكم   حظكم منـه وافرا ونصيب
أيهـا الزائر المحاول رشدا؟   دائما يطلب الرشاد اللبيب
ان مدفنـه بـ (افران) يمم   روضة حلهـا وانت كئيب
فتذلل واخضع ولازم دعـاء   فالمنى تقتضى وانـت مصيب
روضـة السر لاتزال وفود الـ   ـخير أبوابهـا تجي وتثيب
قـدس الله روحـه وجزاه   بالرضا ربنا الكريم ينيب
بالنبى الهـدى عليه صلاة اللـ   ـه مـا حـل (طيبـة) فتطيب

وقال شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالفي :

وفاة بدر الهدى الشيخ الامام وفى   فى رمضان ضحى ءاخره ونمى
من عام (شت)سوى(كبد) وعمره فى   تسعين عاما وسبعة الشهور سما ١
جاد الاله ثرى قبر تضمنه   صيب رحماه فهـو أرحم الرحمـا
بجاه خـير الورى صلى الالـه على   علياه مـا ماج بحر فضلـه وطما

وقال ولده الاستاذ صالح بن عبد الله بن محمد الالفي :

أرى فوديك فى الامساء شابا   وقد حكيا لـدى الصبح الغرابا
كذا الاجفان أمست ليس يرقا   لها دمع كأن بها السحابا
وشجوك عائل وحشاك صال   وطرفك شاخص والقلب ذابا
تعـاد فيسأل العـوّاد عما   منيت به فلم تحر الجوابا
تصعد فيـك أنفاس توالت   كـأن بهـا لوقدتها اللهابا (٢)
بوجهك شاهدا عدل على ما   أجنته الضلوع وهبك تأبى
بلى خطب ألم رمى فاصمى   كـذاك الخطب ان رامَى أصابا
سرور الدهر ـ لاتغتر ـ حزن   وحلو الدهر سوف يصير صابا
اذا أولاك سيّئـا مستطابا   فكم حذر أصيب بما استطابا
فسيان المآتـم والتهـانى   ومن يبني ومن رام الخرابا
فكيف تسر فى الدنيا حياة   تضاهي فى خلابتها السرابا

١) يعنى ١٣٧٤ هـ
٢) اللهاب بالضم : اللهيب ، وهو اشتعال النار .

تحاول فى ذلك تطيب نفسا   فكيف والنفس الاعلاق غابا
امام الغرب بالاطـلاق علما   وحلما واحتمالا واحتسابا
امـام نـال الثّريّا المعالى   وانقى كن يحصلها الشبابا
امـام طبـق الآفـاق صيتا   وبـدر نار حينا ثم ءابـا
افـاء الله طلعتـه فسـادت   لمستهـد ومقتبس شهابـا
اغاث به العباد فما توانى   فلما ان اهاب بـه اجابا
مضى علامـة الدنيا فناضت   ريـاض العلم ذاويـة يبابا
مضى ولطالمـا امضى بيانـا   كمثل الجمر يلتهب التهابا
وكم معنى بروق جلا بصاف   من الالفاظ يانف أن يشابا
فمن ذا نرتجيه اذا رتجنا   فيفتح ذهنه الثقاب بابا (١)
ويهدينـا اذا ملنـا سواء السـ   ـبيل ويلهم العمى الصوابا
ومن ينتـاب ساحته عفـاة   فيصدرهم وقد ملاوا العيابا (٢)
فلو يفدى من المقضى كان الـ   ـفداء الشيب منا والشبابا
الهى قد قبضت اليك شيخا   منيبا وهو فى الاسلام شابا
له مع نيف تسعون عاما   تقضت ما الـذ وما اطابا
الهى اغفر له وارحم وامن   فلم يك يا رحيم لان يهابا
وطهر طاهر بن محمد ابن الـ   ـفتى ابراهم البكرى انتسابا ٣
لئن خلدتـه جنات عـدن   ونال بكـل صالحـة ثوابـا
فكم ابقى وخلد من معال   يشيب الدهر شتى لن تشابا
ووال شذى صلاتك والتحايا   لمن عن خلقك انتخب انتخابا
وارخ (من ضحى الاحد المتم الـ   ـصيام دنا الى الحسنى وءابا (٤)
لوحيده برحمته المرجى   ليحسن حالنـا ذا والمآبـا

وقال الاديب سيدى الطاهر بن على بن عبد الله الالفي :

فشاء وءاه عمنا الحادث النكر   وصدع لكـن لايرجى لـه جبر
وصبت على العلم الشريف مصائب   تراق لها وحقه ادمع حمر
وتاهت عقول المسلمين كئابة   وزادت بها الاحزان وانقطع البشر
وقد عسكرت للدهر فينا عساكر   أتانا جميعا عن عساكره القهر
أتى بجمـوع لايكيف عـدها   تضيق بها الاجبال والسهل والوعر
فأودى بها شيخ المشايخ سيدى   وسيد كل الناس حيث له ذكر

١) رتج الباب وارتجه : أغلقه
٢) العيبة بالفتح جمعه عياب : الحقيبة
٣) ابراهم بلا ياء : لغة فى ابراهيم
٤) والادب القديم يعتنى بامثال هذه الرفيات

وكل الذي يقال في الدهر بعد ذا … صحيح على الدهر الكتابة والزجر
ولم يبق ذا الدهر الخئون صبابة … فيمتصها من بعده الماجد الحر
قضى شيخنا والناس شرقا ومغربا … عيال له فليبكه النظم والنثر
قضى وهو ترياق القلوب جميعها … ومنـه لأهل العصر كلهم سر
وما عالم الآ وللشيخ منـة … عليه فذا المجد المؤثل والفخر
له في بناء المكرمات سوابق … وهمته تعنو لها الانجم الزهر
هوالغيث نفعا بل هو الشمس رفعة … وعدتنا في كـل خطب اذا يعرو
أيا شيخنا الحامي الذمار ومن به … يدافع عن أبناء مغربنا الضر
قضيت وخلفت القلـوب وانها … كمثل أتون الجمر ان يلتظ الجمر
وان قلـوب المومنـين بموتـه … تئز أزيزا مثل ما أزت القدر
وقد رابنا اليوم الذي قد قضى به … وحقا أنت فيه المصائب والامر (١)
وصار نشيد الناس يوم مماته … (كذا فليجل الخطب وليفدح الامر)٢
تبدلت الايـام وارتفع الهـدى … وأظلمت الدنيا كأن لم يكن فجر
نكلف صبرا ثم يغلب حزننا … على صبرنا فيعقب الرعب والذعر
فنلتزم الصبر الجميل كراهـة … والا فامر الصبر في مثل ذا وعر
ومن لم تمت أعماله وعلومه … فقد عاش في الدنيا وان خانه العمر
فصبرا بنيه أبحر العلم والنـدى … فمنكم اتى كل المواعظ والذكر
فطوبى لترب ضم سيدنا أبا … محمد الافران فليفرح القبر
على تربة ضمتك يا خير راحل … سلام عميم مثل ما انفتح الزهر

ومن خط الاديب سيدي محمد بن علي الالغي في كناشته الكبرى :

ولما اصيب العالم بموت شيخنا العالم . النسمة الطاهرة . والبركة العامة الظاهرة . عالم العلماء الراسخين . وأديب الادباء المتقين كما قيل :

ءاثاره تنبيك عن أخباره … حتى كانك بالعيـان تراه

مولانا ووسيلتنا الى الله سيدي الطاهر بن محمد بن ابرهيم الايفراني دارا . التامانارتي نجارا . رحمه الله . وعظم أجرنا في مصابه . وجعله مع (الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين) بجاه النبي الامين . خدمت جنابه بشبه مرثية استجلابا لرضائه . وشكر البعض ءالائه . وبتعزية أولاده النجباء . العلماء الادباء . وان استغنوا عن ذلك بما رسخ فيهم من العلوم النقلية والعقلية . والآثار النبوية .

انا نعزيك لا انا على ثقة … من البقاء ولكن سنـة الدين

١) الامر بالكسر : الشديد
٢) مطلع قصيدة لأبي تمام : تمامه – فليس لعين لم تذل دمعها غذر –

فاعذروني ساداتي . فهذا لم يكن شيئا مذكورا . فضلا عن ان يكون في الكتاب مسطورا . فجنابكم أعز . وعلمكم اوسع ؛ وانا كما علمتموني اجهل من ابن يومين . لا أجمع بين كلمتين . لولا ما بي من توقد الاسى . في الحشا . بفراق من لا ينسى . وان تعاقب الصباح والمسا . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وانا لله وانا اليه راجعون . نصها :

هو الموت مشروع الأسنة للورى … فاسهمه تصمي امام ومن ورا
ومهما اتاك بكسرة او عشية … فضيف ورُوحُكا الأعز هو القرا
فسر في مناكب الدنا هل ترى بها … وحيدا يفوت الموت لو ملك القرى
وفي محكم التنزيل ءاية اخبرت … بان لا مردّ للقضاء اذا عرا
فاين الملوك الصيد اهل الندى ومن … على قلل الاجبال شادوا بنا الذرا
واين النبي المصطفى وصحابه … أولو الرشد والهدى المبين ومن قرا
بهم نتاسى لما اصبنا بموت من … أصيب به الدين الحنيفي مذ جرى
هو الشيخ قطب الدين والمجد والندى … ونور الهدى غيظ العدا خير من درى
هو العروة الوثقى لذا الدين والرجا … هوالغوث كهف اللائذين من الورى
مقدم شيخنا التجاني أحمـد … فمن بحره اذ اورد الزور أصدرا
[illegible] سيدي الطاهر الذي … أدين بحبه الالـه بلا افترا
أبيه مولانا الخليفة صاحب النـ … ـسبي أبي بكر نمى غير ما مرا
[illegible] الدنيا وان نهارها … بذا الرزء مسود الاهاب تكدرا
[illegible] للدين قد غص غصة … برزء فرى أوداجه وفرى القرا ١
[illegible] ركن المجد واندرست به … جبال رواس حين بان وأدبرا
[illegible] مثل المدارس اوهت … كجذع النبي عنه تعوّض منبرا
[illegible] لعمرا محشورة لصلاتـه … أقامت مصل ذكر الناس محشرا
[illegible] اليوم مثل حياته … كأن لم يمت وان تغيب في الثرا
[illegible] الله قبرا ضمه رحماته … فمهما يسل أجاب فورا كما ترا ٢
فان لعلوم الدين شتى وانه … جرى بها مزبد ببحر تزخرا
ومن القريض المعجز السهل فاسردن … قصائده تقضي العجاب بما ترى
ومن لعويص البحث او حل مشكل … يوضحه مثل الصباح الا اسفرا
فما لكسر الدين ءاس يطبه … فهيهات كل الصيد في باطن الفرا

١) القرا بالفتح : الظهر . وفرى يفري : قطع
٢) فيه الاكتفاء . فيكون المقصود : وتراضى . أو من ترى يترى : بمعنى تراضى . كذا كتب على القصيدة قائلها .

وفى كبدى وحبة القلب جذوة — تسعر لاتطفا بدمعى وان جرى
فصبرا بنيه فالكفاية فيكم — وزندكم بنور أنواره ورى
وهل فيكم الا اديب وعالم — أريب ومضياف النزيل اذا عرا
فما مات من كانت بقاياه مثلكم — وان فيكم قد قال ذا المرء ما قرى
فلاقوا قضاء الله بالصبر والرضا — فلا مهرب من كل ما الله قدرا
وانى وان قصرت فى القول اننى — أعزى به نفسى ومثلى لنصبرا

هذا ما وقفت عليه . وهناك أخرى للكوسالى لم تحضر عندى الآن .

مـؤلفاتـه

كان الشيخ المترجم رحمه الله كما قرأت فى حياته المتقدمة ؛ يشتغل منذ تخرج بالتدريس . وقد نشأ فى بيئة لاتعرف الا ذلك . ثم بعد ذلك اشتغل بين المكافحين . ولم يتفرغ قط لمناغاة القلم فى التاليف . الا انه صدر منه نظم مختصر خليل برجز استوفى فيه زهاء ستمائة بيت . ولم يتجاوز أواسط ربع (العبادات) وكـذلك نظم رسالة (العضد) و (الحكم العطائية) فهذه الارجاز الثلاثة ما علم من ءاثار قلم الشيخ . وقد كنت رأيت فى كناش عند أهله مفتتح شرح على بعض قصائده . لم يتم . وبذلك نعلم ضئولة ءاثار الشيخ من هذه الناحية . نعم ان الاثر العظيم الذى خلد به الشيخ هو ما فى ديوانه الذى جمع فيه رفيقه سيدى العربى الساموكنى ما قاله أولا . ثم تبعه ابنه سيدى محمد . فجمع غالب قوافى الشيخ فى مجلدين . وغالب ما فيهما موزع فى كتابنا هذا بكل مناسبة .

أو لادة

رأيت الشيخ رضى الله عنه هو السادس والثلاثون من الاعداد التى تتبعنا بها ءال سيدى محمد بن ابرهيم الشيـخ . ثم نسير الآن على ذلك فى أولاد الشيخ بانين على ماتقدم . ولانعتنى الا بالعلماء منهم او المشهورين .

السابع والثلاثون : سيدى محمد العلامة الجليل

هذا هو الولد الكبير عند الشيخ . وسنفرده ان شاء الله فيما سياتى

الثامن والثلاثون : سيدى المدنى ولده . وسيذكر مع والده سيدى محمد .

التاسع والثلاثون : سيدى يحيا بن محمد ولده الآخر . وسيذكر أيضا معه

الاربعون : سيدى الحسن بن محمد ولده الآخر . وسيذكر أيضا معه .

الواحد والاربعون : سيدى عبد القادر ولده الآخر وسيذكر أيضا معه

الثانى والاربعون : سيدى عبد الله بن الطاهر

هو الذى يلى سيدى محمدا من أبناء الشيخ سيدى الطاهر . وولادته نحو ١٣١٨ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ سيدى الحسن بن محمد الاساكى من اخوالهم الاساكيين . ثم انه لازم اخاه الاستاذ سيدى محمدا . ويحضر نحو والده ان القى بعض الدروس . وقد كان من لداتنا يوم كنا ناخذ هناك من ١٣٣٢ هـ الى اواسط ١٣٣٦ هـ . ثم انه أخذ عن سيدى الحاج مسعود الوفقاوى . وأخذ أخذا قليلا فى (مراكش) وكان ذكيا محصلا قوى الحافظة يملأ مجلسه بالأدبيات وبالفوائد . وبعد أن استتم معلوماته انقطع الى جهة (ايداوكنسوس) مشارطا ما شاء الله فى مدرسة . كما كان هنالك بدلا وقد ابطأ هناك كثيرا . وولد فيه الاولاد . ثم لما توفى اخوه سيدى محمد رجع بأهله الى سكنى دارهم فى (تانكرت) حيث هـو الآن ١٣٨٢ هـ وقد شارط حينا فى مدرسة (تاغلولو) وهو اليوم فى مدرسة (ا[illegible]) من قبيلة (ماسكينة) ازاء (أكادير) . هـذه حياتـه بالاجمال . و[illegible] بعدما درس أكثر من سنتين فى مدرستهم بـ (تانكرت) وقد كنت [illegible] ان يوافينى بتفاصيل حياتـه . وبئاثاره الادبية . فلم يصلنى منه [illegible] وبذلك حرمنا منه ما نستمتع به من والده ومن اخيه . ولعلنا نتوصل [illegible] فنضعه فى محل ءاخر . لان له قوافى ورسائل ادبية .

الثالث والاربعون : سيدى أحمد بن الطاهر

هذا هو الذى يلى أخويه المتقدمين . وله من المعارف . وقد اخذ القرءان عن الاستاذ محمـد بن حسون مـن (ءال القاضى) من قريـة (تاوريرت نعل مجوض) وكان يشارط فى مسجد قريته هذه . وفيه اخذ عنه المترجم توفى نحو ١٣٧٠ هـ فيما قيل لنا . ثم أخذ ما عنده من المعارف عن والده وعن اخيه ومن المدرسة (الالغية) ومن مدرسة أخرى فى تلك الجبال . وقد ظهرت منه رجولة فى ازمة العرش . فجاهر ضد الخونة . فنادى فى الناس فحفظه الله من أن يبطش به . ثم صار رجل دارهم بعد وفاة اخيه سيدى محمد .

ادبيات حـواليه

ولد سيدى احمد أواسط صفر ١٣٣٠ هـ فتبارى تلاميذ الاستاذ فى تهنئته بـه . فاجاب الشيخ كل واحد منهم على وزنه وقافيته . ولم يحضر عندنا الآن الا اجوبـة الشيخ . فقـد قال فى جواب الاديب سيدى داود الرسموكى :

وفي كبدي وحبة القلب جذوة ... تسعر لاتطفا بدمعي وان جرى
فصبرا بنيه فالكفاية فيكم ... وزندكم بنور انواره وري
وهل فيكم الا أديب وعالم ... أريب ومضياف النزيل اذا عرا
فما مات من كانت بقاياه مثلكم ... وان فيكم قد قال ذا المرء ما فرى
فلاقوا قضاء الله بالصبر والرضا ... فلا مهرب من كل ما الله قدرا
واني وان قصرت في القول انني ... أعزى به نفسي ومثلي لتصبرا

هذا ما وقفت عليه . وهناك أخرى للكوسالي لم تحضر عندي الآن .

مؤلفاته

كان الشيخ المترجم رحمه الله كما قرأت في حياته المتقدمة ؛ يشتغل منذ تخرج بالتدريس . وقد نشأ في بيئة لاتعرف الا ذلك . ثم بعد ذلك اشتغل بين المكافحين . ولم يتفرغ قط لمناغاة القلم في التاليف . الا انه صدر منه نظم مختصر خليل برجز استوفي فيه زهاء ستمائة بيت . ولم يتجاوز أواسط ربع (العبادات) وكذلك نظم رسالة (العضد) و (الحكم العطائية) فهذه الارجاز الثلاثة ما علم من ءاثار قلم الشيخ . وقد كنت رأيت في كناش عند اهله مفتتح شرح على بعض قصائده . لم يتم . وبذلك نعلم ضئولة ءاثار الشيخ من هذه الناحية . نعم ان الاثر العظيم الذى خلد به الشيخ هو ما في ديوانه الذى جمع فيه رفيقه سيدى العربى الساموكني ما قاله أولا ، ثم تبعه ابنه سيدى محمد . فجمع غالب قوافي الشيخ في مجلدين . وغالب ما فيهما موزع في كتابنا هذا بكل مناسبة .

أولاده

رأيت الشيخ رضي الله عنه هو السادس والثلاثون من الاعداد التي تتبعنا بها ءال سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ . ثم نسير الآن على ذلك في أولاد الشيخ بانين على ماتقدم . ولانعتنى الا بالعلماء منهم أو المشهورين .

السابع والثلاثون : سيدى محمد العلامة الجليل

هذا هو الولد الكبير عند الشيخ . وسنفرده ان شاء الله فيما سياتي

الثامن والثلاثون : سيدى المدني ولده . وسيذكر مع والده سيدى محمد .

التاسع والثلاثون : سيدى يحيا بن محمد ولده الآخر . وسيذكر أيضا معه

الاربعون : سيدى الحسن بن محمد ولده الآخر . وسيذكر أيضا معه .

الواحد والاربعون : سيدى عبد القادر ولده الآخر وسيذكر أيضا معه

الثاني والاربعون : سيدى عبد الله بن الطاهر

هو الذي يلي سيدى محمدا من ابناء الشيخ سيدى الطاهر . وولادته نحو ١٣١٨ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ سيدى الحسن بن محمد الاساكي من اخوالهم الاساكيين . ثم انه لازم اخاه الاستاذ سيدى محمدا . ويحضر نحو والده ان القى بعض الدروس . وقد كان من لداتنا يوم كنا نأخذ هنالك من ١٣٣٢ هـ الى أواسط ١٣٣٦ هـ . ثم انه اخذ عن سيدى الحاج مسعود الوفقاوى . وأخذ أخذا قليلا في (مراكش) وكان ذكيا محصلا قوى الحافظة يملأ مجلسه بالأدبيات وبالفوائد . وبعد ان استتم معلوماته انقطع الى جهة (ايداوكنسوس) مشارطا ما شاء الله في مدرسة . كما كان هنالك عدلا وقد ابطأ هناك كثيرا . وولد فيه الاولاد . ثم لما توفي اخوه سيدى محمد رجع بأهله الى سكنى دارهم في (تانكرت) حيث هو الآن ١٣٨٢ هـ . وقد شارط حينا في مدرسة (تاغلولو) وهو اليوم في مدرسة [illegible] من قبيلة (ماسكينة) ازاء (أكادير) . هذه حياته بالاجمال ، [illegible] بعدما درس أكثر من سنتين في مدرستهم بـ (تانكرت) وقد [illegible] ان يوافيني بتفاصيل حياته . وبءاثاره الادبية . فلم يصلني منه [illegible] وبذلك حرمنا منه ما نستمتع به من والده ومن اخيه . وأملنا أن نوصل [illegible] فنضعه في محل ءاخر . لان له قوافي ورسائل ادبية .

الثالث والاربعون : سيدى أحمد بن الطاهر

هذا هو الذي يلي أخويه المتقدمين . وله من المعارف . وقد اخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن حسنون من (ءال القاضي) من قرية (تاوريرت نعلي مجوض) وكان يشارط في مسجد قريته هذه . وفيه اخذ عنه المترجم، توفي نحو ١٣٧٠ هـ فيما قيل لنا . ثم اخذ ما عنده من المعارف عن والده وعن اخيه ومن المدرسة (الالغية) ومن مدرسة أخرى في تلك الجبال . وقد ظهرت منه رجولة في ازمة العرش . فجاهر ضد الخونة . فنادى في الناس فحفظه الله من أن يبطش به . ثم صار رجل دارهم بعد وفاة اخيه سيدى محمد .

ادبيات حواليه

ولد سيدى احمد اواسط صفر ١٣٣٠ هـ فتبارى تلاميذ الاستاذ في تهنئته به . فاجاب الشيخ كل واحد منهم على وزنه وقافيته . ولم يحضر عندنا الآن الا اجوبة الشيخ . فقد قال في جواب الاديب سيدى داود الرسموكي :

وفى كبدى وحبة القلب جذوة ... تسعر لاتطفا بدمعى وان جرى
فصبرا بنيه فالكفاية فيكم ... وزندكم بنور أنواره ورى
وهل فيكم الا اديب وعالم ... أريب ومضياف النزيل اذا عرا
فما مات من كانت بقاياه مثلكم ... وان فيكم قد قال ذا المرء ما فرى
فلاقوا قضاء الله بالصبر والرضا ... فلا مهرب من كل ما الله قدرا
وانى وان قصرت فى القول اننى ... أعزى به نفسى ومثلى لنصبرا

هذا ما وقفت عليه . وهناك أخرى للكوسانى لم تحضر عندى الآن .

مؤلفاته

كان الشيخ المترجم رحمه الله كما قرأت فى حياته المتقدمة ؛ يشتغل منذ تخرج بالتدريس . وقد نشأ فى بيئة لاتعرف الا ذلك . ثم بعد ذلك اشتغل بين المكافحين . ولم يتفرغ قط لمناغاة القلم فى التاليف . الا انه صدر منه نظم مختصر خليل برجز استوفى فيه زهاء ستمائة بيت . ولم يتجاوز أواسط ربع (العبادات) وكذلك نظم رسالة (العضد) و (الحكم العطائية) فهذه الارجاز الثلاثة ما علم من ءاثار قلم الشيخ . وقد كنت رأيت فى كناش عند أهله مفتتح شرح على بعض قصائده . لم يتم . وبذلك نعلم ضئولة ءاثار الشيخ من هذه الناحية . نعم ان الاثر العظيم الذى خلد به الشيخ هو ما فى ديوانه الذى جمع فيه رفيقه سيدى العربى الساموكنى ما قاله أولا . ثم تبعه ابنه سيدى محمد . فجمع غالب قوافى الشيخ فى مجلدين . وغالب ما فيهما موزع فى كتابنا هذا بكل مناسبة .

اولاده

رأيت الشيخ رضى الله عنه هو السادس والثلاثون من الاعداد التى تتبعنا بها ءال سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ . ثم نسير الآن على ذلك فى أولاد الشيخ بانين على ماتقدم . ولانعتنى الا بالعلماء منهم أو المشهورين .

السابع والثلاثون : سيدى محمد العلامة الجليل

هذا هو الولد الكبير عند الشيخ . وسنفرده ان شاء الله فيما سياتى

الثامن والثلاثون : سيدى المدنى ولده . وسيذكر مع والده سيدى محمد .

التاسع والثلاثون : سيدى يحيا بن محمد ولده الآخر . وسيذكر أيضا معه

الاربعون : سيدى الحسن بن محمد ولده الآخر . وسيذكر أيضا معه .

الواحد والاربعون : سيدى عبد القادر ولده الآخر وسيذكر أيضا معه

الثانى والاربعون : سيدى عبد الله بن الطاهر

هو الذى يلى سيدى محمدا من ابناء الشيخ سيدى الطاهر . وولادته نحو ١٣١٨ هـ . اخذ القرءان عن الاستاذ سيدى الحسن بن محمد الاساكى من اخوالهم الاساكيين . ثم انه لازم اخاه الاستاذ سيدى محمدا . ويحضر نحو والده ان القى بعض الدروس . وقد كان من لداتنا يوم كنا ناخذ هناك من ١٣٣٢ هـ الى أواسط ١٣٣٦ هـ . ثم انه اخذ عن سيدى الحاج مسعود الوفقاوى . واخذ اخذا قليلا فى (مراكش) وكان ذكيا محصلا قوى الحافظة يملأ مجلسه بالأدبيات وبالفوائد . وبعد أن استتم معلوماته انقطع الى جهة (ايداوكنسوس) مشارطا ما شاء الله فى مدرسة . كما كان هناك عدلا وقد ابطأ هناك كثيرا . وولد فيه الاولاد . ثم لما توفى اخوه سيدى محمد رجع بأهله الى سكنى دارهم فى (تانكرت) حيث هو الآن ١٣٨٢ هـ . وقد شارط حينا فى مدرسة (تاغلولو) وهو اليوم فى مدرسة (ايفيلال) من قبيلة (ماسكينة) ازاء (أكادير) . هذه حياته بالاجمال . وذلك بعدما درس أكثر من سنتين فى مدرستهم بـ (تانكرت) وقد كنت وصيته ان يوافينى بتفاصيل حياته . وبئاثاره الادبية . فلم يصلنى منه شئ . وبذلك حرمنا منه ما نستمتع به من والده ومن اخيه . ولعلنا نتوصل بذلك فنضعه فى محل ءاخر . لان له قوافى ورسائل ادبية .

الثالث والاربعون : سيدى أحمد بن الطاهر

هذا هو الذى يلى أخويه المتقدمين . وله من المعارف . وقد اخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن حسون من (ءال القاضى) من قرية (تاوريرت نعلى مجوض) وكان يشارط فى مسجد قريته هذه . وفيه اخذ عنه المترجم، توفى نحو ١٣٧٠ هـ فيما قيل لنا . ثم أخذ ما عنده من المعارف عن والده وعن أخيه ومن المدرسة (الالغية) ومن مدرسة أخرى فى تلك الجبال . وقد ظهرت منه رجولة فى ازمة العرش . فجاهر ضد الخونة . فنادى فى الناس فحفظه الله من أن يبطش به . ثم صار رجل دارهم بعد وفاة اخيه سيدى محمد .

ادبيات حواليه

ولد سيدى أحمد اواسط صفر ١٣٣٠ هـ فتبارى تلاميذ الاستاذ فى تهنئته به . فأجاب الشيخ كل واحد منهم على وزنه وقافيته . ولم يحضر عندنا الآن الا أجوبة الشيخ . فقد قال فى جواب الاديب سيدى داود الرسموكى :

وافت علـى نأي وقـد شف الظما ... قلبي فأروقت من شذا ذاك الحمى
سحريـة الالفاظ لكن دونهـا ... معنى كدر في القلادة نظما
من نسخ داوود وصنعة ذهنه الـ ... سيال قدرها فأبـدع محكمـا
لأن الكلام له كما لسميـه ... لان الحديد وذاك قدر قد سما
جاءت تهنيني بنجـل سرنـي ... بـولاده الله الكريم وأنعمـا
فجزيت يا داوود من خل صفا ... قلبا فاسدى في الوداد والحما
وعليك خير تحية مـا رنحت ... عطف المشوق صبابة ريـح الحمى
لازلت تسمو للعلا مهما بدت ... راياتهـا لاقيتهـا متقدمـا
بالمصطفى صلى عليه الله ما ... غنت حمامـات الاراك وسلمـا

جوابه لسيدي محمد بن علي الالفي :

أهلا بمن أنعمت بوصلها بالي ... وجددت بالسرى سرور اقبال
خريدة صاغها نار الذكا فأتت ... رافلة في حـلى غنج وادلال
لفظ كما اطرد الماء الزلال صفا ... ورقة ما حكاها صرف جريال (١)
لم لا وقد هذبتها فكرة غذيت ... ماء البيان النمير الطيب الخالي
فكرالاديب النجيب ابن‌شيوخ هدى ... محمد بن عـلى الفتى العالي
وافت تهنيء بالنجـل المبارك احـ ... ـمد الذى زاد فـي سعد واقبال
ايه محمد فلتنهض تنل شرفا ... في العلم يحرق قلب الحاسد القالي
العلم علق نفيس من تقلـده ... أضحى وان كان معطالا هو الحالي
لكنـه نافر كل النفور فـلا ... ينقاد الا للقلب ملهـوى خال
ذى همة لاتني ونية صدقت ... لله فيـه وعزم غـير مـلال
لازلت تسمو الى نيل العلا صعدا ... حتى تـذلل منـه أي اذلال
موفر الحـظ محفوظ السيادة ملـ ... ـحوظ السعادة في فضل وافضال

جوابه لسيدي محمد بن محمد التيملي :

أهديت يا ابن‌الكرام السادة النجب ... بكرا تبختر في أثوابها القشب
كالروض طيبا وكالعقد المنظم تر ... تيبا وفي النور كالسيارة الشهب
أثنيت حسن الثناء بالجميل على ... عبد عن المدح ناء غير مقترب
في ضمن تهنئة بالنجل أحمد لا ... زال مصونا محوطا من أذى النوب
جزاك ربك يا أوفى الكرام بما ... يجزى‌ذوى‌الصدق والافضال والادب
لازلت ذا همة في العلم خاضعة ... لك المعالي بلا كد ولا تعب
مني السلام على مثواك ما طربت ... ورق الحمام عـلى لـدن من القطب
ثم الصلاة على خير الورى وعلى الا ... صحاب طرا خيـار العجم والعرب

١) الجريال بالكسر : الخمر

جوابه لسيدي أحمد ابن الحاج محمد اليزيدي :

هبت فأزرت بالكبا والاس ... نجدية من روضة القرطاس
وسرت وقد ركد الظلام فهيجت ... من طيبها وجد الخلى الناسي
سحرت برقتها الفؤاد وذكرت ... شرخ الشباب الطيب الانفاس
ودعت الى لهو التصابي بعد ما ... بان الصبا وبدا المشيب العاسي١
دارت سلافتها علي فلم تزل ... حتى خلعت لهـا الوقار الراسي
كاس تذيب الهم الا أنهـا ... تصبي الحجايا حسنها من كاس
ما ذقت منها رشفة الا سرى ... طرب يميـد بمعطفي المياس
سحريـة قمريـة شعريـة ... أنست محاسن كل ظبي كناس ٢
لله فكـر نمقتهـا كفـه ... بـذكائـه المنسي ذكاء اياس
فكر زكا أصلا وصادقه حيا ... علم فأنبت منه اي غراس
حاز العلا فرضا وتعصيبا فليت ... ـت اذ دعا من غير طول مراس
ايه فقد أحرزت في شأو العلا ... خصل المـدى . ايه ابا العباس
لك في البلاغة والسراوة والحجا ... رتب غدت مثلا سرى في الناس
ان قويست بالبحتري فأين بر ... ض ذكائه من ذهنك البجاس ٣
او عورضت بأبي نواس جز من ... غلب نواسته التي في الراس ٤
اهديتهـا فكريـة عربيـة ... بكرا زهت لم تبتذل بمساس
ضحكت الي وقد غسا هم دجا ... فجلت دجاه بجلوة الايناس ٥
حيت على استحيائها فطلبت من ... ذهني يعارضها فخان القاسي
ورشفت خمر رضابها فمرحت من ... طرب وكدت أغيب عن احساسي
هنئتني فيها بـ (أحمد) صانـه ... من كل ما يؤذيه رب الناس
لازلت غواصا على درر الحجا ... فتثيرها بذكائـك الغطاس
بالمصطفى صلى عليه الله والا ... صحاب فرسان الندى والباس
وعليك ياخذن الصفاء تحية ... نجدية من روضة القرطاس

تبارى هؤلاء في التهنئة . ولكن ولد الشيخ سيدي محمدا لم يهنئه فخاطبـه بقوله :

محمد يا من لم يزل قرة النفس ... أمالك في نظم التهانيء من حدس

١) يقال عسا الليل : اشتدت ظلمته . والنبات : غلظ ويبس . فالمقصود مجاز من أحد هذين . ويستعمل كذلك من قديم في أشعار العرب .
٢) الكناس بالكسر : مسكن الظبي .
٣) البرض بفتح فسكون : القليل
٤) النواسة : الذؤابة . ٥) غسا الليل : أظلم .

فلم لا تهنيني بصنوك اذ بدا   هلالا يجلى ظلمة الهم واللبس

وأنت اذا انصفت فيه أحق أن   تضمخ فيه الطرس بالمسك والورس

بقيت لجمع الفضل جمع سلامة   ولابرحت تعلو علاك على الشمس

عليك سلام الله ما وشم الحجا   بوشمسواد النقسزند يد الطرس ١

الجـــواب :

أمولاى من أهدى الى المذنب النكس   عروسا بها تجلى للهموم عنالنفس

خريدة فكر غادة غير ان من   اليه تهادى لم يكن من بنى الجنس

تؤنب عن تركى تهانئى سيدى   بنجل زرت أنواره بسنا الشمس

ولا عذر لى فى تركها غير انه   يقصر عن حق الثنا عنكمـا نفسى

على انه ان ساعدتنى عنايـة   وشيبت به وفق الرضا صفحة الطرس

على سيدى أزكى التحية ما سرى   نسيمالصبا فىروضة الورد والورس

فراجعه الشيخ بقوله :

بنى لقد أبدعت فى شعرك المنسى   بيـان بنى ذبيـانهم وبنى عبس

نصاعة لفظ فى حلاوة منزع   وطيب معان تزدرى روضة الدعس٢

هـو السحر الا أنه الخمر رقـة   هو الزهر لولا الزهر يذبل باللمس

قريب الجنى حتى اذا ريم قطفه   تناءى وهل كف تمد الى الشمس

كذا فلينص النظم عذبا مسلسلا   والا فما أدناه من سمة الوكس ٣

بقيت مصونا تجتنى ثمر المنى   هنيئا مريئا غير وان ولا نكس

ثم قال سيدى محمد فى التهنئة :

سفرت فاخجلت النفـوس بهاء   واضاء لـمع جبينها الارجاء

وتنفست فالمسك سود لونه   حسد وحقد يحرقان كباء (٤)

وتبرجت فسالتهـا مـاذا التبـ   ـرج هل زمانك احدث السراء

قالت نعم بشرى بنجل قد بدا   فجلا عن القلب الكئيب عناء

نجل به ابتسم الزمان واجزل الـ   ـه الكريم بنجمـه النعماء

نجم بدا أفق السعادة فاعتلى   بسعوده الجـوزاء والعـواء

واستبشرت بسعوده رتب العلا   وتزينت تمشى لـه استحياء

يا من بطلعته الدهور تبسمت   يا من هدى كل الانام ضياء

يا شيخ هذا العصر يا من جوده   اغنى العفـاة وبدد اللاواء

هنئت ما الميمون احمد صانه   رب الـورى وانالـه العلياء

---

١) النقس بكسر فسكون : المداد

٢) الدعس بالكسر لغة فى الدعص : الرملة المستديرة .

٣) الوكس بالفتح : النقصان والخسارة

٤) الكباء بالكسر : العود الذى يتبخر به

لازلتما قمرى زمـان حالك   يجلو ضياء هدا كما الظلماء

وعليكما ازكى السلام كما سقى   روضا عهاد سحابـة وطفاء

وقال الشيخ سيدى أبو الحسن الالغى :

هنئت طاهر بالمطهر أحمد   وبوارث السلف الكرام المجد

ويتيمة العقـد المنظم فخره   بيد الكمال وبالحبيب الأوحد

وبمن يجدد للديانة ما وهى   منها وبالشرف الاثيل الاقعد

وبشمس فضل ليس يكسف نورها   طلعت بافـق سماء مجد الـلـد

هــو وردة غرست بترب طيب   وسقت منابتها ميـاه المزبد

أبقى الاله سناءه وسناه فى   فلك السيادة فوق هام الفرقد

وأراك منه ومن أجلة اخوة   سبقته أو لحقته سعد الاسعد

بأجل خير الخلق جاد ضريحه   منى صلاة فى بقيع الغرقد

فاجابه المترجم بقوله :

مولاى يا بدر الهدى والسؤدد   يا وارث السر المصون الامجد

جهزت بنت قريحة قـد جررت   ذيل الدلال على الحسان الخرد

غيـداء قلدها الحجا من دره الـ   ـغالى بكـل منظم ومنضـد

هنأت فيها العبد بالنجل الذى   ارجو يشد بحبلكم عقد اليد

فالحكم ان الفرع يتبع أصله   ويعد عبدا من عبيد السيد

لازال يـا مولاى غيث السر منـ   ـك على النهى ابدا يروح ويغتدى

وعليك يا بدر الكمال تحية   كنسيمروض ثنائك الغض الندى

الرابع والاربعـون : سيدى ابرهيم بن الطاهر

ان أولئك الثلاثة محمدا وعبد الله وأحمد أشقاء . وابرهيم هذا ومن ذكروا بعده أشقاء . أخذ سيدى ابرهيم القرءان عن أساتذة أهمهم الاستاذ الحسين بن محمد بن الحسين من أهل قرية (أساكا) ويقال لأسرتهم (ءال الطالب مبارك) وهو طالب اتقن حفظ القرءان . ثم أخذ معارف لا بأس بها عن الاستاذ سيدى محمـد بن الطاهر وعن ولـده سيدى المدنى . ثم تولى تعليم القرءان فى المدرسة نحو عشرين عاما . وهو متدين حسن الاخلاق هادىء . ليس فيه من رعونة الطلبة ما يلاحظ عليه . وقد فارق تلك المدرسة ١٣٨١ هـ والتحق بنا . وهو عندنا الآن فى الـدار يعلم بناتنـا القرءان . ويقوم بالصلـوات لأهالينا . وهو رجل أى رجل مسكنة وتؤدة . ولد عام ١٣٤٤ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ سيدى المحفوظ بن عبد الله الاساكى ثم كان حينا عند الاستاذ سيدى الحاج محمد بن عبد الكريم الاخصاصى . ثم ربض فى مدرسة (تانكرت) نحو عشرين سنة . يعلم القرءان فيهـا . وهو الآن لايزال عزبا . هذا هو استاذ المترجم فى القرءان . ثم اخذ عن

اخيه الاستاذ سيدى محمد معلوماتـه العربيــة . وكذلك عن ابنه سيدى المدنى . وهو ذو همة فى المطالعة . أعانه الله على الاتمام . وهو الآن فى زهاء ٢٩ سنة من عمره . ولا يزال عزبا .

الخامس والاربعون : سيدى البشير بن الطاهر

أخذ القرءان عن الاستاذ المتقدم وهو عمدته . بعد ما أخذ قليلا عن سيدى ابرهيم المنقوش السملالى يوم شارط فى مسجد(تاووريرت ند على نجوض) ثم أخذ المعارف العربية عن أخيه سيدى محمد وعن ولده سيدى المدنى . وهو نجيب مهتم محصل . يولع بالادبيات كاهله . ثم صار يدرس أيضا فى المدرسة . وله امتياز بين أشقائه . وهو أصغر من ابرهيم بسنوات . وامهم بنت الاديب سيدى البشير . وهو أيضا لايزال عزبا الى الآن . وياليته جمع ما تحت أيديهم كيفما كان . رسائل وقصائد وفتاوى . لئـلا يضيع الجميـع .

السادس والاربعون : سيدى عبد الرحمن بن الطاهر

هو أصغر أولاد سيدى الطاهر . وبين أشقائه هؤلاء . اخذ القرءان عن الحسين الاستاذ المذكور . والمعارف بعضها عن أخيـه سيدى محمـد . والاكثر عن سيدى المدنى . وعن صنوه سيدى البشير . وتذكر عنه نجابة معروفة من أهله . وهو يهتم بالتحصيل . ولايزال يتتبع الى الآن ١٣٨٢ هـ

* * *

هؤلاء ءال شيخنا سيدى الطاهر. وهم يواقيت فى سلط أولاد الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم رضى الله عنه . وهكذا قرت عين شيخنا فى أولاده الستة . فقد ضرب كل واحد منهم بالسهم المصيب . فكان لكل واحد منها ما تيسر له من نصيب . وقد كان شيخنا مهتمـا بتعليم أولاده . ففرغهم للمعارف . واشتغل هو فـى أخريات عمره فى السعى لهم . والكـد فى معيشتهم . حتى نال فيهم مرامه كما يحب .

نعم الالـه على العبـاد كثيرة   وأجلهـن نجابـة الأولاد

هذا ما تيسر فى ترجمة شيخنا . ونحن نعلم أننا مقصرون . ولكن :

على قدر الرداء مددت رجلى   ولو طال الرداء لهـا لطالت

ويجب على كل أصحابه ـ وأنا أصغرهم ـ أن يقيد كل واحد منهم ماعرفه منه . فان حضرة شيخنا بحر زاخر فكما لاتفيض الـدلاء البحر الزاخر . فكذلك لن تنتهى مئاخر شيخنـا وان جمع فيهـا كل واحد من أصحابه مجلدات .

مئاثر الطاهر لا تنتهى   انتنهى النجـوم بالعـد
فانمـا الطاهر أعجوبـة   فـى العلم والآداب والمجـد
قابلـه الله برضوانــه   مبوءا فـى جنـة الخلـد

والمظنون أن القارىء لايخرج من هذه الترجمة التى افعمناها باخبار المترجم وبمئاثره حتى يعرف من هو الطاهر الايفرانى الذى كان فذا وحيدا فى الجنوب . ان تأدبنا ولم نجعله فذا فريدا فى الجنوب وفى الشمال معا . لأنه لايعيش للجنوب وحده بل للجنوب وللشمال معا . أولم يسمع القارىء ما قاله يوم اعتقل الثائر (بوحمارة) ثائر الشمال :

لقد قرت بقبض (أبى حمارة)   عيون لم تزل ترجو دماره
فصار حليف خزى فى قفيص الـ   ـخسارة بعد كرسى الامارة
وخر فلا لعا أبدا صريعا   وأدرك غرسه فجنى ثماره (١)
كذاك جزاء من يجرى بشاو الـ   ـمذاكى راكبا متن الحمارة (٢)

فرحم الله تلك الشخصية الفذة . وجللها برضوانه . وألحقنا بها مسلمين غير مفتونين .

وقبل أن نخرج من ترجمة هذا الشاعر الكبير نذكر بيتين هما اول ما قاله فى فجر حياته الشعرية . وهما :

ألا ان خيـر الخلق طرا محمـد   وخير كلام العالمين كـلامـه
به يشتفى من كل داء وعلة   ويبلغ للقلب المعنى مرامه

وجدت ذلك فى كلام ولـده . وان كان يحتمل ان يرجع الضمير الى غيره . وبهذه المناسبة أذكر اول مـا قلته أنـا فى هذا الطور ـ وهو مضحك ـ فى قطعة مطلعها :

الله أكبر وهـو الرحمان الرحيم   وهـو السميع الخلاق القادر العليم

الوك هذا وقد جئت من مدرسة (ايغشان) وأنا طالع فى ذلك الجبل الى(الخ) فسبحان من يلهم الفهاهـة للبلـداء فى هذا الميدان . فاللهم تب علينا من الفهاهة .

---

١) لعا : كلمة تقال للعاثر دعاء لـه
٢) المذكى : الفرس القارح

شيخنا

سيدي محمد بن الطاهر الايفرانى

١٣٠٦ هـ = ليلة ٢١ - ٣ - ١٣٧٧ هـ

نسبه :

محمد بن الطاهر بن محمد بن ابرهيم بن أحمد بن يحيا = الى اخر نسب والده ونسب الجد الأعلى محمد بن ابرهيم الشيخ .

علامة كبير . وابن علامة كبير . وحفيد علامة كبير . ومن اسرة تتسلسل من علامة كبير . وسبط علامة كبير . تنتسب أيضا اسرته الى علامة كبير .

هكذا احاط به كبر العظمة العلمية من كل جانب . الم يكن ابن الطاهر الايفرانى . وحفيد محمد بن ابرهيم الايفرانى . ومن سلالة العلامة الشيخ محمد بن ابرهيم التامانارتى . ثم الم يكن سبط الشيخ سيدى المدنى الناصرى المنتسب الى سيدى محمد بن ناصر الذى هو ما هو جلالة ومجدا .

نشا فى بيئة علمية أدبية . فلا غرو أن يكون ابن بيئته فى العلم والادب . فان كان الذين يلمون بوالده الماما ينالون منه ما ينالون . فكيف بمن صاحبه منذ نيطت به التمائم . الى أن خلع العمائم الثلاث (١)

متعلمه

اخذ القرءان عن الاستاذ سيدى الحسين بن محمد بن عبد الله الاساكى . خال والده . وهو عمدته فيه . ثم لازم والده من المبتدا الى المنتهى . لازم دروسه ومجالسه الخاصة والعامة . فى المدرسة وفى الدار وكان مرجعه فى المشكلات . ونبراسه فى المدلهمات . وصوته (٢) فى المهمات

١) يعنى العرب بذلك لون الشباب . ثم لون الشباب والشيب . ثم الشيب وحده . ٢) الصوة بالضم وتشديد الواو : العلامة التى تجعل فى القفار لتهدى السالكين .

الى ان نال منه ما نال . ثم استخلفه اولا فى اعادة الدروس للطلبة يوم كان الشيخ فى المدرسة (البومروانية) ثم سلم له مقواد الدراسة يوم راجع المدرسة (التانكرتية) سنة ١٣٣١ هـ . فقام بالدراسة من ذلك اليوم الى أن فاظت نفسه . وذلك ستة واربعون عاما . قلما يسافر فيها الا أسفارا قليلة معدودة . ثم لايغيب الا قليلا .

هكذا امضى حياته فى ميدان العلوم راضيا مستبشرا - شنشنة اعرفها من اخزم -

مختلف اخباره

كان شيخنا هذا فى ثلة نشات تحت أحضان الشيخ الاكبر كمولاى عبد الرحمن وسيدى أحمد اليزيدى . وسيدى داود الرسموكى . وسيدى البشير العزيبى . وسيدى محمد الاومسناتى . وسيدى محمد بن على الالغى فكان التنافس يعمل عمله بعضهم لبعض . فاذا بشيخنا هذا فاقهم جميعا بانواع شتى . وان كان يشاركه اليزيدى وداود الرسموكى فى التخريج . كما يشاركانه ايضا مع مولاى عبد الرحمن فى التفوق فى الأدب . ولكن اذا امعن ممعن وأراد أن ينصف يجد المترجم فائزا بخصل تلك الميادين كلها . وقد سمعت باذنى مولاى عبد الرحمن الذى يسلم له كل هؤلاء فى التضلع . ثناء عطرا على استحضار المترجم . وعلى تمكنه فى الفنون التى درسها مرارا حتى صارت على اسلات لسانه . فكان أكثر الناس استحضارا للأبيات وللامثال ولالفاظ اللغة . فضلا عن المسائل النحوية والفقهية . وقد اخذ الفرائض والحساب عن علامة هذين الفنين سيدى محمد بن على ابليك رحمه الله . فقد صبر معه حتى حصل عنده ذلك حين كان والده يملى اله فى علم الحساب قليل البصر - كما ذكرنا ذلك فى ترجمته - .

هكذا شيخنا فى هذه الناحية . وأما فى أخلاقه . فان الاريحية تغلب عليه . خصوصا حين كان لايزال فى شبيبته . يوم لا زوجة ولا أولاد ولا هموم . فقد كان كالفلو الذى يرتفع فى روضة غناء فسيحة . فيرتسع ما يرتع . ثم يستن ما يستن . وقد كان طموحا عالى الهمة . فيحب اذذاك ركوب الخيل - كما ذكرناه عن والده - وزاد عليه بأن يدخل فى حلبات الفرسان فى الميدان . حتى اصيب يوما برصاصة فى رجله غلطا . لزم بها الفراش ما شاء الله . فكان ذلك مثار الادبيات ستراها أمامك . وقد كان والده يراعيه . ويعامله معاملة الوالد الحنون للابن البار . فلا يرى منه الا وجه الرضا . وقد كان ذلك ايضا منبعا من منابع الشعر بين الولد والوالد .

كان تلميذ والده البار وخادمه المطيع . والواقف على ضيوفه . ومعينه

في كل شئونه البيتية . وقد كفاه والده القيام بشئون الحرث وما اليه في الاملاك خارج البلد . وكفاه هو مئونة القيام بكل ما يتعلق بالدار . فهو الذي يامر فيها وينهي . وهو الذي يشتري من السوق ومن المواسم كل ما تحتاج اليه الدار أسبوعيا او سنويا . واليه يدفع الشيخ الدراهم التي ياتي بها من الاملاك او من مواهب الله . ولذلك لايعرف هو الا الانفاق دائما بسعة . وان لم تحضر الدراهم يستدين الى ان يعطيه والده ما يقضي به الدين . فعلى هذه الوتيرة تمشي مع والده منذ تزوج نحو ١٣٣٥ هـ وبقي على ذلك الى ان قضى والده اجله . ثم سار على نحو ذلك الى أن لحق بوالده وباب دارهم مفتوحة دائما أمام الواردين .

كان يراعي الادب غاية غاية مع والده . فلا يعلم أنه راجعه في شيء بسوء ادب . حتى في المذاكرات العلمية . فانه ان لمح خللا فانما يدلي برأيه بكل ادب . وحين شاخ والده أخيرا . كان اذا قام من (توى) (١) الدار الى محله الخاص . يقوم معه بالفنار امامه . وان كان الولد اذ ذاك صار أيضا شيخا نحيلا . حتى ان من رءاه مع أبيه . يظن أنه أسن من أبيه . وكانت العادة بينه وبين والده . أن يأكل الوالد مع الابناء الكبار . ثم يأكل المترجم مع الابناء الصغار . هذا اذا لم يكن أضياف يقتضون الانفراد عنهم بالاولاد فيتاخر هؤلاء حتى يأكل الاضياف .

وقد كان حريصا أن يجمع ديوان والده في كناشين كبيرين . الا انه لايحرص الا على ما يقوله والده . ويطرح ما يقوله ءاخرون في الشيخ . وان كان تمام المنفعة لايكون الا بالجميع . ولذلك حرمنا نحن الآن من كل ما طرحه . فلو كان لايغفل الا القوافي الساقطة لكان معذورا . ولكنه يغفل حتى ما ليس كذلك . على أنه كان حريصا على أن يجمع الجذاذات التي فيها كل ذلك كيفما كان ولا ريب أن الجميع مكدس عند أهله الآن . ولا يعلم الا الله كم هناك من رسائل وغيرها . وكم حرصنا أن نستفيد من ذلك فلم يتيسر . فأين واحد من أولاده يجمع كل ذلك في مجموع .

امـا معاناته للادب فانه نشأ معه من صغره . فكان يكب على كتب الادب . ويحفظ من القصائد والمقطعات ما يملأ بـه المسامع . ويطرز به احاديثه في المجامع . وكان في أوائله نساخا لبعض الكتب . ولكتب الادب باعتناء . وقـد رأينا بعض ذلك . وحين كان نابتا في رياض القوافي . صار منـذ دب يصوغ كمـا يصوغ أقرانـه . فقـد حكى مرة لتلاميذه انه كان مرة في (الغ) فعيب في شعره بأنه يقتبسه من غيره . قال : فاخذ بيدي الشيخ سيدي الحاج علي . وكان غيورا علينا . فادخلني في بيت . فقلت قصيدة . فاتى الشيخ بهـا اليهم قائلا : وماذا تقولون أيضا الآن ؟

١) التوي كغني : محل الاضياف في الدار .

ومما يتعلق بحياة المترجم ان المستعمرين كلفوه حينا من الدهر ان يحضر في مركز (احدادو) في بلده . وذلك في مبـدا احتلالهم لتلـك الناحية مختتم ١٣٥٢ هـ فلم يجد بدا من الانقياد . فصار يحضر مـا شاء الله في جمعية من عرفاء البلد . ولم يبطيء في ذلك . ثم بعد انقطاعه ازمانا استدعي ايضا . فكان يحضر مع أمين من أهل العرف . وكانت مهمـة امثاله اذ ذاك ان يقرأوا الرسوم . ويوزعوا المواريث . ويقفوا على قسم الاملاك . وقد اجتهد المستعمرون أن يعلوا شأن جهال يسمونهم اهل العرف والمقصود محو الشريعة الاسلامية . ثم حصل شنئان بين هؤلاء وبين المترجم فاريح من ذلك العمل . فلازم مدرسته مستبشرا مسرورا في باطنه . وان كان يظهر انفة لئلا يشمت به الشامتون . فانقطع نحو سنة عـن السوق الاسبوعية التي ما كان يتخلف عنها قط . ثم بعد ما نسي ذلك عـاد الى السوق . واما والده فقد أعلن لأهل المركز أن في تاخير ولده خيرا كثيرا .

هكذا كان مع الاستعمار . ثم جاء الاستقلال . فقدم وفد العلمـاء السوسيين وهم ١٣٠ عالما . فمثلوا أمام الملك محمد الخامس . فرحب بهم وقال فيهم كلمة مؤثرة . اجابة لكلمة العلماء التي ألقاها الاديب محمـد العثماني . ثم تقدم المترجم فدعا للملك دعوات عاليـة بلسان فصيـح . فعلت فعلتها في نفس الملك . ثم عينه الملك عضوا في المجلس الاستشاري للحكومة . فكان يرد الى (الرباط) ويحضر . الى أن لاقى ربه اثر مرض خفيف .

قال الاستاذ سيدي الحسين حضرنا عنده ليلة عيد المولد وفي يوم العيد . وهو صحيح . ثم أصابه شيء في عشية العيد . فيتزايد طول الاسبوع وقد كان العيد يوم الاثنين ١٢ من ربيع الاول ١٣٧٧ هـ فلم يصل يـــوم الاثنين الآخر . حتى بلغ منه المرض ما بلغ . قال وحضرنا عنـده عشية الثلاثاء . فوجدناه في الغرغرة . ولايتكلم . وانما يقلب عيونه في الحاضرين فلم ينشب عند نحو الساعة العاشرة أن فاظت نفسه . والليلة ليلة الاربعاء الحادي والعشرين من ربيع الاول . وقد كان المطر كثيرا . وسال الوادي . فحضر الناس صباحا . وجعلوا الاحجار في مسيل الوادي حتى أمكن ان نمر بالجنازة الى المدرسة . وكان الذين تولوا غسله هم الذين تولوا غسل والده وهم مولاي أحمد والد الفقيه مولاي عبد الرحمن من أهل قريـة (تاكنزورت) وسيدي ابرهيم بن مبارك الامسراءي المشارط اذذاك في مسجد (تاوريرت) وسيدي الطاهر ابن المحفوظ الاساكي . وسيدي محمد ابن سعيد بن حشون الاساكي. قال : وكنت أنا وسيدي علي من (ءالكروم)

نقبض الثوب فوقه حين يغسل . كما هي العادة في غسل الموتى من الستر التام . ثم اقبر ازاء والده في قبة الشيخ سيدى محمد اباراغ .

(اقول) : ما انس لا انس ساعة توصلت بمكالمة من (تارودانت) نعى لى فيها المترجم . وقد كنت حديث عهد من ايام بارسال رسالة اليه ومعها ما يتوصل به عن الايام الاخيرة التى حضرها فى (المجلس الاستشارى) وقد قيل لى : انه بمجرد ما توصل بذلك ادى بها ديونا تراكمت عليه . ثم لم ينشب أن توفى بارىء الذمة . رحمه الله . ونطلب الله أن يغفر لنا وله . وان يجعلنا من المحظوظين عنده . ومن الملحوظين بعين رحمته . وأن يبدل سيئاتنا حسنات . انه أهل التقوى وأهل المغفرة .

في ميدان الادب

رأى القارىء كيف كانت بيئة المترجم تطفح ادابا . ولابد أنه سيتطاول الى ان يرى كيف هو بين تلك الحلبة أمجل هو ام سكيت . ولذلك سنسوق ما سنح عندنا مما بينه وبين والده . وبينه وبين شيخ الجماعة أبى الحسن الالغى . ثم ما بينه وبين أقرانه . والله الموفق المعين .

بينه وبين والده

كان بينهما الخير الكثير . وسنذكر ما تيسر لنا من ذلك . قال المترجم يخاطبه سنة ١٣٣٣ هـ :

الحب أعظم أن يرى مستورا ... أو أن يكون خميسه مقهورا (١)
فدع الملامة يا عذول فانني ... قد صرت فيحبس الغرام اسيرا
ان المحب يرى الصبابة جنة ... يرتاح فيها والسلو سعيرا
يا عاذلى جهلا بأحكام الهوى ... رفقا فلو تدرى لكنت عذيرا
كيف اصطبارى بعدما بان الالى ... كان المشوق بقربهم مسرورا
قال العواذل ما عهدناك امرءا ... يبدى الغرام بقلبه تأثيرا
فاجبتهم قد كان ذلك والهوى ... ما أن تمكن فى الفؤاد أميرا
واذا الهوى ملك القلوب ابان ما ... كنت تجن واظهر المستورا
يا قلب فلتصبر على مر النوى ... أو ما عهدتك فى الشداد صبورا
اولا فلذ بحمى الامام المرتضى ... تنل المراد وتأمن المحذورا
شيخى ومولى نعمتى ومطوقى ... عقد المنى أفلا اكون شكورا

١) الخميس : الجيش

ماذا اقول بوصف من قد حفنى ... نعمى وكان من الزمان مجيرا
ماذا اقول بوصف من لولاه ما ... ابصرت فى ظلم الجهالة نورا
مولاى مجزى واضح وعلاك قد ... بلغت مناط الزاهرات ظهورا
فلئن نطقت فشاكر لا انثى ... ابغى بذاك الزبدك التشهيرا
فاصفح وسامح فى حقوق جمة ... قد كنت فيها مظهرا تقصيرا
فالله يجزى سيدى من فضله ... ويرى له فى المعضلات نصيرا
بالمصطفى صلى عليه الله ما ... هبت صبا وبدا الصباح منيرا

جواب الشيخ

المجد روض لا يزال نضيرا ... ما جاده صوب العلوم غزيرا
والشعر عنوان الفضائل كم به ... علت الرجال على النجوم ظهورا
عقد تنظم دره المصقول من ... لفظ فزان من الصدور صدورا
ما رنحت غصن الشمائل ريحه ... الا جنت در اللهى منثورا
او غازلت الحانه قلبا صحا ... الا وصار من الهوى مخمورا
لاسيما ما صاغه فكر صفا ... طبعا وسعره الذكا تسعيرا
فغدا ارق من النسيم اذا سرى ... سحرا على زهر الرياض مطيرا
وحوى محاسن قد حواها قوله ... (الحب اعظم ان يرى مستورا)
يا حسنه نظما تالق نوره ... فغدا على كل النظام اميرا
طارت بدائع حسنه وسرت ... على متن القلوب فحبذاك مسيرا
حتى اجتلاها المالك العدل الرضا ... مولاى احمد من تلالا نورا (١)
فرأى محاسنها وقرظها وحسـ ... ـبك مفخرا ملا النفوس سرورا
فالله يعلى امره ويجله ... قدرا ويجعل سيفه منصورا
فاداب بنى على طريق العلم مجـ ... ـتهدا تلح بدرا يضىء منيرا
والزم حمى التقوى وشان العلم عفا ... سم فهو نور يالف التطهيرا
والعرض لا تدنس محياه وكن ... حرا بابناء الزمان بصيرا
واحرص على كسب العلا ومكارم الا ... خلاق ذابر تعش مبرورا
والطف ولن واصبر وبر وصل وكن ... بجميل ما اولى الاله شكورا
لازلت فى ظل الامان موفر الا ... مال مملوء البصيرة نورا
باجل خلق الله صلى ربه الـ ... ـهادى صلاة رضا عليه كثيرا
وعلى صحابته الهداة وآله ... اهل الثنا من طهروا تطهيرا

١) يعنى أمير المكافحين احمد الهيبة .

نقبض الثوب فوقه حين يغسل . كما هي العادة في غسل الموتى من الستر التام . ثم اقبر ازاء والده في قبة الشيخ سيدي محمد أباراغ .

(أقول) : ما أنس لا أنس ساعة توصلت بمكالمة من (تارودانت) نعى لي فيها المترجم . وقد كنت حديث عهد من ايام بارسال رسالة اليه ومعها ما يتوصل به عن الايام الاخيرة التي حضرها في (المجلس الاستشاري) وقد قيل لي : انه بمجرد ما توصل بذلك أدى بها ديونا تراكمت عليه . ثم لم ينشب أن توفي بارىء الذمة . رحمه الله . ونطلب الله أن يغفر لنا وله . وأن يجعلنا من المحظوظين عنده . ومن الملحوظين بعين رحمته . وأن يبدل سيئاتنا حسنات . انه أهل التقوى وأهل المغفرة .

في ميدان الادب

رأى القارىء كيف كانت بيئة المترجم تطفح ادابا . ولابد أنه سيتطاول الى أن يرى كيف هو بين تلك الحلبة أمجل هو أم سكيت . ولذلك سنسوق ما سنح عندنا مما بينه وبين والده . وبينه وبين شيخ الجماعة أبي الحسن الالغي . ثم ما بينه وبين أقرانه . والله الموفق المعين .

بينه وبين والده

كان بينهما الخير الكثير . وسنذكر ما تيسر لنا من ذلك . قال المترجم يخاطبه سنة ١٣٣٣ هـ :

الحب أعظم أن يرى مستورا … أو أن يكون خميسه مقهورا (١)
فدع الملامة يا عذول فانني … قد صرت في حبس الغرام أسيرا
ان المحب يرى الصبابة جنة … يرتاح فيها والسلو سعيرا
يا عاذلي جهلا بأحكام الهوى … رفقا فلو تدري لكنت عذيرا
كيف اصطباري بعدما بان الالى … كان المشوق بقربهم مسرورا
قال العواذل ما عهدناك امرءا … يبدي الغرام بقلبه تأثيرا
فأجبتهم قد كان ذلك والهوى … ما أن تمكن في الفؤاد أميرا
واذا الهوى ملك القلوب ابان ما … كنت تجنّ واظهر المستورا
يا قلب فلتصبر على مر النوى … أو ما عهدتك في الشداد صبورا
أولا فلذ بحمى الامام المرتضى … تنل المراد وتأمن المحذورا
شيخي ومولى نعمتي ومطوقي … عقد المنى أفلا أكون شكورا

١) الخميس : الجيش

ماذا أقول بوصف من قد حفني … نعمى وكان من الزمان مجيرا
ماذا أقول بوصف من لولاه ما … أبصرت في ظلم الجهالة نورا
مولاي عجزي واضح وعلاك قد … بلغت مناط الزاهرات ظهورا
فلئن نطقت فشاكر لا انني … أبغي بذاك لزيدك التشهيرا
فاصفح وسامح في حقوق جمة … قد كنت فيها مظهرا تقصيرا
فالله يجزي سيدي من فضله … ويرى له في المعضلات نصيرا
بالمصطفى صلى عليه الله ما … هبت صبا وبدا الصباح منيرا

جواب الشيخ

المجد روض لا يزال نضيرا … ما جاده صوب العلوم نميرا
والشعر عنوان الفضائل كم به … علت الرجال على النجوم ظهورا
عقد تنظم دره المصقول من … لفظ فزان من الصدور صدورا
ما رنحت غصن الشمائل ريحه … الا جنت در اللهى منثورا
او غازلت الحانه قلبا صحا … الا وصار من الهوى مخمورا
لاسيما ما صاغه فكر صفا … طبعا وسعّره الذكا تسعيرا
فغدا أرق من النسيم اذا سرى … سحرا على زهر الرياض مطيرا
وحوى محاسن قد حواها قوله … (الحب أعظم أن يرى مستورا)
يا حسنه نظما تألق نوره … فغدا على كل النظام أميرا
طارت بدائع حسنه وسرت … على متن القلوب فحبذاك مسيرا
حتى اجتلاها المالك العدل الرضا … مولاي أحمد من تلألأ نورا (١)
فرأى محاسنها وقرظها وحسـ … ـبك مفخرا ملأ النفوس سرورا
فالله يعلي أمره ويجله … قدرا ويجعل سيفه منصورا
فاداب بنى على طريق العلم مجـ … ـتهدا تلح بدرا يضيء منيرا
والزم حمى التقوى وشأن العلم عظـ … ـم فهو نور يألف التطهيرا
والعرض لا تدنس محياه وكن … حبرا بأبناء الزمان بصيرا
واحرص على كسب العلا ومكارم الا … خلاق ذابر تعش مبرورا
والطف ولن واصبر وبر وصل وكن … بجميل ما أولى الاله شكورا
لازلت في ظل الامان موفر الا … مال مملوء البصيرة نورا
بأجل خلق الله صلى ربه الـ … ـهادي صلاة رضا عليه كثيرا
وعلى صحابته الهداة وآله … أهل الثنا من طهروا تطهيرا

١) يعني أمير المكافحين أحمد الهيبة .

للشريف محمد بابه لهذه القصيدة :

لافض فوك ولا برحت شكورا   برا بمسن خاطبتـه مبرورا
لترتاح بالصهباء من أخلاقـه   طبـق المراد مسرة وحبورا
فاعكف علىٰاستخراج كنز علومه   تنل المراد من العلا موفورا

وقال ايضا يمدح والده بما نصه :

خلق المشوق يردد الزفرات   ويكابد الاشواق فى الخلوات
فله عن التعذال اعظم شاغل   لا كان صب سامع للحـاة
ويح الشجى من الخل فلو درى   ما نابـه لغدا أرق مُوات
أين الذى صرم السهاد من الذى   أجفانـه لم تكتحل بسنات
ما الحب الاّ فتنـة لمتيم   عاناه فهـو الدهر فى المحنات
حزن يذيب ولوعـة لا تنقضى   وتنفس وتتابـع العبرات
ان شام بوقا لاح او هبت صبا   ففؤاده فـى أعظم الحسرات
أو رجعت ورقاء فى افنانها   سالت دموع العين منهملات
بان الخليط فهبت الاحزان وانـ   ـهزمت جنود الصبر منخذلات
وفشا بدمعك مضمر السر الذى   كنت الضنين به عن الخطرات
يادهر اما جرت فى حكم النوى   وجريت طوقك فى مدى الاعنات
فلا شكونك للامام العادل الـ   ـبر الرضا المنجى من النكبات
شيخى ملاذ الخائفين ومن له   تاتى العفاة فيجزل المنحات
شمس الهدى . بحر الندى . من لا يرى
الاّ الليـاذ بـه ذوو الحاجـات
مغنى المكـارم والمفـاخر والتقى   والمجد والشرف الأصيل الذاتى
عين المعارف مظهر الاسرار مـا   وى العز من للدين خير حماة
فرد حوى سر الجميع كما حوى   (جوف الفرا) ماشت فى الفلوات ١
بحر لو أن البحر لـذ مذاقـه   سيف فـلا ينبو عن العزمـات
بدر الضياء بنوره يسرى اذا   غطى المذاهب غاسق الظلمات
ياسيدا فتـح البصائر نوره   وأزاح ما فيها من الغفلات
هـذى بنيـة فكرة مغلولة   تمشى حذار النقد فى خجلات
فانظر اليهـا بالرضا وعيوبها   هبها لما فيها من الحسنات

١) كل الصيد فى جوف الفرا . مثل . وأصله حديث نبوى .

وكتب الى ابيه وهو فى (اداى) ١٣٢٨ هـ :

ايا نسمة الاسحار ان جزت بلغى   هديت سلاما طيبا عاطر النفح
الى شيخنا قطب المكارم والعـلا   ومن علمه يهدى لطالعة الصبح
ومن بره قـد حفنى منه ما انـا   عجزت وان كنت البليغ عن الشرح
فمالى بعـد الله الاّ جنابـه   ملاذ اذا مـا الدهر ءاذن بالبرح
فقل للـذى يبغى السيادة قاصدا   منازله فازت يمينـك بالنجـح
اياشيخ ذى الاعصار ياشمس نورها   ويا خائضا بحر المعارف بالسبح
أدام اله العرش طلعتك التى   تزيل هموم القلب أسرع من لمـح
بجاه رسول الله صلى عليـه مـع   صحابتـه وءالـه واهب الفتـح

وكتب اليه ايضا صدر رسالة :

ازكى السلام وأعطر التحيات   عـلى امـام غدا بـدر الهدايات
طـود المكـارم مغنى الفضل شمس سمـا
المجـد من نوره يجلو الغيابات
شيخى ومولاى من لا أنتمى ابدا   الاّ الى فضله عند المباهاة
وملجئى وملاذى اللذ لرافته   ألجأ اذا ما عدا عادى الملمات
يا سيد العلماء العارفين ومن   يبدو بطلعته نجم السعادات
عليك منى سلام الله ما نظمت   قريحـة كلمـات لؤلؤيات
سلام معتقل يرجو تخلصه   بهمة منك من ربق الجنايات

كـانت مساجلـة بـين المترجم والاديب سيـدى البشير العتّيبى ؛ فخاطبهما الشيخ سيدى الطاهر بقوله :

احسنتما يا هلالى أدب مـا حى   نـور ذكائهما لكل مصباح
فانتما فارسا شأو العلوم وفتا   حا عويص معانيها بمفتـاح
فشمرا ودعـا حب الدعات فلا   يجنى الامانى الاّ كل طماح
لازلتما فارعى هضب الكمال الى   أن تصبحا حاملى رايـة انجـاح
عليكما ما جنى فكر الاديب جنى   معنى غريب سلام طيب الراح

فاجابه ابنه بما لم يذكر بشعر لم نقف عليه ؛ فراجعه والده بقوله :

بنى شعرك ذا أم أكؤس الراح   قد صرت منحسنه سكران افراح
اصبحت يا قرة العينين مجتنيا   ثمر الامانى دانيات أدواح
فجـد مجتهدا فالعلم ابخـل من   أن يجتنى ثمره الاّ بالحاح
وعود النفس عادة التقى فمتى   عودتها ناشئا دانت لاصلاح
فالعلم والخير طرا لايجيب لغيـ   ـر ورع قلبه من شهوة صاح
عليك ازكى سلام من فؤاد اب   الى صلاحك جناح ومرتاح

وقال المترجم يخاطب والده ـ وهذا مطلع تكرر مرارا منه ـ :

سلام كما هب النسيم على الورد ... على شيخنا قطب المعارف والمجد
يجد الى مغنى العلا كل سبسب ... على متن ريح الشوق يحدو بها وجدى
فان يدلج يهدى بساطع نوره ... وان يعتسف يهدى شذا صيته الندى
الى ان ينال السعد فى لثم راحة ... تعودت منها ما تعودت من فرد
فيا سيدى دم فى هناء ونعمة ... وعرفك مبذول وسعدك فى زيد

وقال يعتذر الى والده :

ايا والدا ما زال بالصفح جازيا ... اساءة نجل كلما كان عاصيا
ومولى له بعد المهيمن انعم ... علىّ ففيما يرتقى دمت سماعيا
أعوذ برب العالمين من أن أرى ... بغير الذى يرضيك ماعشت اتيا
فاغض وسامح ان هفوت جهالة ... فقد أحرق الاحشاء ما كان باديا
فانت الذى أوليتنى كل نعمة ... وأنت الذى يغضى اذا كنت جافيا
ادامك تهدى للصواب وللهدى ... اله باحسان يغطى المساويا
عليك سلام الله ما راح مذنب ... تطلب غفرانا فاصبح راضيا

الجـــواب :

بنى لقد أصبحت والله راضيا ... عليك فكن فيما يزينك ساعيا
فان بقلبى رأفة لم تزل به ... تحض على استحسان ماكنت اتيا
فلا تشتغل يوما بغير تطلب از ... دياد العلا والعلم ان كنت واعيا
وصن قلبك الصاق عن الغرض الذى ... يكدر ماء الفكر ان كان صافيا
فان الغنى والعز بالعلم والتقى ... وليس باغراض تثير الامانيا
ودع كل ما يلهى لتظفر بالمنى ... وتجنى عن قرب جنا الفوز دانيا
فلا زلت ملحوظا بعين عناية ... من الله مهديا رشيدا وهاديا
تسير كما احببت فيك الى مدى ... يغيظ العدا طرا ويرضى المواليا
واسال رب العرش جل جلاله ... يبلغنى فيك الذى كنت ناويا
بجاه رسول عظم الله قدره ... ونزهه عن أن يخيب راجيا
عليه مدى الايام والغر اله ... وأصحابه وبل التحية هاميا

وكتب ايضا الى أبيه وقد قدم من سفر :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ... بامام به تزاح همومى
وبشمس الهدى المنور اشرا ... ق سناها . ليل الضلال البهيم
وبغيث يحيا به كل قلب ... اضرم الجهل فيه نار السموم

فلتطب خاطرا فؤادى فقد فا ... رقت كل حزازة وهموم
فعليه السلام من قلب صب ... وتحايا تزرى بزهر شميم

تزييف سيدى الطاهر نظما لولده :

يا لك شعرا لا يرى الحائم الظامى ... لديه سوى عى يشين واوهام
فما شئت من معنى وكيك تمجه ال ... ـطباع وتاباه رقائق افهام
ولفظ كثلج فى شهور برودة ... وطلعة واش لاح للصب نمـام
لحى الله هذا العى اخبث صاحب ... فكم شان من حر وكم حط من سام

وخاطبه والده ايضا بقوله :

بنى اذا ما جئت للدرس فلتكن ... حريصا ذكيا ساكنا فارغ البال
عقولا سئولا باحثا متدبرا ... مصيخا لما يلقى بفهم واقبال

وخاطبه ايضا بقوله :

تواضع اذا رمت التقدم وانكسر ... فربك جل عند منكسرى القلب
فكسره(بسم الله) فى الباء أورثت ... له رتبة التقديم فى أول الكتب

وخاطبه ايضا بقوله :

عليك سلام يا بنى كما سرى ... نسيم الصبا وهنا على روضة تندى
فلا تنس حق الله مادمت واشتغل ... بمايورث العلياء أو يكسب المجدا
فخير بضاعات الفتى عمره فلا ... يضيعه فى غير ما يكسب الحمدا

وكتب اليه ايضا لما أملك ببنت العلامة أبى الحسن الالغى :

أيا ولدا اضحى بأفق المفاخر ... هلالا به ضوء العصور الاواخر
ليهنك املاك أتاك مباركا ... بيمن واقبال على خير طائر
فلازالت الايام تهدى لك المنى ... وتوليك أنواع الهنا المتواتر
ولازلت محفوظ السعادة ظافر اليـ ... ـدين بسعد وارف الظل وافر
بجاه رسول الله خير وسيلة ... لنيل الامانى الطيبات العواطر
عليه صلاة الله والغر اله ... كما وشحت روضا غوادى المواطر

وكتب اليه ايضا يستحضره مع كتاب (ابن قتيبة) :

قد غلا الماء يا محمد فاحضر ... عاجلا وانت معك بابن قتيبة
واصطحب من اثاثك الجيد البار ... ع شيئا بلغت أرفع رتبة

وكتب سيدى الطاهر الى (بومروان) حين كان فيه مشارطا . يتشوق الى تلاميذه . ومن بينهم ابنه المترجم :

انـى لمشتاق الى (بنمروان) ... شوق الفرزدق لبين النوار

من اجل من حلوا بافنائه (والسر في السكان لا في الديار)
من كل فارع هضاب العلا وكل دري سناه استنار
وكل ندب ان جرى لمدى جلى وان قدح فالزند وار
هم الندامى فى الندى على ابكار أفكار النهى لا العقار
شوقى اليهم كلما نزحوا شوق آثار شجنا وأدار
يرعاهم قلبى على بعدهم كما رعى نجم الدجنة سار
فالله يحيى بنمير الرضا أفكارهم وبالعلوم الغزار
ثم تحية تعمهم ما شام برق الوصل صب قطار

جواب ابنه :

يا نسمة قد هاج منها ادكار لما سرت وهنا بنفح العرار
هل صافحت يمناك زهر الربا أم زرت للأحباب بالغور دار
ما كنت قبل اليوم أعهد ذا ك النفح منك أو غراما يثار
حييت يا نسمة قصى على الـ مشتاق أنباء زرت بالعقار
هل ذلك الحى الكريم على عهد الوداد أم عراه ازورار
وهل رياض بالحمى أخصبت وجاوب القمرى منها هزار
ما شئت من زهر ينم به سارى الصبا أو غصن ذى اهتصار
أو جدول يحكى برقته نظم الامام الشيخ قطب الفخار
السيد المولى الكريم الذى نظم عقد المجد بعد انتثار
كنز المنى بدر السنا اللذ بدا فزال ديجور العنا واستنار
من لم يزل ذا الافق مذ غاب عن أرجائه فى ظلمة واغبرار
يا مرهما يبرى كلوم الهوى من كل قلب ضل رشد افتخار
هذا قريض أم قلائد أم أزهار روض أم نجوم دراز
هذبها طبع كريم كما هذب سبكا خالص من نضار
كأنها لطف شمائل من أنشأها لا الروض غب انهمار
يا سيدى عبدك يبغى الرضا مع دعوة تنقذه من بوار
فالله نرجو أن يديم لنا وجهك بدرا امنا من سرار
بجاه أفضل الورى احمد صلى عليه الله ما النجم سار
والآل والاصحاب من كملوا فى الفضل ما عاقب ليلا نهار

وخاطب سيدى الطاهر ابنه وقد اشتاق الى دارهم حين شارط فى (بومروان) ١٣٢٩ هـ :

حسن محمد الى وكره والوكر محبوب على كل حال

فقلت لا تزمع فان العلا يا ولدى من شرطها الارتحال
فمن يرد عزا بلا نقلة عن وطن فقد اراد المحال
فاصبر قليلا تجن درابه جيدك ان عطل غيرك حال
ونزه النفس وصن عرضها واصحب تقى الله الشديد المحال
والزم حمى ركن الهدى خير من يرجى ومن شدت اليه الرحال
صلى عليه الله ما امه من حاله قد ساءه فاستحال
والآل والصحب الالى مجدهم وفضلهم طبع بدون انتحال
ونسال الله الرضا بالقضا واللطف والستر على كل حال

الجواب :

يا من مدى احسانه لاينال ومن سما فردا سماء المعال
يا منبع الاسرار يا من له تشد من اقصى البلاد الرحال
هذى قواف صاغها خاطر قد فصلت تفصيل عقد لئال
رقت وراقت فالنسيم غدا مما به من حسد ذا اعتلال
تنسى حنين المستهام الى اوطانه وذكر عهد الوصال
يا عجبا كيف يحن الى وكر حبيب لك عنه انتقال
ومنتهى سؤلى أنت وما الى سواك القلب منى يمال
فايما ارض حللت بها مجرى جيادى ومجر عوال (١)
اذامك الرحمان تجنى ثما ر العز والامال ذات اقتبال
بجاه خير الرسل صلى عليـ ـه الله والاصحاب طرا والآل

فراجعه الأب بقوله :

أبيات شعر أم نمير زلال ام نفث بابل بسحر حلال
يشر بها السمع ويصبو لها الـ ـطبع على التكرار دون ملال
من صنعة الفكر ولكنها جرت على الحسان ذيل الدلال
فهكذا لا كالذى نسجه مهلهل ذو ركة واختلال
ارشدك الله وصان شبا فكرك من عى ووصم انفلال
بالمصطفى ازكى صلاة الرضا عليه والصحب جميعا والآل

بيتان من الابن اليه ايضا ؛ وهو فى (ابى مروان) والآخر فى الدار :

الى سيدى ازكى سلام يعم من به واليه من حواش ومن اهل
تحية عبد يرتجى صدق دعوة ترويه ماء السر بالعل والنهل

١) أخذه من الشطر القديم : — مجر عوالينا ومجرى السوابق — .

وكتب سيدي الطاهر الى تلاميذه عند اعلان عطلة (العواشر) في (بومروان) في صفر ١٣٣٠ هـ :

اذا ملت الافكار حمل الدفاتر ... سمت لانتشاق ناسمات العواشر
وتصبو اذا ما كدها الجد نحوها ... صبا ذي الهوى للناعمات النواشر

ليذيلها منكم كل ذي فكر منقاد . وذكاء وقاد :

فلا تملن اكثاري عليك من الا ... شعار جدا ففي الاشعار اشعار

فقال المترجم يجيبه من بين أصحابه : داود البوزاكارني وأحمد اليزيدي ومحمد بن علي الالغي :

بدت فسبا احسانها كل ناظر ... مها الفكر ترعى في رياض الخواطر
نتيجة أنظار تفوت يد النها ... لحاقا فلم تظفر بها كف ظافر
تهيم بها الالباب لكن منالها ... بعيد ويعشي نورها كل ناظر
هي الغادة الحسناء قلد جيدها ... قلائد الفاظ زرت بجواهر
هي الروضة الغناء أودعها الحيا ... نفائس زهر عاطر النفح ناضر
الى غير هذا من محاسن أعجزت ... تأمل افكار ودرك بصائر
فلم لا ومهديها الامام الذي به ... تناسق عقد المجد بعد تناثر
امام به رسم السيادة آهل ... وقرت بـه عين العلا والمفاخر
وحاز من الخيرات ما دونه انثنت ... يدا سابق ماض وآت وحاضر
وأولى العفاة المعتمين لبابه ... ندى غير ذي من ولا متقاصر
وبث علوم الدين في الخلق لم يرم ... به عرضا يفني ولاشكر شاكر
أمولاي عذرا عن قصوري فمن له اقـ ... تدار على حصر النجوم الزواهر
بقيت ودام السعد يخدم دائما ... مقامك مكفيا أذى كل ماكر

(هذا) وقد كان من عادة الشيخ سيدي الطاهر أن يستنهض تلاميذه كلهم عامة . وابنه هذا خاصة بالقوافي في كل مناسبة . ولاسيما عند افتتاح متن من متون الفنون أو اختتامه . فمن ذلك ما قاله عند اختتام (رسالة الوضع) للعضد . في شعبان ١٣٢٩ هـ وهم اذ ذاك في مدرسة (بومروان) السملالية :

تالق برق خاتمة (الرسالة) ... فئاذن بانقشاع دجا الجهالة
رسالة واحد التحقيق فذ الـ ... ـملا (عضد) الهدى بدر الكمالة
عقيلة فكرة . ومهاة وحش ... مصايدها القرائح كالحبالة
تتيه تمنعا وتدل عجبا ... بحسن ما رأى الراءي مثاله
اذا حلت معانيها فؤاد الـ ... ـفتى حلته او حلت عقاله
وان دارت سلافتها ودرت ... غمامتها فقد ذرت غزالة (١)

١) ذرت الغزالة التي هي الشمس : أرسلت أنوارها عند طلوعها .

تدق عن النهى دركا وتخفى ... على من ناسبت منه البلادة
ولا ترضى سوى عزمات فكر ... يسدد للعلا ابدا نباله
هي الطرف الكريم فليس نقصا ... له ان لم ينل طفل قذاله (١)
فلله فكرة صاغت حلاها ... وحاكت من معانيها غلاله (٢)
يقدس روحه رب كريم ... وانعم في جنان الخلد باله
وصلى الله ما هبت شمال ... على شمس النبوءة والرسالة
صلاة تملأ الاكوان طيبا ... وتشمل صحبه وتعم آله

واذ ذاك قال المترجم :

أيا نسمة من نفح ريح الصبا أدى ... رسالة أشواقي الى ساكني نجد
فان أنت في نجد حللت فابشري ... بما شئت من روض فسيح ومن ورد
وقصي عنهم عن كئيب متيم ... حديث الهوى واظهري كامن الوجد
سقى الله من نجد فؤادا تركته ... صريع الجوى بين المنازل والصد
ودارا بها أهل المحبة والهوى ... ودهرا تقضى بالتواصل في سعد
لك الله صبا كلما لاح بارق ... تضرم في أحشائه لاعج الوقد
وان هتفت ورق باغصان بانة ... همت منك أجفان بمنسكب العهد ٣
وان سار نفح من نسيم تصاعدت ... له زفرات من حنين الى دعد
الارب لوام عذول مناصح ... يقول ملحا بالقا غاية الجهد
أتصبو الى دعد وقد حال دونها ... بعاد واستار ووقع القنا الملد
فقلت له أما البعاد فهين ... وأما القنا فالقرص دون جنا الشهد ٤
وان المنادون العلا فمن الذي ... رأيت علاه دون ناجية الجد
الى فالها عفوا وذلل شوسها ... امام الهدى بحر الندى الدائم المد
منار رشاد الحائر القدم كلما ... أتى بابه أهدى له تحفة الرشد
ومعلي رسوم المجد وهي بلاقع ... ومحيي علوم الدين من ضمة اللحد
مزيل ستور عن دقائق لم يكن اليها ... سواه يهتدي واضح القصد
فلله ما يبدي لنا بمجالس ... يفوح بها التحقيق مثل شذا الند
ولاسيما ان جال طرف جنانه ... بحلبة علم الوضع يلحم او يسدي

١) الطرف بكسر فسكون : الفرس الكريم . والقذال بالفتح : ما وراء الرأس .
٢) الغلالة بالكسر : ثوب رقيق شفاف
٣) العهد بالفتح : المطر
٤) يعني قرص النحل : أي لسعه

فاصبح مكنون (الرسالة) واضحا　　وطاوع منقادا شموس السمرقندى١
وأوقد نار الفكر فاحترقت بها　　خواتمها كأنها المندل الوردى (٢)
فيالك من صعب ألان مقاده　　ومن غامض ما ان سواه به يجدى
جزاه اله العالمين جزاء من　　يقوم لايضاح المعارف بالجد
جزاء الرضا والأمن من كل رائع　　ونيل الذى يرجوه من صمد فرد
بجاه رسول الله من لايخيب من　　رجاه لكشف الهم أوعاجل الرفد ٣
عليه صلاة الله ثم سلامه　　وءال وصحب ما بدا البارق النجدى

وقد كان الشيخ الاكبر قال يوم افتتاح هذه (الرسالة) بيتا مفردا :

أيتها الرسالة الوضعية　　كم من معان حزتها عقلية

وقد قال الشيخ أيضا يوم اختتام (التلخيص) هذين البيتين عام ١٣٢٩ هـ في المدرسة (البومروانية) :

قد لاح سر الختم عند الخاتمة　　فاستبشرت بالرى نفس حائمة
كأنما (التلخيص) أم رائمة　　أحسن بها مرضعة وفاطمة

وقال ايضا :

ذكر الحمى ـ حياه عهد رباب ـ　　فشجاه بعد الشيب عهد رباب ٤
وشدت مطوقة فهاجت لوعة　　جرى ووجدا لم يكن بحساب
وتألق النجدى فاتقدت به　　ناران نار أسى ونار تصاب
صب اذا جن الظلام فجفنه　　بعرا النجوم معلق الاهداب
شوقا لعهد مر غير مذمم　　في ظل وصل ناعم وشباب
أيام لاهجر يسوء ولا نوى　　الا رقيق تغزل وعتاب
والعيش غض والحمى روض به　　أمل المشوق ونجعة المنتاب
من كل أغيد كالقضيب اذا انثنى　　أو غادة غرثى الوشاح كعاب ٥
تسطو اذا تعطو بأساد الشرى　　ونصيد بالالحاظ خاد رغاب (٦)

---

١) الشموس بالفتح : الحرون الذى أبى أن ينقاد . والسمرقندى : شارح المتن ـ لعسل ـ
٢) المندل بفتحتين : العود الذى يتبخر به
٣) الرفد بالكسر : العطاء
٤) الرباب الأول : السحاب . والثانى من أسماء نسائهم .
٥) غرثى : يقصد بها أنها ضامرة الخصر . والاصل فى المعنى : الجوع وكعاب بالفتح : الناهدة الثدى .
٦) عطا الغزال : اذا مال عنقه لغصن . والخادر : المستتر : يعنى الاسد

ماست فقلت البان في دعص النقا　　وبدت فقلت الشمس دون سحاب
وتبسمت فحكى منضد ثغرها　　درر المعاني في سطور كتاب
درر أجادتها يد (التلخيص) لا　　در ينظم في الطلا بسخاب (١)
وضع تلقته السعادة بالرضا　　وحوى من التحقيق كل لباب
فبدا بافق العلم بدرا طالما　　ضاءت بنور سناه كل شعاب
وأنال ما لا يستطاع بحيلة　　وأتى بخالص زبدة الاوطاب
وجلى من العلم المصون عرائسا　　حارت لعزتها اولوا الالباب (٢)
وضع غريب لم يؤلف مثله　　في فنه من سالف الاحقاب
مهما دجا من ليل جهل فهو في　　افق المعاني مستنير شهاب
واذا غدا باب البيان مغلقا　　فبكفه مفتاح ذاك الباب
واذا التوى معنى البديع فنصه ال　　مصقول حين ينص فصل خطاب
ابدا جلال الدين منها ءاية　　سخرت بكل ممارس نقاب
فهرت فاذعن انف كل مجادل　　وتصاولت فسطت بليث غلاب
والله ما (التلخيص) الا روضة　　ضمت من الالوان كل عجاب
او درة من بحر فكر زاخر　　متلاطم غمر الزلال عباب
او غادة مقصورة في خدرها　　فلزهوها تاهت على الخطاب
لاترضى كفؤا سوى ذى همة　　تسخو ببذل نفائس ورغاب
مامثل (سعد الدين) أكرم خاطب　　فلذاك لبته بلطف جواب
اسدان في غاب العلوم تصاولا　　فحلان يصطلمان وسط ركاب
جريا الى امد فكل منهما　　جلى فلا وان ولا بالكابى
يتعاوران ملاءة الاحضار في　　ميدان تحقيق وشاو صواب (٣)
فجزاهما الرحمان بالرضوان في　　جنات عدن في اعز جناب
فلقد رشفنا من طلا دنيهما　　كاسا تنسى خمرة برضاب (٤)
وتنسمت ريا صبا روضيهما　　روحى فرحت معطر الاثواب
والا ولا كالمسك مسك ختامها　　وتنشقته قرائح الطلاب
فتمايلت كتمايل النشوان من　　سكرين سكرهوى وسكرشراب
فالحمد لله العظيم المنعم البر　　الكريم المحسن الوهاب

---

١) الطلا بالضم: الاعناق : جمع طلية بالضم . والسخاب ككتاب: القلادة
٢) جلا العروس يجلوها : اذا زفها .
٣) ماخوذ من قول الشاعر القديم : ـ يتعاوران ملاءة الحضر ـ
٤) الطلا بالكسر : الخمر . والدن : خابية الخمر

حمـدا يوفي قـدر نعمته التي   تهمي كجود دائم التسكاب

وصلاته الزاكي شذا انفاسها   بشـذا نسيم زار روض رواب

وعلى الكرام الصيد أعلام الهدى   أسد الوغى ءال له وصحاب

والله يغفر بالنبى وءالـه   ءاثامنـا صفحا بغير عتاب

وينيلنا من فضله كل المنى   في الدين والدنيا ويوم حساب

ويفك عن أرواحنا قيد الهوى   ويمن بالرجعى وصدق متاب

ويعيذنا من مكره ويجير من   شر العدو وكيده المنساب

ويمدنا بمعين أسرار التقى   والختم بالزلفى وحسن مئاب

وقال الشيخ يوم ختم (الاستعارات) للطيب بن كيران :

طاب الزمان بختم نظم الطيب   جادته رحمى كالغمـام الصيب

فقال المترجم مذيلا :

نظم تفوح روائح التبيان من   أردانـه . لله در الطيب

فكأنـه غيـداء قلد نحرها   در البيان بكل عقد معجب

في ظل نادرة الزمان وواحد الـ   ـتحقيق والتدقيق بدر الغيهب

قطب العلا شيخي الامام ومرشدي   مهما ضللت الى الطريق الاصوب

حسبى به من غيره فالبدر فيـ   ـه كفاية لذوى السرى عن كوكب

يا شيخنا علم الهداة وقرة الا   بصار قصدى المقتفي المتطلب

اشكو اليك توارد الاغيار عن   قلب حزين حـائر متقلب

وجه اليه بحق مجدك همة   فيقال زار القطر ساحة مجدب

وعليك يا كنز المعارف ما عسى   يرضى مقامك من سلام طيب

وقال أيضا في ختم (الخلاصة) التي هي (الالفيـة) فـي النحو ؛ ١٨ جمادى الاولى ١٣٣٧ هـ ؛ وقد اتمها ولده مـع الطلبـة فـي المدرسة (التانكرتية) :

هنيئا لكم فالختم ختم (الخلاصة)   نجاح لمسعى أوغنى من خصاصة

فبوركتموا من سادة صمموا على الـ   ـمكارم تصميما بدون انتكاصة

وغاصوا لتطلاب المعارف فانثنت   بفاخرها أفكـارهم حين غاصت

فجدوا فان الجد يعلى مراتب الـ   كمال ويدنى ما نأت وتعاصت

فاسأل وهاب المنى أن ينيلكم   من العلم والتوفيق خير خلاصة

وقال في افتتاح تلاميذ ولده (المختصر) لخليل في الفقه ؛ في ٣٠ من ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ :

يا سادة جـدوا لفهم (المختصر)   وجروا له ملء المسامع والبصر

مني السلام عليكم ما كر جيش العلـ   ـم في جند الجهالة فانتصر

هذا وحفظ المتن شيمة همة   طالت ولم يك في مدى يدها قصر

فتنافسوا فيها فديتكم ولا   تصغوا الى عجز يعوق ولا حصر

لازلتم تردون ماء العلم صفـ   ـوا لم يشبه قذى ولافرط الخصر ١

بالمصطفى صلى عليه الله والا   صحاب من هجروا اليه ومن نصر

ما اسكرت خمر الندا مهما شدا   ورق الحما بان الاراكة فانهصر

ثم قال عند اختتامهم لـ (المختصر) :

اقول لسادة ختموا خليـلا   وقضوا ذاك الوطر الجليـلا

هنيئـا فزتم بالسؤل لمـا   شفيتم مـن تفهمـه غليـلا

وحزتم دعوة الشيخ التي من   تناله ينل بها الحظ الجزيلا

دعا بالنفـع للقـارى فعمت   سعادته الورى جيلا فجيلا

جزاه اللـه رضوانـا كبيرا   وبوءاه غـدا ظـلا ظليـلا

فجدوا في طلاب العلم حتى   تلوحوا أنجما تهدى السبيلا

ولا تصغوا الى ملل وعجز   وداعي راحـة الا قليـلا

فشأنة طـالب للعلم يأس   دعاه لأن يمل وأن يميلا

وحلوا العلم بالتقوى وخلوا   دنايا تسخم العرض الصقيلا ٢

واسأل فيكم الرحمان فتحا   وعونا يشحذ العزم الفليلا

وأنور ببصائر وهدى وسعدا   بغايـة كـل مأمول كفيـلا

فكونوا اخوة وارعوا حقوق الا   واصر واصبروا صبرا جميلا

عليكم سادتي مني سلام   كمـا زار الصبا روضا بليلا

حفظ الله ولدنا محمدا . وجعله رشيدا مهديا مسددا . وأنعم بخيرى الدنيا والآخرة منه قلبا ويدا . وسلام عليه وعلى جميع الولـد والاهل والسادة الطلبة . فرسان الحلبة . وحائزى القصبة . عند تسابق العلماء والشعراء والادباء . ورحمة الله وبركاته (هذا) وقد فرحت بما من الله عليكم من ختم (المختصر) فقلت ما باعلاه دعاء وتحريضا . وحرصا على توفير همتكم تصريحا وتعريضا . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وفي طي الرسالة ريالان (زردة) للطلبة (٣) فنحن معكم بالهمة . فكونوا معنا بالدعاء . واختم عليك يا محمد حتما لازما . وطلبا جازما . حفظ الزقاقية حفظا وتحقيقها . معنى ولفظا . وعلى من اشتغل بها من السادة . ولاتجعلوا البطالة عادة . والسلام والدكم الضعيف الطاهر يوم الاحد ٢٥ ربيع الثاني عام ١٣٤٤ هـ

١) الخصر محركا : شدة البرودة . يشير الى قول المعرى :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم   والعذب يهجر للافراط في الخصر

٢) تسخم : تسود

٣) الزردة : حفلة الطعام . ومن العادة ان تقام كلما ختم متن من المتون

من خط المترجم ما يأتي :

الحمد لله (هذا) ومن انعم الله تعل على هذا العبد الضعيف . هذه الرسالة من والده الشيخ الامام رضى الله عنه . حققنا الله بما فيها . وجزاه عنا خير الجزاء . وبارك لنـا فيه . وأمدنـا بمدده : ولدنا البر الرشيد . ان شاء الله محمد بن الطاهر . أصلحك الله وسددك . وملأ من الخيرات يدك وسلام عليك ورحمة الله وبركاته (هذا) وأرجو أن تكون لى كما قـال القائل في ولده (رباط) :

رأيت (رباطـا) حـين تـم شبابه — وولى شبابى ليس فى بره عتب
اذا كان اولاد الرجال جـرازة — فأنت الحلال الحلو والبارد العذب ١
لنا جانب منه ذميث وجانب — اذا رامه الاعداء ممتنع صعب
يخبرنى عمـا سألت بهـين — من القول لاجا فى الكلام ولا لغب ٢
سريع الى الاضياف فى ليلة القرى — اذا اجتمع الشفان والبلد الجدب ٣
وتاخـذه عنـد المكـارم هـزة — كمااهتز تحت البارح الغصن الرطب

وبذكر (رباط) تذكرت ما خاطبني به الشيخ سيديا الصحراوى البكرى مشيرا اليه :

أيا (رباط) أبيه الطاهر العلم — يحيى الندا وعدى الجود والكرم ٤
لازلت دهرك فـى أمن وفى دعـة — فـى ظـل والـدك العلامـة العلم

ثم حملنى الطرب بمـا كتب بـه الىّ الشيخ الامام رضى الله عنـه وأرضاه أن أجبت بقولى :

بشائر يمن قد حباك بها الوهب — فطب وتواجد وانشرح أيها القلب
فقد فزت منهم بالقبول مهنئا — وبالقرب والاقبال يا حبذا القرب
وقد خصك الرحمان فضلا بنعمة — يضيق بأدنى شكرها المنطق الرحب
كتاب تبدت من سماء سطوره — شموس سعود لم تكن دونها حجب
كتاب أتانا من امـام جبينه — يلوح به نور الهداية لا يخبو
امام العلا غيث الملا غوث من تلا — طريقتـه المثل التى نهجها لحب ٥
يبشرنى مـولاى فيـه بصادق الر — جاء الذى أرجو يحققه الرب

١) الجرازة : لعلها من أرض جرز بضمتين : يابسة .
٢) اللغب : بفتح فسكون : الكلام الفاسد
٣) الشافن : المتكبر الكاره . والشفان جمعه .
٤) عدى بن حاتم الكريم وابن الكريم
٥) الطريق اللحب واللاحب : الواضح

وانى وان كنت الظلوم لنفسه — فهمة مولانا بها يبلغ الارب (١)
فحب ذوى التقوى نجاة لخائف — وسيف دعاهم لا يفل ولا ينبو
فيـا سيدى انى بركنك لائذ — من الدهر كى تحمى اذا دهم الخطب
فقد بان عجز العبد واشتد ضعفه — وليس له الاّ الى بابكم اوب
جزاك اله العرش مولاى بالرضا — وفيض ندى كفيك يجلى به الجدب
وابقـاك للدنيا غياثا لأهلهـا — وللدين بدرا تستضىء به الشهب
بجاه رسول الله افضل من به — تشفع مكروب فزايله الكرب
عليه صلاة الله والغر ءالـه — واصحابه ما حل فى (طيبة) ركب
وما لاح برق أو تنفس موهنا — نسيم الصبا فاشتاق نحوالحمى صب
عـلى سيدى ازكـى سلام معطـر — يوافيه من عبـد اضر بـه الذنب

ثم راجعنى عن ذلك رضى الله عنه وارضاه عنا بهذه القصيدة الفريدة :

دعتنى غيناها وقـد وخـط الشيب
الى اللهو لـو يحلو لـذى الشيب ان يصبو
مهاة ولكـن للذكـاء انتسابها — مخدرة لكن منصتها الكتـب
غريرة طرف هذب الطبع سبكهـا — كما سبك العقيان أو جلى العضب
قـواف كانبوب القنا ولطافـة — كما افتر زهر أوكما أطرد السكب
غذاها لمبر من بيان محمد — فأضحت تمنى لطفها اللؤلؤ الرطب
اجزناك عنهـا يـا بنى رضاى لا — عدتك المنى يوما ولا فتك السيب
ونالك ما ادعو به كل ساعة — من الدين والدنيا ودان لك الصعب
ولا زلت فى حفظ من الله حافظ — تذاد به الاسوا ويحمى به السرب
بجاه رسول الله من جاهـه لنـا — وسيلة صدق لاتخيب ولا تخبو
عليه صلاة الله تشمل ءالـه — وأصحابـه الألى هم الانجم الشهب
وازكى سلام من أبيك عليك ما — صبا للحمى صب وحنت له النجب

وخاطب المترجم ايضا والده بقوله :

مولاى مولاى يا من حبه ينى — ويا اماما الى الخيرات يهدينى
ويا غماما به تحيا القلوب اذا — ما جادها ماء سر منه مكنون
ويا مجيرا لمن قد جاء ملتجئا — اليه من جور دهر مس بالهون
ويا غياثا للهوف اضر بـه — هم به القلب فى ضيق وتوهين
اولت عبدك نعمى لايطيق لها — شكرا يقوم بمفروض ومسنون
هولت ربيت علمت العلوم وقا — بلت الجهالة بالاغضاء واللين

(١) الارب مخففا بالسكون : الحاجـة

كمذا جفوت ولم تعتب وكم غرست   كفى الاساءة والاحسان تجنيني
وكم جهلت فلم تغضب ومابرحت   منك العواطف بالانعام تدنيني
حمدا وشكرا لما أوليت من منن   يضيق عن حصرها وصفي وتبييني
فليس للعبد ما يقضي الحقوق به   سوى دعاء بصدق القلب مقرون
والعبد ان عظمت نعماء سيده   عليه يجزى بشكر غير ممنون
فاصفح بحقك يامولاى عن خطاى   فقد جبلت على حلم وتامين
جزاك ربك بالرضوان سيدنا   ودمت دهرك في عز وتمكين
ولابرحت ملاذ الخائفين وغيـ   ـث المعتفين وملجأ المساكين
بالمصفى صلوات الله عاطرة   عليه ما فاح وهنا عرف نسرين
وءاله الغر والاصحاب قاطبة   والتابعين لهم في شرعة الدين
مني على سيدى أزكى السلام كما   هب النسيم بنفح مسك دارين

وخاطبه أيضا بقوله :

هب النسيم فمالت سرحة الوادى   فاشرب على الروض بين الورد والجادى [1]
حمراء كالورد ان دبت بشاربها   أجلى السرور سريعا جيش آنكاد
واطرب فديتك ما بين نسيم صبا   قدصافح الزهر غب الصيب الغادى
وبين مطرد الماء الزلال ومنـ   ـئاد الغصون لصوت الصادح الشادى
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم   جلت جلائلها عن حصر عداد
أجلها نعمة الادراك ان بها   يستبصر الحائرون نهج ارشاد
فالحمد لله اذ أحيا القلوب بها   حمدا جميلا كثيرا جم ترداد
على يد الشيخ مولانا الامام أبى   محمـد منتهى ارجـاء قصـاد
بحر العلوم وكنز السر من ظفرت   كفى به فكفاها بؤس آنكاد
فالحمد لله اذ أغنى به قدمى   عن التردد في غور وانجـاد
والحمد لله اذ أغنى به بصرى   عن الطموح الى عمرو وأزياد
مولاى شكرا لما أوليت من منن   يضيق في وصفها نثري وانشادى
فاصفح عن العبد في حق تقاصر عنـ   ـه سعيه ولو أفنى طول ءابـاد
واستوهب الله تأييدا لـه فعسى   بهمة منك يقفو خير اجداد
والله يبقيك يا مولاى نرتع في   رياض فضلك في أمن واسعاد
بجاه بحر العطايا خير من بسطت   الى نـدى راحتيه كف مرتاد
صلى عليه اله العرش ثـم على   ءال له وصحاب خير امجاد
مني على سيدى أزكى التحية ما   هب النسيم فمالت سرحة الوادى

وكتب اليه والده ايضا هذه الرسالة :

تولى الله بعنايته . وحفظ برعايته . وخص بخصوصيته اهل ولايته.

---

[1] الجادى : الزعفران

ولدنا البر محمد بن الطاهر . وسلام عليه وعلى الاهل والولد . اصلحهم الله (هذا) ودونك اربع جمال . التي من بلغ (اداى) لعلمى بغرام الصبية بالنمر واني قد تذكرت البيت الذي أردت ان انشده لك ساعة الوداع وهو :

ما جاد رأيا ولا أجدى محاولة   الا امرؤ لم يضع دنيا ولا دينا

وهو بمعنى بيت شواهد المفاضلة من البديع :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا   واقبـح الكفر والافلاس بالرجـل

ومثله قول بعض المادحين :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه   ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

واحسن من هذا كله قول الله العظيم (ولاتنس نصيبك من الدنيا) الآية . وقوله تعلى (لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) فانـه وان افـاد بالمنطوق النهى عن الالهاء . فقد أفاد بالمفهوم الامر بالجمـع بينهما . وقـد قال من اوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم : اعط كل ذى حق حقه . وقال : ان لعينك عليك حقا . فمن حق المال وشكره السعى في تنميته . وان يعمل فيه بحسن نيته . والله يبارك لنا فيما أعطي . ويفيض علينا من فضله بحور ارزاق يغنينا بها عن غيره . مع حسن العاقبة . ورفع التبعة. والحفظ من الفتن . بجاه الشفيع المطاع . والسائل المجاب . صلى الله عليه وسلم . وقد نفثت بهذه اللفاظة شوقا الى المذاكرة . وعليك بتقوى الله . والسلام . والدكم الضعيف الطاهر بن محمد أمنه الله وذلك في ٤ جمادى الاول عام ١٣٤٤ هـ

كان الفقيه سيدى محمد بن على التازاروالتي ثم البيضاوى اقترح على الشيخ أن يأمر ولده المترجم أن يسافر الى الحواضر ليستفيـد . ولم يكن راى قط حاضرة . ولا شهوة لـه في ذلك . فاجاب الشيخ الاقتراح بقوله معتذرا عن لسان ولده :

يقولـون سافر للتفرج فالسرى   يعود به بدر المنازل باهيا
فقلت كذاك السير يبدى سراره   فلولا السرى ماأصبح البدر باليا
فقـالوا وان الماء يخبث راكـدا   فقلت كـذاك الماء يكـدر جاريا
فدعني ورايي فالتغرب ذلة   ولست أرى ياصاح بالذل راضيا
فاسعد خلق الله من بات راضيا   ولم يغد في اسر المطامع عانيا
سالزم وكرى بالتعفف ساترا   بسابغ أثواب القناعة حاليا
فكم عاجز أثرى وكم حازم زرى   على الدهر لما لم ينله الامانيا
واسال ربـى ان ييسر لى المنى   فاجنى جنى الفـوز المهنا دانيا
بجاه رسول الله أزكى صلاته   عليه كما صاب الحيا العد هاميا

من خط المترجم : كتب الى والدى على وجه المداعبة . وقد قلت فى كتاب بعثته اليه : قد نزل فلان من (تيزلى) واتى بشىء من التمر . فخطأنى فى ذلك وكتب الى :

تقول أتاك التمر من أرض (رامة) … فهل انبتت بعدى نخيلا ورمانا (١)

والا فما هذا الذهول ألم تكن … جليدا على ريب النوائب يقظانا

فثق بالذى يرجى ويخشى معولا … على لطفه فيما يكون وما كانا

عليك سلام لا يزال سحابــه … يثيلك مدرارا من الامن هتانا

اشار بقوله لى : كن جليدا على ريب الزمان . الى الحرب الواقعة بالبلد فى جمادى الثانية عام ١٣٤٦ هـ سلم الله من شرها وجعل الخير عاقبتهـا . امين . ثم راجعته رضى الله عنه عن ذلك بما نصه :

أمولاى لازال الندا منك هتانا … على العبد يكسوه أمانا واحسانا

أتت منك للعبد الضعيف خريدة … لعوب تردت من حلى الحسن ألوانا

فجلت عن القلب الكئيب فزحزحت … وساوسه فاهتز بالانس ملئانا

وجادت على الفكر الجديب فانبتت … جوانبه خصبا نخيلا ورمانا

فلازلت يامولاى تولى من ارتجى … ندى راحة لاتختشى الدهر نقصانا

ولازلت حصنا يأمن الهول من لجا … اليه فلا جنا يخاف وانسانا

بجاه رسول الله صلى عليه ربـ … ـه أبدا ما نهج شرعته بانا

على سيدى أزكى التحية يزدرى … شذا نفحها المسكى وردا وريحانا

(أقول) كان الشيخ الاكبر حاضرا فى الحرب المعروفة بين القائد المدنى والقائد مبارك البنيرانى فى (تاتكرت) فخرج الشيخ من داره متوجها الى (أداى) فلمحه بعض الدعاة فى الشعب وراء قبة الشيخ (أباراغ) ولعلهم لم يعرفوه . فصاروا يرمونه بالرصاص . فحفظه الله . ولعل ذلك هـو سبب هذه الابيات . وقد حمل الشيخ غلط ولده على انه ارتاع مما وقع لوالده . فنسب التمر الى (تيزلى)

***

هذا ما وقفت عليه مما بين المترجم وبين والده . مما لم يذكر فى غير هذا المكان من أجزاء الكتاب . حتى اذا فاتنا شىء . فانما يفوتنا قليل .

بينه وبين الاستاذ ابى الحسن الالغى

كان من عادة هـذا الاستاذ اللقى بقافيـة . والتوديع باخرى . ثم

١) يعنى بـ (رامة) (تيزلى) .

جواب كل قصيدة بمثلها . وهذا ما يقع له مع المترجم فقد رحب بالمترجم وقد عاده من مرض ابل منه .

اهلا بمن خرق العوائد فضله … وشفيت من ألم الضنا بحلوله

اهلا بوفد قل من اكرامه … ان صرت عبد مبشر بوصوله

اهلا بمن لولا القلوب تقيدت … بجسومها طارت لوقت نزوله

اهلا بمن احيا القلوب قدومه … وتبرجت بولائـه وفضولـه

اهلا بمن اغنا ضياء علومه … عن نور بدر الجو عند افوله

اهلا بمن خرق العوائـد فضله … وسما بفضل فعاله واصوله

اهلا بشهم جل وقت نضاله … عن ان يصان حسامه بفلوله

شرفت عبـدا بالزيارة لم يزل … لك فى المحبة مخلصا كوصوله

ان الكمال جميعه لك منـة … فالشعر يقصر عن دراك فصوله

واسأل رب العرش يمنح كل ما … ترجوه من اقبالـه وقبوله

ويثيبك السر العميم فتنثنى … أحظى امرء قد سر عند قفوله (١)

باجل خير الخلق صلى ربنا … أبـدا وسلم دون حصوله (٢)

جواب المترجم :

هذا قصيد فاق حسن نظامه … فالبدء منــه بلاغة كختامـه

فاحت به ريح البلاغة مثل ما … روض يطيب بورده وبشامه

اهلا به فلقد أزال الهم عن … قلب المتيم بعد ستر غمامه

ما الروض فى أزهاره . ما الظبى فى أجفا … نـه مـا البـدر ليـل تمامـــه

نفسى الفداء لمن أجاد نظامه … من شيخ هذا الدهر بدر ظلامه

لم لا يفدى بالنفوس اللذ هدى … للرشد أقواما وهم بمهامه

حاز السباق بشأو كل فضيلة … أعيا ولم يدركه جرى السامه (٣)

مولى العفاة الجود مبدى كل ما … يخفى وهادى كل ضال عامه

قرت عيون الفضل لما أن شفا … ه الله من حمى أتته بعامه

ومضت مطهرة له واعيـذه … من أن تعود للحمه وعظامه

وأتيته شوقا لرؤية وجهـه … وشهود كل فضيلة بمقامـه

يا فرحتى لما وقفت ببابه … متهنئا ودخلت ظل ذمامـه

ناديت يا مولاى انى نازل … فاجر عبيدا خاف من اجرامه

عطشان يبغى الارتواء فما سوى … هامى نوالك يزيل حر اوامه (٤)

١) قفل : رجع

٢) كـذا

٣) الاوام بالضم : العطش

فافاض احسانا يضيق بوصفه … قول وذلك دابه بدوامه
والله يتحفه الرضا ويديم ما … أولاه من خير ومن انعامه
ويريه في انجاله مـا يرتضي … غرر الزمان هداته وكرامه
ويديمه الرحمان يهدى للهدى … ويصونه ويزيد في ايامه
بالمصطفى وبآله فعليهم … ما فاح زهر الورد في أكمامه
من ربنا ازكى صلاة تنهمي … مشفوعة أبدا بصوب سلامه

وخاطبه المترجم أيضا وقد ورد عليه فى (الغ) ١٣٢٨ هـ :

سحاب جفوني بالمدامع سحت … وأزداد عبيرى ساعة البين شحت
غداة استقلوا سائرين وخلفوا … لواعج شوق بالجوانح شبت
ففارقني طيب الكرى يوم ودعوا … فأطول بليلى فـي تلهب زفرتى
رعى الله ظبيا في الهوادج يرتعى … حشاى ويروى من مـوارد مقلتى
سباني الكرى علما بأن خياله … متى أغمضت عيناى جاد بوصلة
واعرض عن مر النسيم اذا سرى … مخافة أن يهدى اليه تحيتى
اذا شاق برق في الدجنة لامع … همىودق أجفاني فسال بسلوتى ١
وان سجعت ورق الحمائم بكـرة … عـلى فنن ثارت شجونى وحسرتى
وان هب نفح من صبا هاج صبوتى … واذكر عهدا فيه وصل أحبتى
احبتنا ما لى بحمل النوى يد … وان كنت ذا عزم رسا وتثبت
بها جلدى قد خانني ومعاشرى … تؤنب لو سمعى يصيخ للومـة
احاول كتمان الهوى فينم بى … نحولى وتهيامـي ودمعى وأنتى
وقائلـة لما رأتنى متيمـا … تخلص من الهوى بأحسن حيلة
فقلت لها كيف التخلص بعد ما … تمكن بى والحب ادوأ علـة
فلو ان ما بى بالبحار لغاضها … وبالنار لاتذكو وبالريح قرت
ايا سائق الاظعان فاسلم وبلغن … سلامى اذا ما جزت آكرم جيرة
وانت نسيم الريح ان جئت بلدة … حكت بهجة للعين روض خميلة
فحى بها شيخ المشايخ سيدى … ابا حسن من كان شمس الظهيرة
امام به هذا الزمان مفاخر … وكان علينا نعمة أى نعمـة
ترى الناس أفواجا يؤمون بابه … فيوليهم الاكـرام طلق الاسرة
فما شئت من علم متى ضاء نوره … هدى كل ضليل لأقوم سيرة
وما شئت من خلـق جميل وهمة … وعز مكين فى لطافة شيمـة
وما شئت من عزم اذا سل سيفه … أطاعتصروف الدهر من فرط هيبة
لعمرى لقد أدى المكارم حقها … ونـال من العلياء ارفع رتبـة
فمن مثله فى العلم والدين والتقى … ومن مثله فى الزهد او محق بدعة
لقد جد فى حفظ الديانة جاهدا … جزاه الالـه بالرضا والمحبـة

١) الودق بفتح فسكون : المطر

لقد حاول العلياء حتى اذالها … وخـود المعالي بالمكاره حفت
متى تلقه تلق امرءا متخشعا … تواضع للرحمان رب البرية
هو الكامل الشيخ المهذب سيد … حليم كريم ذو علوم وحكمة
هو السيف سيف الله جرد قطلا … طغـاة بغـاة مـارقين مريـدة
يلاطف أرباب التقى خاضعا لهم … ويطرد جبارا خبيث السريرة
متى جئته تشكو الجهالة تلقه … زلالا معينا شافيا حر غلـة
وان دهمتك الحادثات فلذ بـه … تنل فى ذراه الأمن من كل نكبة
تراه اذا ما حل أرضا تبرجت … كأن جادها بعد الظما ودق مزنة
ومهما تبدى للنواظر أطرقت … كما الشمس يعشى نورها ان تبدت
أمولاى ان المدح فيك مقصر … ولو نظمت نجم السماء قريحتي
فان بك الاشعار تشرف ان بها … مدحت والا فهي احقر لفظة
أمولاى يـا در النظام وزينـة الـ … ـكلام وكشاف الكروب الملمـة
أتت بى اليك للرجاء مطية … دعتها دواعي السعد منك فلبت
وايقنت أني مذ قصدتك فائز … بنيل المنى والامن من شر حوبة ١
وقدمت بنت الفكر تفشى مدائحا … كما سار فىروض الربا نفح نسمة
وما اقترحت الا القبول فان تفز … به سحبت ذيل الفخار وجرت
عليك سلام مثل ما أنت أهله … سلاما ينيل العبد انجح دعوة
وأزكى صلاة الله عاطرة على … نبي الهدى المبعوث من خير امـة
وآل وصحب من بهم بهجة الهدى … الى الغايـة القصوى تناهت وتمت

جـواب أبى الحسن :

وصالك هذا أم بدا صبح أسفار … ووجهك أم شمس دهت نور ابصار
وفضلك فاض فى جوانب أقطارى … أم السحب بعد خلفها ذات امطار
وعرفك هذا أم صبا قد تصافحت … بأندى رجا وهنا مفارق ازهار ٢
وخلقك هذا أم خلوق تعطرت … بأرواحه لبات صقعي وأقطارى
ونظم لئال فى نحور خرائد … أرى أم نظاما فاق رتبة أشعارى
تفتق منـه للبلاغـة نورها … ورقت به الالفاظ رقة أسحار
اذا احتست الاذواق كأس رحيقـه … سكرن حلالا ما رزئن باوزار
يقلد جيدى من فرائد لفظه … بأطواق مدح فى النهى ذات اخطار
وانى ورب البيت لولا اعتقاده … وحسن الرجا ما كنت اهلا لاكبار
فما روضة جاد العهاد وهادها … وغنت بها الاطيار عن ملد اشجار
وابدت ونور الشمس قابل نورها … جداولها كالأيم فى وقت ادبار ٣

١) الحوبة بالضم : الذنب
٢) الرجا مقصورا : الناحية .
٣) الأيم : الحنش

وتصبح في برد قشيب منمق — وشته يد الوسمي وشيا بأزرار
وتنشق منها كلما هب نفحها — شذى العنبر الشحري فاح بمعطار
بأحسن من نظم يعز علي أن — أرى رقمه في غير صفحة أفكاري
فأقسم بالفضل الذي حزت خصله — وبالشرف العد المشيد بإيثار ١
وبالادب الغض الذي كان بعض ما — منحت وما أعطيت من رفع اقدار
وبالود مني قد منحت ضميمه — فما شيب حتى شيبت يوما باكدار
لقد قلت يا ابن الاكرمين فما أرى — بفضلك شبها غير منهل أمطار
أسأل اله العرش حفظ مقامك الـ — ـسمي من الاسواء طرا وأغيار
بجاه أجل الخلق صلى وسلم الا — له عليه والاجلة أنصار

وعند الرحيل ودعه أبو الحسن بقوله :

يا هائجا للرحيل هوج أظعان — رفقا فما هجت غير قلبي العاني
ان غبت جريا مع الاقدار عن بصري — فأنت في القلب أرعاك وترعاني
حكم الزمان جرى بشمت مجتمع — فليس في غيره حليف امعان
لاغرو ان أظلمت أرض رحلت بها — فأنت والبدر للأنوار فرعان
عليك أزكي سلام طيب عطر — من حائر باسار يمنكم عان ٢

ورد أبو الحسن الى (ايفران) في صفر ١٣٢٨ هـ فرحب به المترجم بقوله :

شيخ الشيوخ بوصله همى نبا — يا مرحبا بقدومه يا مرحبا
أشفى بزورته قلوبا بعد ما — كادت لطول فراقه أن تعطبا
لو كنت أعطيت للمبشر مهجتي — بوصوله قصرت عما استوجبا
أو لو بسطت له جفوني ما اشتكت — الاقفان يقبل أتاح المطلبا
ما كان الا البدر ما أبدى لنا — أنـواره الا أزال الغيهبا
ما كان الا الغيث يحيي قلب من — أضناه داء الجهل حتى أتعبا
وينال من كفيه عافي جوده — سيبا يفرق فقره أيدي سبا

***

يا أيها الشيخ الامام اللذ سما — بالجد والتقوى المقام الاصعبا
أنت الفريد فما يرى لك مشبه — سبحان من بعلاك زان المغربا
فامنن علي بدعوة أرجو بها — نيل المنى فأرى حسودي غيبا
مني عليك تحية أرواحها — تزرى بانفاس الغوالي والكبا
صلى الاله على النبي محمد — والآل والاصحاب ما هبت صبا

جواب أبي الحسن :

قد حكت في نول الفصاحة معلما — نظما بـه فخر المشارق مغرب ٣

---

١) الخصل كفلس : ما يجوزه السابق في الميدان . ٢) العاني : الاسير
٣) النول كفلس : خشبة النساج

وجلوت من سر البلاغة ما قضى — رغما على الحساد انك مغرب
وأتيت معنى كنت ازعم انه — طارت به من قبل عنقا مغرب
لكن خصصت فما تبدى مشكل — الا وانت بفضل فهمك معرب
احرزت خصل السبق في ميدانه — فكبا ولم يقرب لشاوك مقرب

وزار المترجم (الغ) في المحرم ١٣٢٧ هـ فرحب به أبو الحسن بقوله

محمد نجـل الطاهر بن محمـد — ووارث أسلاف أماثل مجـد
وقد شاد ما بنوا فبان اعتزازه — وساد فقل ما شئت غير مفند
ومن جمعت عفوا لديه مناقب — تفوت منالا درك كل مسود
ومن كان في عين الكمالات نورها — فأعشى عيـون الكاشحين وحسد
وجامع أشتات المكارم يافعا — ومنتعلا سمك السماك وفرقد
وكعبة أفهام تحج بمغرب — وينحر هديا حولها جهل قصد
تبارك من أولاك فضلا ومنة — مواهب لم تزل تروح وتغتـدي
وجل الذي أعلى مقامك في الورى — فأصبحت بدر الفضل في هالة الندى
فقل للذي يبغي لحاقك أطرقن — فقد أبت العلياء غير تفرد
فما لحقت عطف الثريا يد الثرى — ولا كحل كالكحل في عين اغيد
فسر غير وان في اكتساب محامد — فما ند منها اليوم يقبل في غد
ولازم امام الوقت والدك الرضا — لزوم الامام المقتدى في التشهد
ففيه لمن يبغي الكمال كفاية — فقد جمع الخيرات في راحة اليـد
فلازلت حال البحث أصدق مورد — ولازلت للوراد أعذب مورد
ولازالت العليا تحط رحالها — ببابك نجـل الطاهر بن محمـد

جواب ابن الطاهر :

اهب نسيم الروض بالوهن من نجد — بريا زهور الياسمين او الورد
أم العين شامت بارقا ضاء بالنقـا — فاذكر ما قد مر فيه من العهـد
فلما تراءى أشرق الكـون وارتدى — رداء الهنا واليمين والانس والسعد
وهش به قلب الشجي كما العلا — تهش بشيخ الفضل والهدى والرشد
أبي حسن مولى المكارم والندى — ومن للورى طرق الهدى دائما يبدي
يقود الى سبل الهداية كل من — أضلهم الشيطان عن مهيع الحمد
ويأمر بالتقوى العباد ويقتدي — به كل من يبغي الطريق الى القصد
امام الورى طرا فما الشرق مثله — بحاو ولا ذا الغرب لا وقرى الهند
فما هو الا البدر يهدي بنوره الـ — ـضليل ويهدي الناس نورا على البعد
فما هو الا الغيث ان اجدب الورى — يعمهم بالجود والفضل والرفد
وما هـو الا البحر يقذف دائما — بما يزدري بالدر في لبة الخود (١)

---

١) الخود بالفتح : المرأة الجميلة . والجمع بضم الخاء .

وما هو الا المحسن يسعى اليه من   غدا خائفا من ريب ذا الدهر بالجند
يقلد ابنـاء الزمـان بجـوده   قلائد احسان ولله ما يسدى
فحمدا لمن أولاه علما سما به   على كل من يسمو وكان به يهدى
وحمدا لمن أبداه وارث سر من   مضى من جدود صالحين أولى المجد
وحمدا لمن ألقى عليه قبوله   فساد به من فى ربا الارض والوهد

***

أمولاى يا انسان عين مفاخر   ومن قوله أحلى مذاقا من الشهد
ومن كلما حاولت اقصى مديحه   عييت وهل يحصي نجوم السما عدى
ويا شمس ذى الاقطار يا بدر هالة الـ   ـفضائل يا مغنى المعارف والزهد
(وردت ورود الغيث مولاى فانجلت   همومي وأورى باجتلائكم زندى) ١
أتى منك للعبيد ما يعتلى به   على من يسامى دون نكر ولا جحد
لعمرك أني كدت لما قرأته   أطير واستعلى على النسر والسعد
فياسيدى اقبل عذر نجلك واصفحن   على ذنبه عفوا فما البحر كالثمد
وجد برضاك انه السؤل والمنى   ودعوة صدق تكسب الربح للعبد
عليك سلام الله كالمسك نفحه   والا كمثل عنبر الشحر والورد (٢)

ووفد المترجم الى (الغ) فى جمادى الاولى ١٣٣٥ هـ

سيرى مطية واقطعى البيداء   فعسى يبلغك المسير رجـاء
وصلى الغدية بالعشى وواصلى   التخويد دأبا واهجرى الاعياء ٣
وردى الموارد اجنات تظفرى   بمعين ورد يطبيك صفاء ٤
ودعى التالف للمنازل فالمنى   فى قطع كل مفازة فيحاء
فالبدر لولا انه يسرى لما   نزع المحاق والبس الاضواء
والدر فى الاصداف لولا نقله   بمقره مـا عانق الغيـداء
والمسك ينقل فى الفلا فيعزه   ذاك التنقل قيمـة وغـلاء
والعنبر الشحرى لولا نقله   ما كان للسم الذعاف دواء ٥
والمرء يدرك بالترحل عزة   ومكارمـا ومعارفـا وذكـاء
والمجد فى ارقال كل شملة   يذر المسير ضلوعها اعراء ٦

١) كتب المترجم على هذا البيت أنه لوالده
٢) الشحر كفلس : محل ازاء اليمن ينسب اليه العنبر .
٣) التخويـد : سرعة السير .
٤) الماء الاجن : المتغير . وأطبى فلان فلانا وطباه : دعاه واستماله
٥) الذعاف كغراب : الكثير السمية
٦) شملة بكسرتين ثم لام مفتوحة مشددة : سريعة

ألفت معالاة القيافى فاقتدت   لا تعرف الإسراد والارعاء
حتى غدت كالقوس يعلوها امرء   كالسهم يمرق فى الشداد مضاء
ذو همة لاترتضى الا العلا   وعزيمـة تذر السماك وراء
مازال يعتسف الموامى طالبا   للمجد يداب غـدوة ومساء
حتى أناخ بباب سيدنا ابى الـ   ـحسن الرضا فاناله ما شاء
غوث البرية شيخ هذا العصر من   بالعلـم احيا السنة الغراء
كهف يلوذ به الضعاف فمن لجا   لحمـاه خالصـه الزمان ولاء
ويفيض للعافين من نعمائـه   ونوالـه مـا اعـدم الفقراء
فلذا تزاحمت الوفود ببابه   لمعين جـدوى راحتيه ظماء
فيعمهم مـن بره وسخائـه   غيث النوال فيصدرون رواء
طلق الاسرة ساطع بجبينه   نور الهداية يعجب البصراء
شرفت به (الغ) الفخار ففاخرت   بمقامـه (البيضاء) و (الحمراء)
فهى السماء وانه البدر الـذى   قد زانها فسمت بذاك علاء
وديارهـ - تعس الحسود - منازل   دع عنك ذاك الفرغ والعواء ١
وبنوه أنجمها فلا زالوا بها   يتفجرون مكارمـا وسخـاء
فمحمد راض السيادة يافعـا   فاحتـل منهـا رتبة قعساء
وبصنوه المدنى يتضح الذى   أعيا الفحول صعوبة وخفاء
سر سرى لهما من الاصل الذى   طـابت عناصره فزاد زكـاء
من مثل سيدنا أبى الحسن الذى   نشر العلـوم وقد غدت اصداء
فاضاء هذا العصر من نبراسه   حتى ازال البدعـة الشنعاء
واعاد روض الدين غضا بعدما   ذبلت أزاهره فصرن غثـاء ٢
وحمى حقيقته وصادم دونها   لجج الخطوب ودافع الاعـداء
شيخ به رتب المكارم والعـلا   تاهت فزادت بهجـة وسناء
اخلاقه تزرى بأزهار الربا   وثناه يعبق فـى الطروس كباء
تقوى وعلم واحتمال فى ندى   كرم يزين تواضعا ووفـاء
وجلال ذكر قد سرى مسرى الصبا   ريـا شـذاه فطيب الارجاء
خضعت لهيبته القلوب فان بدا   خجلت واطرقت العيون حياء
وثباته لايستخف وان جرت   ريح الخطوب أعاصرا ورخاء
قل للمحاول فخره اقصر عنا   حاولت ويحك باليد الجوزاء
واذا ابتئست بما حواه من العلا   فالله يمنح فضله من شاء

١) الفرغ بفتح فسكون : منزل للقمر . كالعواء بفتحة فمشدد .
٢) الغثاء بالضم : ما يبس من النبات .

فهو الذكا اعشى عيونك ضوءها ... هل تستطيع لنورها اخفاء (١)
نيل السيادة بالتقى والعلم لا ... لبس الثياب تجرها خيلاء

* * *

يا ايها الشيخ الامام المقتدى ... بفعالــــه والمرتضى ءاراء
يا بدر افق المجد يا من علمه ... ونوالـه قـد بـدا اللاواء
يا من عـلا رتب الكمال بهمة ... لاتنثنى أو تـدرك العليـاء
هذا نزيل قد اناخ ركابه ... بحماك يرجو بالقبـول لقاء
جان اضر بقلبه داء الهوى ... فاتاك يامل من نداك شفاء
عطفا عليه فشان مثلكم الوفا ... بذمام من صحب الرجاء وجاء
مولاى دونكها بنية فكـرة ... زفت اليـك خريدة عـذراء
برزت ببحر كامل فى كامل ... فتناسبت وتكاملت اجـزاء
طابت بمدحك فازدرت انفاسها ... ريـا أزاهر روضـة غنـاء
فلئن قضت حق الثنا فبفضلكم ... أولا فمن ذا ينزح الـداماء (٢)
فاسلم ودم واسعد بما أوليتـه ... من فيض فضل جاوز الاحصاء
وعليك من طيب التحية ما عسى ... لكمال قدرك أن يكون كفاء
وعلى النبى المصطفى من ذكره ... عنـد الكـلام يزين الانشاء
ازكى صلاة الله تترى ما احتمى ... بحماه ذو فقر فنال غناء
وعلى صحابتـه وءال شرفوا ... رتب العلا فتشابهوا اكفاء
ما حن مشتاق اليه فارقلت ... قود الركاب به تسوق رجاء

وقد اجابه الاستاذ الالغى بهمزية على وزنها لم تحضر عندى .

ولد للاديب سيدى محمد بن على ولـد سماه أحمد . فكتب الشيخ سيدى الطاهر مهنئا جده أبا الحسن وذلك فى سنة ١٣٣٨ هـ :

مولاى يهنيك أحمد بن محمد ... ولد بدا بدرا بطالع أسعد
وافى وجسم المجد قد أغرت به ... نوب الحوادث ناب ليث معتد
فاستبشرت اذ بشرت بوروده ... رتب العلا منه بهاد مهتد
وتيقنت ان قد أتاها من يفى ... عجلا بلم نظامها المتبـدد
فلذاك قلت مؤرخا ميـلاده ... ومهنئا (ابشر بمولد أحمد) ٣
لازال فى حلل العناية رافـلا ... حتى يروح كما تحب ويغتدى
بالمصطفى صلى عليه الله ما ... حنت الى مغناه نفس موحد

١) ذكاء بالضم : علم على الشمس . لاتدخل عليها ال
٢) الداماء : البحر
٣) ١٣٣٨ هـ

ثم عاتب ابو الحسن المترجم على عدم تهنئته بقوله :

ما للمجيد امام العصر فى الادب ... محمد ابن الامام الطاهر الحسب
هنئت بالولد الندب النجيب ولم ... يهن وهو مجـلى حلبة الادب
ان كع عن حصر فالعذر متضح ... أو عن سلو فأمر منه ذوعجب ١
اوكان عن رعى حسن العهد فى شغل ... فشغله لم يناسب مقتضى النسب
هذا امام الورى الشيخ الاجل ورا ... عى العهد والده المعدود خير أب
لم ينس والدهر قد جمت شواغله ... حق الاخاء وكان خير محتسب

فاجاب الشيخ الاكبر عن ابنه معتذرا :

يا سيدى لاتلم من عاقه حصر ... فحاد لاجافيا عن سنن الادب ٢
فمهد العذر فالاغضاء شيمتك ال ... مثلى وذو العى لم يعتب ولم يعب
رام مجاراة جرد الخيل ثم بدا ... له فنكب اشفاقا من العطب ٣
لا بل أراد جنى أمداحكم فعلت ... عنه وكيف جنى السيارة الشهب
فآثر الصمت عما لايطيق وما ... ترك الفتى عنه ما غلا من العجب
هذا وقد يترك العبد النجيب ثنا ... مولاه من فرط اجلال بلا سبب
فذا اعتذارى عن نجلى ولا عجب ... ان يرتضى عذر نجل باعتذار أب
ثم السلام على تلك السيادة ما ... غنى الحمام على لدن من القضب

هذا ما وقفنا عليه الآن فيما بين المترجم وبين شيخ الجماعة الالغى . وهناك قواف أخرى ذكرت فى محل ءاخر فى الكتاب .

بينه وبين الاديب سيدي محمد بن علي الالغي

كان بينهما ما بينهما منذ نشأتهما بين سيدى الطاهر بن محمد . ومما خاطب به سيدى محمد المترجم وقد وفد على والده فى (الـغ) وقد دارت قواف الترحيب به وبرفيق له :

يا مرحبا بالسيد ابن السيد ال ... ـندب الاجل الاريحى الامجد
كنز الهدى مفتاح باب مرتج ... بحر محيط زاخر لم يجمد
شرفت عبدا بالزيارة تائقـا ... للقائك الاسنى الرفيع الاسعد
لا زال علمك فى الزيادة دائمـا ... حتى ترى كالبدر وسط المشهد
لا زال ربعك ربع كل فضيلة ... ومزينا بمحاسن لم تعـدد

١) كع عن الحرب : نكص عنها . والحصر محركا : العى
٢) السنن محركا : الطريق
٣) نكب : أعرض ؛ يشير الى قول الشاعر :
ألسول لمحرز لما التقينا ... تنكب لا يقطرك الزحام

انت الذى ان شئت نظما باهرا … ينقد اليك ولا انقياد الاملد
فخرا لاواخر وأوائل سيدى … نجل الامام الطاهر المتعبد
ورفيقه انجم المحاسن والندى … نعم الانيس شبيهه لم يشهد
حاز السيادة سابقا متحليا … بفضائل الاخلاق عذب المورد
منى السلام على الاديب (محمد) … العالم العـالى المقام المرشد
منى عـلى (عبـد الاله) تحية … تاتى اليه بنفحة لم تعهد
أزكى الصلاة على الشفيع محمد … ما الورق فى الاشجار ذات تغرد

الجواب من ابن الطاهر :

يا سيدا جمع المكارم فى يـد … وحوى بلا تعب صميم السؤدد
يا ابن الالى فخرت بهم رتب العلا … من كل شهم فى السيادة مفرد
أغربت فى نظم بديع خالص … قرط المسامع مثله لم ينشد
فكأنما سار النسيم معطرا … فتعطرت بشذاه آناف الندى
ان البلاغة حزتها فذا فمن … يسأل قصائده البديعة تشهد
لازلت تزداد العلوم مؤمنا … ماعشت من مكر العدا والحسد
أزكى التحية والسلام عليك ما … غنت مطوقة على غصن ندى

وخاطب المترجم سيدى محمد بن على المترجم يوما بقوله فى رسالة :

سلام يفوق كل ورد وريحان … تخص به ياخير خل بـ (افران)
سلام محب خاضع لبهائكم … ومستمطر من وبلكم كل ريان
يحن اليكم طامعا فـى وصالكم … وذا الدهر مناع لوصلة اخوان
ولكنه بالكتب يقنـع نفسه … اذا عز وصل من يريد لبرهان
وثم عليك أيها العالم الذى … برؤيته يشفى المصاب باحزان
ومن هو ترياق الهموم اذا عرت … (سلام يفوق كل ورد وريحان)

وخاطبه ايضا بقوله يجيبه عن قافية :

آتانى فاحيانى من السقم والضنى … خطاب بليغ ذى شمائل بلتع (١)
جواد شريف نجل بضعة طاهر … كريم سخى ذى فضائل اورع
عليه من العبد الذليل لعزه … سلام يفوق كل ورد بمنقع

---

١) البلتع بفتحتين : الحاذق فى كل شىء

بينه وبين الاديب سيدي المدني بن علي الالغي

هما متقاربان فى السن . والمترجم هو الاكبر بسنين . وقد جرت بينهما قوافٍ ورسائل منها هذه التى خاطبه بها المترجم :

أيا ابن كرام فضله البحت قدموس … ويا من له المجد المؤثل ملبوس (١)
ويا فرع صدق قد سما لمكارم … ومن أصله فى طينة الفضل مغروس
لـك الله مـن قـد تفرد بالعـلا … ومن شمس فضل ضاء من نورهـا (سوس)
ومن فارع هضب الكمالات يافعـا … فمهدت العلياء وانقـادت الشوس
قدم فى الفناء المكرمات مهنئا … بما نلت من نعماء ما بعدها بوس
عليك سلام الله ما انسجم الحيا … وحثت الى جدوى ندى كفك العيس

بينه وبين عبد الله بن مسعود التيميوتي الالغي

أزكى السلام عليك عبد الله … فاحضر على عجل لشرب الشاهى
فالكاس قهقه من بكا السبرا … د والمقراج ثرثر كالخطيب الزاهى
فاحضر تشم برق السرور وتجتلى … وجـه الهنا واعص اللئيم الناهى

هذه الابيات الثلاثة ذكر لى انها للسيد محمد بن الطاهر . والتحقيق انها لوالده . كتب بها الى المذكور يستدعيه .

ولختم ما بين المترجم والالغيين بما بينه وبين تلميذه جامع هذا الكتاب وهى قطع متفرقـة ءاخرها ما خاطبـه به المترجم صبيحة ٢٠ من شوال ١٣٧٩ هـ وقد لاقاه فى (تيمولاى) :

فديتكم جلى الهموم المورقة … لأنك شمس بالمعارف مشرقة
فبوركت من شيخ به سرحة الندى … وعلم الهدى والدين والفضل مورقة

وهناك اخريات ضاعت بين الاوراق . وعسى ان نضعها فى محل ءاخر ان شاء الله .

بينه وبين ابي العباس اليزيدي

كان بينهما مجاوبات ـ سياتى بعضها فى (التاسع) ـ ومن ذلك ما

---

(١) القدموس : القديم

كتب به اليه :

بدر بدا في نحر خـود مشرق أم ذر قرن غزالة من مشرق
أم نظم شعر رائق من ناشيء بين السيادة بعد فرط تشوق
فجزا أبا العباس قد حزت المكا رم والمفاخر عن كرام سبق
ورقيت أعـلى المجد دون مشقة وعنى لنطقك كل شهم مفلق
حفتك كـل سعادة أبديـة ووقيت مما تختشيه وتتقى
وتحية تزرى بنفح خميلـة منى عليك ابن الكريم المتقى

وهذا جواب لما كتب به اليه اليزيدى :

كاس كوجنة ورد روض مونق متمايل ملد الغصون ومورق
أو وجه من صدع الفـؤاد بحبه فانشق عن حب كمين محرق

بينه وبين الفقيه سيدي احمد بن المصلوت الهواري

كان الاتصال بين ابناء المدارس اذ ذاك . فيتكاتبون ويتساجلـون . كما وقع بين الايفرانيين والصوابيين . فقـد وقفنا عـلى ءاثار فـي ذلك . منها ما كتبه المترجم الى المذكور .

سلام عـلى مثوى الفضائل والفخر ومصدر ءاداب حكت رقة الخمر
على من بـدا بـدراً (هوارة) هالة له فاهتدى للمجد والفضل من يسرى
سـلام محب ذاب بالشوق فانهمت مدامعه تحكى انهمارا من القطر
فـلا تغفلوه فى الدعاء فانـه فقير الى رحمى تحـط مـن الوزر

بينه وبين الاديب سيدي محمد الاومسناقي التملي

كتب اليه المترجم ما يأتى :

أسفى على زمن مضى مع صاحب ما كنت أنسى لطفه وشمائله
قد كان دهرى مسعدا بوصاله فعدا وأذهب بالتفرق قائله
تبا لهذا الدهر يدنى كل من أشنا ويبعد من أحب تواصله

بينه وبين خاله سيدي البشير الناصري

يجد القارىء فى ترجمة سيدى البشير فى (العاشر) كثيرا مما بينهما ومما بقى عما هناك بعض قواف . منها ما تعاطياه يوم أصيب المترجم فى

رجله برصاصة خطئا وهو فى الحلبة فى الميدان . فقد كتب اليـه سيدى البشير بقولـه :

منى سلام اللـه كالايـدع (١) عـلى الحفيد الارفـع الابرع
السيد ابن السيد المصقـع محمـد بـن الطاهر الاورع
زين الملا فذ الملا اجمع طرز الحلى بحر الندى الاوسع
من بذ لسن العرب فى المنزع وفات شاوا مدرك الاصمعى
وبعـد ذا فالحمـد للموسع على شفائك من ضنى موجع
ابقاك من براك فى المربع كعبـة كـل فاضل المعـى

فاجاب عن الابن والده :

اهلا بهـا غريبـة المنزع فتـانـة بسحرها المبـدع
ازرت بكـل مدره مصقـع فما فتى طى ومـا الاصمعى
هذبها الطبع فلم يسمـع بمثلها قبـل ولم يطمـع
لهـا شذى ينشق بالمسمع لم يحكه نفح صبا الاجرع
تبـارك الله فمـا يـدعـى فخـار ءال نـاصر مـدع
فقـل لمن جاراهـم اقلـع فالشمس لا تلمس بالاصبع
لهم لواء المجد فى مجمع اهل الهدى دون الورى اجمع
كم فيهم من ولـد ابرع حاز المعـالى عن اب المعى
ولم يلح فى ذلك المطلـع كالمدنى قدس فى المضجـع
ولا سرى فى ذاك المهيع مثـل البشير الاودع الاروع
همته فـى المجد لم تقنع الا بملك المنصب الارفـع
ما زال فى مرتعهم يرتعى ويرتوى مـن ذلك المشرع
حتى قد افرد فلم يشفع بمثل ذا يعلمه من يعى
هذا اعتقادى فاعتقده معى يـا كل من يعرفه اودع
مع ان ما تجنـه اضلعى فوق الـذى تكتبه اصبعى
عليـه مـا حن الى لعلـع اخو جوى يشكو هـوى الاربع
تحيـة كمدحـه الاسطـع او كشـذا منزلـه الاضوع

ثم قال سيدى محمد بن الطاهر ما نصه :

يـا قمرا بنـوره الاسطـع قد اشرقت ارجاء ذى الاربع
يا ماجدا قد حفه المجد بالـ ـعلياء مـن جهاتـه الاربع
ويا غمامـا يستماح نـدى راحاتـه فـى الزمن المدقع

---

١) الايدع بالفتح : الزعفران

ويا اماما يقتدى بهدا / ء كل باغ ارشد المهيع
فلو بدا فيما مضى لاهتدى / بهديه الشعبى والاصمعى
لله ما ابديت من فكرة / تزرى بروض زاهر أينع
ما شئت فيها من بيان كما / فصل عقد الدر فى الاتلع (١)
ومن معان غضة ما اهتدى / لنيلهن الحاذق الالمعى
هنات فيها العبد مستبشرا / ببرءه من داء ذى الاصبع
فالله يبقيكم ويعلى علا / مقداركم فوق السها الارفع
ويستديم صونكم ويقيـ / ـكم كل داء وضنا موجع
ويصلح الاولاد طرا ويو / ليكم رخاء فى غنى أوسع
بجاه من ما خاب مستشفع / بجاهه فى فادح مفزع
صل عليه الله ما رجعت / حمامة بروضها الممرع
مسلما ما هاج تذكاره / من ذى هوى سحائب الادمع
دونكها جهدى من فكرة / قد غال ماها صرصر الزعزع
رامت اداء البعض من حقكم / وما فى الاستيفاء من مطمع
فاستر بعفو منكم عيبها / وانظر اليها نظرة تقنع
ثم على عليائكم عاطرا / سلام صب شاكر مهطع
ما هيجت ريح سحابا وما / لالا برق برق فى حمى لعلع

وفد سيدى البشير الناصرى الى (الغ) فخاطب أبا الحسن بقوله :

وفود التهانى اقبلت نحونا تترى / بلقيا امام الدين من بالعلا أدرى
امير المعالى من يكل لوصفه / لسانى وهل يحصى الزواهر والقطرا
ابو حسن شمس الظهيرة من له / كريم خصال فاتت العد والحصرا
له شيم كالورد والهمة التى / علت وسمت فوق السماكين والشعرى
فدم فى كمال لايطار غرابه / ونجم علاء يفضح الشمس والبدرا
ودونكها يا أوحد العصر حلة / يمانية تبدى المسرة والبشرى
وناسجها يبغى رضاك ونفحة / تهب فتوليه السعادة والفخرا
ومنوا بدعوة تفك وثاقه / من أسر ذنوب تقصم القلب والظهرا

فقرظها الاديب سيدى محمد بن على بقوله :

لله سيدنا البشير الناصرى / من كان للمظلوم خير مناصر
تاهت بطلعتك السعيدة الغنا / وأضاءت الارجاء وقت تجاور
وسنا الغزالة من سناك قبسة / وعهادجون من نداك الزاخر

١) جيد أتلع : فيه بعض طول يزينه

صفت النظام ولا نظام فرزدق / فاهان قيمة فضة وجواهر
دم سيدى والسعد نحوك قاصد / حتى تفوز بخصل سبق محاضر

وقال المترجم فى ذلك :

سرت فاثارت فى الحشا كامنا دهرا / وأوردت القلب الخلى الهوى قهرا
وهاجت رسيسا بالفؤاد وطالما / تسلى فلم تخطر به للحمى ذكرى
وأذكت لهيبا بالضلوع وأذكرت / عهود لدات بينهم يفقد الصبرا
باوطان أحباب من أىّ منال / بها لايفرغ نبصر الشمس والبدرا
عقيلة فكر ما تبدت لناظر / بثغرتها الاّ انثنت عينه عبرى
تنث مديحا طاب من نفح طيبه / نسيم الصبا ان صافحت كفه الزهرا
مديح امام العارفين وقدوة الـ / ـهداة وشيخ فاق اهل النهى قدرا
أبى حسن هادى الغوى ومرشد الـ / ـضليل وسمح كفه تخجل البحرا
محيا كما البدر المضىء وهمة / اذا عزمت نحو العلا استسهلت وعرا
وعلم كبحر يقذف الدر دائما / وسبط يد فى الدهر لاتعرف الضرا
وفكر زرى بالهند وانى ما بدا / له مشكل الاّ واعقبه بترا
هو الجوهر الفرد الذى قل ان ترى / بذا القطر من مثل له فى الورى طرا
لذاك ترى الافراح من كل وجهة / يحثحثها سوط الرجا يبتغى الوفرا
وكل وان قال الذى فوق طوقه / فليس كمدح الناصرى له يدرى
أديب بليغ كامل الفضل من بدت / فزالت دياجى الهم طلعته الغرا
سلالة قوم سادة ليس مثلهم / اذا ما اعتلوا للمجد او طلبوا الفخرا
بنو ناصر غر الوجوه وباسطوا الا / كف ومن تخفى وجوههم الزهرا
يحق لهم فخر بذا الفرد من علت / به همة علياء فاعتنق النسرا
فأصبح من فوق البسيطة مذعنا / له ما يرى منهم سوى مظهر بشرا
أمولاى قد نلت المنى وتجمعت / بيمناك أشتات العلا فلك البشرى
ليهنك ما قد قلت من حضرة حوت / على غيرها فى سوسنا الفضل والخيرا
أدام اله العرش بدر سمائها / امام الورى من يطرد الفىء والضيرا
فلازلت يا شبل ابن ناصر وارثا / من الجد أسرارا له تنفد الحصرا
عليك سلام الله ما نفحة الحمى / (سرت فاثارت بالحشا كامنا دهرا)

(وبعد) فهذا ما تيسر الآن مما بين المترجم وأساتذته ومن اليهم .

اقوال له اخرى فى نواح متعددة

قال :

ساكتم عن اهل الوداد مصائبى / واستر حتى عن قريبى خصاصتى

فان الذى قد انزل البؤس قادر   على رفعه باليسر من مس فاقة
وماذا عسى تغنى شكاية عاجز   الى مثله فى العجز عن صرف حالة
فثق بالذى يعطيك من محض فضله   بلا علة وارفع له كل حاجة
وقل يـا الهى بحر جودك واسع   اليك يمد العبد كف الضراعة
فاغن الاهى فـاقتى واقض حاجتى   وبادر بكشف الضر وافرج كربتى
وجد بالذى أرجوه منك وامنن   عبيدك فى الدنيا ويوم القيامة
بجاه أجل الخلق عندك سيدى   محمد الـداعى لنيل السعادة
عليه صلاة الله ثم سلامـه   وءال وأزواج وكـل الصحابـة

وقال ـ وهذا وصف مجالس الانس عند القوم ـ :

باكر الى شرب الاتاى فانه   اجـل لـداء الهم والانكـاد
واعد ما يلهى النفوس تطربا   من كل شعر رائـق الانشاد
وان استطعت تنسما من نفحة   من حرق عود عاطر فى الناد
وابحث عـلى نكت العلوم فانها   مـاء الحيا لحياة كل فؤاد
فالكاس أحلى ما يكـون شرابها   ان سيط بالعلم النفيس الهادى
فاذاهما اجتمعا معا لفتى فقد   بلـغ الكمال وفاز بالاسعاد

وقال فـي الجناب النبوى ١٣٣٠ هـ :

طـاب الزمان فهاتها صهباء   مشمولة تحكى الزلال صفاء
وأدر على الشرب الكرام ـ هديت ـ يـا   صـاح الكئـوس المترعـات مـلاء
وتغن بالانشاد والانشاء من   مدح الذى بهر العقول ثناء
المصطفى الهادى عليه صلاة ر   ب العرش يحكى صوبها الانواء
خير الخليقة أحمد من يرتجى   من جوده كل الانام عطاء
هادى الانام الى الاله بنوره   لما بدا عم الوجود ضياء
وبهديه جاء المسيح وقبلـه   رسل الاله فامهم اذ جاء
والله شرفـه برفع مقامـه   فعلا على متن البراق سماء
فهناك كلمـه الالـه وزاده   مجـدا يجل ورفعة وسنـاء
وهناك قد فرض الصلاة فيالها   فرضا تقر به العيون أداء
وهناك أوحى للحبيب محمد   سرا يرق عن العقول خفاء
فالبعض لم يوذن له فى بثه   والبعض اولى بثه من شاء (١)
فلذاك فاز به الكرام القائمو   ن بأمره من بعده خلفاء

١) اشار الى حديث فيه هذا المعنى

والى لمكة بعدما قد فاز با   لسر المصون فاظهر الانباء
فارتاب فيه المشركون وانكروا   خبر السماء وكذبوا الاسرا
والمصطفى بالخبر اخبرهم ونصـ   ـديقا له حبس الاله ذكاء
والصاحب الصديق صدق كل ما   جاء الرسول به وما قد راء
وخديجة خير النسا توسمت   منـه الوفـاء وعفـة وحياء
والصدق والنور المبين فصدقت   وأنالها خـير الانـام حباء

***

يا خير من اسنى الاله مقامه   وانالـه الخـيرات والنعمـاء
واعز من يحمى الذى لجنابـه   يسعى فيلقى عصمة ووفاء
يا سيدى يا موئلى يـا منجدى   يا من لسدته ازف رجاء
هذا فقير جاء يبغى من ندى   كفيك يا اندى الكرام غناء
جان تكدر قلبه مما جنى   فرجا امتداحك ان يكون جلاء
فاشفع له ولوالديه فما له   عمل به يرجو الغداة جزاء
فعليك من رب الورى صلواته   مـا نال قاصد بابـك الالاء
وعلى الكرام الطاهرى الاوصاف ،   لك والصحاب الصادقين ولاء

مراثيه

فجع (سوس) بهذا العلامة الجليل . فقام برثائه من وفقهم الله لذلك، ومن بينهم الاديب سيدى محمد بن على الذى يفى دائما فى امثال هـذه المواقف . فقد وجدت بخط يده ما نصه :

« اتصل بنا موت السيد السند الصدر الاوحد الاجل الفقيه العلامة ابن العلامة . ولد شيخنا البركة . سيدى محمد بن ابرهيم الايغرانى دارا، التامانارتى اصلا . البكرى نسبا . فتكدر علينا الوقت . وضاقت علينـا الارض بما رحبت . ودكت جبال الصبر . فانا لله وانا اليه راجعون . ومـا كان بينه وبين والده شيخنا سيدى الطاهر الا عامان ونصف . فلا حول ولا قوة الا بالله . فموت العالم ثلمة فى الدين . لاتسد الى يوم القيامة .

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى   عقيلـة مـال الفاحش المتشدد

فهكذا تنقرض الدنيا باخذ الامثل فالامثل . حتى لايبقى الا الاشرار ومن لافائدة فيه . فتقوم عليهم القيامة . اللهم اجعلنا من الذين احببتهم، وهديتهم الى طريقك المستقيم . والخاتمة الحسنى . والحشر مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين . امين يا رب العالمين . وقد فاظت روح هذا السيد

في الثلث الاخير ـ هكذا ـ من ليلة الاربعاء الذى هو واحد وعشرون يوما من ربيع الاول وترك والحمد لله ولدين الابرين الفقيه المدرس في مدرستهم سيدى المدنى . وأخاه سيدى يحيا . وهاذان من أختى (تعزى) وله والحمد لله بعد التزوج من عند أخواله أولاد سيدى المدنى الناصرى أولاد ءاخرون . عظم الله أجرهم في المصاب بأبيهم وخلفهم في مقامه ءامين . وكذلك أخواه سيدى عبد الله وسيدى أحمد . وهما شقيقان . وله اخوة للأب من حفدة سيدى البشير الناصرى رضى الله الجميع . وجعلهم في بحبوحة جنات النعيم بجاه النبى الشفيع الكريم . صلى الله عليه وسلم . وقد رثيته بشبه أبيات اداء لبعض ما يجب علىّ . وان لم أكن أهلا لذلك . غير انى مصدور . والمصدور لابد ان ينفث .

هـو الموت لاتجزع فليس بنـافع ... فقد عم كل الخلق كهل ويافع
ومـا الموت الاّ المورد المر كلمـا ... تورط فيه الحى ما من مدافـع
فما الجاه والاموال والعلم والندى ... اذا أشرع السهم المصيب بنافع
فلو تنفع الدنيا وزخرفها الذى ... يذم لما سيمت بتحذير شارع
فكم من فتى قد شاد صرحا ممردا ... وكم جاهل سن الندامة قـارع
فبالله يـا خـلى فخل تمسكا ... بتقوى الاله كل مغو وسارع
فما العمر الاّ لحظة فاغتنم به ... مصانـع خـير باتقـاء مصارع
فما انس لاانس النعى بموت من ... يشير له (سوس) بجمع الاصابـع
نعاه لنا الناعى عـلى حين غفلـة ... فنبهت حينا اذ رزئنا بفاجـع
مصاب أصاب الدين والروح والحجا ... ومص الدما فليصنعوا شر صانع [1]
اصبنا بمحمود الفعـال محمد ... غدا صدر هذا الدهر صدر المجامع
محمد نجل الطاهر الشيخ سيدى ... أبى البركات اليفرنى خير خاشع
أبـا المدنى الندب يا عالما عـلا ... مقاما سنيا فات ادراك طامع
رحلت عن الدنيـا عزوفا لشانهـا ... وادبرت عنها قاليا غير راجع
فهيهات ما شنفتنا من قصائـد ... حسان وما اوليتنا من صنائـع
وهيهـات ذاك الـدرس فى الدست ان تجـل ... بفكـرك فى بحث فمـا من مضارع
فسبحان من اولاك علما معززا ... بحلية خط رائق الصوغ بارع
قدمت على الشيخ الابر ووالد ... عطوف بكم فكن بـه خير ضاجع
وقد كنت فى محياه قرة عينه ... فصرت سميرا جاره فـى المضاجع
فصبرا (عبيد الله) والصنو (أحمدا) ... وغيرهما مثل النجوم اللوامـع

---

[1] الدماء بالفتح : بقية الروح

وصبرا بنيه فالنبى وصحبـه ... لنا أسوة فالصبر شيمة وارع
فليكم بحمد الله منية سائل ... وغنيـة نـازل لحسن الصنائع
فنسأل رب العرش اسبال رحمة ... على جدث مغيب زهر طوالع
وان يجمع الاشياخ تحت لواء من ... ينادى بـه غدا ايا خير شافع

وقال الاديب سيدى أحمد بن الحسن البناى الايفشانى :

خطب جرى فجنى ثانى مرات ... انسان جد بـدم عوض عبرات
ان الحوادث لاتنفك قادحـة ... بوقـع كراتها زند اللمات
وعادة الدهر هكذا ترى فرحا ... يوما ويوما ترى كم من اساءات
مات الامـام محمد العلوم وملـ ... ـجأ العفاة ومنبع السيادات
انسان عين العلا بصيرتى بصرى ... شيخى ومعتمدى نـور الهدايات
وصفان حازهما نور الهدى لهما ... محمد عرضه طاهر ساحات
وذابه خصلتان العلم والكرم الـ ... محمود فى ذا وذا سباق غايات
لذا ترى ربعه يهش للضيف عنـ ... ـدما أتى ربعه وفد المسرات
بث العلوم جزاه الله خير جزا ... ئـه وبـوأه اعـلى المقامات
البذل شيمته والعلم حرفته ... والصدق عدته افضل عدات
سنى عاداته خدمة والـده ... خدمة والـده سنى عادات
حامل راية تقوى الله بين عبا ... د الله يا حبذا حامـل رايات
الله أكبر كم وكم من ءاية قر ... ءان يرتلها وكم من ءايات
كم من اديب تراه كيف هذبه ... فصار صدرا وراسا للولايات
حدث أخى عن البحر فلا حرج ... حدث فلست تخاف من ملامات
مات فخلف للعلم وللكرم الـ ... ـمحمود أولاده بدور هالات
الحمد لله قد أورث ولدته ... علما وخلقا على وصف الكمالات
بنيه صبرا فامر الله محتتم الـ ... ـنفوذ فى كل أنواع البريئات
كذاك اخوته الاعلون والاقربـ ... ـون الحائزون خصال كل خيرات
صبرا فلا تهنوا فالموت باب لكـ ... ـل الخلق سيان من مضى ومن ياتى
ماض وءات فلا يبقى هنا احد ... الاّ الاله فلا ماض ولا ءات
أجاب ربا دعاه اذ دعاه الى ... مقعد صدق مكان نبع رحمات
فالله يسكنه بلصق والـده ... بحرمة المصطفى فسيح جنات
فارحمه يا ربنا ووالديه جميعـ ... ـا ءامنين من اهـوال القيامات
يا سيدى يا ابا يحيى ابا المدنى ... واخوة لهما والكل ساداتى
اليت ربا كريما يصطفيك لنـ ... ـزل اصطفاه لمن فاز لمرضاة
عليك سحب رضا الرحمان مـا عبقت ... بالسر اربـع (القرآن) الكمـالات

(ريحانة الادب . وفكاهة الانس . ونافجة المسك . ووردة طلية ذكية لايمل من شمها . ومن الاستمتاع بطلاوتها . من اسعده الدهر فاقبل عليها بمعطسه وبناظره وبمسه . ثم ما يستمتع به منها القلب وراء ذلك أعلى واعلى مما تستمتع به الحواس الخمس .

ابن والده أدبا وظرفا . ورقة حاشية . وتضلعا في علوم الادب تضلعا فائقا . ومشاركة تامة فيما سواها . فلئن كان والده ما تأتت له تلك الثروة الادبية الا" بكيل تراب الارض بالقدم . والغيبة عن أهله أحوالا . وتقطيعه فيما دون ذلك نعالا فنعالا . فانه هو لم يرحل وجناء . ولامست نعامة رجله ثرى غير (ايفران) ولا ثافن غير والده منذ الكاس الاولى الى ان استشف دنه بما فيه .

خلف والده في التدريس منذ نحو ثلاثين حولا . فكانت يده يدا سمهرية . ثقفت من كعوب الخطبات ما شيد له في ميدان التخريج صرحا ممردا . وفخرا شامخا . وكانت لطافته ومما زجته لتلاميذه من أكبر اسباب نجاحه في ذلك الميدان . لايدانيه فيه من أترابه مدان وقد أدى للادب العربي السوسي عامة . وللادب الالغي الايفراني خاصة . يدا سيعرفها له التاريخ . وسيظل بها مثلا سائرا خالدا ما دام نبض الادب ينبض في لغة العرب العرباء . فانه كان منذ شب الى الآن مكبا على جمع كل ما لفظ به والده في الادب . وله في ذلك مجموع كبير . يصل الآن الاواخر في المجلد الثاني منه . ورث تلك الفكرة عمن كان قام بها خير قيام . الاديب الساموكني كما ورث عنه خطه وبراعته في الترسل . وقد قرت عيون الادب بولادته سنة ١٣٠٦ ه .

اما ءاثاره فعباب خضم ذو أمواج . غير ان ما عندنا من منثوره قليل لايمكن لنا أن نختار منه . وكل ما عندنا مما كان في طوره المدرسي . مما يساجل به أترابه . ولكن عندنا من شعره ما ننهل به ونعل فنودي لشيخنا الثاني من الحقوق . مثل ما أدينا لشيخنا الاول . ان كان جل الحقوق او كلها تتادى بمثل هذا .

كتب الى الاديب ابي العباس اليزيدي يجيبه عن قصيدة :

متى العهد يا نفح الصبا بحمى الوادي سقاه بهتان الحيا الرائح الغادي

تنسمت منك العرف عرف احبة به مكثوا قدما فقدس من واد

تخلف عني القلب مذ بنت عنهم رهين هوى من لا تفس بإبعاد

فكم من اسير الحب في الحي ما له مفاد ومقتول به ما له واد

بصارم لحظ من فتاة كأنها مهاة الفلا تعطو لاخضر مياد

تقر بلين القول لكن دونها ودون المشوق الفيح ما ان بها هاد

ممنعة بالبيض من فتية هم أسود لدى الهيجا شموس لدى النادي

بحور الندى في المحل يغشون عندما تسد طريق الجود عن كل مرتاد

هم القوم يعطون الجزيل ويؤوون النـ ـزيل ويحمون الحريم عن العادي

بهم ماجد راض السيادة يافعا وجلى فلم يدرك مدى شأوه هاد

سما للعلا فردا فادرك ما غدا قذى عين اعداء وغصة حساد

وزين بالعلم الشريف وبالتقى وبالعلم والآداب طرا وارفاد

وبالعقل والدين المتين وفكرة تصير صعب القول اطوع منقاد

وبالفضل والافضال والهمة التي تذوب لها شم الهضاب واطواد

بفيه في وجه الالى نبغوا فما حبيب وما الكندي اذ شعره باد

قصائده تحكي الزواهر في الدجى أو الروض فيه الورد يعبق والجادي

لقد زف نحوي من خرائد فكره مهاة لها في القلب فتكة ءاساد

اذا رجعت الفاظها خلت انها تجاوب أطيار على ملد اعواد

وان ماطلت الافهام عنها كمامها ظننت الصبا قد فتقت زهر انجاد

تجدد لي عهد الوداد ولم أكن لأنسى عهودا قد مضت بحمى الوادي

سقى الله احبابا به ومنازلا فؤادي الى لقياهم أبدا صاد

هل ان هذا البين ان كان طوله أفاد اصطبارا كان لي أعون الزاد

فان بعيد العسر يسرين دائما اله الورى أبداه في الحكم الهادي (1)

* * * *

ابا واحد الآداب يا شمس أفقها ومن شموسها انقادت له دون اجهاد

بعثت ببنت الفكر لو كنت قادرا لعزتها عندي لخطت باكبادي

جزاك الذي اولاك كل فضيلة جزاء رضا يا ابن الاهلة امجاد

بجاه رسول الله افضل من يرجى لدفع الهول في يوم ميعاد

عليه صلاة الله ما نال طالب نداه فمد الكف كثرة امداد

وآل وصحب سادة الخلق من هم رموا نار اعداء الاله باخماد

عليك سلام الله يا من وصاله الذ لدى المشتاق من وصل اعياد

الالئ الذي نثر على بساط الطروس ما يزري بالدر النثير . ونظم في

(1) قال تعالى : ان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا .

اسلاك البلاغة ما اقر بالعجز عن الاتيان بمثله كثير . من بذ بحسن صنعه الاقران . وأزال من وجوه مخدرات المعاني ما ران . الا انه البليغ المصقع . والبديع المصنع . والحبر الاطوع . سيدى أبو العباس ابن الفقيه الشيخ الحاج محمد اليزيدى . من الى بساط سرور التهاني نودى . السلام والرحمة والبركة . ما حمد منك السكون والحركة . عليك وعلى من بك واليك وفيك (هذا) واتحف اخاك . بما ترجى له بركة من صالح دعاك . وقد وصلت الهدية . فازالت الهموم واعجبت مقاصدها السنية . وأنشد لسان الحال . قول من نال منه الشوق ما نال :

يا هبة باكرت من نحو دارين	وافت الىّ على بعد تحييني
اهدت الى أريجـا من شمائلكم	فقلت قربني من كان يقصيني
ردت الى جسدى روح الحياة وما	خلت النسيم اذا ما هب يحييني
لـولا تنسمها من نشر أرضكـم	ماأصبحت منأليمالوجد تبريني(١)

فجزاك الله عن نفس ميتة أحييتها . فلاتزال شاكرة لما أو ليتها . فلله درك من معد لكل حالة مثالها . ولكل قوس نبالها . فقد عجبت من صدورها من غيرك . ايعصر مـاء الورد من غـير زهرك ؟ طلعت كطلوع الشمس . وتمتعت بحسنها واحسانها الحواس الخمس . فحملني الطرب . وان حال العي دون الارب . على نسج مثلها على منوالها . فعجبت من نفسي . كيف سولت لي ما ليس يدركه حسي . ولا يصل اليه حدسي . فاين دبيب النمل من خبب الخيل . ولئن زلت به القدم فيما ليس من طرق مثله الويل . ثم راجعتني فقالت ألم تعلم أن العقارب تتحكـك بالافعي . وان الناظم ينظم في مكان القلادة عند عدم الدر ودعا . وان البغاث تستنسر . ما لم ينكشف اللثام عن وجه الحق وينحسر .

اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ   ولا فاخت فـي ايكـة تترنـم

* * * *

اذا جاء موسى والقى العصا   فقد بطل السحر والساحر

يا حجاج . أكتم السر الذى بيني وبينك (٢) فالله يستر ما ظهر من اللجاج

١) قصيدة أندلسية تسمى (كنز الادب)

٢) خرج الحجاج ليصطاد يوما فانفرد عن موكبه . فلقى اعرابيا لايعرفه فقال له كيف الحجاج فيكم . فأجابه الاعرابي بسبه ولعنه . فاذا بأصحاب الحجاج تلاحقوا به ينادونه بالامير . فبادر الاعرابي فناداه : يا حجاج اكتم السر الذي بيني وبينك . فصدور الاحرار قبور الاسرار . فكان ذلك هو السبب حتى نجا من بطشه .

ثم اعلم ايها الاخ الكريم ان الود على ما كان عليه لايرام . وان ما ذكرته من الجواب ليس شافيا . ولا كان عندي كافيا . اذ يكفي في العلة التسليم من الود . لاسيما على من اضر به طول البعـد . بل التسليم هو المقصود بالذات وغيره ان اقتضته الحاجة فانما هو تبع . فسل كل من يخب فـي هذا الميدان ويضع . بل لاتسل فانت بصيرة ذلك . والمستفتي فيما هنالك فلو قلت ربما كان السكوت عن الجواب جوابا . لكان ذلك صوابا . ويكفي لذلك ان الله تعلى يقول (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها) ومثلك لايطلب منه الاّ الاحسن . فليت شعرى هل بعد هـذا من مقال . او يكون فيه لجياد الطعن مجال . ثم انه قد حان ان تثني القلم . فالقول للقول كمثل السلّم . فاصفح عما ترى من الزجر . فان مراجعتك عندى احلى من الوصال بعد الهجر . وأيضا فقد انكرت حلفك لتصحيح الوداد . في القرب او في البعاد . وقد كان الحلف في مكانة من الاغراب . وانما يستحلف المرتاب . وقد كنت أنت أول من عجمت عوده . ونشرت لحرابة الاعداء بنوده . وهذا الامر ما حال . والحال ما زال . ونفسي على كل حال بك فاخرة . فلله الحمد في الاولى والاخرة . على أن العتاب أحلى عندى من الشهد . ومن وصال حب بغير وعد . فلقد اثمر لي والحمد لله غصن عتابي امر خطابك . وورود كتابك . فهل نعمة أعظم عندى منذلك ؟ وأما ماذكرته من حال المدرسة . فانا وأنت فيه سواء . فما المسئول بأعلم من السائل . بيد ان ما كان تسمع به . ولايكون الاّ الخير ان شاء الله . بل مكانك الزم فذلك انفع واسلم . حتى يتبين الامر للبصراء . وقد علمت أن الصيد كله في جوف الفرا . وان المغبون من طرح لمشغل القراءة الى وراء . لاسيما من يشاهد جمال ذلك الشيخ ولو مرة في الجمعة . فضلا عمن كان دائما معه والله المسئول أن يمن بجمـع الشمل في كنف السراء . وان يحدث بعـد العسر يسرا. فلا أحلى عندى منمذاكرتك وموانستك. ومكاتبتك ومخاطبتك فالله يصلح منا جميع الاحوال . ويغمرنا بالانعام والافضال . بمنه وكرمه

وقد كان ابن (١) الشيخ عزم على زيارتي . فلعـل نبأ من ذنـوبى حرمني تلك الفضيلة وان عدت بالاحسان فالعود أحمد يا أحمد . ونسألك صالح الدعاء والصفـح عما ترى مسطـورا . فانمـا هي نفثـة مصدور . وشكاية مهجور :

١) يعنى سيدى محمد بن على الالغى

لـك البلاغة ميدانا نشات بـه ... فكلنا بقصور عنك نعترف
مهد لى العذر فى نظم نفثت به ... من عنده الدر لايهدى له الصدف

الاخذون عنـه

قـد ذكرنا فى ترجمة الشيخ سيدى الطاهر كثيرين ممن زاوجـوا بينه وبين المترجم فى الاخذ . وهؤلاء من أخذوا عن المترجم وحده :

١ ـ سيدى الحسين بن موسى التانكرتـى الحندقى . وهـو مدرس اليوم فى مدرسة الشيخ سيدى ابرهيم بن على التنانى من سنوات
٢ ـ سيدى ابرهيم بن الحسين من (ايد عزى) البكريين الويهداويين يتجر اليـوم .
٣ ـ سيدى عبد الله بن الحسين من (تاووريرت نعلى مجوض) من أسرة الفقيه سيدى أحمد بن صالح. يشارط فى المساجد اليوم
٤ ـ سيدى مبارك بن سعيد من (تيموسان) وبيته بيت علم وقرءان ووالده فقيه وهو اليوم عدل .
٥ ـ سيدى حسون بن محمـد بن حسون من (تيموسان) يشارط اليوم فى المساجد .
٦ ـ سيدى عابد بن سعيد الاساكى . أستاذ فى مدرسة حديثة .
٧ ـ سيدى سعيد بن الطيب الاساكى . عدل فى المحكمة الشرعية
٨ ـ سيدى أحمد بن مبارك الاساكى . يتجر
٩ ـ سيدى محمد بن سعيد الاساكى . يتجر أيضا
١٠ ـ سيدى محمد بن الطاهر الاساكى . يشارط فى المساجد
١١ ـ الحسين بن محمد بن الحسين الاساكى .
١٢ ـ سيدى صالح بن حمو الشقراوى . توفى نحـو ١٣٦٨ هـ . وقد أخذ أيضا عن محمد بن أحمد الامسراوى وعن الحاج مسعود
١٣ ـ سيدى بلخير بن احمد الامسراوى أخو الاستاذ سيدى محمد ابن احمـد
١٤ ـ سيدى الطاهر بن محمد بن مبارك أولوش . ووالده الفقيه محمد بن مبارك المشهور .
١٥ ـ سيدى اليزيد بن محمد بن مبارك أولوش . اخوه
١٦ ـ سيدى محمد بن الباز التاغاجيجتى . نائب المسدد فى المحكمة
١٧ ـ سيدى سعيد التاغاجيجتى . يستتم فى المعهد الردانى .
١٨ ـ سيدى الحسن الاساوى من (ءال ايهراسن) يتجر

١٩ ـ سيدى الحسين بن على الموسوى المجاطى. استاذ فى مدرسة حديثة
٢٠ ـ سيدى الحسن بن محمد الموسوى المجاطى . لايزال حيا
٢١ ـ سيدى ابو بكر الموسوى المجاطى . يشارط فى (اداوتنان)
٢٢ ـ سيدى على الموسوى المجاطى . يشارط فى المساجد
٢٣ ـ سيدى الطاهر بن احمد من (اكنى اورعم) يشارط فى المساجد
٢٤ ـ سيدى البشير أخوه : يشارط ايضا
٢٥ ـ سيدى الحسن ابن الحاج محمد بن عبـد الكريم الاخصاصى . كاتب الضبط .
٢٦ ـ سيدى محمد بن الحسين بن هادا الاخصاصى. يشارط فى المساجد
٢٧ ـ سيدى جامع بن احمد بن مومو الاخصاصى. توفى بعد ١٣٦٠ هـ
٢٨ ـ سيدى أحمد بن محمد الاخصاصى المتخرج من (مصر) . هو الآن فى (البيضاء) استاذ فى مدرسة حديثة .
٢٩ ـ سيدى محمد بن الحسن اوبلوش البعمرانى استاذ فى مدرسة .
٣٠ ـ سيدى محمد بن ابرهيم البعمرانى . استاذ فى مدرسة حديثة
٣١ ـ سيدى أبـو الهدير ـ كنيـة ـ البعمرانى . لايزال حيـا . استاذ فى مدرسة حديثـة
٣٢ ـ سيدى على بن عبد الرحمن التامانارتى . عدل
٣٣ ـ سيدى محمد بن احمد التامانارتى . وهما من ءال الشيخ .
٣٤ ـ سيدى عبد الله التامانارتى : يشارط فى المساجد
٣٥ ـ سيدى على بن جامع التامانارتى
٣٦ ـ سيدى احمـد بن أبى بكر . محصل . وقـد اخذ عن كثيرين ايضا كاحمد الاقاريضى او عن أولاده . توفى بعد ١٣٦٠ هـ .
٣٧ ـ سيدى محمد بن مبارك البرايبمى . استاذ فى مدرسة حديثة
٣٨ ـ سيدى احمد البرايبمى . أخـذ ايضا عن محمد الامسراوى .
٣٩ ـ سيدى محمد بن أحمد الوفقاوى : حج واشتغل بالمشارطـة .
٤٠ ـ سيدى عبد السلام بن بلقاسم التاجارمونتى .

أولاده

للمترجم اولاد عدة ؛ اكبرهم :

١ ـ سيدى المدنى المولود ليلة سادس شعبان ١٣٣٦ هـ . وامه تعزى بنت العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى . اخذ القرءان عن الاستاذ محمد ابن حسون من قرية (تاوريرت نعل مجوض) وكان يشارط فيها . واسرته تسمى (ءال القاضى) مما يدل على ان العلم والقضاء مرا فى اجداده . توفى نحو ١٣٧٠ هـ فيما قيل لنا . واخذ قليلا عن الاستاذ ابرهيم بن مبارك

الامسراتي . اخـذ عنه في المدرسة التانكرتية . ولايزال هذا الاستاذ حيا الآن ١٣٨٢ هـ .

ثم انه لازم والده من مبادئه الى أن استتم تحصيل المتون . كما ياخذ عن جده الامام في كل فرصة سنحت ان حضر في الدار . وقد قال لي جده شيخنا : طالما حرص على أن يسافر معه الا ان والده سيدي محمدا لايريد له مفارقة المدرسة . لانه ينيبه عنه منذ أن حصل في التدريس . وقد كنت رايته مع قرينه سيدي محمد بن البشير الناصري في رحلتي الاولى الى (ايفران) كما قيد في الرحلة الثانية . من (خلال جزولة) فاعجبت بهما . وحكمت أنهما فذان بين شباب (سوس) تحصيلا وذكاء ومشاركة . ثم اظهرت الايام منهما صدق هذا الحكم . فهذا سيدي المدني صار الآن بعد والده وجده عمارة الدار والمدرسة . وعلامة الاسرة . ونبراس (ايفران) الوهاج . وقد قام باعباء كل ذلك حق القيام . وفقه الله واعانه . وله يد عليا في الادبيات ككل أهله : الا انني لم أتصل الى الآن بما يستحق أن أنشره له . في هذا الميدان . وقد تزوج هذه السنة ١٣٨٢ هـ بكريمة العلامة سيدي البشير الناصري . رزقه الله منها أولادا صالحين .

أدبيات حواليه

نشا بين والد أديب كبير وجد أديب كبير أيضا . فكانت بيئته أدبية تاتي القوافي فيها بادنى مناسبة . ففي ٢٧ من ربيع النبوي عام ١٣٤٦ هـ . بعث جده العلامة أبو الحسن بقطيعة صغيرة اليه وكتب معها كتابا للشيخ سيدي الطاهر رضي الله عنه وضمنه هذه الابيات على وجه المداعبة :

قطيفتنا اما وصلت فسلمي … على المدني البكري ذي الخلق الفرد
وقولي له اني أتيتك خادما … تصرفني في أوجه الخير والمجد
فان شئت فافرشني وانت مجود … وان شئت فافرشني وهمك في سرد
وان شئت أن أحظى بفرشك في خصـ … ـوص يوم الخميس في الزيادة في السعد
فتجعلني في التخت حتى اذا بدت … صبيحة ذاك اليوم ارفع في وجد
فتبدو علي كالهلال اذا بدت … له هالة زرقاء في طالع السعد
يراك على الشيخ جدك ذاكرا … دعاء أبي بكر فايقن بالزيد
ويحنو عليك الوالد البر من له … بكسب وارث في العلا حلة الحمد
وان غار (يحيا) ثنيك البطل الذي … به الله يحيي الدين فاربا عن الرد
أسال اله العرش يبقيكما كما … تشاء ان في ظل الكلاءة والرشد

فاجاب عن ذلك الشيخ سيدي الطاهر بقوله :

بجاه أجل الخلق صلى وسلما الا … له عليه دون حصر ولا عد

تقول القطيفة اللقاة بالايدي … من المدني لما اتته من الجد
وصلت فولاني – ولله دره – … قبولا وتقبيلا وحمدا على حمد
وافرشني خديه ثم اقلني … على الراس اجلالا لسيده المهدي
واوسعني برا وابدى صبابة … الي كما تصبو العطاش الى الورد
فلست لديه في اعز مكانة … كاني فيها هالة الكوكب السعد
واصبحت مضروبا بي المثل الذي … تسير به الركبان بالنص والوخد
امن مبلغ مولاي عني انني … سعدت لدى النجل المهيا للرشد
واللني استوحشت اذ كنت مفردا … غريبا وليس العجب في وحشة الفرد
فاطلب من مولاي تانيس غربتي … باخرى الى (يحيا) المهدي في المهد
فنغدو معا في خدمة ابنيك نبرى … سما المجد نكفي وقدة الحر والبرد
فلا برحت كلتا يديك تنيل ما … يعز وتدني ماتنافر في البعد
فانك يا مولاي بحر يغوص في … سواحله عافي المعارف والرفد
بقيت بقاء الدهر يا كهف اهله … نجاة لمستهد وكنزا لمستهد
عليك سلام الله ما نشرت صبا … صباح بساط الزهر في روضة النجد

كان يفد الى (الغ) فيحتفل به اخواله . ويرحبون به بالقوافي على عادتهم . فقد قال الاديب سيدي المدني :

ورق الحمى سجعت شدوا على مهل … وطاب تغريدها في العل والنهل
ورجعت وتجاوبت على فنن … وخامرتها حميا الشارب الثمل
واهتز روض المنى بالبشر وانسجمت … كل المنى بتدانيها على عجل
بمقدم السيد الفذ البليغ ومن … بذ بفضل ذكاء كل منتحل
السيد المدني ابن الامام محـ … ـمد سري أديب أيد بطل
نجل الالى مخضوا كل العلوم فهم … انف السيادة في حل ومرتحل
ان استعاص عويص او توحش حو … شي رموه بسهم الفكر في مهل
هم سادة قادة شم الانوف ابا … ة الضيم ان سيم خسف الحادث الجلل
يا مرحبا بك كل الرحب لابرحت … اداابك الغضة المجنى لدى العلل
تهمي او تنهل الوراد في صدر … وعذب علمك يروي كل ذي علل
على عليك سلام طيب ارج … ما ناح ورق الحمى شدوا على مهل

وقال الاديب سيدي الحسن بن علي :

بشرى فورق الحمى غنت على فنن … معربة بوصول السيد المدني
رب السيادة لاتبغي به بدلا … شاعت مئاثره في السهل والحزن [1]

[1] الحزن بفتح فسكون : ضد السهل . وحركه ضرورة .

نجل الكرام حماة الدين عمدته … وهم لدين الهدى كالروح للبدن
وهم بدور دجا وهم غيوث رجا … وهم حصون النجا في السر والعلن
وهم سيوف عدا وهم شموس هدى … وهم بحور ندى فخر لذا الزمن
اتى وأرواحنا اليه تائقة … فشتت الوصل جيش البين والحزن
اهلا بمقدمه اهلا بطلعته … ان لم يكن فخر هذا العصر لم يكن

وقال الاديب سيدى أحمد بن الحسن البناى الايغشانى :

أهلا بمقدم سيدى المدنى من … أهدى بزورته شذا الانباء
اهلا برب بلاغة وفصاحة … بحر العلوم بهمة قعساء
أهلا به من سيد أهدى لنا … بشرا كنفح الروضة الغناء
قد طالما انتظرته (غسان) العلا … لينيلها من نوره الوضاء
فاتى بحمد الله بدرا طالعا … وشفى ضنى الاكباد والاحشاء
قد زارنا فجزاه رب لم يزل … يجزى على الاحسان خير جزاء
وانالـه ما يرتجيه ممتعا … بسنا الرضا من سادة آباء
أشياخنا الغر الاماجد من بهم … نرجو السلامة من عنا الاسواء
فالله يحفظ مجدهم بكمال لطـ … ـف الله ما هب الصبا بكباء
وعلى مقامهم الرفيع سلام من … يشفى جواه الجسم طيب لقاء

وجرى معهم محمد المختار فى هذا الميدان . لانه اذ ذاك لايزال فى (الغ) فقال :

ما حاز كل مقام فى العلاء سنى … الا سليل المعالى سيدى المدنى
توفرت فيه أخلاق التفوق عن … جدارة فترقى أرفع القنن
يستلفت الفهم منه كل من سمعوا … فيكثرون من الاعجاب منه : مَن
جاءت به أسرة شماء منفردا … كالزهرة انفتحت فى قمة الغصن
فكان خير سليل جاء أسرته … أيضا بكل مقام فى العلاء سنى
من لم يكن تجده الموروث تالده … مدعما بطريف منه لم يكن

وخاطبه الاديب سيدى محمد بن على فى احدى وفاداته :

نعم الزمان اللذ وفى بمرادى … مذ طوقت نعماه صفح مرادى ١
مر يا زمان بما تريد أطع وقل … اسمع فان اليوم من أعيادى
طبنا بطيب زيارة المدنى من … كان الحفيد وافضل الاحفاد
وافى وعزى خاله فحوى من الا … جر الجزيل متقبل الاطواد ٢

١) المراد بالفتح : العنق . كذا كتب عليه القائل .
٢) ورد على اخواله ليعزيهم فى أمهم التى هى جدته : أم أمه .

اهلا وسهلا بالحفيد ومن غدا … ندبا اديبا شيمة الاجداد
ان البليدة الغنا قد زخرفت … ولزينت للقائك المرتاد
هذا الوصال لطالما ارجوه من … زمن فجاء به على ميعاد
وصل فرى درع النوى كالنصل اذ … يفرى الهزبر به طلا الامجاد
لله هذا الوصل ما احلاه ما … انساه للايحاش والايعاد
يافرحتى لو قد اتى(يحيا) الذى … يحيى السرور به من الاكباد ١
لكن ذاك السيد المدنى من … فيه الكفاية مجمع الافراد
حياكما الرحمان فى رغد وفى … حفظ وعلم زاخر الامداد
متمتعا برضا الجدود المجتبى … ورضا الذى للخلق ذو الايجاد

وقد ودعه الاديب سيدى الحسن بن على يوما من (الغ) بما مطلعه :

ياسادة سكنوا فى القلب مذ فطروا … وغاب عنا عناء القلب مذ حضروا

الى اخرها

٢ – سيدى يحيا

هذا هو الثانى من أولاد سيدى محمد بن الطاهر وهو صنو المدنى . امهما واحدة . وقد ولد ١٧ جمادى الاولى ١٣٤٥ هـ . واخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن حسون المتقدم . وعن الاستاذ الطيب بن البشير الشريف من اولاد سيدى بلقاسم بن على من أهل (مسجد الجمعة) وقد توفى نحو ١٣٧٢ هـ . وعن الاستاذ سيدى محمد بن محمد التاوريرتى . ولايزال هذا حيا يشارط . وعن الاستاذ الحسين بن محمد بن الحسين استاذ اخوته فى المدرسة – وقد تقدم –

ثم لازم والده حتى أخذ ما تيسر له من المعلومات . ثم التحق بالحواضر ما شاء الله الى أن رجع به صنوه المدنى . فهو الآن فى دارهم وفقه الله .

٣ – سيدى الحسن

اخوهما . أخذ القرءان عن سيدى الحسين بن محمد المذكور فى المدرسة ثم اخذ فى بدايته عن الاستاذ الحسين بن موسى التانكرتى المبادئ والعربية ثم لازم اخاه المدنى . مع الاخذ عن والده . ثم انه بعدما حصل ما اخذه . فارق مسقط راسه الى الحواضر . فيقطن فى احواز مكناس . يشارط هنالك بعدما شارط حينا فى (ايداوتنان) . وهو سبط سيدى البشير الناصرى هو واخوته الآتون .

٤ – سيدى عبد القادر

١) يحيا أخو المخاطب .

من اصاغر الاخوة : اخذ القرءان عن سيدى الحسين المتقدم . والمعارف من اخيه المدنى . وعميه البشير وعبد الله ابنى الطاهر . وهو نجيب . ولايزال يجتهد الآن ١٣٨٢ هـ . وهناك سيدى الحسين أخوهم لايزال يقرأ القرءان الآن ١٣٨٢ هـ .

هؤلاء اولاد سيدى محمد بن الطاهر رحمه الله .

* * *

(خاتمـة) : الآن انقضى الكلام على ما تيسر فى اسرة الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم التامانارتي . التى لهـا مجد شامخ . بالـدين والعلم والصلاح . والغريب انها مع كل هذه الاوصاف . لم تزل فى محاربة مـع جيرانها الرؤسـاء التامانارتيين . وقد ذكرنا ذلك قبل . وقـد كان فاتنا هناك ان نذكر مايقوله هؤلاء فى سبب ذلك . وقد كنا كتبنا مايقوله الرؤساء المذكورون فى ءاخر الجزء (العشرين) . وهاك الآن مـا يقوله ءال الشيخ . وقد وقفت على ما كنت كتبته عن احدهم الآن . بعدما ضاع بين الاوراق . قـال :

(اول ما ابتدات العـداوة بين ءال الشيخ وبين ءال (اكرض) . ان فقيها يسمى عبد الله بن محمد من ءال الشيخ كان قاضيا . فقيل للقائد محمد فى (اكرض) ان القاضى قد حال بينك وبين الملك . فتوصل بـه القائد فاغتاله . فكتم خبره اياما . الى أن فشا الخبر . ويقال ان المؤذن فى الصباح هو الذى افشى ذلك اثناء اذكاره السحرية . فتطلب منه اخوانه ءال الشيخ ان يخرجـه لهم ليدفنوه . فبعد أن ارتشى منهم . وحوى كثيرا من حليهم . اخرج اليهم جثة المقتول . فبلغ الخبر الملك مولاى اسمعيل . بابلاغ اخي القتيل . فبعثه الى بلده . وواعدهم السنة المقبلة . فجاء خليفته فنزل بجيشه امام (اكنى نتزر ملالت) فارسل اليه القائد هديته . ولـم يات معها . فلم يقبلها الخليفة . والح فى مجيئه . وفى اليوم الثانى جاء القائد محمد مع ولده ابرهيم . فاعتقلهما القائد الخليفـة . فوجههمـا الى (مكناس) فبقى هناك الى أن مات القائد محمد . فتطلب اهلـه ان يرجع ابرهيم ولده . فوسطوا ءال الشيخ . فاسعفهم الملك . ولكن ابرهيم لما تمكن غدر سبعة من فقهاء ءال الشيخ مع ٢٢ صبيا منهم فى المكتب . فاذ ذاك غادر ءال الشيخ (اكرض) وبعضهم الى(ايكيواز) وبعضهم الى (اداى)وبعضهم فى (تيسلان) فامتدت الحرب نحو سبع سنين . فوقع السلم بين الفريقين. فرجع ءال الشيخ الى (اكرض) وبعد ازمان غدر ءال الشيخ بلورهم مـع الاخصاص اهل القائد . فرحلوا الى (امانوز) فوصلوا حبالهم مـع (مجاط)

حتى رجعوا ودخلوا (اكرض) بحيلة . وذلك انه جاء المجاطيون بجيشهم . فنزلوا ازاء (اكرض) يتطلبون المصالحة بينهم وان لاقصد الا أن يدخل النساء والصبيان الى ديارهم . فقبلوا المصالحة . وطلب المجاطيـون أن يمـدوهم بعلوفات خيلهم . فصار كل ذى فرس يأخذ مخلاة فرسه . فيتبعه اثنان او ثلاثة . لياخذ العلف من الدار . فاذا بهم ملأوا القرية . فعرف ءال الشيخ انهم ماخوذون . فخرجوا كلهم . وقد كان رئيس ءال الشيخ ابرهيم ابن محمد بن عبد الرحمن . ومنذ ذلك اليوم سكنوا فى (القصبة) ويقال ان ذلك كان نحو ١٢٦٠ هـ . أو قبله بقليل . وبعد ما نزلوا فى (القصبة) بايام جاء السيل الجارف المشهور الذى يقال انه كان نحو ١٢٥٥ هـ . وممن جلا اذ ذاك عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن . وهو اذ ذاك كما يحمل سلاحه . ثم وقعت حرب السور . وذلك ان القائد التامانارتي ادار السور على بساتين (تيملت) فبقي ءال الشيخ محصورين عن بساتينهم . الا أن جاءوا من فوق القنطرة وفي يوم اتفق أهل (مريبض) فخربـوا السور من جميع النواحي . هدموه وهزموا ءال القائد . فسميت حرب السور . وكان من العادة أن يأخذ القائد أو الشيخ عرجونا من كـل نخلة لنفسه . ولـم يكن ءال الشيخ يعطونه للقائد قط فاراد مرة بعد ادارة السور أن يأخـذ تلك الاتاوة منهم . فقالوا له هذا اعلان للحرب فترك ذلك . ثم لم تزل الحرب سجالا بينهم الى زمن الاحتلال . فاستوى الماء والخشبة .

هذا ما حكاه لى احدهم اسطره كما هو بكل امانـة . فالله يسامح الجميـع .

انتهى الجزء السابـع من (المعسول)

ويليه ان شاء الله الجزء الثامن

من اصاغر الاخوة : اخذ القرءان عن سيدى الحسين المتقدم . والمعارف عن اخيه المدنى . وعميه البشير وعبد الله ابنى الطاهر . وهو نجيب . ولايزال يجتهد الآن ١٣٨٢ هـ . وهناك سيدى الحسين اخوهم لايزال يقرا القرءان الآن ١٣٨٢ هـ .

هؤلاء اولاد سيدى محمد بن الطاهر رحمه الله .

* * *

(خاتمة) : الآن انقضى الكلام على ما تيسر فى اسرة الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم التامانارتى . التى لها مجد شامخ . بالدين والعلم والصلاح . والغريب انها مع كل هذه الاوصاف . لم تزل فى محاربة مع جيرانها الرؤساء التامانارتيين . وقد ذكرنا ذلك قبل . وقد كان فاتنا هناك ان نذكر مايقوله هؤلاء فى سبب ذلك . وقد كنا كتبنا مايقوله الرؤساء المذكورون فى ءاخر الجزء (العشرين) . وهاك الآن ما يقوله ءال الشيخ . وقد وقعت على ما كنت كتبته عن احدهم الآن . بعدما ضاع بين الاوراق . قال :

(اول ما ابتدات العداوة بين ءال الشيخ وبين ءال (اكرض) . ان فقيها يسمى عبد الله بن محمد من ءال الشيخ كان قاضيا . فقيل للقائد محمد فى (اكرض) ان القاضى قد حال بينك وبين الملك . فتوصل به القائد فاغتاله . فكتم خبره اياما . الى ان فشا الخبر . ويقال ان المؤذن فى الصباح هو الذى افشى ذلك اثناء اذكاره السحرية . فتطلب منه اخوانه ءال الشيخ ان يخرجه لهم ليدفنوه . فبعد ان ارتشى منهم . وحوى كثيرا من حليهم . اخرج اليهم جثة المقتول . فبلغ الخبر الملك مولاى اسمعيل . بابلاغ اخى القتيل . فبعثه الى بلده . وواعدهم السنة المقبلة . فجاء خليفته فنزل بجيشه امام (اكنى نتزر ملالت) فارسل اليه القائد هديته . ولم يات معها . فلم يقبلها الخليفة . والح فى مجيئه . وفى اليوم الثانى جاء القائد محمد مع ولده ابرهيم . فاعتقلهما الخليفة . فوجههما الى (مكناس) فبقى هناك الى ان مات القائد محمد . فتطلب اهله ان يرجع ابرهيم ولده . فوسطوا ءال الشيخ . فاسعفهم الملك . ولكن ابرهيم لما تمكن غدر سبعة من فقهاء ءال الشيخ مع ٣٣ صبيا منهم فى المكتب . فاذ ذاك غادر ءال الشيخ (اكرض) وبعضهم الى(ايكيواز) وبعضهم الى (اداى)وبعضهم فى (تيسلان) فامتدت الحرب نحو سبع سنين . فوقع السلم بين الفريقين. فرجع ءال الشيخ الى (اكرض) وبعد ازمان غدر ءال الشيخ بنورهم مع الاخصاص اهل القائد . فرحلوا الى (امانوز) فوصلوا حبالهم مع (مجاط)

حتى رجعوا ودخلوا (اكرض) بحيلة . وذلك انه جاء المجاطيون بجيشهم . فنزلوا ازاء (اكرض) يتطلبون المصالحة بينهم وان لاقصد الا ان يدخل النساء والصبيان الى ديارهم . فقبلوا المصالحة . وطلب المجاطيون ان يمدوهم بعلوفات خيلهم . فصار كل ذى فرس ياخذ مخلاة فرسه . فيتبعه اثنان او ثلاثة . لياخذ العلف من الدار . فاذا بهم ملاوا القرية . فعرف ءال الشيخ انهم ماخوذون . فخرجوا كلهم . وقد كان رئيس ءال الشيخ ابرهيم ابن محمد بن عبد الرحمن . ومنذ ذلك اليوم سكنوا فى (القصبة) ويقال ان ذلك كان نحو ١٢٦٠ هـ . او قبله بقليل . وبعد ما نزلوا فى (القصبة) بايام جاء السيل الجارف المشهور الذى يقال انه كان نحو ١٢٥٥ هـ . وممن جلا اذ ذاك عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن . وهو اذ ذاك كما يحمل سلاحه . ثم وقعت حرب السور . وذلك ان القائد التامانارتى ادار السور على بساتين (تيملت) فبقى ءال الشيخ محصورين عن بساتينهم . الا ان جاءوا من فوق القنطرة وفى يوم اتفق اهل (مريبض) فخربوا السور من جميع النواحى . هدموه وهزموا ءال القائد . فسميت حرب السور . وكان من العادة ان ياخذ القائد او الشيخ عرجونا من كل نخلة لنفسه . ولم يكن ءال الشيخ يعطونه للقائد قط فاراد مرة بعد ادارة السور ان ياخذ تلك الاتاوة منهم . فقالوا له هذا اعلان للحرب فترك ذلك . ثم لم تزل الحرب سجالا بينهم الى زمن الاحتلال . فاستوى الماء والخشبة .

هذا ما حكاه لى احدهم اسطره كما هو بكل امانة . فالله يسامح الجميع .

انتهى الجزء السابع من (المعسول)

ويليه ان شاء الله الجزء الثامن

تنبيه

ان الاخطاء والتحريفات والاوهام من عادات كل مؤلف مؤلف فرحم الله من صحح نسخته على هذه التصحيحات التى فى ءاخر الكتاب ؛ ثم نبهنا على ما سيقع عليه بعد ذلك - ولا يكون قليلا - لنستدركه فيما بعد . كما نرجو من كل مطالع ان ينبهنا على الاسماء وعلى كل ما يراه محرفا عن اصله . فاننا لانبيع الكتاب على البراءة ؛ وخصوصا أمثالنا الذين يعتمدون على النقل من الافواه غالبا . فالوهم قد يكون منا أو من المخبرين أو منا معا .

المؤلف

الفهارس سبعة

الفهرس الأول فى الذين تاسست عليهم التراجم

الفهرس الثانى العام لكل ما فى الجزء معنونا وغير معنون

الفهرس الثالث فى القوافى . ونكتفى بالمطلع المصرع مع الاخير . والا فاننا نزيد على ذلك لفظة القافية فى الشطر الثانى

الهمـزة

البـاء

التـاء

الجيم

الحاء

الدال

الراء

الجيم

الحاء

الدال

الراء

١٠٢ الطاهر الايفرانى — سلام كما مس النسيم من الزهر
١٠٤ له أيضا — يا سيدا نعمته الثرة
١٠٥ له أيضا — على شيخنا قطب الهدى والمفاخر
١٠٥ أبو الحسن الالغى — تألق هذا القطر مذ طلع البدر
١١٠ الطاهر الايفرانى — أمولاى يا بدر الدياجى الدياجر
١٢٧ لـه أيضـا — أتتنا بأنواع المسرة والبشرى
١٢٩ لـه أيضـا — أمولاى يا ذا الجود يا ابن ابى النصر
١٣٦ لـه أيضـا — لقد بسم الثغر السويرى بالنور
١٤٨ لـه أيضـا — عليك ابن ابراهيم يا شاعر الحمرا
١٥٠ لـه أيضـا — اذا حوى حلبة الاخيار مضمار
١٦١ لـه أيضـا — ليهنك نجم زان أفقك يا بدر
١٦٧ لـه أيضـا — أسيدنا الباشا علوت على الشعرى
١٩٧ لـه أيضـا — عرج على الحى بين الضال والسمر
٢٠٧ لـه أيضـا — سرى طيف سلمى فسل ما أثارا
٢٢٧ الطاهر الالغى — فثناه وءاه عمنا الحادث النكر
٢٢٩ محمد بن على الالغى — هو الموت مشروع الاسنة للورى
٢٣٧ الطاهر الايفرانى — لقد قرت بقبض أبى حمارة
٢٤٢ محمد بن الطاهر — الحب أعظم أن يرى مستورا
٢٤٣ الطاهر الايفرانى — المجد روض لا يزال نضيرا
٢٤٧ له أيضا — أيا ولدا أضحى بأفق المفاخر
٢٤٧ له أيضا — انى لمشتاق الى (بمروان) ـ نوار
٢٤٨ محمد بن الطاهر — يا نسمة قد هاج منها أدكار
٢٥٠ الطاهر الايفرانى — اذا ملت الافكار حمل الدفاتر
٢٥٠ له أيضا — فلا تملن اكثارى عليك من اشعار
٢٥٠ محمد بن الطاهر — بدت فسبا احسانها كل ناظر
٢٥٤ الطاهر الايفرانى — يا سادة جددوا الفهم المختصر
٢٦٣ أبو الحسن الالغى — وصالك هذا أم بدا صبح أسفار
٢٧٢ محمد بن الطاهر — سلام على مثوى الفضائل والفخر
٢٧٤ البشير الناصرى — وفود التهانى أقبلت نحونا تترى
٢٧٤ محمد بن على الالغى — لله سيدنا البشير الناصرى
٢٧٥ محمد بن الطاهر — سرت فأثارت فى الحشا كامنا دهرا
٢٨٩ الحسن بن على الالغى — يا سادة سكنوا فى القلب مذ فطروا

الـزاى

٩٥ الطاهر الايفرانى — فعلى السيد ابن عبد العز…
١١٥ لـه أيضـا — تقبل ركن المجد من كف سيد ـ …
١٥٠ لـه أيضـا — لبنى المهلب فى الندى مثل سرى ـ …

السـين

٥٦ محمد بن الطاهر — وقائع هذا الدهر دائرة …
٢٠٣ الطاهر الايفرانى — ادر من حديث الوجد أعذب ما …
١١٨ أحمد البلغيثى — سلام على الاحباب فى …
١١٨ الطاهر الايفرانى — أتتنى على بعد المسافة من …
١٣٤ لـه أيضـا — عندى لمجدك يا أبا …
١٦٤ لـه أيضـا — بدا طالع العلياء فى برج …
٢٣٣ لـه أيضـا — هبت فازرت بالكبا والا…
٢٣٣ لـه أيضـا — محمد يا من لم يزل …
٢٣٤ محمد بن الطاهر — أمولاى من أهدى الى …
٢٣٤ الطاهر الايفرانى — بنى لقد أبدعت فى …
٢٧١ محمد بن الطاهر — أيا ابن كرام فضله …

الطـاء

٢١٦ الطاهر الايفرانى — تألق برق أذكر الجزعا …

الـغـين

٧ محمد بن الحسن اللكوسى — أرخ الزمان لها …
١١٢ أبو الحسن الالغى — لله قوم بهذا الربيع …
١٢٢ الطاهر الايفرانى — قف حادى الاظعان …
١٧٣ له أيضا — نبى الهدى انى …
٢٧٠ محمد بن على الالغى — أتانى فأحيانى من السقم والضنى ـ …
٢٧٢ البشير الناصرى — منى سلام …
٢٧٣ الطاهر الايفرانى — أهلا بها …
٢٧٣ محمد بن الطاهر — يا قمرا بنوره …
٢٧٨ محمد بن على الالغى — هو الموت لا تجزع فليس …

الزاى

السين

الطاء

الغين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النـون

الهـاء

الـواو

اليـاء

الرجـز

الفهرس الرابع في المنثورات من الرسائل وغيرها

الفهرس الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

الفهرس السادس في الاخطاء المطبعية التى وقف عليها سيدى رشيد ابن المصلوت ؛ وربما يكون هناك ما لم يقف عليه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١	الجزء المبارك	الجزء المخصوص
٦	٤	دان	كـان
١٠	١٩	هناك تكرر سطر تقدم قبل هذا بسطرين .	
١١	٣١	الاتباع	الابتـداع
١٣	٣٠	قـائـل	قائلا
١٤		هذا اصلاح البيت :	
		وما جبنت خيل ولكن تذكرت	مرابطها من بَرْبَعيصَ وميسَرا
١٦	٢٣	معـا	ممـا
٢١	٢٨	ولـده	والـده
٢٣	١٢	السادس عشرة	السادسة عشرة
٢٤	١١	التـافـة	التافـه
٢٤	١٦	لايريد	يريـد
٣٥	١٥	عن بن	على بن
٣٨	٢٥	بسبـه	بسببه
٤٠	٣	واعملوا	واعلموا
٤٠	٤	فى الارض	في الروضة
٤٠	٩	ولا تستمليـه	ولا تستميلـه
٤٢	١٩	منهمـا	منهـا
٤٣	٣٠	جمـل	جمـلا
٤٤	١٤	يتلاقونها	يتلاقـون
٤٧	٣٢	بن لوقاص	بن الوقاد
٤٨	١٧	قضـاة	قضـاء
٤٩	١٩	الظاهرة	الطاهرة
٥٠	٣٦	بالنجس	بالبخس
٥٣	٢٠	لموارثها	يتوارثها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٦	١٤	بنت ابرهيم	بنت محمد بن ابرهيم
٥٨	١٨	الخامس والعشرون	(مكـرر)
٧٠	١	التحافـه	التحافـه
٧٤	١٠	الشيب	السبيب
٧٤	١٦	القصـد	القصيدة
٧٧	١	كـذلـك	كـذلك
٧٧		(فى الحاشية) الفتق	الضيق
٨١	٩	القوات	القـوافى
٨٣	٤	كان	كـانت
٨٧	٣	والقوا	والقـوا
٨٧	٩	كلـه	كلك
٨٧	١٠	ان المجد	فى ان المجـد
٨٧	١٧	وبرنى	ويبردنى
٨٨	٩	التى ثـار	الذى ثـار
٨٨	١٠	الى ان	عـلى ان
٨٨	١٤	فيها تصحيف (زيدت كلمة قبلها)	
٩٢	١٩	البحوت	البحوث
٩٤	١٤	الملـقـق	الخلـق
٩٧	١٠	تنسخ	تنسلخ
٩٩	١١	يوازن	يوزن
٩٩	١٣	بالنظار	بالنضـار
٩٩	١٢	الذين	التى
١٠٠	٢١	الجهود	المجهود
١٠٢	٣	مصـاصره	معاصريه
١٠٢	٢٧	عن الزهر	من الزهر
١٠٢	٢٨	مطلـع	فى مطلع
١٠٣	١٦	فـؤاد	فـؤادا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٤	١ (في الحاشية)	بحذف النون	بحذف الياء
١٠٧	١٥	بمشاهدك	بمشاهدتك
١٠٩	١٢	اذا	اذ
١١٤	٢٦	ذلك	ذاك
١١٥	٤	العلا	العلاء
١١٥	١٢	زياته	زيارته
١١٧	١٤	وحاد	وحال
١١٩	٢٧	النسنيم	التسنيم
١١٧	١٨	ذر	در
١٢٧	١٩	للاخ	للاح
١٢٨	٢١	يدك	يدى
١٣١	٣٢	حصر	حصن
١٣٣	١١	ظلال	ضلال
١٣٣	١٤	الفرقد	الفرقد
١٣٣	٣٠	رصيت	رضيت
١٣٣	٣١	يصوع	يضوع
١٣٥	٧	السلائح	السائح
١٣٦	١٠	عواد	الطيب عواد
١٣٦	١٥	غادى	غاد
١٤٠	١١	رزى	زرى
١٤١	٧	والاذلال	والادلال
١٤٣	١٦	سماه	سماها
١٤٧	١٠	في سوم	في سوق
١٥٠	٢	الهلب	المهلب
١٥٢	٣١	العمى	العى
١٥٤	١١	سنى	سنا
١٥٥	٦	نمضى	تمضى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٥٥	١٩	المغالم	المعالم
١٥٦	٥	تستام	تمتاح
١٦٠	٢٦	نار	نارا
١٦١	٦	لنا	لقا
١٦٣	٧	وحدت	وحرت
١٦٣	١٧	لاقيت	لا لاقيت
١٦٣	٢٦	غلته	علته
١٦٤	١	وانا	واربا
١٦٥	٤	الهزير	الهزبر
١٦٥	٥	ملبوس	مأسوس
١٦٧	٩	أبد	أبدا
١٦٧	١٨	قصرا	فورا
١٦٩	٤	فقاضى	فماضى
١٦٩	١٧	يجارب	يحارب
١٧١	٢١	يطارع	يطاوع
١٧٢	٨	ضاع	ضاق
١٧٣	٦	المعشر	المشعر
١٧٦	٧	أن ينتشنى	ان ينثنى
١٧٨	٤	في مضام	في مقام
١٧٩	١٦	حتى استحلت	حتى استحالت
١٧٩	٢٦	قد أرادوا	قد أردوا
١٨١	١٢	العلاء	العناء
١٨٤	١٩	يحفره	يحصره
١٨٦	٣	مخلوق	(زائدة)
١٨٨	٤ (في الحاشية)	سطت	سيطت
١٩١	٦ (في الحاشية)	أو سوداء	أو سواد
١٩١	٨ (في الحاشية)	فانها	فانه

صفحة	سطر	خطـــا	صواب
١٩٣	٢٧	الرأى	الرأس
١٩٤	١٣ (فى الحاشية)	عدّد	عرّد
١٩٥	١٨	ذلـك	ذاك
١٩٩	١٦	ومن	مـن
٢٠٠	٨	البسعطين	السبيطين
٢١٠	٤	سليب	من سليب
٢١٢	٥ (فى الحاشية)	جمع	جمعـــه
٢١٩	١٥	هكذا البيت :	

اجرنى من همى ومن زمنى ومـن   ذنوبى ومن خصمى اذا هم بالفتك

صفحة	سطر	خطـــا	صواب
٢٢٠	١٧	ان يقول	ان يقال
٢٣٠	٢٣	وصغار	وصغارا
٢٢٣	١٥	وجدل	وجدلن
٢٢٣	١ (فى الحاشية)	بفتح فسكون	بفتح فكسر
٢٢٤	٤	قد صفيت	قد صيفت
٢٢٥	١٥	عن مضر	من مضر
٢٢٧	٣	كن	كـى
٢٢٩	١٩	قرى	قَرى
٢٣٠	٦	لنصيرا	لتصبرا
٢٣٢	١	فاورقت	فاروت
٢٣٣	٣	من نسخ	من نسج
٢٣٣	٣٠	من القطب	من القضب
٢٣٣	١ (فى الحاشية)	غلط	غلـظ
٢٣٤	٢٠	النفوس	الشموس
٢٣٤	٢٩	ما الميمون	بالميمون
٢٣٦	١٩	فى سلط	فى سلك
٢٣٦	٣٠	مناخر	مفاخر
٢٤٤	١٢	بوقا	برقـــا

صفحة	سطر	خطـــا	صواب
٢٤٤	٢٣	ماشنت	ما شئت
٢٤٥	٢١	ماحى	مـــاح
٢٤٦	٩	سماعيا	ساعيا
٢٤٧	١٣	فكسره	فكسرة
٢٥٠	١٧	اتثنت	انثنت
٢٥١	١١	عنهم	عليهم
٢٥٢	٢٣	ونصيـــد	وتصيد
٢٥٣	١٧	لاترضى	لاترتضى
٢٥٥	٩	الحزيـــلا	الجزيلا
٢٥٥	٤ (فى الحاشية)	متن المتون	من المتون
٢٥٧	١٢	غيناها	عيناها
٢٥٧	١٧	ولا فتك	ولا فاتك
٢٦١	٢٣	السامه : من يجرى ولا يعرف الاعياء	
٢٦١	٣٠	نـــواك	نـــداك
٢٦٧	١٦	فحمد	فمحمد
٢٧٠	١٦	وخاطب المترجم	(يسقط المترجم)
٢٧٣	١٩	فى ذاك	فى ذلك
٢٧٤	١٧	برق برق	(زاد الثانى)
٢٧٥	٧	من اى منال	من اى منازل
٢٧٦	١٠	اجـــل	اجـــلى
٢٧٧	١٥	ء لك	ءالـــك
٢٧٧	٢١	محمد بن ابرهيم	محمد بن الطاهر
٢٧٨	٧	الجميع	عن الجميع
٢٧٩	١٥	جرفتـــه	حرفته
٢٨٢	٢٣	تترنم	يترنم
٢٨٥	٢٩	وامـــة	وامـــه
٢٨٦	١٩	بقطيعـــة	بقطيفـــة

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

اقنّور

اينتّ وابلّي

امزّارّو

ايهرّاسنّ

ايدّ عزّي

ايداوزدّوت

ابن هادّا

***

تادّارت

تاحمّوت

تاوريرت نعلي مجّوض

توسّا

تيبّيوت

***

حسّون

***

كابّا

***

مومّو